

# نَفْسِ النَّوَى

مِنْ سُورَةِ الْإِسْرَاءِ إِلَى سُورَةِ الْأَنْبِيَاءِ

تَأْلِيْفُ  
السَّيِّحِ مُحَمَّدِ بْنِ قِرَاءَتٍ

الْمَجْلَدُ الْخَامِسُ

دَارُ الْمَوْئِجِ الْعَرَبِيِّ

بَكْرِيَّة





# مكتبة مؤمن قريش

لو وضع إيمان النبي طائفتين في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق  
في الكفة الأخرى ترجح إيمانه .  
(الإمام الصادق ع)

[moamenquraish.blogspot.com](http://moamenquraish.blogspot.com)

# نَفْسِ النَّوَى

مِنْ سُورَةِ الْاِسْرَاءِ إِلَى سُورَةِ الْاَنْبِيَاءِ

تَأْلِيْفُ  
السَّيِّخِ مُحَمَّدِ بْنِ قِرَاءَتٍ

مَرْجِعَةُ التَّرْجُمَةِ  
مُحَمَّدُ حَسَنُ زُرَّاقُطْ

مَرْجِعَةُ  
مُحَمَّدُ أَيُّوبُ

المجلد الخامس

دار المشرق العربي  
بيروت - لبنان

# حُقوقُ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ

الطبعة الأولى

١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م



طبع هذا الكتاب بالتعاون مع  
المركز الثقافي للدروس القرآنية

دار المورخ العربي



بيروت - حارة حزيل - قرب جامع المحسنين - فوق صيدلية دياب - ط ٢

تلفاكس: (٥٤) ٤٣١ - ٠١ - هاتف: ٥٤٤٨٠٥ - ٠١ - ص ب: ١٢٤ / ٢٤

البريد الإلكتروني: [al\\_mouarekh@hotmail.com](mailto:al_mouarekh@hotmail.com)

[www.al-mouarekh.com](http://www.al-mouarekh.com)



# سُورَةُ الْاِسْرَاءِ

السورة: ١٧ الجزء: ١٥

عدد الآيات: ١١١



## ملامح سورة الإسراء

سورة «الإسراء»، عدد آياتها مئة وإحدى عشرة آية وهي مكية على الأشهر، وذهب بعض المفسرين إلى أن الآيات (٢٦، ٣٢، ٣٣، ٥٧، ٧٨) مدنية.

ولهذه السورة ثلاثة أسماء، فباعتبار الكلمة الأولى الواردة في أولها تسمى سورة «سبحان» وباعتبار قضية الإسراء والمعراج تسمى سورة «الإسراء»، وبسبب حكايتها لقصة بني إسرائيل تسمى أيضاً سورة «بني إسرائيل».

وتشتمل هذه السورة، كسائر السور المكية، على العديد من الموضوعات من قبيل: التوحيد، والمعاد، والنصائح النافعة، والمبارزة مع كل أنواع الشرك والظلم والانحراف، والسنن والقوانين الفردية والاجتماعية في التاريخ، وقضية آدم وإبليس، ونبي الإسلام ﷺ ومكانته في مكة، ومعراج رسول الله ﷺ، وهذه الأخيرة من أهم مسائلها الجديرة بالاهتمام.

ابتدأت السورة بـ«التسبيح» وانتهت بالحمد لله وتعظيمه.

ورد في الروايات الدعوة إلى تلاوة هذه السورة في ليالي الجمعة، ومن جملة فوائدها ملاقاته إمام الزمان (عجل الله فرجه)<sup>(١)</sup>.

(١) عن الإمام الصادق عليه السلام: «من قرأ سورة بني إسرائيل في كل ليلة جمعة لم يمت حتى يدرك القائم ويكون من أصحابه» (تفسير الأمل).



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ، لَيْلًا مِنْكَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَيْنَا حَوْلَهُ لِإِثْبَاتِهِ، مِنْ مَا بَيْنَنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١)

### إشارات:

□ الإسراء والمعراج أقدس سفر في التاريخ، فالمسافر هو نبي الإسلام محمد ﷺ، ونقطة الانطلاق هي المسجد الحرام، والعبور عبر المسجد الأقصى، والمستضيف هو الله تعالى، والهدف منه رؤية آيات الله، وهداياه أخبار السماوات والملكوت وارتقاء مستوى الفهم البشري لهذه الدنيا المادية<sup>(١)</sup>.

□ استناداً إلى ما ورد في الروايات، فإن النبي ﷺ، قبل سنة واحدة من الهجرة وبعد صلاة المغرب، أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ومن هناك عرج إلى السماء بواسطة «البراق»<sup>(٢)</sup>، وأثناء رجوعه صلى الصبح في المسجد الحرام<sup>(٣)</sup>.

□ إن معراج النبي ﷺ كان جسمانياً ولم يكن روحياً فقط، وكان في اليقظة لا في النوم، وأصل وقوعه من ضروريات الدين ومورد اتفاق كل الفرق الإسلامية<sup>(٤)</sup>، وقد تواترت<sup>(٥)</sup> الروايات بذلك، ووردت الإشارة إلى هذه القضية في الأدعية والزيارات أيضاً، بل ورد في بعض الأحاديث أن منكره كافر.

(١) ذكر في تفسير الفرقان أن ليالي: ميلاد النبي ﷺ، المعراج، البعثة، الهجرة، الورد إلى المدينة، ارتحال النبي ﷺ، كلها كانت ليلة الاثنين.

(٢) تفسير نور الثقلين. (٣) بحار الأنوار، ج ١٨، ص ٣٨٩.

(٤) هذه الآية والآيات ٨ إلى ١٨ من سورة النجم تدل على هذا المطلب.

(٥) المتواتر: يطلق على الخبر أو الرواية التي نقلت عبر الكثير من الرواة ما يبعث على اليقين بمضمونها.

□ إن الله سبحانه وتعالى أهبط آدم ﷺ من السماء إلى الأرض، وأما رسول الله ﷺ فقد عُرج به من الأرض إلى السماء<sup>(١)</sup>. وفي تلك الليلة، رأى النبي ﷺ العوالم العليا وملكوت السماوات وما فيها من عجائب صنع الله وبدائع خلقه<sup>(٢)</sup>، والتقى بالأنبياء ﷺ<sup>(٣)</sup>، وفي هذا السفر نزلت عليه الأحاديث القدسية وأخبر هناك بخلافة الإمام علي ﷺ وولايته.

وفي هذا السفر أيضاً رأى رسول الله ﷺ الجنة والنار، وشاهد من جملة ما شاهده أهل الجنة ونعيمهم وأهل النار وعذابهم.

وعندما رجع النبي ﷺ من المعراج وأخبر الناس به ارتد بعض البسطاء عن دينهم<sup>(٤)</sup>.

### إشكال وجواب

□ أثار بعضهم عدداً من الأسئلة أو الشبهات حول معراج النبي ﷺ وسفره السماوي، ومن ذلك: عدم وجود الهواء في الفضاء الخارجي، الحرارة المحرقة والبرودة القاتلة، انعدام الوزن، الإشعاعات الخطيرة، عدم كفاية ليلة واحدة للسفر إلى السماء وبالتالي إذا أراد أحد ما السفر في الفضاء، فلا بد من أن تكون سرعته موازية لسرعة الضوء أو أكثر من ذلك، وللفرار من الجاذبية لا بد من أن تكون السرعة معادلة لـ ٤٠٠٠٠ كلم في الساعة، وأمثال هذه الشبهات.

والجواب الإجمالي عن هذه الشبهات: أن أصل قضية المعراج ثابتة بالقرآن والروايات المتواترة<sup>(٥)</sup>، وما يهمنا هو الإيمان بأصل وقوعها وليس من الضروري الإيمان بجزئياتها<sup>(٦)</sup>، ومن جهة أخرى فإن المعجزة لا بد من أن تكون، عقلاً،

(١) تفسير كشف الأسرار.

(٢) تفسير نور الثقلين.

(٣) الكافي، ج ٨، ص ١٢١.

(٤) تفسير الطبري.

(٥) بحار الأنوار، ج ١٨، ص ٢٨٢ - ٤١٠.

(٦) رغم وجود الجعل في بعض هذه الروايات، من قبيل المشاهدة الجسمية لله تعالى، وبعض هذه الروايات يمكن القبول بها بعد التوجيه والتأويل من قبيل: لقاء أهل الجنة وأهل جهنم، وبعضها الآخر مقبول دون تأويل.

غير مستحيلة، وحيث إن المعراج من معجزات نبي الإسلام ﷺ فيُشتمل حينئذٍ بالقواعد الكلية كل المعجزات.

وأما سائر الإشكالات والشبهات فيمكن حلّها أيضاً بالنظر إلى قدرة الله تعالى. ومضافاً إلى ذلك، فإنه من السهل القبول بالمعراج في عصرنا الحاضر، عصر الفضاء وإرسال الإنسان بالطائرات، والأقمار الصناعية، والسفن الفضائية إلى الكواكب الأخرى.

كما إن القرآن الكريم ذكر قضية انتقال عرش بلقيس من بلد إلى بلد آخر في أقل من طرفة عين، وهذا يحل إشكال طي المسافة أيضاً.

### التعاليم

١ - المعراج، ليس لغواً بل يشتمل على أسرار يجدر الالتفات إليها، ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى﴾.

٢ - المعراج، كان رحلة خاصة بالنبي ﷺ، ولقاءً علمياً له خصوصاً ﷺ، وإلا فإن الله تعالى لا مكان له، ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى﴾.

٣ - العبودية هي مقدمة الطيران والسفر، والعروج غير ممكن قبل الخروج من الصفات الرذيلة، ﴿أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾.

٤ - إن الإنسان حتى ولو عُرج به، إلا أنه يبقى «عبد»؛ لذا ينبغي علينا أن لا نغالي في أولياء الله، ﴿أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾.

٥ - العبودية، كانت من جملة ما يفتخر به النبي ﷺ، وكانت مقدمة لتلقي إفاضات الله عليه، ﴿بِعَبْدِهِ﴾.

٦ - إن النبي ﷺ الذي ستكون أمته من أهل الفضاء في المستقبل، لا بد من أن يكون هو نفسه قد عرج إلى السماء وسائر الأسفار السماوية من قبل، ﴿أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾.

٧ - الليل هو أفضل الأوقات للقرب من الله<sup>(١)</sup>، ﴿أَسْرَى... لَيْلًا﴾.

(١) «سرى» السري بمعنى السير ليلاً.



- ٨ - ليلة المعراج ليلة بالغة الأهمية؛ ﴿لَيْلًا﴾ التذكير يدل على التعظيم أحياناً).
- ٩ - إذا كان الاستعداد والقابلية موجودين، فسوف يتم العروج في ليلة واحدة، ﴿أَسْرَى يَعْبُدُهُ لَيْلًا﴾.
- ١٠ - المسجد هو أفضل قاعدة لعروج المؤمن معنويًا، ﴿مِنَ الْمَسْجِدِ﴾.
- ١١ - لا بد من أن يكون المسجد محور كل أعمالنا، ﴿مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾.
- ١٢ - الانطلاقات المقدسة لا بد من أن تكون عبر طرق مقدسة، ﴿أَسْرَى... مِنْ الْمَسْجِدِ﴾.
- ١٣ - الإفاضات والبركات، يجب أن تكون حول محور المسجد، ﴿الْمَسْجِدِ... بَرَكْنَا حَوْلَهُ﴾.
- ١٤ - بيت المقدس وما حوله، كان على مر التاريخ محلاً لنزول بركات السماء، ومقراً للأنبياء ﷺ، ومهبطاً للملائكة، ﴿بَرَكْنَا حَوْلَهُ﴾.
- ١٥ - السعة العلمية للإنسان أكبر بكثير من المعلومات الأرضية، كما إن آيات السماء وعجائبها أكثر أيضاً مما هو في الأرض، ﴿أَسْرَى... لِزِيَرَةٍ مِنْ ءَابِتِنَا﴾.
- ١٦ - الهدف من المعراج هو اكتساب المعارف والرشد المعنوي، ﴿لِزِيَرَةٍ مِنْ ءَابِتِنَا﴾.
- ١٧ - إن آيات الله كبيرة ولا نهاية لها إلى حد أن رسول الله ﷺ نفسه لم يكن بمقدوره الوصول إليها كلها، ﴿مِنْ ءَابِتِنَا﴾<sup>(١)</sup>.
- ١٨ - الله تعالى يحذر المخالفين والمعاندين بأنه يراهم ويسمع كلامهم، ﴿السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

(١) وفي موضع آخر قال تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ ءَالِئِكَ رَبِّيَ الْكُبْرَى﴾ [سورة النجم: الآية ١٨].

﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا﴾

### إشارات:

□ أوصي في القرآن الكريم، مراراً وتكراراً، بالتوكل على الله واجتناب التوكل على غيره، وإلى جانب الأمر بالتوكل يُبين الدليل على ذلك، فمثلاً يقول الله تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾<sup>(١)</sup>.

وفي سورة يوسف: ﴿إِن الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

ويقول أيضاً في سورة النساء: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾<sup>(٣)</sup>.

□ رسالة النبي موسى ﷺ كانت رسالة عامة وعالمية، وعلى الرغم من أنه في هذه الآية قد ذكر أنه كان هادياً لبني إسرائيل، إلا أن الله تعالى ذكر في مواضع أخرى من القرآن أنه اصطفاه وأرسله هادياً إلى الناس جميعاً: ﴿ثَوْرًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ﴾<sup>(٤)</sup> ﴿أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ﴾<sup>(٥)</sup>.

### التعاليم

١ - في بعض الحالات قد يكون الاشتراك في البلد أو القومية بين الداعي والمدعوى مؤثراً، ﴿هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾.

٢ - أهم هدف لدعوة كل الأنبياء ﷺ هو التوحيد، ﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ... أَلَّا تَتَّخِذُوا﴾.

٣ - الإنسان بحاجة إلى مستند يستند إليه ويتكل عليه؛ ولذا فإن الأنبياء ﷺ عرفوا أن الله تعالى هو المستند والوكيل الواقعي والحقيقي، ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا﴾.

(٤) سورة الأنعام: الآية ٩١.

(٥) سورة الأعراف: الآية ١٤٤.

(١) سورة الأعراف: الآية ٨٩.

(٢) سورة يوسف: الآية ٦٧.

(٣) سورة النساء: الآية ١٣٢.

## ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُمْ كَانَتْ عَبْدًا شَكُورًا﴾

### إشارات:

□ قيل إن النبي نوح عليه السلام هو «الأب الثاني» للبشرية؛ إذ إنه في أثناء الطوفان الذي جرى في عهده عليه السلام غرق كل الناس باستثناء الذين كانوا معه في السفينة ومن هذه الناحية فإن معنى ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا﴾ كقوله ﴿يَبْنِيْ عَادَمَ﴾.

□ إن النبي نوح عليه السلام كان أطول الأنبياء عمراً، وقد تحمل في هذه المدة المديدة أذى الكافرين والمعاندين وعذابهم له، ورغم كل ذلك كان عبداً شكوراً<sup>(١)</sup>، ولهذا فإن الله خصه عليه السلام بالذكر والسلام فقال: ﴿سَلَّمَ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

### التعاليم:

١ - كون الإنسان في محضر الأنبياء عليهم السلام وأتباعهم توجب نجاة الإنسان وبقائه، ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾.

٢ - تاريخ الماضين عامل تربية وإنذار للأجيال القادمة، ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا﴾.

٣ - التفات الأبناء إلى منزلة الآباء وإيمانهم عامل عاطفي لتربيتهم وقبولهم الدعوة وتحمل المسؤولية، ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا﴾.

٤ - العبودية لله مقدمة للنجاة من الحوادث والمهالك، ﴿حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُمْ كَانَتْ عَبْدًا شَكُورًا﴾.

٥ - إجلال الرجال العظماء والأسوة هو من عوامل التربية، ﴿كَانَتْ عَبْدًا شَكُورًا﴾.

٦ - من بركات الشكر لله تعالى استمرار الذرية وبقاؤها، ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ... عَبْدًا شَكُورًا﴾.

(١) ورد في تفسيري مجمع البيان وأطيب البيان نماذج من أدعية النبي نوح عليه السلام وشكره لله.

(٢) سورة الصافات: الآية ٧٩.



﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لُتْفُسِدَنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَنَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾

### إشارات:

□ من الممكن أن يكون إفساد بني إسرائيل مرتين مرتبطاً بهاتين الحادثتين: أولاهما هي قتل شعيا ومخالفة أرميا.

وثانيتهما: قتل زكريا ويحيى عليهما السلام.

ومن المحتمل أيضاً ارتباط ذلك بحوادث أخرى سوف نشير إليها في آيات أخرى.

□ الجنة مخصوصة بأولئك الذين اجتنبوا العلو والاستكبار في الأرض، ولم تُجعل لمن عدّ نفسه أعلى وأكبر من الآخرين: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾<sup>(١)</sup>.

### التعاليم:

- ١ - الكتب السماوية تحذر عن المستقبل أيضاً، ﴿وَقَضَيْنَا﴾.
- ٢ - سوابق اليهود مذكورة في التوراة كذلك، ﴿فِي الْكِتَابِ﴾.
- ٣ - الفساد، يشمل أنواع الفساد النفسي (قتل الآخرين)، والثقافي، والاقتصادي، والعسكري، والسياسي؛ إذ إن قوله، ﴿لُتْفُسِدَنَّ﴾ ورد بنحو الإطلاق.
- ٤ - العلو والفساد في الأرض من خصال أهل الدنيا وطلابها، ﴿...لُتْفُسِدَنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَنَعْلُنَّ﴾.
- ٥ - الفساد الأخطر هو الفساد ذي الجذور الاستكبارية والمتكرر، ﴿لُتْفُسِدَنَّ...﴾.
- ٦ - ربما يكون المستضعفون مستكبرين أحياناً، ﴿وَلَنَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾.

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَىٰ بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ  
وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾

### إشارات:

□ لم يذكر القرآن الكريم مصداقاً لأولئك العباد الذين سيقمعون المفسدين من بني إسرائيل، ولكن ورد في بعض التفاسير تطبيق ذلك على بخت نصر، طالوت ملك الروم، هتلر و...؛ إلا أن أيّاً من هؤلاء لا ينسجم مع التعبير المقدّس «بعثنا» الوارد في حق قيام الأنبياء وبعثتهم، ولا مع قوله «عباداً لنا» المنطبق على أولئك الذين هم كالأنبياء ﷺ.

وبناء على ذلك ربما يكون المراد من الآية المستقبل الذي لم يحن أوانه

بعد.

### التعاليم:

- ١ - من السنن الإلهية القضاء على المستكبرين الطغاة، ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ﴾.
- ٢ - تحقق الوعد الإلهي لا يعني تنحي الإنسان عن تكليفه بالجهاد، ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا﴾.
- ٣ - جهاد المستكبرين ومواجهتهم لا يختص بالإسلام، ﴿بَعَثْنَا... أُولَىٰ بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾.
- ٤ - يد فوق يد تولد الكثرة، لقد طغى بنو إسرائيل فسلط الله عليهم من هو أقوى منهم، ﴿بَعَثْنَا...﴾.
- ٥ - إعداد القوة لقمع أهل الفتنة وسلب أمنهم عمل حسن حتى ولو كان عبر تفتيش البيوت بيتاً بيتاً، ﴿فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ﴾.
- ٦ - الإخبار الغيبي السماوي لا بد من أن يقع حتماً، ﴿وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾.

﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۖ﴾

□ يفيد ظاهر الآية أنه بعد إفساد بني إسرائيل ومن ثم انكسارهم وهزيمتهم؛ فإن الله تعالى سوف يمنّ عليهم مرة أخرى بأموال وبنين؛ ولكن يحتمل أن يكون المخاطب بقوله تعالى ﴿رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ﴾ هم العباد المذكورون في الآية السابقة أنفسهم: ﴿عِبَادًا لَّنَا أُولَىٰ بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾؛ أي أننا سوف نلطف مرتين بعبادنا المجاهدين المقاتلين: أولاهما: القضاء على المعتدين من بني إسرائيل، والثانية: إيصالهم إلى السلطة والحكومة.

### التعاليم:

١ - الأموال والقوة الإنسانية وسيلتان للسلطة والحكومة، ﴿...وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾.

٢ - إن لطف الله يشمل الإنسان المذنب التائب إليه، ويشمل أيضاً الأمة المذنبه التي سيطر عليها، ﴿رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ﴾.

٣ - كثرة النفير والعدد من نعم الله تعالى، ﴿...وَجَعَلْنَكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾.

﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَوُوا وَجُوهَكُمْ  
وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ۖ﴾

### إشارات:

□ إن ما له الأهمية في الحوادث التاريخية والموجب للتطور والتقدم هو العبر والدروس المستفادة منها وليس جزئيات الحوادث وتفاصيلها؛ ولذا فإن القضاء على المستكبرين اليهود بيد عباد الله المؤمنين، كما تقدم في الآيتين السابقتين، يستفاد منه أنّ الكفر والاستكبار لن يبقيا دون رد.

وحيث إن هذا الهدف الكلّي والتربوي كان مقصوداً في حد ذاته، لذا فإن الآية لم تتعرض لذكر تفاصيل القتال والمقاتلين والسلاح وغير ذلك، وهذا هو الحال أيضاً في قصة يوسف عليه السلام إذ إنها، وباعتبار هدفها التربوي ودروس العفاف



والحياء المستفادة منها، لم تتعرض أيضاً للكثير من التفاصيل بما في ذلك اسم «زليخا» نفسها.

□ على الرغم من أن بعض التفاسير قد نسبت ما جرى من استكبار اليهود، وفسادهم، وقمعهم، واقتلاعهم على يد عباد الله إلى أزمنة بعيدة أو قريبة، وعلى الرغم من أن المسجد الأقصى شهد حوادث مريرة وأليمة طيلة آلاف السنين؛ إلا أنه ربما يمكن القول، وبلاستناد إلى الآيات والروايات، إنه يجب علينا انتظار حصول الاستكبار والتعدي من قبل إسرائيل، وبالتالي اقتلاعهم من جذورهم على يد عباد الله الصالحين، وكما يستفاد من ظاهر الآيتين ٥ و ٦ أنه إلى الآن لم يتحقق مثل هذا الإفساد الكبير في الأرض من قبل بني إسرائيل ولم يتحقق إلى الآن، أيضاً، قمعهم واقتلاعهم على يد رجال الله<sup>(١)</sup>.

□ ذكر في العديد من التفاسير روايات عدة تفسر الآية الشريفة، وقد ورد في بعضها أن القضاء على اليهود المعتدين سوف يكون قبل قيام الإمام المهدي (عجل الله فرجه) على يد المجاهدين المؤمنين الذين يحملون سيوفهم في أيديهم، ويتقدمون نحو الشهادة، ويمهدون لقيام الحكومة العالمية للإمام المهدي (عجل الله فرجه).

وورد في بعض الروايات أن ذلك سيقع في زمن ظهور صاحب العصر والزمان (عجل الله فرجه) وأنداك سيتم قمعهم واقتلاعهم من جذورهم<sup>(٢)</sup>.

(١) في مثل هذه الأيام نشهد التعديات الإسرائيلية المتكررة ومخططاتهم التوسعية من النيل إلى الفرات، وتهجير المسلمين من وطنهم، وإيجاد الشبكات التجسسية في كل أنحاء العالم، وامتلاك الأبواق الإعلامية، وجمع عديدهم من الشرق والغرب والكثير الكثير من أعمالهم الموجبة للفساد في الأرض.

ومن جهة أخرى نشهد حصول الثورة الإسلامية، وظهور حزب الله في لبنان، والهجوم على إسرائيل لاسترجاع المسجد الأقصى؛ ولهذا ربما تكون في الآية الشريفة إشارة إلى هذه الأمور والله العالم.

(٢) انظر: تفسير نور الثقلين، وتفسير الفرقان، وتفسير الأمل.

## التعاليم:

- ١ - إن خيرنا وشرنا لا يضر الله ولا ينفعه بل نتيجة ذلك ستعود إلينا، ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾.
- ٢ - لا بد أولاً من ذكر الحسنات ومن ثم السيئات، ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ... وَإِنْ أَسَأْتُمْ﴾.
- ٣ - الإنسان حر مختار في ما يعمله ويقوم به، ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ... وَإِنْ أَسَأْتُمْ﴾.
- ٤ - الصعود والهبوط في التاريخ وكذلك القضاء على اليهود بعد علوهم واستكبارهم إنما هو وفق القوانين والسنن الإلهية، ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ﴾.
- ٥ - المساجد كانت على الدوام قاعدة لقوة الأديان ورمز قدرتها وعزتها، ولذا فإن تحرير المساجد من سلطة الكفار يعد أهم تكليف للمؤمنين، وبناءً عليه سيدخل رجال الله بيت المقدس لطرد اليهود المحتلين وقمعهم كما دخل المسلمون إلى المسجد الحرام يوم فتح مكة، ﴿...وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ﴾.
- ٦ - من أجل تقوية الحق لا بد من قمع المستكبرين واقتلاعهم من جذورهم، ﴿وَلِيَسْتَبِشُوا مَا عَلَوْا تَتَبيراً﴾.

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمُ وَإِنْ عُذْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾﴾

## إشارات:

□ «حصيراً» مشتقة من «حصر» بمعنى الضيق والوقوع في الحصار (السجن والحبس)، ويقال للوطاء الذي يوضع على الأرض «حصيرة» و«حُصر» من جهة أن أنسجتها محصورة في بعضها البعض.

## التعاليم:

- ١ - من غير الجائز اليأس والقنوط من رحمة الله؛ لذا فإن الله تعالى ترك الباب مفتوحاً أمام المفسدين للرجوع إليه، ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمُ﴾.
- ٢ - لا بد من أن يكون محور عمل المربي هو الرحمة والمحبة، ﴿رَبُّكُمْ... يَرْحَمَكُمُ﴾.

٣ - من أساليب الهداية أن نتكلم أولاً عن الرحمة والمحبة ومن ثم استخدام التحذير والتهديد، ﴿يَزَعَمُكَ... عَذَابًا﴾.

٤ - إن قهر الله وغضبه يرتبط بأعمالنا وما نقدم عليه، ﴿...وَأَنْ عُدْتُمْ عَذَابًا﴾.

٥ - الفساد الذي لا تعقبه التوبة سيؤدي إلى الكفر، ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾.

٦ - إن أهل النار ليس لهم أي طريق للفرار منه سبحانه، ﴿حَصِيرًا﴾.

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ (١) وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢﴾

إشارات:

□ يمكن تفسير قوله تعالى: ﴿يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ على نحوين:

أ - إن هذا القرآن يهدي إلى أكثر الطرق استقامة.

ب - القرآن يهدي أكثر الأمم والملل إلى الاستقامة.

التعاليم:

١ - لا محل للخرافات والأوهام في منطق القرآن الكريم، ﴿يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾.

٢ - القرآن هو الكتاب الوحيد المشتمل على قوانين أبدية وثابتة، ﴿يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾.

٣ - لا بد من الإيمان والعمل لنيل الأجر والثواب، ﴿الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ﴾، وأما العذاب والدخول في أهل النار فيكفي فيه الكفر وحده، ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ... لَهُمْ عَذَابًا﴾.

٤ - العذاب الإلهي مهياً منذ الآن، ﴿أَعْتَدْنَا﴾.

٥ - لا بد من وجود الخوف والرجاء إلى جانب بعضهما، ﴿أَجْرًا كَبِيرًا... عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾

### إشارات:

□ تحدث القرآن مراراً وتكراراً عن العجلة وطلب الشر، ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾<sup>(١)</sup>.

□ ويتحدث في آية أخرى عن لسان الكافرين، إذ يقولون: ﴿...فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حَجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾<sup>(٢)</sup>. ومن الواضح أن منبع هذه العجلة والاستعجال هو الجهل والتعصب والعناد.

□ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إنما أهلك الناس العجلة»<sup>(٣)</sup>، لذا فأكثر الشرور التي يجنيها الإنسان على نفسه وأولاده سببها العجلة.

### التعاليم:

١ - العجلة والتسرع من آفات فكر الإنسان وعمله، ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ عَجُولًا﴾.

٢ - الإنسان ميال إلى الخير بفطرته، ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ﴾ وتشبيهه دعاء الإنسان بالشر دعاءه بالخير يشير إلى ذلك.

٣ - إن كل الذين لم يهتدوا بهداية القرآن القويمية، ﴿يَهْدِي لِلَّذِي هُوَ أَقْوَمُ﴾؛ سيذهبون سراعاً نحو الشر، ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ﴾.

٤ - العجلة موجودة في كل إنسان بذاته، لكن لا بد من أن نعرف موقع الاستفادة الصحيح منها، ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾.

(٣) بحار الأنوار، ج ١٧، ص ٣٤٠.

(١) سورة الرعد: الآية ٦.

(٢) سورة الأنفال: الآية ٣٢.

﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلُّ شَيْءٍ فَضْلَانُهُ تَفْصِيلًا﴾ (١٢)

### إشارات:

□ ربما يكون السبب في تقديم القرآن غالباً الليل على النهار أن ظلمة الأرض من ذاتها وأما نورها فمن الشمس.

### التعاليم:

- ١ - إن دوران الأرض حول نفسها، وحصول الليل والنهار، وكل تغيير فيهما، إنما هو طبق إرادة الله الحكيم وليس صدفة، ﴿وَجَعَلْنَا... فَمَحَوْنَا... لِّتَبْتَغُوا﴾.
- ٢ - النهار للعمل والليل للاستراحة والسكن، ﴿آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا﴾.
- ٣ - على الرغم من أن الفضل والرحمة من الله، إلا أنه يجب علينا السعي من أجل ذلك، ﴿لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾.
- ٤ - إن تهيئة مقدمات كسب الرزق من شؤون الربوبية الإلهية، ﴿لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾.
- ٥ - الرزق من الله، فلا نغتر بحيلتنا وذكائنا، ﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾.
- ٦ - إن تدبير نظام الخلق ليس بلا أهداف، وفي هذا التدبير فإن محور الأهداف هو الإنسان، ﴿لِّتَبْتَغُوا... وَلِتَعْلَمُوا﴾.
- ٧ - الليل والنهار، تقويم طبيعي، دائم، عام، بسيط، وقابل للفهم والإدراك، ووسيلة لنظم أمورنا ومعاشنا، ﴿وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾.
- ٨ - كل شيء في نظام الخلق والوجود منظم وفق قوانين محددة لكل شيء على حدة، لئلا يلزم التصادم والتداخل فيما بينها، وكذلك لئلا يلزم الخلل والفساد فيها، ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَضْلَانُهُ تَفْصِيلًا﴾.

﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾

إشارات:

□ كلمة «طائر» في هذه الآية كناية عن عمل الإنسان إذ إن أعمال الإنسان كالطائر الذي يطير ليصل إلى صاحبه، وبالتالي فإن كتاب كل إنسان بخيره وشره معلق برقبة الإنسان.

□ ذكر القرآن الكريم مراراً موضوع صحيفة أعمال الإنسان في آيات متعددة، منها:

- ١ - لكل إنسان صحيفة أعماله، ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ﴾.
- ٢ - لم تترك هذه الصحيفة شيئاً إلا وذكرته، ﴿لَا يَفَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾<sup>(١)</sup>.
- ٣ - المجرمون يخافون مما في صفائحهم وكتبهم، ﴿فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾<sup>(٢)</sup>.
- ٤ - عندما يقرأ الإنسان ما في كتابه فإنه بنفسه يحاكم نفسه ويحاسبها، ﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾<sup>(٣)</sup>.
- ٥ - المؤمنون الصالحون يُعطون كتبهم بيمينهم وأما أهل النار فيؤتون كتبهم بشمالهم، ﴿أَوْفَىٰ كِتَابُهُ بِيَمِينِهِ... بِشِمَالِهِ﴾<sup>(٤)</sup>.

التعاليم:

- ١ - الحساب والكتاب لكل الناس بلا استثناء، ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ﴾.
- ٢ - كل الناس يحشرون ومعهم صفائح أعمالهم، ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾.
- ٣ - عمل الإنسان يلزمه، ﴿أَلْزَمْنَاهُ... فِي عُنُقِهِ﴾.

(٣) سورة الإسراء: الآية ١٤.

(٤) سورة الحاقة: الآية ١٩.

(١) سورة الكهف: الآية ٤٩.

(٢) سورة الكهف: الآية ٤٩.



٤ - سعادة الإنسان وشقاؤه يرتبطان بعمله فقط، ولا يرتبطان بالصدق والحفظ، ﴿الزَّيْنَةُ طَبِيرُهُ﴾.

٥ - إن الله تعالى عالم بكل أعمالنا، والزام كل إنسان كتابه في عنقه إنما هو لإفهام الإنسان نفسه، ﴿وَنُخْرِجُ لَكَ﴾.

٦ - إن كل أعمال الإنسان وما يقوم به مكتوب، وعلى الرغم من عدم إحساس الإنسان في الدنيا بكتابة أعماله، إلا أنه في يوم القيامة سوف يفتح صحيفة أعماله ويعلن ما فيها، ﴿كَتَبْنَا بِقَلَمٍ مَّنشُورٍ﴾.

﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾

#### إشارات:

□ عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «يلذكر العبد جميع ما عمل وما كتب عليه، حتى كأنه فعله تلك الساعة...»<sup>(١)</sup>.

□ قال الفخر الرازي: المراد من الكتاب هو روح الإنسان التي أثرت فيها أعماله، والمراد من القراءة هو الإدراك والفهم<sup>(٢)</sup>. وفي تفسير الميزان فسر الكتاب على أنه أعمال الإنسان نفسها.

□ ورد في الكثير من الروايات توصية الإنسان بمحاسبة نفسه قبل أن يحاسب يوم القيامة: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا»<sup>(٣)</sup>، ومن ثم فإن مثل هذه المحاسبة مقدمة ليقظة الإنسان، وعدم وجودها يشير إلى غفلته.

ورد في الحديث الشريف: «من حاسب نفسه في الدنيا هان حسابه في الآخرة»؛ ولذا يجب علينا في هذه الدنيا أن نقرأ بأنفسنا كتاب حياتنا وصحيفة أعمالنا لنغير ما فيها من نقص، ولنتوب إلى الله من سيئاتنا، ولنزيد فيها من أعمالنا الحسنة والصالحة<sup>(٤)</sup>.

(٢) التفسير الكبير.

(١) تفسير نور الثقلين.

(٣) بحار الأنوار، ج ٧٠، ص ٧٣.

(٤) طلب أحد الآباء من ابنه أن يكتب كل ما يقوم به في يومه، ففعل الولد ذلك، وفي اليوم الثاني طلب =

## التعاليم:

- ١ - في يوم القيامة، يقدر كل الناس على قراءة كتاب أعمالهم، ﴿أَقْرَأْ﴾.
- ٢ - في يوم القيامة، سوف تستيقظ الأنفس، ﴿يَنْفِيسِكَ﴾.
- ٣ - القيامة، هي المحكمة الوحيدة التي يحاكم فيها المجرم نفسه، ﴿كَفَىٰ يَنْفِيسَكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾.

﴿مَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِ لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا نُزِرْ وَأِزْرَةٌ وَزَرٌ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ ﴿١٥﴾

## إشارات:

□ استناداً إلى الآية (٢٥) من سورة الأنعام، والآية (١٣) من سورة العنكبوت، وكذلك إلى الروايات الشريفة فإن أئمة الكفر والضلالة يحملون أوزارهم وذنوبهم، وأوزار أتباعهم وذنوبهم، دون أن يمحي أو يرفع أي شيء من ذنوب هؤلاء الأتباع؛ لأنهم هم الذين هياؤا أسباب ضلالة هؤلاء الأتباع ومقدماتها.

## التعاليم:

- ١ - الإنسان حر في اختيار طريقه، ﴿مَنْ أَهْتَدَىٰ... وَمَنْ ضَلَّ﴾.
- ٢ - من اهتدى فالنفع يعود له ومن كفر وأعرض فالضرر يعود إليه أيضاً، ولن ينال الله أي نفع أو ضرر، ﴿يَهْتَدِ لِنَفْسِهِ... يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾.
- ٣ - كل إنسان سيُتلى بما عمل وقدم، ﴿وَلَا نُزِرْ وَأِزْرَةٌ وَزَرٌ أُخْرَىٰ﴾.
- ٤ - لا بد من الكلام أولاً عن الأمور الحسنة (الإيجابية)، ومن ثم عن الأمور السيئة (السلبية)، فقد وردت عبارة ﴿مَنْ أَهْتَدَىٰ﴾ قبل قوله ﴿وَمَنْ ضَلَّ﴾.

= منه أن يكرر ما قام به، فجزع الولد لذلك واستصعب الأمر، فطلب من والده أن يعفيه فقال له أبوه: يا ولدي العزيز هكذا تكتب كل أعمالك، بيد أن يوم القيامة سوف يكشف لك عن ذلك فتندم على ما فعلت (تفسير كشف الأسرار).

٥ - من سنن الله أن لا يعذب أي أحد أو أي أمة قبل البيان وإتمام الحجة، ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ تَبْعَثَ رَسُولًا﴾؛ ولذا فإن الله تعالى أرسل الأنبياء لهداية البشر منذ بدء الخلق.

٦ - لا يُكتفى بالعقل وحده لإسعاد البشرية، بل لا بد من هداية الأنبياء، ﴿حَتَّىٰ تَبْعَثَ رَسُولًا﴾.

٧ - من لوازم الآخرة إرسال الأنبياء وبعثهم؛ لأن استجواب الإنسان وسؤاله لا بد من أن يُسبق بأخذه التكليف من الأنبياء المرسلين إليه، ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ﴾.

﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ (١٦)

#### إشارات:

□ ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ أي أمرنا أكابر القوم وأشرفهم بالطاعة. الله تعالى لا يأمر بالفسق والمعصية، بل يأمر بالعدل والإحسان، وأما أسلوب إهلاكهم من قبل الله فهذا النحو: إن الله يأمرهم بالطاعة فيخالف المرفهون المنعمون ما أمرهم الله به ويتبعهم سائر الناس في ذلك، وحينئذ يتحتم عليهم جميعاً قهر الله وإرادته ويحين نزول العذاب والغضب الإلهي.

□ غضب الله الحكيم مرتبط بما قدمنا نحن من الذنوب والخصال السيئة، وإلا فإن الإله الرحيم لا يهلك قوماً عبثاً ودون سبب.

#### التعاليم:

١ - من جملة أساليب قهر الله وجزائه الإتراف والإغراق في النعم، ﴿أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً﴾.

٢ - وجود الترف في المجتمع مقدمة لغضب الله تعالى، ﴿فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ...﴾.

٣ - السقوط الأخلاقي والاجتماعي في المجتمع إنما هو بيد رؤسائه المترفين، ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا﴾.

٤ - المرفهون المنعمون هم الذين يقفون أولاً في وجه دعوة الأنبياء؛ إذ إن الرفاه

- يبحث على الفساد غالباً، ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا﴾.
- ٥ - إعطاء المهلة - إلى مدة ما - للعصاة هو من سنن الله، ﴿أَمَرْنَا، فَفَسَقُوا، فَحَقَّ﴾.
- ٦ - يجب علينا أن نأخذ تهديد الله على محمل الجد، فنسعى لإصلاح أنفسنا؛ إذ إن تحقق التهديد الإلهي وتنفيذه معلول لأعمالنا، ﴿فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ﴾.
- ٧ - قبل إتمام الحجة لا يُنزل عذاب الله، ﴿أَمَرْنَا... فَفَسَقُوا... فَحَقَّ... فَدَمَرْنَاهَا﴾.
- ٨ - إن قهر الله وعذابه لشديد، ﴿فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾.
- ٩ - كل شيء وكل أمر إنما يتم وفق إرادة الله وقدرته، ﴿أَرَدْنَا، تُهْلِكَ، أَمَرْنَا، فَدَمَرْنَاهَا﴾.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ لِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ (١٧)

### إشارات:

□ تتكلم هذه الآية على انقراض نسل البشر وإهلاكهم وابتداء نظام جديد في حياتهم، وتشير إلى أن زمن نوح ﷺ كان نقطة تحوّل في تاريخ البشرية، فالحياة قبل نوح ﷺ كانت حياة بسيطة جداً وذات جمع محدود ولم يكن لها تاريخ مفعم بالأحداث، وبالتالي فإن دوام النسل البشري تم عبر بعض المؤمنين الذين حملهم نوح ﷺ في سفينته.

□ إن هذه الآية، ومضافاً إلى كونها تحذيراً للغافلين وعبرة للناس، فإنها كانت سبباً لتسكين رسول الله ﷺ وطمأنته إلى الكافرين إن لم يكفوا أيديهم عن الأذى فإن الله سيبتليهم بقهره وغضبه.

□ من بعد قوم نوح ابتلى الله بقهره قوم عاد، ثمود، لوط، أصحاب مدين، فرعون، هامان، قارون، وأصحاب الفيل، ﴿مِنْ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ﴾.

### التعاليم:

- ١ - على مرّ التاريخ كثيرة هي الأمم والملل التي ابتليت بقهر الله وغضبه لعصيانها وأوامره، ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا﴾.

٢ - القهر الإلهي لا يختص بيوم القيامة، بل إن الله ينزل الهلاك في الدنيا أيضاً، ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾.

٣ - التاريخ منبع العبر والدروس، ﴿مِنَ الْقُرُونِ﴾.

٤ - يكفينا فقط في مقام تربية نفوسنا أن نلتفت إلى أن الله عالم بذنوبنا ومطلع عليها، ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ﴾.

٥ - لتعذيب المجرمين ومعاقبتهم يكفي علم الله فقط ولا حاجة إلى الشهود والبينة، ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ﴾.

٦ - الإنسان المذنب عبد لله فقد قال تعالى: ﴿يَذُوبُ عَِادِيَهِ﴾؛ ولم يقل: «بذنوب الناس».

٧ - الله تعالى: خيرُّ باطننا وبصيرُّ بظاهرننا، ﴿خَيْرٌ بَاصِرٌ﴾.

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ

يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾ (١٨)

### إشارات:

□ في المنظور القرآني طلبُ الدنيا وحبها والميل إليها مذموم؛ إذ يسبب الغفلة عن الآخرة وانحصار الأمنيات في الدنيا فقط، وقد أشير إلى هذا المطلب في الكثير من الآيات ومنها: ﴿يَقْلُمُونَ ظِلْمًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾<sup>(١)</sup>، و﴿فَاعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾<sup>(٢)</sup>.

□ في عالم الماديات يكثر النزاع والاختلاف ولن يصل كل إنسان إلى كل ما يريد ويتمنى، ولذا فإن هذا العالم محدود ومقدر بقدر ما يرتبط بماهية الشخص وماهية قدره ومقداره ﴿عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾. وأما في عالم المعنويات وحيث إنه لا تزاحم ولا محدودية فيه؛ فيمكن كل واحد أن يصل إلى مقصوده، والطريق مفتوح أمام الجميع أيضاً: ﴿كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾<sup>(٣)</sup>.

(٣) سورة الإسراء: الآية ١٩.

(١) سورة الروم: الآية ٧.

(٢) سورة النجم: الآية ٢٩.

## التعاليم:

- ١ - الدنيا سريع زوالها، ﴿الْعَالِجَةَ﴾.
- ٢ - خَلَقَ الله الإنسان وأعطاه الإرادة وحرية الاختيار، إلا أن إرادة الله هي الأصل والأساس، ﴿يُرِيدُ... لِمَنْ يُرِيدُ﴾.
- ٣ - القبيح إنما هو طلب الدنيا وليس الدنيا في حد ذاتها، ﴿كَانَ يُرِيدُ الْعَالِجَةَ﴾.
- ٤ - إرادة الإنسان لا حد ولا حصر لها؛ ولكن لا بد من أن تُحَدَّ ضمن إرادة الله تعالى، ﴿مَا نَشَاءُ﴾.
- ٥ - إن كل طلاب الدنيا لم ولن يصلوا إلى دنياهم كما يريدون، ﴿لِمَنْ يُرِيدُ﴾.
- ٦ - طلاب الدنيا على قسمين: قسم خسر الدنيا والآخرة، ﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ﴾، والقسم الآخر يصل إلى بعض ما يريده منها، ﴿عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ﴾.
- ٧ - قد يصل بعض طلاب الدنيا وأصحاب الأهداف المادية إلى جاء ومقام، إلا أنهم في الآخرة خاسرون، ﴿جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ﴾.
- ٨ - مآل طلب الدنيا الندم والنار، ﴿جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ﴾.
- ٩ - إن طلاب الدنيا، مضافاً إلى إحراقهم بالنار (العذاب الجسمي)، فإنهم يهانون أيضاً (العذاب الروحي)، ﴿يَصْلَحُهَا مَذْمُومًا مَذْهُورًا﴾.

﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ (١٩)

## التعاليم:

- ١ - الإنسان حرٌ مختار وذو إرادة، ﴿مَنْ أَرَادَ﴾.
- ٢ - لا يمكن التحضير للآخرة دون سعي، ﴿وَسَعَىٰ لَهَا﴾.
- ٣ - لتحصيل السعادة الآخروية لا بد من سعي خاص لها، ﴿وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا﴾.
- ٤ - الإيمان شرط لتحصيل النتائج من السعي الدنيوي، ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾.
- ٥ - من شروط السعادة الآخروية: الإيمان والسعي، ﴿كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾.



- ٦ - سعي المؤمنين ممدوح ومشكور سواء أدى إلى نتيجة أم لم يؤد، ﴿كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾.
- ٧ - تحصيل الدنيا لطلاب الدنيا محتمل، ﴿عَجَلْنَا... لِمَنْ نُرِيدُ﴾، ولكن تحصيل الثواب للمؤمنين، طلاب الآخرة، قطعي، ﴿كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾.
- ٨ - إرادة الإنسان وسعيه لهما دور كبير في سعادته، ﴿أَرَادَ... سَعَى... كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾.
- ٩ - شكر الآخرين على سعيهم عمل إلهي، ﴿كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾.
- ١٠ - شكر الله تعالى للمؤمنين أكبر من بساتين الجنة؛ لأن شكر كل موجود إنما يكون بمقدار سعته الوجودية، ﴿كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾.
- ١١ - كل سعي وجهد مورد تقدير وشكر من الله تعالى، ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا... كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾.

﴿كُلًّا نُمِذُّ هَتُولَاءَ وَهَتُولَاءَ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ ﴿٢٠﴾

### إشارات:

□ خلق الله الإنسان، ووضع تحت اختياره الإمكانيات اللازمة، وابتلاه ليرى أعماله وحسن اختياره وليميز المتقربون إليه عن غيرهم، ومثالاً على ذلك مؤسسة الكهرباء ومؤسسة الماء، فهما تضعا هاتين النعمتين بتصرف كل البيوت دون استثناء، ومن ثم فإن كل واحد من الناس إما أن يحسن أو يسيء الاستفادة منهما.

### التعاليم:

- ١ - سنة الله تعالى قائمة على وضع العطاء والنعم الإلهية بتصرف كل الناس، ونتيجة تعاملهم معها تظهر صفاتهم الحسنة أو القبيحة، ﴿كُلًّا نُمِذُّ﴾.
- ٢ - لا يتنافى الإيمان بالله وطلب الآخرة مع الاستمتاع بالإمكانيات المادية الدنيوية، ﴿كُلًّا نُمِذُّ﴾.

٣ - الألفاظ الإلهية من شؤون الربوبية الإلهية والتفضل الإلهي، وإلا فلا استحقاق لنا عليه بشيء، ﴿عَطَاءُ رَبِّكَ﴾.

٤ - عطاء الله تعالى دائم ومستمر، ﴿وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾.

﴿أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ (٢١)

### إشارات:

□ تفضيل بعض الناس على بعض على نحوين:

فتارة يستمد الإنسان عطاء الله بسبب الاستعداد والقابليات الذهنية والفكرية والظروف العائلية والجغرافية وأمثال ذلك، وكل هذا من لطف الله، ويلزمه تحمل المسؤولية والابتلاء والامتحان، وفي هذه الآية إشارة إلى هذا النحو من التفضيل.

وتارة أخرى يتم التفاضل على أساس الظلم، والاستثمار، وهذا النحو من التفضيل له حسابه الخاص به.

□ قال النبي محمد ﷺ: «وإنما يرتفع العباد غداً في الدرجات وينالون الزلفى من ربهم على قدر عقولهم»<sup>(١)</sup>.

### التعاليم:

١ - إن الالتفات والتنبيه إلى حكمة الاختلاف والتفاوت في الخلقة وبين الخلق يحتاج إلى التأمل والتدقيق، ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا﴾.

﴿لَا يَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ فَتَقَعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ (٢٢)

### إشارات:

□ رغم أن المخاطب بهذه الآية هو النبي الأكرم ﷺ، إلا أن المقصود منها هو

عامة الناس، ومثل هذا الخطاب كثير في آيات القرآن الكريم، ومن جملته ما يرد في الآية اللاحقة إذ يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَلَفَّنَ عِنْدَكَ الْكِبَرُ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لِّمَآ أَفِي﴾، فمع أن المخاطب بها هو النبي ﷺ إلا أن المقصود منها عامة الناس، والدليل على ذلك أن النبي ﷺ فقد والديه منذ طفولته.

كذلك فإن المراد من قوله في هذه الآية «لا تجعل» هم عامة الناس، وقد خوطب النبي ﷺ بهذا الخطاب باعتباره قائدهم.

### التعاليم:

١ - في ظل التوحيد يكتسب الإنسان العزة، والعظمة، والمهابة. وأما الشرك بالله وعبادة غيره فإنه يجعل الإنسان وضعياً وذليلاً، ﴿مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾.

٢ - اتباع المذاهب غير الإلهية يجبر الإنسان إلى الحسرة والخيبة والضياع، ﴿فَنَقُذٌ مَّذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾.

٣ - المشرك ملوم ومذموم من قبل الله، والملائكة، والمؤمنين، والنفوس الواعية، وعقلاء العالم، ﴿مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾، فاللوم لم ينسب إلى أحد.

﴿وَقَعْنَى رَيْكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِنَّمَا يَتَلَفَّنَ عِنْدَكَ الْكِبَرُ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لِّمَآ أَفِي وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾

### إشارات:

□ أوصت الأحاديث الشريفة بالإحسان إلى الوالدين وذمت الإساءة إليهما وأذيتهما، ومن جملة مضامين هذه الروايات ما يلي:

نظرة الرحمة إلى الوالدين ثوابها ثواب حجة مقبولة، رضاهما من رضا الله وغضبهما من غضب الله، إحساننا إلى الوالدين يطيل عمرنا ويورث إحسان أبنائنا إلينا أيضاً، وورد في الروايات أيضاً: إن ضرباك فلا تقل لهما أف، وأن لا يحد النظر إليهما، وأن لا يرفع اليد فوق أيديهما، وأن لا يمشي قدامهما،

وأن لا يسميهما باسمهما، وأن لا يفعل شيئاً يسبب السب لهما، وأن لا يجلس قبلهما، وأن يعطيتهما قبل أن يسألاه<sup>(١)</sup>.

□ رُوي أن رجلاً كان في الطواف حاملاً أمه يطوف بها فرأى النبي ﷺ فسأله: هل أدبتُ حقها؟ فأجابه ﷺ: لا، ولا يزفرة واحدة. ويقصد بالزفرة الواحدة الوجعة الواحدة أو الطلقة الواحدة التي تغشى الأم حين الولادة والوضع<sup>(٢)</sup>.

□ جاء رجل من بني سلمة فقال: يا رسول الله ﷺ، هل بقي من برّ أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما؟

قال: نعم. الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وإكرام صديقهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما<sup>(٣)</sup>.

□ شكى رجل إلى رسول الله ﷺ أباه وأنه يأخذ ماله، فدعا به، فإذا شيخ يتوكأ على عصا، فسأله فقال: إنه كان ضعيفاً وأنا قوي، وفقيراً وأنا غني، فكنت لا أمنعه شيئاً من مالي، واليوم أنا ضعيف وهو قوي، وأنا فقير وهو غني، وهو يبخل علي بماله، فبكى عليه الصلاة والسلام وقال: ما من حجر ولا مدر يسمع هذا إلا بكى ثم قال للولد: أنت ومالك لأبيك<sup>(٤)</sup>.

□ ورد في الحديث الشريف عن قوله تعالى: ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلَا كَرِيمًا﴾، قال: إن ضرباك فقل لهما: غفر الله لكما، فذلك منك قول كريم<sup>(٥)</sup>.

□ الإحسان إلى الوالدين من صفات الأنبياء ﷺ، قال الله تعالى في توصيف النبي عيسى ﷺ: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ﴾<sup>(٦)</sup>، وقال عن النبي يحيى ﷺ: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ﴾<sup>(٧)</sup>.

□ الوالدان لا ينحصران فقط في الأبوين الطبيعيين بل ورد في بعض الأحاديث أن النبي الأكرم ﷺ وأمير المؤمنين ﷺ أبوا الأمة<sup>(٨)</sup>، وكذلك ورد أن النبي

(١) تفسير نور الثقلين.

(٢) تفسير الفرقان.

(٣) سورة مريم: الآية ٣٩.

(٤) تفسير مجمع البيان.

(٥) الكافي، ج ٢، ص ١٥٧.

(٦) سورة مريم: الآية ١٤.

(٧) أنا وعلي أبو هذه الأمة (بحار الأنوار، ج ١٦، ص ٩٥).

إبراهيم عليه السلام أبو العرب<sup>(١)</sup> ﴿تِلْكَ آيَاتُكُمْ أَنْزَلْنَاهُ﴾<sup>(٢)</sup>.

□ إذا التفت الوالدان إلى أنهما ذكرا بعد التوحيد فسوف يحيا فيهما الباعث لدعوة أولادهما إلى التوحيد، ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾.

### التعاليم:

- ١ - التوحيد رأس كل التوصيات الإلهية، ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾.
- ٢ - خدمة الأبوين والإحسان إليها من أوصاف الموحّد الواقعي، ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾.
- ٣ - الأمر بالإحسان إلى الوالدين، كالأمر بالتوحيد، قطعي وثابت ولن ينسخ، ﴿وَقَضَىٰ﴾.
- ٤ - ورد الإحسان إلى الوالدين إلى جانب التوحيد وطاعة الله، ليشير إلى أن ذلك واجب عقلي ووظيفة إنسانية كما هو واجب شرعي أيضاً، ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾.
- ٥ - لا بد للنسل اللاحق من أن يرتبط ارتباطاً محكماً وقوياً تحت ظل الإيمان مع النسل السابق، ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾.
- ٦ - في مورد الإحسان إلى الوالدين لم يشترط كونهما مسلمين، ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾.
- ٧ - في أصل الإحسان إلى الوالدين لا يوجد أي فرق بين الأب والأم، ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾.
- ٨ - لا بد من الإحسان إلى الوالدين بأنفسنا ودون أي واسطة، ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾.
- ٩ - الإحسان أوسع من الإنفاق ويشمل: المحبة، الأدب، التعليم، المشورة، الطاعة، الشكر، والاعتناء بهما وأمثال ذلك، ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾.

١٠ - الإحسان إلى الوالدين لا حد له، ﴿وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾؛ (وليس حاله كحال الفقير إلى أن يشبع، والجهاد حتى ترفع الفتنة، والصوم حتى الإفطار).

١١ - توصية القرآن بالإحسان موجّهة إلى الأبناء لا الوالدين، ﴿وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾؛ لأن الوالدين لا يحتاجان إلى أي توصية؛ لأنهما، وبشكل طبيعي، يحسان إلى أولادهما.

١٢ - كلما اشتد احتياج الوالدين، جسدياً وروحياً، فإن الإحسان إليهما يصبح أكثر ضرورة، ﴿يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ﴾.

١٣ - لا ينبغي علينا أن نأخذ والدينا العاجزين إلى دار العجزة، بل ينبغي أن نحفظهما عندنا، ﴿عِنْدَكَ﴾.

١٤ - عندما ينهانا القرآن الكريم عن نهر السائل الغريب، ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾؛ يتضح حال الأب والأم حينئذٍ، ﴿وَلَا تَنْهَرُمَا﴾.

١٥ - مضافاً إلى لزوم الإحسان، لا بد أيضاً من القول الحسن والجميل، ﴿إِحْسَانًا... وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾. (بعد الإحسان إلى الوالدين فإن القول الكريم يعد من أهم الأساليب للتعامل معهما).

١٦ - في مورد الإحسان إلى الوالدين والقول الكريم لهما، لم يرد اشتراط المعاملة بالمثل منهما. وبعبارة أخرى: فإنه إذا لم يقلوا لك قولاً كريماً فمع ذلك قل أنت لهما قولاً كريماً، ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾.

﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾

### التعاليم:

١ - لا بد للولد، مهما علا شأنه، من أن يكون متواضعاً مع والديه وأن لا يفرض حاله وواقعه عليهما ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ﴾.

٢ - التواضع أمام الوالدين لا بد من أن يكون قائماً على العطف والمحبة، وليس ظاهرياً ومصطنعاً أو بغرض أخذ أموالهما، ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا... مِنَ الرَّحْمَةِ﴾.

٣ - مضافاً إلى تواضع الولد أمام أبيه وأمه، لا بد من أن يسأل الله الرحمة لهما، ﴿وَأَخْفِضْ... وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا...﴾.

٤ - دعاء الولد مستجاب في حق أبويه وإلا لم يكن الله ليأمر بالدعاء لهما، ﴿وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا﴾.

٥ - الدعاء للأبوين أمر من الله ومظهر لشكرهما، ﴿وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا﴾.

٦ - لا نغفل عن كلمة «رب» في الدعاء، ﴿وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا﴾.

٧ - الرحمة الإلهية جبران لعناء التربية من قبل الوالدين، ﴿رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي﴾، وكأن الله تعالى يقول للولد: لا تفرط بالترحم عليهما، واطلب المدد والعون من الله تعالى لتأدية حقهما.

٨ - لا تنسب ماضيك والمرارات والمشاكل التي تحملتها إلى والديك في طفولتك وشبابك، ﴿كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾.

٩ - لا بد للوالدين أيضاً من أن يربيا أولادهما على أساس المحبة والرحمة، ﴿أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي﴾.

١٠ - يجب على الإنسان أن يعظم ويشكر كل من قام بتربيته، ﴿أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي﴾.

﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِ غَفُورًا ﴿٢٥﴾﴾

### التعاليم:

١ - من شؤون ربوبية الله، علمه تعالى، ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ﴾.

٢ - الله تعالى مطلع على نياتنا في كل أعمالنا، ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ﴾.

٣ - الصلاح مرتبط بالنفس والنية، ﴿فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ﴾.

٤ - إذا صفا وصلاح القلب والباطن فإن باب التوبة سيفتح، ﴿تَكُونُوا صَالِحِينَ... لِلْأَوَّابِ غَفُورًا﴾.

٥ - لا بد من أن نكرر التوبة مع الإنابة تلو الإنابة، ﴿لِلْأَوَّابِ﴾.

٦ - الله رحمان رحيم، إلا أن التوبة شرط لاستمداد المغفرة الإلهية، ﴿إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ... لِلْأَوَّابِ غَفُورًا﴾.

- ٧ - لو بدر منا، جهلاً، أي تصرف غير لائق مع الوالدين فيامكاننا من خلال التوبة استمداد الرحمة من الله، ﴿صَلِّحِينَ... عَفُورًا﴾، مع لحاظ الآية السابقة.
- ٨ - العفو والرحمة من شؤون الربوبية الإلهية، ﴿رُكَّعًا... عَفُورًا﴾.
- ٩ - التوبة علامة من علامات صلاح الإنسان، ﴿إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ... لِلْأَزْبَانِ﴾.
- ١٠ - ربما يصدر أحياناً زلل ما من قبل الصالحين، بيد أن هذا التقصير يمكن جبرانه بالتوبة، ﴿إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ... لِلْأَزْبَانِ﴾.

﴿وَمَا تَذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْيَتَامَىٰ وَالسَّبِيلَ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾

### إشارات:

- «التبذير» مشتق من «بذر» بمعنى تفريق المال والإسراف فيه كأن يستضيف شخصين فيضع طعاماً لعشرة مثلاً.
- عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «من أنفق شيئاً في غير طاعة الله فهو مبذر...»<sup>(١)</sup>.

وأجاب سلام الله عليه من سأل: أ يكون تبذير في حلال؟  
قال: «نعم، حيث إن من يصرف ماله فلا يبقى له أي مال فقد بذر ماله في حلال»<sup>(٢)</sup>.

- بعد نزول هذه الآية لم يدر النبي محمد ﷺ من هم فقال: يا جبرائيل سل ربك من هم؟ فقال فاطمة ذو القربى فأعطها فذكاً<sup>(٣)</sup>، فأعطها رسول الله ﷺ إياها،

(١) بحار الأنوار، ج ٧٥، ص ٣٠٢. (٢) تفسير نور الثقلين.

(٣) «فذك»، وهي مزرعة كبيرة جداً أخذها النبي ﷺ بغير حرب ولا قتال فكانت لرسول الله ﷺ، ونظراً إلى محبة أهل البيت ﷺ وزهدهم وأمانتهم، ودعمهم اقتصادياً ومالياً لهم لتبلغ خطتهم ورسالتهم، ومحواً للفقر بين الأمة، قام رسول الله ﷺ بإعطائها لهم. إلا أنه بعد ارتحال رسول الله ﷺ انتزعها أبو بكر منهم، ومن ثم أرجعت إليهم في عهد عمر بن عبد العزيز، ومن ثم اغتصبت منهم، وبعد ذلك أرجعت إليهم في عهد المأمون، ومن ثم كذلك أعيد اغتصابها منهم. هذا وقد ذكرت التفسير في ذيل هذه الآية بحوثاً تاريخية وحقوقية وسياسية متعدّدة حول فذك، إلا أننا هنا سوف نصرف النظر عنها جميعاً.



ولكن بعد ارتحال رسول الله ﷺ أخذت «فذك» بغير حق من أهل البيت عليه السلام، وعندما طالب أهل البيت عليه السلام بحقوقهم كانوا دائماً يستندون إلى هذه الآية الشريفة.

□ ذكر المفسرون الشيعة والسنة أيضاً كالطبري مستلهمين من الروايات ما يلي: أن الإمام السجاد عليه السلام أثناء رحلة الأسر وعندما وصلت قافلة الأسارى إلى الشام وفي مقام الاحتجاج مع القوم الذين اعتبروا أسارى أهل البيت عليه السلام من الخوارج وأن لا دين لهم، استند الإمام عليه السلام إلى هذه الآية وقال لهم: المراد من «ذا القربى» نحن أولئك الذين أمر الله نبيه أن يؤتيهم حقهم<sup>(١)</sup>.

□ ذكرت بعض الروايات أن الآية ترتبط بموضوع الخمس، وبعض آخر ذكر أن موضوع الآية أرقى بكثير من الأمور المادية وقال إن الآية تأمر رسول الله ﷺ بأداء حق علي بن أبي طالب بالوصية له بالخلافة<sup>(٢)</sup>.

وقيل إن موضوعها هو التبذير المنهي عنه فيها هو «العلو»<sup>(٣)</sup>.

### التعاليم:

١ - الأحكام الدينية تنسجم مع الفطرة، فالإنسان له تعلق فطري أولاً بالوالدين ومن ثم بالأقربين إليه.

فبالالتفات إلى ما ورد في الآيات السابقة وكذلك إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكَذَا الْقُرْآنُ حَقُّهُ وَالْيَسِيرُ﴾ نرى أن الأمر بأداء الحق في الإسلام قائم على هذا الأساس أيضاً.

٢ - لا بد من مراعاة الأولويات في الإنفاق فنبدأ أولاً بالوالدين، ومن ثم الأرحام، ومن بعد ذلك الفقراء وابن السبيل، ﴿وَمَا آتَاكَذَا الْقُرْآنُ﴾.

(١) الاحتجاج للطبرسي، ج ٢، ص ٣٣؛ تفسير نور الثقلين.

(٢) قال الإمام الصادق عليه السلام: «وَأَتَاكَذَا الْقُرْآنُ حَقُّهُ فَكَانَ عَلَيَّ عَلَيْهِ السلام وكان حقه الوصية التي جعلت له، والاسم الأكبر ميراث العلم وأثار علم النبوة» (الكافي، ج ١، ص ٢٩٤).

(٣) تفسير الفرقان.

- ٣ - للأقرباء حق في رقابتنا وبالتالي لا منة لنا عليهم، ﴿وَأَتَىٰ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾.
- ٤ - القربى والفقراء وأبناء السبيل لهم حقوق خاصة، ﴿وَأَتَىٰ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْيَتَامَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْيَتَامَىٰ﴾.
- ٥ - لا يشترط الفقر في أداء حق ذي القربى، ﴿وَأَتَىٰ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْيَتَامَىٰ وَالْيَتَامَىٰ﴾.
- ٦ - لا بد من رعاية حد الاعتدال في الإنفاق وعدم تجاوزه، ﴿وَأَتَىٰ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَلَا يُبْذَرُ﴾.
- ٧ - الإسراف والتبذير في إنفاق المال وصرفه دون أي مبرر محرم، ﴿وَلَا يُبْذَرُ﴾.
- ٨ - الإنسان ليس حرّاً في إنفاق ماله وثروته بأي نحو كان، ﴿وَلَا يُبْذَرُ تَبْذِيرًا﴾.

﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ (٢٧)

#### إشارات:

□ كلمة «الأخ»، مضافاً إلى معناها المتعارف، تطلق أيضاً بمعنى الملازم والصاحب، فيقال مثلاً «أخو السفر» لمن يسافر بشكل دائم، و«أخو الكرم» للإنسان الكريم. والأخ تارة أخ بالنسب وتارة أخرى بالسلوك والأفعال، فالمسرفون إخوان الشياطين من الناحية السلوكية، ﴿إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ أي الذين اتبعوا مسير الشيطان وكانوا معه.

□ تكرر الكلام مراراً في القرآن الكريم عن وسوسة الشيطان وولايته على أتباعه، إلا أن المورد الوحيد الذي عبر فيه بـ«إخوان الشياطين» ورد في هذه الآية الشريفة، أي أن المسرفين أعوان الشياطين يفعلون أفعالهم نفسها لا أنهم تحت إمرة الشيطان: وبعبارة أخرى: فإنهم تجاوزوا مرحلة الوسوسة وأصبحوا في مرحلة التعاون مع الشيطان وكما ورد في آية أخرى: ﴿فَقِيصُ لَهُ شَيْطَانُ فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ (١).

□ رغم استعمال «التبذير» غالباً في مورد المسائل المالية إلا أنه يصدق أيضاً في

مورد النعم الأخرى من قبيل: هدر العمر والشباب، واستخدام الفكر، والعين، والأذن، واللسان في طريق الباطل، وإيكال المسؤوليات إلى الأفراد الفاسدين، وقبول المسؤولية دون لياقة تحمّلها وممن ليس أهلاً لها، وتعليم المسائل غير الضرورية وغير المفيدة وتعلّمها، وأمثال ذلك<sup>(١)</sup>.

### التعاليم:

- ١ - صرف الأموال والأموال في غير موردّها عمل شيطاني ونوع من عدم الشكر والتقدير لهذه النعم، ﴿الْمُبْذِرِينَ... إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ﴾.
- ٢ - لا بد من تحقير المبذرين وأهل الإسراف ولا ينبغي تقديرهم واحترامهم، ﴿إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ﴾.
- ٣ - المؤمن أخو المؤمن: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾<sup>(٢)</sup> والمسرف أخو الشيطان: ﴿إِنَّ الْمُبْذِرِينَ... إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ﴾.
- ٤ - التبذير دليل على الكفر وعدم الشكر وليس دليلاً على الكرم والعطاء، ﴿الْمُبْذِرِينَ... لِرَبِّهِمْ كُفُورًا﴾.

﴿رَأَمَّا نَفَرَ مِنَّاهُمْ أَتِغَاءَ رَحْمَتِ رَبِّكَ تَرْجُوهُمَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مِّنْ سُوْرَةٍ﴾

### إشارات:

□ تتكلم هذه الآية على كيفية التعامل المناسب مع الناس، ولذا فإن النبي ﷺ وحتى في وقت الضيق وانتظاره السعة والرحمة الإلهية - كان إذا ما طلب منه أحد ما شيئاً ولم يكن عنده ما يعطيه كان يدعو له ويقول: يرزقنا الله ولياكم من فضله<sup>(٣)</sup>.

□ لما طلبت فاطمة الزهراء عليها السلام من أبيها جارية لتعينها في أمور المنزل قال لها

(١) تفسير أطيب البيان.

(٢) تفسير اللاهيجي.

(٣) سورة الحجرات: الآية ١٠.

رسول الله ﷺ: «يا فاطمة والذي بعثني بالحق إن في المسجد أربعمائة رجل ما لهم طعام ولا ثياب، ولولا خشيتي خصلة لأعطيتك ما سألت يا فاطمة...» ثم علمها صلاة التسبيح<sup>(١)</sup> المعروفة بـ«تسبيحات الزهراء».

□ للقرآن توصيات في كيفية التكلم مع الناس ومن ذلك: ﴿قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ ﴿قَوْلًا لِّتَأْتِيَ﴾<sup>(٢)</sup> ﴿قَوْلًا كَرِيمًا﴾<sup>(٣)</sup> ﴿قَوْلًا سَدِيدًا﴾<sup>(٤)</sup> ﴿قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾<sup>(٥)</sup> ﴿قَوْلًا بَلِيغًا﴾<sup>(٦)</sup>.

### التعاليم:

١ - كان الأنبياء أيضاً لا يجدون أحياناً في أيديهم أي شيء يعينون به الآخرين ﴿أَتَيْتَاهُ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ رَجُومًا﴾.

٢ - لا بد لنا من رجاء رحمة الله، ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾.

٣ - لا استحقاق لنا على الله، وما يعطيه لنا فبرحمته وفضله، ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾.

٤ - لا بد إلى جانب الرجاء من السعي أيضاً ولا يكفي أحدهما فقط، ﴿أَتَيْتَاهُ... رَجُومًا﴾.

٥ - المؤمن يبحث عن السعة والمقدرة لإعانة المحرومين، ﴿أَتَيْتَاهُ رَحْمَةً﴾.

٦ - لا بد من أن نعتبر القدرات المالية من رحمة الله، ﴿أَتَيْتَاهُ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾.

٧ - الإمكانيات المادية إنما هيئت لتربية الإنسان وتكامله، ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾.

٨ - فاقد الشيء عذره مقبول في ترك الإنفاق وعدم إعانة الآخرين مادياً، ﴿تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ أَتَيْتَاهُ...﴾.

٩ - إذا لم نقدر على قضاء حوائج الشخص المالية فعلى الأقل لا بد من اجتذاب قلبه والتخفيف عنه بالكلام الجميل واللائق به، ﴿فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾.

(١) تفسير نور الثقلين.

(٢) سورة طه: الآية ٤٤.

(٣) سورة الإسراء: الآية ٢٣.

(٤) سورة النساء: الآية ٩.

(٥) سورة النساء: الآية ٨.

(٦) سورة النساء: الآية ٦٣.

١٠ - إذا وعدتم الفقراء فعدوهم بما تقدرون على الوفاء به لثلا تتعقد الأمور بشكل أكبر، ﴿فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾.

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ۖ﴾

إشارات:

□ عن الإمام الصادق عليه السلام في قول الله ﷻ: ﴿...فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾، قال: «الإحسار الفاقة»<sup>(١)</sup>.

□ ذكر بعضهم أن قوله «ملوماً» يرتبط بأول الآية أي البخل وأن قوله «محسوراً» يرتبط بآخرها أي الإسراف.

□ روي أن امرأة أرسلت ابنها إلى النبي ﷺ وطلبت منه أن يعطيها قميصه للتبرك به فأعطاه النبي ﷺ قميصه ولم يكن عنده غيره فلم يخرج إلى الصلاة لذلك، فنزلت هذه الآية لتقول له: ليس السخاء أن تعطي قميصك الأوحده الذي ليس لك غيره.

وفي رواية أخرى أنه جيء إلى رسول الله ﷺ بمقدار من الذهب فأنفقه جميعاً في وقته، وفي اليوم التالي جاءه فقير فسأله أن يعطيه شيئاً مما عنده فلم يكن عنده ما يعطيه، فلامه السائل، واغتم هو، إذ لم يكن عنده ما يعطيه، فأنزل الله تعالى هذه الآية يعلم رسوله ﷺ كيفية الإنفاق<sup>(٢)</sup>.

التعاليم:

١ - لا بد للمؤمن من أن يبتعد عن البخل وأن يساعد الآخرين، ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً﴾.

٢ - الإسلام دين الاعتدال والوسط حتى في الإنفاق، ﴿وَلَا تَجْعَلْ... وَلَا تَبْسُطْهَا﴾.

٣ - الإفراط والتفريط مذمومان، والاعتدال وحده الحسن الممدوح: ﴿وَلَا تَجْعَلْ... وَلَا تَبْسُطْهَا﴾.

٤ - نتيجة الإسراف والإفراط في الإنفاق القعود في البيت مع الملامة والحسرة، ﴿فَلَقَعْدُ مَلُومًا تَحْسُرًا﴾.

٥ - الإسلام لا يرضى أبداً بذلة المسلمين؛ ولذا فإنه نهى عن كل ما يوجب إذلالهم، ﴿وَلَا تَجْعَلْ... وَلَا تَبْسُطْهَا... فَلَقَعْدُ مَلُومًا تَحْسُرًا﴾.

٦ - التنبه إلى العواقب السيئة لأي عمل يسبب الابتعاد عنه، ﴿وَلَا تَجْعَلْ... فَلَقَعْدُ...﴾.

٧ - النظرة المستقبلية من أهم أصول الإدارة، ﴿وَلَا تَجْعَلْ... فَلَقَعْدُ﴾.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ (٣٠)

### إشارات:

□ بحث في القرآن الكريم بشكل واسع عن الرزق، وسوف نشير هاهنا إلى بعض مضامين هذه الآيات على النحو التالي:

أ - رزق كل دابة في عهدة الله ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ (١).

ب - منبع الرزق في السماء ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾ (٢).

ج - لو بسط الرزق لكل الناس لانتشر الفساد في الأرض، ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ﴾ (٣).

د - لا بد للناس من السعي والبحث عن الرزق، ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ﴾ (٤).

هـ - التقوى من أهم أسباب السعة والفرج وتوجب الزيادة في الرزق، ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ (٥).

□ قال الإمام علي عليه السلام: «قَدَّرَ الْأَرْزَاقُ فَكَثَّرَهَا أَوْ قَلَّلَهَا، وَقَسَمَهَا عَلَى الضِّيقِ

(٤) سورة العنكبوت: ١٧.

(٥) سورة الطلاق: الآية ٢.

(١) سورة هود: الآية ٦.

(٢) سورة الذاريات: الآية ٢٢.

(٣) سورة الشورى: الآية ٢٧.

والسعة، فعدّل فيها لئبتي من أراد بميسورها ومعسورها، وليختبر بذلك الشكر والصبر من غنيها وفقيرها»<sup>(١)</sup>.

### التعاليم:

- ١ - قلة الرزق والزيادة فيه بيد الله تعالى، ﴿يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾.
- ٢ - السعة في الرزق أو قلة الرزق من شؤون الربوبية الإلهية ومن أجل رشد الإنسان وتربيته، ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَسْطُرُ الرِّزْقَ... وَيَقْدِرُ﴾.
- ٣ - إرادة الله قائمة على أساس بصيرته وعلمه، ﴿لَمَن يَشَاءُ... خَيْرًا بِصِيرَةٍ﴾.
- ٤ - لا تبخلوا في الإنفاق خوفاً من الفقر. ولا تنفقوا كل أموالكم دفعة واحدة لرفع فقر الآخرين، فالرزق بيد الله وفقر بعض الناس إنما هو لحكمة اقتضت ذلك، ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ... إِنَّ رَبَّكَ يَسْطُرُ الرِّزْقَ﴾.

﴿وَلَا تَقُولُوا أَوْلَدْنَا خَشِيَ إِلَٰهِي تَعْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قُلُوبَهُمْ كَانَتْ خِطَاءً كَبِيرًا﴾

### إشارات:

- «الإملاق» هو الافتقار والاحتياج.
- تحكي هذه الآية صورة الوضع الاقتصادي التعيس في الجاهلية. وفي هذه الأيام بما أن بعض الدول تجيز إسقاط الجنين خوفاً من تكاثر عدد السكان والأوضاع الاقتصادية فهي تعيش نوعاً من الجاهلية أيضاً.
- في الآية (١٥١) من سورة الأنعام يربط الله تعالى قتل الأولاد بالفقر ﴿وَلَا تَقُولُوا أَوْلَدْنَا كُفْرًا﴾، وأما في هذه الآية فإنه يربطه بالخوف من الفقر ﴿خَشِيَ إِلَٰهِي﴾.

ويقول في الآية الأولى عن الفقر: ﴿تَعْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾، وأما في هذه الآية فإنه يقول في الخوف من الفقر: ﴿تَعْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾؛ وحيث إن الخوف

من الفقر أكثر قلقاً وتأثيراً، تكفل الله تعالى أولاً برزق الأولاد ومن ثم الآباء ليقفل من القلق والخوف<sup>(١)</sup>.

وربما يكون السر في هذا التفاوت بين الآيتين أن الجوع حاصل الآن وأما خوف الفقر فإنه في المستقبل ولذا فإنه قال في الآية الأولى: نحن الآن نرزقكم أنتم ونرزق أبناءكم؛ وأما في الآية الثانية الحاكية عن خوف الفقر فإنه قال: لا تقلقوا نحن سنرزق أبناءكم وسنرزقكم أنتم أيضاً.

### التعاليم:

١ - للولد حق في الحياة، ولذا لا يحق للوالدين أن يسلباه هذا الحق، ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ﴾.

٢ - الفقر وقلة ذات اليد يؤثران حتى على أقوى الناس عاطفة، ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾.

٣ - الخوف من ضرر الفقر وآثاره لا يجوز ارتكاب المعصية وتجاهل حقوق الآخرين، ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾.

٤ - إذا لم يكن الأمن النفسي والإيمان موجودين عند الإنسان، فلن يؤدي الفقر فقط إلى قتل الأولاد بل الخوف من الفقر أيضاً سوف يؤدي إلى ذلك، ﴿وَلَا تَقْتُلُوا... خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾.

٥ - التنبيه والالتفات إلى الضمانات الإلهية سوف يمنعان من الوقوع في المعاصي، ﴿وَلَا تَقْتُلُوا... حَتَّى تَرْزُقَهُمْ﴾.

٦ - لا تغفلوا عن الإيمان والتوكل، ﴿حَتَّى تَرْزُقَهُمْ﴾.

٧ - الله أرحم من الآباء والأمهات لذا لا تسيؤوا الظن به، ﴿حَتَّى تَرْزُقَهُمْ﴾.

٨ - الرزق بيد الله، ومن ثم فإن كثرة عدد السكان لا أثر له، ولذا فإن الولد ليس من أسباب الفقر، ﴿حَتَّى تَرْزُقَهُمْ وَإِنَّا كَوْنٌ﴾.

(١) تفسير في ظلال القرآن؛ وتفسير الفرقان.



- ٩ - أحياناً يكون رزقنا في ظل رزق الأولاد، ﴿وَرَزُقْتُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾.
- ١٠ - قتل الأولاد وإسقاط الجنين معصية وجريمة سواء أكانوا ذكوراً أم إناثاً، ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ... خِطْطًا كَبِيرًا﴾.
- ١١ - الذنوب ليست على حد سواء؛ إذ توجد ذنوب صغيرة وذنوب كبيرة أيضاً، ﴿خِطْطًا كَبِيرًا﴾.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (٣٢)

### إشارات:

- العلاقات الجنسية غير الشرعية، أي الزنا، ذات مفسد وأضرار فردية واجتماعية وعائلية كبيرة؛ ولذا فإن الزنى محرم في الإسلام. وقد ذكر في القرآن الكريم إلى جانب الشرك والقتل<sup>(١)</sup> والسرقة<sup>(٢)</sup>، ومن مفسد الزنا ما يأتي:
- ١ - الزنا مصدر للكثير من النزاعات والاختلافات، وكذلك سبب للانتحار، والفرار من البيوت، والأولاد غير الشرعيين، والأمراض الناجمة عن العلاقة الجنسية، والقلق والاضطراب عند العائلات الشريفة والمحترمة.
  - ٢ - الزاني والزانية إنما يقصد أحدهما الآخر من أجل شهوته فقط، ولذا لن تجد الألفة والمحبة والأنس والسكن بينهما.
  - ٣ - الزاني أو الزانية لن ينظر أحدهما إلى الآخر على أساس أنه شريك في الحياة بل على أنه وسيلة لإطفاء الشهوة فقط.
  - ٤ - الزنا سبب هام لقلة تشكيل العائلة عن طريق الزواج، ويوجب عدم تحقق الروابط العائلية، وكذلك يوجب قطع صلة الأرحام. وبعبارة أخرى: فإن فتح باب الزنا سوف يؤدي إلى عدم الرغبة في الزواج.
  - ٥ - مع الزنا لن يبقى أي إحساس بتحمل المسؤولية والتكليف والالتزام ببقاء

(١) ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾.

(٢) ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يَشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَرْفِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ﴾ (سورة الممتحنة: الآية ١٢).

النسل وتربية الأطفال، وبالتالي سوف يزول من البيت حسّ الأبوة والأمومة.

٦ - يؤدي الزنا إلى الهرج والخلل في نظام الإرث، ولن يُعلم الوارث الواقعي حينئذ.

٧ - الزنا: «يذهب بالبهاء ويعجل الفناء»<sup>(١)</sup>.

٨ - حيث إن ارتكاب الزنا يحتاج أحياناً إلى بذل الجهد والإنفاق؛ لذا فإن الزاني، ومن أجل إرضاء هوسه وهواه، يرتكب في سبيل ذلك الكثير من الذنوب والمعاصي، ولذلك فإنه أحياناً، ومن أجل وصوله إلى مبتغاه، قد يقوم بالتهمة والتخويف والسرقة بل قد يرتكب القتل أحياناً.

٩ - ظهور الأولاد غير الشرعيين والفاقدين للهوية والنسب في المجتمع، وهؤلاء يشكلون أرضية مناسبة للفساد والجرائم ومصاديق واضحة وبيئة للفحشاء في المجتمع.

□ قدم الإسلام العديد من البرامج للوقاية من الزنا ومنها:

١ - منع الاختلاط بين الرجال والنساء في بعض الأماكن.  
٢ - منع الخلوة بين الرجل والمرأة الأجنبية (أي المرأة التي ليست من محارمه).

٣ - حرمة تزني المرأة لغير محارمها من الرجال.

٤ - حرمة النظر إلى غير المحارم، والمصافحة بين الرجل والمرأة من غير المحارم، واجتناب التفكير بالزنا، ومشاهدة الصور والمشاهد المثيرة للشهوة.

٥ - العقوبة الشديدة للزاني والزانية.

٦ - التوصية بتعجيل الزواج وتقليل المهور.

٧ - ذم التأخر في الزواج.

٨ - اعتبار التزويج والسعي من أجل العائلة عبادة.

٩ - الترغيب في الزواج المؤقت.

### التعاليم:

١ - بعض الذنوب لها جاذبية إلى حدٍّ حُذر معه من خطر الاقتراب منها، ﴿لَا تَقْرُبُوا﴾.

٢ - لا ينبغي الابتعاد عن الزنا فحسب، بل عن مقدماته أيضاً (فأحياناً ربما نظرة واحدة فقط، أو اتصال هاتفي، أو مجرد رسالة، أو لقاء يساهم في تهيئة الأرضية اللازمة للارتباط غير المشروع)، ﴿وَلَا تَقْرُبُوا﴾.

٣ - إن الزنا، وعلى مر التاريخ، عمل قبيح ومذموم ومحرم في الأديان الأخرى أيضاً، ﴿كَانَ فَحِشَةً﴾.

٤ - في مقام النهي عن المنكر لا بد من بيان مساوئ الذنوب، ﴿لَا تَقْرُبُوا... وَكَأَنَّ سَكِيلًا﴾.

٥ - الزنا معصية في حد نفسه ومضافاً إلى ذلك فإنه طريق لارتكاب المعاصي الأخرى، وكذلك فإنه سبب لسوء العاقبة، ﴿وَكَاذِبًا سَكِيلًا﴾.

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ (٣٣)

### إشارات:

□ ﴿فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ﴾ أي لا تقتلوا في القصاص أكثر من القاتل أو لا تمثلوا بجثة المقتول، وهذا ما كان متعارفاً في الجاهلية.

□ قتل النفس من الذنوب الكبيرة: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾<sup>(١)</sup>.

□ ورد في الروايات أن الإمام المهدي عليه السلام مصداق من مصاديق «لوليّه»، إذ سيقوم عليه السلام بالانتقام والثأر لمقتل جده العزيز الإمام الحسين عليه السلام <sup>(١)</sup>، ﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا﴾.

□ دفاع الله تعالى عن المظلوم وإيكال حق القصاص إلى ولي الدم من العوامل الرادعة عن القتل، وكذلك عن الإسراف في القصاص، ﴿جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا﴾.

### التعاليم:

- ١ - لكل إنسان الحق في الحياة بما في ذلك غير المسلم إذا لم يكن في حالة حرب مع المسلمين فهو مصون النفس والمال، ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾.
- ٢ - القانون الإلهي محور القيم والحرّمات، ﴿حَرَّمَ اللَّهُ﴾.
- ٣ - الانتحار حرام، ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾.
- ٤ - في نظر الإسلام من الجائز قتل بعض الناس أحياناً بالحق، كما في القصاص، الدفاع، الارتداد، اللواط، أو الزنا مع الإحصان، ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾.
- ٥ - لا بد من حماية المظلوم ونصرته أيّاً يكن، ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا... مَنصُورًا﴾.
- ٦ - جعل حق القصاص إنما هو لنصرة المظلوم، ﴿جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا﴾.
- ٧ - لأولياء المقتول الحق في القصاص وقتل القاتل، ﴿جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا﴾.
- ٨ - لا بد في القصاص من إطفاء نائرة الغضب ورعاية العدالة، ﴿فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ﴾، لذا فإن الإسلام اشترط العدالة في مورد المعتدين على أنفس الناس والقاتلين، وعليه لا يحق لأولياء المقتول أن يقتلوا أكثر من القاتل بعنوان القصاص ولا يحق لهم سوء الاستفادة من هذا القانون.
- ٩ - إياكم والمثلة في القتل، ولا بد لكم من مراعاة المروءة في نوع القصاص وكيفيته، ﴿فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ﴾.
- ١٠ - نصرة المظلوم من السنن الإلهية، ﴿إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا﴾.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ. وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ  
إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾

### إشارات:

□ «الأشد» من «شد» يطلق على العقدة القوية المستحكمة. والمراد منه هنا وصول اليتيم إلى مرحلة الرشد، واستحكام قوته الجسمية والروحية، وقدرته على حفظ ماله.

□ أوصى القرآن مراراً بحفظ حق اليتيم ومراعاة حاله، وتكفل اليتامى وإدارة أمورهم، ولكن إذ يحتمل جداً وسوسة المال، وبالتالي سوء الاستفادة من أموال الأيتام؛ لذا شدد الله على التحذير من ذلك، بل نهى حتى عن الاقتراب من ماله، وذكر أن من يأكل مالهم ظلماً إنما هو يأكل في بطنه ناراً<sup>(١)</sup>.

□ روي أنه عندما نزلت هذه الآية انطلق المسلمون فعزلوا طعامهم عن طعام الأيتام وشرابهم عن شرابهم بل واعتزلوهم، فاشتد ذلك عليهم، فنزلت آية أخرى تبين لهم أن المراد من الاقتراب هو سوء الاستفادة من مال اليتيم، وإلا فلا ينبغي للصالحين أن يتركوا الأيتام لحالهم بحجة التقوى: ﴿وَأَن تَخَالَطُوهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾<sup>(٢)</sup>.

□ نقرأ في حديث شريف أن المراد بالعهد الذي سيسأل الله تعالى عنه هو محبة الإمام علي عليه السلام وطاعته<sup>(٣)</sup>.

### التعاليم:

١ - الإسلام سند المحرومين والضعفاء واليتامى، ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ﴾.

٢ - لا بد من التحذير بشكل أكبر<sup>(٤)</sup> في كل موضع يحتمل فيه سوء الاستفادة،

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٢٠.

(١) سورة النساء: الآية ١٠.

(٣) بحار الأنوار، ج ٢٤، ص ١٨٧.

(٤) ولهذا السبب فإن أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة أكثر الوصية في رعاية حق الأجير، والمزارع، =

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ﴾.

٣ - إن وسوسة المال كبيرة إلى حد ذكر معه أن مجرد الاقتراب منه معصية ومحرم، ﴿وَلَا تَقْرَبُوا﴾.

٤ - الأطفال لهم حق التملك، ﴿مَالَ الْيَتِيمِ﴾.

٥ - الإرث أحد أسباب التملك، ﴿مَالَ الْيَتِيمِ﴾.

٦ - التصرف في مال الأيتام مشروط برعاية أفضل الطرق وأكثرها نفعاً له، (إذا كانت منفعة اليتيم تقوم على تشغيل ماله فلا بد من القيام بذلك وعدم الإهمال فيه)، ﴿وَلَا تَقْرَبُوا... إِلَّا بِأَلْتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.

٧ - وضع مال اليتيم في غير موضعه ممنوع، ولا يجوز أكل ماله ظلماً وامتلاكه عدواناً، ﴿وَلَا تَقْرَبُوا... إِلَّا بِأَلْتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.

٨ - الزمان المناسب لدفع مال اليتيم إليه إنما هو عند بلوغه القوة الفكرية والاقتصادية والجسمية، ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾.

٩ - أوفوا بالعهود مهما كانت ولاي شخص أعطيت، ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ﴾.

١٠ - التفات الإنسان إلى أنه مسؤول يردعه عن الذنب والمعصية، ﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾.

﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (٣٥)

إشارات:

□ «القسطاس» أي الميزان<sup>(١)</sup>. ورد في الحديث الشريف أن الإمام المعصوم عليه السلام هو مثال ومصدق «القسطاس المستقيم» في المجتمع الإسلامي<sup>(٢)</sup>.

□ إن مسائل البيع والشراء والتجارة ورعاية حقوق الناس في المعاملات مهمة إلى

= والمرأة، واليتيم، وكمثال على ذلك قال في حق الأيتام: «الله الله في الأيتام» (نهج البلاغة، الكتاب ٤٧).

(٢) بحار الأنوار، ج ٢٤، ص ١٨٧.

(١) تفسير الميزان.

حد أن القرآن الكريم تعرض لها مراراً وأكد عليها، بل إن أطول آية<sup>(١)</sup> في القرآن ترتبط بذلك، وفي القرآن سورة كاملة باسم «المطففين». كذلك فإن أول ما دعى به بعض الأنبياء ﷺ، كالنبي شعيب عليه السلام، كان ترك التطفيف<sup>(٢)</sup>.

### التعاليم:

- ١ - لا بد من الابتعاد عن الغش والتطفيف في سوق المسلمين، ولا بد للبائع المسلم من أن يكون أميناً ووفياً ومخلصاً وعادلاً في التعامل مع الناس، ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ﴾.
- ٢ - الوفاء بالكيل والميزان من المصاديق البارزة للوفاء بالعهد الذي ورد في الآية السابقة؛ لأن المعاملة نوع من التعهد، ﴿وَأَوْفُوا بِالْمِيزَانِ... وَأَوْفُوا الْكَيْلَ﴾.
- ٣ - لا بد من أن يكون الميزان وغيره من وسائل التوزين والتقييم والمحاسبات التجارية دقيق لا عيب فيه، ﴿وَزِنُوا بِالْقِسَاسِ أَلْسَنَ﴾.
- ٤ - الدقة في الميزان والوزن والمحاسبات من أسباب الخير والبركة، أما التطفيف فإنه يترفع الخير والبركة، ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ﴾.
- ٥ - فلسفة القوانين الإلهية هي الخير لبني الإنسان، ﴿أَوْفُوا... وَزِنُوا... ذَلِكَ خَيْرٌ﴾.
- ٦ - السلامة الاقتصادية أفضل من التملك وكسب المال عبر التطفيف؛ إذ إن التعامل السليم والصحيح ورعاية حقوق الناس ينفع الإنسان نفسه؛ لأن ذلك موجب للأطمئنان والثقة. وأما التطفيف والخداع في الميزان والحساب فسوف يجبر المجتمع إلى الفساد المالي وسلب الثقة بين أفرادها، ولذا فإن النتائج والعواقب الحسنة تقوم على الصدق والسلامة في التعاطي الاقتصادي ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ﴾.
- ٧ - الكسب الصحيح والسليم يوجب حسن العاقبة ﴿وَأَحْسَنُ نَأْوَلاً﴾، فالتطفيف وإن أدى إلى النفع والربح الموقت، إلا أنه سبب لسلب الاعتبار الديني ومقدمة للعذاب الأخروي وسوء العاقبة.

(١) سورة البقرة: الآية ٢٨٢.

(٢) سورة الشعراء: الآيات ١٨١ - ١٨٣.

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾

### إشارات:

□ إن ذكر العين والأذن والقلب في هذه الآية ربما يكون من باب المثال والمصداق؛ لأنه في يوم القيامة، ومضافاً إلى الإنسان نفسه، فإن يده ورجله وسائر أعضائه سوف تسأل أيضاً<sup>(١)</sup>، وسوف تنطق كلها وتشهد وتعترف<sup>(٢)</sup>.

□ إن الكثير من الفتن والنزاعات التي حصلت على مر التاريخ كان سببها التسرع في الحكم، أو الكلام الكاذب الذي لا دليل عليه، أو النظريات الباطلة غير القائمة على التحقيق والعلم؛ ولذا فإن العمل بهذه الآية الشريفة سوف يحصّن الفرد والمجتمع من الوقوع في الخداع والأباطيل والأخطاء؛ لأن التسرع في حسن الظن في غير موضعه والتسرع في التصديق والأخذ بالشائعات سوف يؤدي بالمجتمع إلى الذلة والاستسلام للأعداء.

□ التقليد الأعمى والباطل، واتباع العادات والخيالات والأوهام، واتباع الأسلاف، والتصديق بالتوقعات والتنبؤات والمنامات والحدس والظن، والحكم دون علم، والشهادة دون علم (الكاذبة والباطلة)، والانحياز وأخذ المواقف، والمدح أو الانتقاد دون علم، والتفسير والتحليل والكتابة والإفتاء دون علم، ونقل المسموعات التي لا أساس لها والشائعات، ونسبة أي شيء إلى الله والدين دون علم، والتسرع في اتخاذ القرارات دون دليل أو برهان عند اضطراب الأوضاع والأزمات، والاستناد إلى الحلف الكاذب، والدموع الكاذبة عند بعض الناس... كل ذلك يعد من مصاديق: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ ويمنع القيام بها.

□ بمقتضى الروايات المتواترة والمعتبرة فإن اتباع الأصول القطعية الشرعية (نظير

(١) سورة النور: الآية ٢٤؛ سورة يس: الآية ٦٥؛ سورة فصلت: الآية ٢٠.

(٢) ربما يكون قوله تعالى: «كل أولئك» إشارة إلى كون هذه الأعضاء الثلاثة من باب المثال، وإلا فمن دون قوله «كل أولئك» يتم معنى الآية أيضاً.



فتوى المجتهد أو العلم الاطمئنانى القريب من اليقين) اتباعاً للعلم. فكما يحصل للناس العلم بوصفة الطبيب المتخصص، كذلك فإن فتوى المجتهد الجامع للشرائط والتقى يحصل منها العلم بحكم الله، وبناء على ذلك فإن هذا المستوى من العلم كافٍ رغم أن للعلم درجات ومستويات أعمق وهي: علم اليقين، حق اليقين، وعين اليقين.

□ إن الأئمة المعصومين عليهم السلام كانوا يردعون أصحابهم عن سماع أي كلام كان أو قوله، وكانوا يوصونهم أن يكونوا حراساً على قلوبهم وأسماعهم، وكانوا يستندون في ذلك إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾.

فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال منهاً ذلك الرجل الذي كان يطيل القعود في المرحاض لسمع غناء بعض الجيران: «يا حسن: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولٌ﴾ ثم قال: السمع ما وعى، والبصر ما رأى، والفؤاد ما عقد عليه».

وعن الإمام السجاد عليه السلام: «ليس لك أن تتكلم بما شئت»<sup>(١)</sup>.

### التعاليم:

١ - لا بد من أن تكون حياتنا على أساس العلم والمعلومات الصحيحة والمنطق والبصيرة، ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾.

٢ - ينبغي علينا ألا نساهم في إشعال سوق الشائعات، وألا نذهب بماء وجه الآخرين وندوس على حقوقهم، ﴿وَلَا تَقْفُ﴾.

٣ - القرآن الكريم يحذر من السحرة، والكهنة، والمتنبئين الذين يجمعون الناس البسطاء من حولهم، ويسحب البساط من تحت أرجلهم، ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾.

٤ - المعرفة لا تنحصر بالحواس بل القلب أيضاً واحد من طرق المعرفة، ﴿أَلَسَمَعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ﴾.

٥ - في يوم القيامة يسأل الإنسان عما في باطنه ونواياه، ﴿وَالْفُؤَادَ﴾.

٦ - الإيمان بالقيامة ومحاسبة الله لنا باعثان على التقوى، ﴿كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾.

٧ - سوف نسأل عن سوء استفادتنا من أجسامنا وما وضعه الله من إمكانات في خدمتنا، ﴿كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾.

﴿وَلَا تَنشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾

#### إشارات:

□ مضافاً إلى المسائل العقدية، السياسية، العسكرية، والاقتصادية فإن للأمم الإسلامية مسائل وأحكاماً حتى في الأمور الجزئية، كالذهاب والإياب من وإلى البيت، ومن جملة ذلك:

أ - ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾<sup>(١)</sup> أي كن معتدلاً في مشيك.

ب - ﴿وَلَا تَنشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ أي بطراً متكبراً مغروراً بنفسك.

ج - ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾<sup>(٢)</sup> أي يمشون بالدعة والرفق غير متكبرين في مشيهم.

د - ذم القرآن الكريم قارون الذي كان يخرج على قومه في الشوارع والطرق والأسواق بكل تكبر وزينة وجبروت<sup>(٣)</sup>.

(٣) سورة القصص: الآية ٧٩.

(١) سورة لقمان: الآية ٦١.

(٢) سورة لقمان: الآية ٦٣.

□ نقرأ في سيرة نبي الإسلام أنه كان حتى في يوم فتح مكة راكباً على حمار دون سرج.

وكان الإمام الحسن المجتبي عليه السلام رغم امتلاكه للعديد من المراكب يمشي راجلاً إلى مكة.

وهذا دليل على تواضع أولياء الدين سلام الله عليهم. ويذكر الإمام علي عليه السلام في صفة المتقين أن «مشيهم التواضع»<sup>(١)</sup>.

### التعاليم:

- ١ - التكبر بحسب القرآن مذموم حتى أثناء المشي، ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾.
- ٢ - لعلاج التكبر، لا بد من الالتفات إلى العجز والضعف، ﴿إِنَّكَ لَنْ تَخِرَّقَ﴾.
- ٣ - خصال الإنسان الباطنية تؤثر على سلوكه، ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾.
- ٤ - قبح الأعمال السيئة ثابت في كل الأديان الإلهية، ﴿كَانَ سَيِّئُهُ... مَكْرُهَاً﴾.
- ٥ - أوامر الله ونواهيه إنما هي لتربية الإنسان ورشده وتكامله، ﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾.

﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْفَىٰ

فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ (٢٦)

### إشارات:

□ ذكر بعض المفسرين أن المراد من «الحكمة» هي الأحكام الثابتة التي ذكرت في الآيات السابقة والتي كانت موجودة أيضاً في الأديان السابقة ولم تنسخ.

ففي الآية (٢٢) كان الأمر بالنهاي عن الشرك أول الحكمة ومبداها، وفي هذه الآية أيضاً فإن النهي عن الشرك هو آخر الحكمة.

□ عندما يخاطب الله تعالى رسوله ﷺ بالشدة أحياناً فإنه في الواقع يحذر الكفار

بأن يقطعوا رجاءهم وأملهم بالنبي ﷺ، ومن ذلك قوله ها هنا للنبي ﷺ: إذا لجأت إلى غير الله فسوف تلقى في جهنم.

### التعاليم:

- ١ - إن أوامر الله ونواهيه تقوم على الحكمة والعلم بحاجات البشر التربوية وهي مطابقة للعقل أيضاً، ﴿أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾.
- ٢ - العقل والفطرة لا يغنيان الإنسان عن الوحي بل هو محتاج إليه دائماً، ﴿ذَٰلِكَ مِنَّمَ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ﴾.
- ٣ - يكفي في معرفة قبح الشرك أن النبي ﷺ نفسه لو سلك مسلكه لألقي في جهنم، ﴿وَلَا يَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا ٰآخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ﴾.
- ٤ - باستثناء طريق الوحي والقانون الإلهي فإن كل الطرق والمذاهب الأخرى تؤدي إلى الضلال والخسران والملازمة ودخول النار، ﴿وَلَا يَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ... فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ﴾.
- ٥ - عاقبة الشرك دخول النار والطرده من رحمة الله والبعد عنها، ﴿فَتُلْقَىٰ﴾.
- ٦ - إن للمشركين، مضافاً إلى الإحراق بالنار (العذاب المادي)، عذاباً روحياً أيضاً، ﴿مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾.

﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنْتًا إِنَّكُمْ لَنَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ (٤١)

### إشارات:

□ من عقائد المشركين المنحرفة قولهم إن الملائكة بنات الله، وقد تصدى القرآن لذلك مراراً مؤكداً كون هذا القول كذباً وافتراء عظيماً، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ﴾ (١) ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ﴾ (٢).

## التعاليم:

- ١ - تفضيل الذكور على الإناث توهم لا أساس له، ﴿أَفَأَصْفَكَ... يَا بَنِيَّ﴾.
- ٢ - ربوبية الله تشمل المشركين أيضاً، ﴿رَبُّكُمْ﴾.
- ٣ - الاعتقاد بأن الله ولد اعتقاد باطل لا أساس له ومُدان، ﴿لَقَوْلُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾.
- ٤ - لا ينبغي للإنسان أن ينسب ويرضى لغيره ما لا يرضاه لنفسه، فكيف إذا كانت النسبة إلى الله تعالى، ﴿لَقَوْلُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ۝٤١﴾

## إشارات:

- «صَرَّفْنَا» أي بيّنا بشكل متعدد ومتنوع وكررنا الأقوال والدلائل ليتضح موضوع البحث والكلام.
- الإنسان بفطرته يطلب التنوع سواء في الطبيعة أم في كتاب الله، وهذا هو السر في تكرار البيان وتنوعه في القرآن الكريم.
- كما تزداد الميتة المتعفنة تعفنًا ونفورًا عند نزول المطر، فإن القلوب تزداد تعفنًا بالتكبر واللجاجة والعناد ولا يزيدها ذلك إلا نفورًا، ﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾.

## التعاليم:

- ١ - لا بد عند تكرار الدلائل من أن تكون متنوعة وجذابة، ﴿صَرَّفْنَا﴾؛ إذ إن وحدة التكرار ورتابته تورث الملل غالباً.
- ٢ - الإنسان بحاجة إلى التذكير دائماً فكيف إذا كان كل تكرار (أي في كل مرة يذكر الناس فيها) موجباً لجذب بعض الناس إلى الله، ﴿صَرَّفْنَا﴾.
- ٣ - التكرار في آيات القرآن إنما هو للتذكير ورفع الأغلال والقيود، ﴿صَرَّفْنَا... لِيَذَكَّرُوا﴾.
- ٤ - التكرار للمحبين نافع وجذاب للقلوب. وأما للمعاندين فإنه لا يزيدهم إلا نفوراً، ﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾.

﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَأَبْتَغُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ۖ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾

### إشارات:

□ المشركون يعتقدون بوجود الله وأنه خالق الوجود، إلا أنهم اتخذوا الأصنام شفعاء لهم أو اتخذوا شريكاً مع الله. وهذه الآية الشريفة تنفي وجود أي رابطة وعلاقة بين الله وبين الأصنام؛ لأن مثل هذه الأصنام لا يمكنها أن تسلب الله قدرته وسلطانه وبالتالي لا سبيل لها إلى تقوية أنفسها.

### التعاليم:

١ - نظام الوجود أفضل دليل على وحدانية الله (لو كان مع الله آلهة أخرى لوقع الخلاف بينهم ولو وقع الخلاف فسيؤذي ذلك إلى الفساد والهرج والمرج في النظام)، ﴿إِذَا لَأَبْتَغُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾.

٢ - كلما ينسب إلى الله ما لا يجوز فلا بد من التبرئة والتنزيه عن ذلك، ﴿سُبْحَنَهُ﴾.

٣ - الله تعالى منزّه عن كل شريك، وذاته المقدسة متعالية جداً عما يقولونه من خرافات، ﴿سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ﴾.

٤ - مهما قيل في الله، وكائننا من كان القائل، فإن الله أكبر وأعلى من ذلك، ﴿وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾.

﴿تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾

### إشارات:

□ توضح هذه الآية الشريفة أن كل ما في الوجود يسبح ويسجد ويقنت لله تعالى. وذهب بعض المفسرين إلى أن المراد بالتسبيح هنا هو التسبيح التكويني، أي أن

الهيئة الوجودية لكل ذرة في هذا العالم تشير إلى إرادة الله وحكمته وعلمه وعذله.

وذهب بعض آخر إلى الاعتقاد بأن الوجود ذو شعور وعلم، وأن كل ما فيه يسبح لله تعالى، إلا أن آذاننا لا تسمع ذلك. وهذا الرأي أكثر انسجاماً مع ظاهر الآية. ثم إن نطق كل شيء ليس محالاً لأن ذلك سيتحقق في يوم القيامة ﴿أَنْطَقَ كُلُّ شَيْءٍ﴾<sup>(١)</sup>، بل إن الحجارة أيضاً لها علم وخشية من الله، ولذا فإنها تهبط خوفاً منه ﴿وَلَنْ مِنْهَا لَمَّا يَهْطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾<sup>(٢)</sup>. كذلك فإن النبي سليمان عليه السلام فهم كلام النملة وكان يعلم منطق الطير أيضاً، فالهدهد عندما علم وشخص انحراف قوم بلقيس جاء إلى النبي سليمان عليه السلام وأخبره بذلك.

وتكلم الله تعالى مع الجبال مخاطباً إياها ﴿يَجِئُكَ أَوِي مَعَهُ﴾<sup>(٣)</sup>، أي يا جبال اذكري وسبحي مع داوود. ومضافاً إلى ذلك فإن القرآن ذكر تسبيح سائر الموجودات.

وعلى حد قول الشاعر الإيراني:

إن كل ذرات العالم في الخفاء تخاطبك ليلاً نهاراً

نحن نسمع ونبصر ونعقل لكن نحن معكم أيها الغرباء صامتون

□ ورد في الروايات الشريفة أيضاً أن الحيوانات والموجودات تسبح لله ومن ذلك ما يلي:

أ - لا تضربوا البهائم على وجوها لأنها تسبح لله<sup>(٤)</sup>.

ب - كلما ترك الحيوان التسبيح فإنه يُصاد<sup>(٥)</sup>.

ج - لا تُقطع شجرة إلا حين تترك التسبيح<sup>(٦)</sup>.

(٤) تفسير نور الثقلين

(١) سورة فصلت: الآية ٢١.

(٥) تفسير نور الثقلين.

(٢) سورة البقرة: الآية ٧٤.

(٦) تفسير روح الجنان.

(٣) سورة سبا: الآية ١٠.

د - شهدت الحصى، وهي في يد النبي الأكرم ﷺ، نبوته<sup>(١)</sup>.

هـ - النحل يسبح لله<sup>(٢)</sup>.

و - صوت العصفير تسبيحها<sup>(٣)</sup>.

وهذه الروايات أجمع عندما تحكي عن تسبيح الحيوانات فإنها تحكي تسبيحها الواقعي وليس لسان حالها.

كل موجود بلسانه يسبح بحمدك  
فالبلبل يغني غزلاً، والقمري ينشد أنغاماً

### التعاليم:

١ - كل ما في الوجود يسبح لله فلماذا إذاً يتخلف الإنسان عن هذه القافلة، ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ﴾.

٢ - في السماوات أيضاً موجودات ذات حياة وشعور، ﴿وَمَنْ فِيهَا﴾.

٣ - تسبيح الموجودات يصاحب الحمد والتعظيم لله، ﴿يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾.

٤ - ربما نسمع أحياناً صوت بعض الموجودات إلا أننا لا نفقه تسبيحها، ﴿لَّا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾.

٥ - كل ما في الوجود ذو شعور، إلا أن علم الإنسان بها في الوجود ناقص وغير كامل، ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبِيحُ... لَا نَفْقَهُونَ﴾.

٦ - حقائق الأشياء محجوبة عن غير أهلها، ﴿لَّا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾.

٧ - صبر الله على عقائدنا الخرافية وأقوالنا غير الجائزة إنما هو لحلمه ومغفرته، ﴿عَمَّا يَقُولُونَ... حَلِيمًا غَفُورًا﴾، وإذا رجعنا إليه فإنه حتماً سيغفر لنا.

(٣) بحار الأنوار، ج ٦٤، ص ٢٧.

(١) تفسير الميزان.

(٢) بحار الأنوار، ج ٩٥، ص ٣٧٢.



﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ٤٥﴾

### إشارات:

□ القرآن الكريم وسيلة لهداية المتقين ﴿هُدًى لِلتَّقِينَ﴾<sup>(١)</sup>؛ ومن علامات المتقين اليقين بالآخرة ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾<sup>(٢)</sup>. ولذا فالقرآن لن يكون هادياً لأولئك الذين لا يؤمنون بالآخرة والقيامة، وهذا معنى الحجاب المستور الذي يمنع الإنسان من فهم الوحي ويحرمه من لذة درك المعارف الإلهية، حتى ولو استمع الوحي مباشرة من لسان النبي ﷺ.

### التعاليم:

- ١ - إذا لم يكن للإنسان قابلية الهداية، فإن تلاوة القرآن عليه من قبل رسول الله ﷺ لن يكون لها أي أثر، ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ... حِجَابًا مَسْتُورًا﴾.
- ٢ - الغضب الإلهي يتأتى بعد لجاجة الإنسان وكفره، ﴿جَعَلْنَا... لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ... حِجَابًا﴾.
- ٣ - تلاوة القرآن تحصن الإنسان من شر الكفر، ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ... جَعَلْنَا... حِجَابًا﴾.
- ٤ - تلاوة القرآن تقوي في الإنسان روح التبيري من المشركين، ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ... جَعَلْنَا... حِجَابًا﴾.
- ٥ - الحرمان من درك الوحي يعد نوعاً من العذاب والغضب الإلهي، ﴿جَعَلْنَا... حِجَابًا مَسْتُورًا﴾، وكما يقال في المثل فإن سياط الله لا صوت لها.
- ٦ - الإيمان بالمعاد سبب لقبول دعوة الأنبياء ﷺ، وفي المقابل فإن الكفر بالمعاد سبب لعدم القبول بالنبوة والمعارف الإلهية، ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ... حِجَابًا مَسْتُورًا﴾.
- ٧ - إن الله تعالى يحجب الحقائق والمعارف عن غير أهلها، ﴿حِجَابًا مَسْتُورًا﴾.

(١) سورة البقرة: الآية ٢.

(٢) سورة البقرة: الآية ٤.

﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذُكِّرْتَ رَبِّكَ  
فِي الْقُرْآنِ وَحَدَّهُ وَلَوْ عَلَىٰ أَذْبَرِهِمْ نُفُورًا﴾ (٤٦)

### إشارات:

□ «أكنة» جمع «كنان» أو «كن» وتعني «أغطية». «وقر» ثقل في الأذن، وقد ورد شبيه هذه الآية في سور أخرى<sup>(١)</sup>.

□ يوجد في القرآن الكريم ما يقرب من (٢٥٠) آية ترتبط بالتوحيد، ومنه ما يقرب من (١٥٠٠) آية ترتبط بالشرك، وعبادة الأصنام، أي أن ربع القرآن تقريباً يرتبط بالتوحيد والشرك ولكن للأسف فإن أصحاب القلوب العمياء حرموا أنفسهم من سماع آيات التوحيد، بل وتنفروا من سماعها واشمأزوا منها، وفي المقابل فإنهم يستبشرون بسماع كلام الشرك والباطل ﴿وَإِذَا ذُكِّرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِّرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ (٢). وفي يومنا هذا أيضاً عندما يتكلم عن التوحيد يستنفر البعض من ذلك، وأما كلام أهل الفسق فإنه جذاب لهم. وقد شبه القرآن الكريم هؤلاء الناس بالحرر الوحشية الفارة من الأسود، ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ (٣).

### التعاليم:

١ - الروح المحجوبة والقلوب الميتة لن تفقه حقائق معارف القرآن الأصيلة، ﴿أَكِنَّةٌ أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾.

٢ - الاستماع والفهم البسيط يفرق جداً عن الفهم العميق والتلذذ به، ﴿يَفْقَهُوهُ﴾.

٣ - ذكر غير الله كفر، ذكر الله وغير الله شرك، وذكر الله وحده توحيد، ﴿ذُكِّرْتَ... وَحَدَّهُ﴾.

(١) سورة فصلت: الآية ٤٤؛ سورة الأنعام: الآية ٢٥؛ سورة الكهف: الآية ٥٧.

(٢) سورة المدثر: الآية ٥٠.

(٣) سورة الزمر: الآية ٤٥.

٤ - الحرمان من درك المعنويات يعد نوعاً من القهر الإلهي، ﴿جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾.

٥ - التوحيد في الربوبية هو أصعب الأشياء على المشركين، ﴿ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوْ...﴾.

﴿تَحَنُّنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ  
إِنْ تَنبَغْ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ (٧)

### إشارات:

□ ورد في التفاسير أن كل واحد من رؤوس أهل الكفر كان يأتي خفية في ظلمة الليل إلى خلف منزل رسول الله ﷺ ودون أن يطلع بعضهم بعضاً على ذلك ليستمعوا تلاوته للقرآن ومن ثم تحليل ما يقول، وكانوا أحياناً يصطدمون ببعضهم في عتمة الليل فإذا ما عرفوا بعضهم كانوا يتلاومون فيما بينهم قائلين: لقد سلب محمد ﷺ عقولنا وقلوبنا بصوته فكيف سائر الناس؟!

□ هذه الآية تدعو رسول الله ﷺ إلى أن لا يتأثر من فرار المشركين وسوء أدبهم فالله أعلم بما يفعلون.

### التعاليم:

١ - الله تعالى عليم بأهداف الناس ونواياهم، ﴿تَحَنُّنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ﴾.

٢ - ليس كل المستمعين لديهم نية حسنة، ﴿تَحَنُّنُ أَعْلَمُ...﴾.

٣ - لا ينبغي للمبلغ الرسالي التقهقر والتراجع إذا ما فر الناس منه أو اتهموه، بل لا بد له من أن يعلم بأنه محاط بنظر الله فيطمئن بذلك، ﴿تَحَنُّنُ أَعْلَمُ﴾.

٤ - عندما يرى أعداء الله التفاف الناس حول القادة الإلهيين فإنهم يحاولون الإساءة إليهم بالتهم والكذب والافتراء، ﴿رَجُلًا مَسْحُورًا﴾.

﴿أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾

### التعاليم:

- ١ - لا بد للنبي ﷺ والقادة الدينيين والمؤمنين من أن يكونوا متيقظين وعارفين بأساليب إعلام الأعداء، ﴿أَنْظِرْ كَيْفَ﴾.
- ٢ - يمكن الاستفادة من ضرب الأمثال سواء لإثبات الحق أم لتشويه الحقائق، ﴿كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾.
- ٣ - إن هؤلاء لما لم يكن لديهم أي منطق سليم لمواجهة الدين، فأخذوا يضربون الأمثال في محاولة للإساءة إلى النبي ﷺ، ﴿ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾.
- ٤ - توهين أولياء الله وقادته سبب للضلالة، ﴿ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا﴾.
- ٥ - ضلالة الإنسان تحصل تدريجياً، إذ إنه يتلى ابتداءً بالتوهين وضرب الأمثال في غير موقعها، ومن ثم يصل إلى الانحراف، وأخيراً إلى الطريق المسدود، ﴿ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾.
- ٦ - الكفر لا غاية له، فالكفار وإن استفادوا من شتى أنواع التهم والأمثال لتوجيه الضربات إلى الإسلام، إلا أنهم لن يوفقوا أبداً، ﴿ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾.

﴿وَقَالُوا إِذْ أَذْنَا عِظْمًا وَرَفْنَا إِيَّانَا لَمَجْعُوثُونَ خَلَقًا جَدِيدًا﴾

### إشارات:

- «الرفات» بمعنى ما تكسر وتفرق من التبن ونحوه<sup>(١)</sup>.
- لم يرد في آيات القرآن الكريم أي دليل من قبل منكري المعاد، وكل ما ورد من قبلهم إنما هو تعجب وسؤال واستبعاد، وقد سعوا من خلال طرح الأسئلة إلى إيجاد الشبهات، وكذلك تصدى القرآن للإجابة عنها بالاستناد إلى علم الله

وقدرته وحكمته في الخلق والإيجاد، فذَكَرَ أمثلة موجودة في الطبيعة والتاريخ ووجود الإنسان نفسه الذي لم يكن موجوداً ابتداءً ثم وجد؛ ولذا فإن الله قادرٌ مرة أخرى على إحياء الموجودات بعد موتها.

﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مِمَّنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾﴾

### إشارات:

□ على الرغم من أن الإنسان يتلاشى بعد الموت ويصير تراباً، إلا أن هذا التراب منبع الحياة والمدخل إليها فالنباتات تنمو من التراب، وفي التراب تترعرع الموجودات الحية، لذا فإن إحياء الأموات من التراب لن يكون عسيراً على الله تعالى، وحتى لو أصبحتم حجارة أو حديداً أو أقصى من ذلك - مما لا حياة فيه، فإن الله سيحييكم مرة أخرى.

□ ليس لمنكري المعاد أي دليل وإنما يتساءلون فقط: من الذي سيحيينا؟ وفي أي زمان؟ وكيف سيكون ذلك؟

وجواب القرآن عن ذلك أن ذلك: الإله نفسه الذي خلقكم أول مرة قادر على أن يخلقكم مرة أخرى، وأما موعد ذلك فليس ببعيد فربما يكون قريباً، ﴿مَنْ يُعِيدُنَا، مَتَى هُوَ، عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾.

### التعاليم:

- ١ - النبي ﷺ مأمور بالإجابة عن التساؤلات والشبهات والإشكالات، ﴿قُلْ﴾.
- ٢ - إن إحياء الأموات مجدداً، حتى ولو كانوا حجارة أو حديداً، سهل على الله تعالى، ﴿حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا أَوْ خَلْقًا﴾.
- ٣ - المعاد جسماني، ﴿كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾.
- ٤ - إن كثيراً من الأشياء إنما يكبر في أذهاننا وقلوبنا؛ ولكنه في الواقع ليس كبيراً، ﴿يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾.

- ٥ - الغفلة عن قدرة الله سبب لإنكار المعاد، ﴿مَنْ يُعِيدُنَا... الَّذِي فَطَرَكُمْ﴾.  
 ٦ - إن المعاندين عندما يسمعون الأدلة يهزون رؤوسهم استهزاء وإنكاراً واستبعاداً لذلك، ﴿فَسَيَنْفُضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾.  
 ٧ - إن عمر الدنيا قليل وقصير بالنسبة إلى الآخرة، ولا بد لكل إنسان من أن يدرك قرب الموت والقيامة، ﴿أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾.

﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْجُدُونَ بِحَمْدِهِ وَتَنْظُرُونَ إِنْ لَيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ٥٢﴾

### التعاليم:

- ١ - لا تنسوا الآخرة ﴿يَوْمَ﴾؛ كلمة «اذكروا» مقدرة قبل كلمة «يوم».  
 ٢ - القيامة هي يوم الدعوة العامة لكل الناس، ﴿يَدْعُوكُمْ﴾.  
 ٣ - أثناء القيامة كل الأموات يُسَبِّحُونَ بحمد الله تعالى، «إلا أنه لا ينفع الكافرين»، ﴿فَتَسْجُدُونَ بِحَمْدِهِ﴾.  
 ٤ - مدة الدنيا والبرزخ قليلة جداً بالنسبة إلى القيامة، ﴿إِنْ لَيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ  
 كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا ٥٣﴾

### إشارات:

- الله، الخالق لأحسن الأشياء ﴿أَحْسَنَ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾<sup>(١)</sup>، ﴿فَأَحْسَنَ سُورَكُمْ﴾<sup>(٢)</sup>، ﴿أَحْسَنَ تَنْبِيءٍ﴾<sup>(٣)</sup>، ويطلب منا أيضاً أحسن الأعمال: ﴿يَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾<sup>(٤)</sup>، وأحسن الأقوال: ﴿يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، واتباع أحسن الأقوال ﴿فَيَسْمِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾<sup>(٥)</sup>.

(٤) سورة هود: الآية ٧.  
 (٥) سورة الزمر: الآية ١٨.

(١) سورة السجدة: الآية ٧.  
 (٢) سورة غافر: الآية ٦٤.  
 (٣) سورة التين: الآية ٤.

□ الظاهر أنه كان للمسلمين تساؤلات حول كيفية مواجهة الكافرين واستهزائهم وكيفية مقابلتهم بالمثل؛ لذا فإن الآية الشريفة أجابت بـ«قل»؛ إذ إن سب أصنام الكفار سوف يستغفر هؤلاء الكافرين ويدفعهم إلى سب الله تعالى.

□ «الكلام الأحسن» يشمل كل كلام لائق وحسن كمثل: السلام، الدعاء، الإرشاد، إظهار المحبة، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ذكر الله، التوبة والاستغفار، وأمثال ذلك...

### التعاليم:

١ - في الدعوة إلى الكلام الحسن لا بد من أن تكون دعوتنا بنحو حسن أيضاً، ﴿يَقُولُوا أَلَيْهِ هِيَ أَحْسَنُ﴾.

٢ - الكلام والقول الحسن مقدمة للمحبة، وأما الكلام غير اللائق فإنه مقدمة لأنواع الوسوس الشيطانية؛ نعم، إن الكلام الحسن يمنع وسوسة الشيطان ويدفعها، ﴿يَقُولُوا أَلَيْهِ هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ...﴾.

٣ - من لوازم العبودية، القول الحسن مع الآخرين، ﴿لِعِبَادِي يَقُولُوا أَلَيْهِ هِيَ أَحْسَنُ﴾.

٤ - إلقاء العداوة بين الناس من عمل الشيطان، ومن يفعل ذلك أيضاً فإنه من أنصار الشيطان وأعوانه، ﴿يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ﴾.

٥ - الشيطان كان وما زال عدواً للإنسان ولم يتخل لحظة واحدة عن عداوته لنا، ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا﴾.

٦ - الشيطان جاد جداً في افتتان الإنسان والعداوة معه، ﴿إِنَّ...﴾.

﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنَّ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾

### إشارات:

□ في الآية السابقة أُكِّد على حسن القول، وفي هذه الآية بُيِّنَ بعض النماذج لذلك: لا بد للإنسان من أن لا يرى نفسه أعلى وأفضل من الآخرين، ولا بد له من أن لا يقوم بتوبيخهم، بل وأن لا يقول للكافرين بأنكم أهل النار ونحن

أهل الجنة، والسبب في ذلك أن مثل هذا الكلام سوف يؤدي إلى الفتنة، ومضافاً إلى ذلك: من أين لنا العلم بالعاقبة الحسنة؟ فالله هو العالم بذلك إذا شاء يرحم وإذا شاء يعذب.

### التعاليم:

- ١ - لا بد من أن لا نغتر بإيماننا، ﴿رَبُّكُمُ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾.
- ٢ - الأفعال الإلهية مبتنية على علم الله، ﴿أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يُرَحِّمَكُمْ، يُعَذِّبَكُمْ﴾.
- ٣ - إن علم الله ورحمته وغضبه من شؤون ربوبيته الله تعالى، ﴿رَبُّكُمُ... يُرَحِّمَكُمْ... يُعَذِّبَكُمْ﴾.
- ٤ - الكلام عن الرحمة والعطف يسبق الكلام عن القهر والعذاب، ﴿يُرَحِّمَكُمْ... يُعَذِّبَكُمْ﴾.
- ٥ - لا بد للإنسان من أن يكون بين حالتي الرجاء والخوف، ﴿يُرَحِّمَكُمْ... يُعَذِّبَكُمْ﴾.
- ٦ - الناس أحرار في اختيار عقيدتهم، بل إن الأنبياء مأمورون بعدم إجبار الناس على الإيمان، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾.
- ٧ - ينبغي للمبلغ الديني أن لا يعتبر نفسه وكيلاً على الناس ورباً لهم، ﴿وَكَيْلًا﴾.

﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ

عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾

### إشارات:

□ بُيِّنَ في الآية السابقة علم الله بالنسبة إلى الإنسان، وأما هنا فقد بُيِّنَ علمه بالنسبة إلى كل الموجودات السماوية والأرضية.

□ ورد في الروايات الشريفة أن عدد الأنبياء كان مئة وأربعة وعشرين ألفاً، بُعث بعضهم إلى كل الناس وكان لهم كتب سماوية، وبُعث الآخرون إلى منطقة ما أو قوم ما بخصوصهم وكانوا مأمورين باتباع النبي الأعلى منهم.



## التعاليم:

- ١ - كل الأنبياء محاطون برعاية خاصة من الله تعالى، ﴿وَرَبُّكَ﴾.
- ٢ - العالم محضر الله، والله تعالى مطلق على كل شيء، ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ﴾.
- ٣ - في السموات أيضاً موجودات عاقلة ذات شعور، ﴿يَمَن فِي السَّمَوَاتِ﴾.
- ٤ - توجد سلسلة مراتب وتفضيل بين الأنبياء أنفسهم، بل إن أفضل الأفراد والمتقين ليسوا على حد سواء، ﴿فَضَّلْنَا﴾.
- ٥ - إن وجود التفاوت والتفاضل الإلهي في العطاء قائم على أساس علمه المحيط بكل شيء وبكل إنسان، ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ... فَضَّلْنَا﴾.
- ٦ - الكتاب السماوي إحدى علامات التفضيل لأحد الأنبياء، ﴿فَضَّلْنَا... وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾.
- ٧ - التفضيل الثقافي (العلمي) أهم أساس في التفضيل وليس المال أو المقام أو طول العمر، ﴿فَضَّلْنَا... زَبُورًا﴾.

﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ (٥٦)

## التعاليم:

- ١ - التوجه لغير الله وتعليق الأمل عليه ليس إلا خيال ووهم، ﴿زَعَمْتُمْ﴾.
- ٢ - من وسائل التبليغ، مضافاً إلى بيان الحقائق للناس، إعطاء الحرية لهم في اختيار القبول أو الرفض، ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ... فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ﴾.
- ٣ - من بواعث العبادة اللجوء إلى من له القدرة والقوة، والأصنام لا يملكون هذا الأمر، ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ﴾.
- ٤ - غير الله لا يملك كشف الخطر ودفعه ولا يملك أيضاً تحويله إلى غيره أو تبديله أو التخفيف منه، ﴿كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾، (الاعتقاد بشفاعة أولياء الله لرفع المشكلات والعذاب إنما هو بإذن من الله تعالى وله كلام آخر).

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾

### إشارات:

□ تفسير هذه الآية على النحو التالي: إن الأنبياء الذين يدعون الناس إلى الحق هم أنفسهم (في الحركة المعنوية) يبتغون الوسيلة إلى الله، وهذه الوسيلة تقرب وتسرع سيرهم إليه سبحانه. أو ربما يكون المراد أن كل نبي مقرب هو أسرع سيرا نحو الله تعالى.

□ ورد في العديد من الروايات الواردة في خصوص هذه الآية أن الإنسان لا بد له من أن يوازي بين كفتي الرجاء والخوف وإلا سوف يُصاب باليأس أو الغرور.

### التعاليم:

- ١ - الخوف والرجاء يدلان على الارتباط والضعف، ولذا فإن من يبغى هو نفسه الوسيلة كيف يمكن ابتغاؤه وسيلة؟ ﴿يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾.
- ٢ - من أجل التقرب من الله توجد طرق ووسائل إلى ذلك، ﴿يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾.
- ٣ - ابتغاء الوسيلة وطلب الشفاعة لا بد من أن يتزامن مع عدم الغفلة عن العذاب، ﴿يَبْتَغُونَ... وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾.
- ٤ - أفضل وسيلة هي أن يتقرب الإنسان من الله، ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾.
- ٥ - في التقرب إلى الله تعالى، السبق له قيمة خاصة، ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾؛ (كل من هو أقرب إلى الله فإن سعيه أكبر في التوسل إليه).
- ٦ - رحمة الله سابقة على غضبه (ورد الرجاء برحمته قبل الخوف والعذاب)، ﴿يَرْجُونَ... وَيَخَافُونَ﴾.
- ٧ - العذاب من شؤون الربوبية الإلهية؛ لذا لا بد لنا من أن لا نستخف به، ﴿عَذَابَ رَبِّكَ... مَحْذُورًا﴾.

﴿وَلَنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ آلْيَقْسَمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ ﴿٥٨﴾

## إشارات:

□ «القرية» هي مكان اجتماع الناس والعمران سواء أكانت مدينة أم ضيعة. والمراد من «الكتاب» إما اللوح المحفوظ وإما القرآن الكريم والذي بُيِّنَتْ فيه علل سقوط الأمم وهلاكها.

## التعاليم:

- ١ - لن تدوم الحياة ولن تبقى لأحد من الناس، ﴿وَلَنْ مِنْ قَرْيَةٍ﴾.
- ٢ - إن طي بساط الحياة فوق هذه الأرض ليس مجرد صدفة، بل طبق قوانين معينة وثابتة من قبل الله، ﴿فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾.

﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآيَاتِنَا ثُمُودُ النَّاقَةِ مُبْصِرَةٌ فَظَلَمُوا﴾  
بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾

## إشارات:

□ لقد كان كفار مكة المعاندون والباحثون عن الأعذار يطلبون من رسول الله ﷺ العديد من المعاجز، ومن جملة ذلك أن يجعل لهم بعض جبال مكة (جبل الصفا) ذهباً أو أن ينقل بعض الجبال من مكان إلى آخر حتى تنهيا لهم الأرض للزراعة.

وهنا يُخبرنا تعالى: في ما مضى من تجارب في التاريخ فإن الكفار المعاندين لم يؤمنوا حتى مع رؤيتهم مثل هذه الآيات والعلامات، وبالتالي فإن نظام الخلق والإيجاد لن يقوم طبقاً لهوى هؤلاء المعاندين، وبالتالي لو قدمت المعجزة على أساس طلب هؤلاء الناس فكفروا بها فإن العقاب الدنيوي لهم حتمي.

□ إن الناقة حيوان ولكن الله تعالى يعبر عن ناقة صالح أنها ﴿نَاقَةُ اللَّهِ﴾، لأن كل ما هو منسوب إلى الله له قداسة، حتى إن اسم «أبي لهب» الموجود في القرآن له قداسة بسبب هذه النسبة؛ لذا يمكن لمسه دون وضوء.

### التعاليم:

- ١ - إن الأنبياء ﷺ ورغم معاجزهم المتعددة ابتلوا دائماً بالمعاندين والمكذبين لهم، ﴿كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾.
- ٢ - إن الله قادر على كل شيء، إلا أن فعله يقوم على أساس الحكمة وليس وفق أهواء الناس ومذاقهم، ﴿وَمَا مَنَعَنَا﴾.
- ٣ - إن توهين المقدسات وتكذيب المعجزات يستتبع حتماً غضب الله والعذاب الإلهي، ﴿ءَاتَيْنَا... فَظَلَمُوا بِهَا﴾.
- ٤ - ما هو منسوب إلى الله وله صبغة إلهية له حساب مستقل عن الأمور العادية، ﴿ءَاتَيْنَا...﴾.
- ٥ - المعجزات وسيلة لإعلام الناس وزيادة معرفتهم وتحذيرهم، ﴿ثُبُورَةً... تَخْوِيفًا﴾.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرِّيحَ الَّتِي أُرْسِنَا إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾

### إشارات:

□ كان الكلام في الآية السابقة حول قتل ناقة صالح وأما هذه الآية فتتكلم عن الشجرة الملعونة التي تقتل أهل بيت النبي ﷺ.

إننا نقرأ في الروايات أن أهل البيت ﷺ قالوا: نحن لسنا أقل من ناقة صالح ولذا فإن الجرأة علينا تستتبع الهلاك<sup>(١)</sup>.

(١) بحار الأنوار، ج ٢٨، ص ٢٠٦؛ وج ٥٠، ص ١٩٢.

□ ورد في القرآن الكريم أن النبي ﷺ قد رأى رؤى عدة من جملتها: رؤيا رآها قبيل معركة بدر وفيها يُري الله العدو قليلاً في أعين النبي ﷺ لثلاً يضعف المسلمون ويهنأوا<sup>(١)</sup>.

ومن جملتها الرؤيا التي رأى فيها الدخول إلى المسجد الحرام فاتحاً<sup>(٢)</sup>.

ومن جملتها الرؤيا الواردة في هذه الآية. والرؤيتان السابقتان وقعتا بعد الهجرة وفي المدينة المنورة وأما هذه الرؤيا فكانت في مكة المكرمة. نعم ذهب بعضهم إلى أنّ الرؤيا مرتبطة بقضية المعراج مع أن المعراج كان في حال اليقظة وأما الرؤيا فتحدث في حال النوم.

ومن ثم فإن تلك الرؤيا والشجرة الملعونة هما أمر واحد؛ إذ إن نتيجتهما واحدة أي كونهما فتنة للناس، إن الله تعالى أظهر لنبيه في النوم هذه الشجرة الملعونة وما تقوم به من أعمال، وقال له إن هذا سبب الفتنة في أمتك، ولكنه تعالى خفف عن نبيه ﷺ بقوله له: ﴿إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾.

□ «الشجرة» وكما تطلق على الشجرة المعروفة فإنها تطلق أيضاً على كل أصل له فروع متعددة؛ ولذا يطلق على القبيلة مثلاً «الشجرة»، وقد قال رسول الله ﷺ أيضاً: «أنا وعلي من شجرة واحدة»<sup>(٣)</sup>.

وتطلق الشجرة أيضاً على سلسلة النسب فيقال «شجرة النسب».

وبناء عليه فإن الشجرة الملعونة هي قوم لهم فروع ملعونة.

□ ورد في ذيل هذه الآية أن التخويف الإلهي لهذه الشجرة الملعونة لم يزلها إلا طغياناً كبيراً فوق طغيانها، وهذه الجملة «طغياناً كبيراً» لم ترد في القرآن إلا مرة واحدة؛ ولذا يجب البحث في القرآن على هذه الشجرة الملعونة وعن هؤلاء القوم الذين هم مسلمون في الظاهر ولكنهم منافقون في الباطن وسبب للفتنة بين الناس.

(١) سورة الأنفال: الآية ٤٣.

(٢) سورة الفتح: الآية ٢٧.

(٣) بحار الأنوار، ج ٣٨، ص ٣٠٩.

هذا وقد ورد في القرآن الكريم اللعن على موارد متعدّدة مثل: إبليس، اليهود، المنافقون، المشركون، العلماء الذين يكتمون الحق، من يؤذون النبي ﷺ. إلا أنه ومن بين هؤلاء فإن المنافقين الذين يعيشون بين المسلمين هم الذين يسببون الفتنة بينهم؛ إذ إن إبليس، وأهل الكتاب، والمشركين معروفون في الظاهر، وأما المنافقون فإنهم مسلمون ظاهراً وهم أهل الفتنة دائماً<sup>(١)</sup>.

□ ظن بعضهم أن المراد من الشجرة الملعونة هو «شجرة الزقوم» والتي تعد إحدى وسائل العذاب الإلهي، إلا أنه يوجد العديد من الوسائل التي استخدمت كوسيلة للعذاب الإلهي ولكن كونها وسيلة للعذاب لا يبرّر لعنها، لأن الله لم يعلن مثل هذه الوسائل، ومن أمثلة ذلك نهر النيل الذي أغرق فيه فرعون، أو الملائكة الذين أنزلوا العذاب على العديد من الأمم والأقوام، أو المؤمنون الذين كانوا يد الله في إنزال العذاب على الكفار وهلاكهم، ﴿فَتِلْكَ لَهُمُ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾<sup>(٢)</sup>.

□ ضمن البحث الروائي لسورة القدر ينقل العلامة الطباطبائي في تفسيره عن كبار علماء أهل السنة كالخطيب البغدادي، والترمذي، وابن جرير، والطبراني، والبيهقي، وابن مردويه، وعن علماء الشيعة كالكليني - صاحب كتاب الكافي - أن النبي ﷺ رأى في نومه أن القردة تصعد على منبره فشق عليه ذلك واغتم كثيراً ولما نزل عليه جبرائيل قصّ النبي ﷺ عليه ما رأى فصعد جبرائيل إلى السماء ولما هبط عليه مرة أخرى جاء ومعه هذه الآيات: ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَعُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وكانت هذه الرؤيا أيضاً سبباً لنزول سورة القدر؛ إذ سلّى الله نبيه بإعطائه ليلة القدر وجعلها خيراً من ألف شهر وهي مدة ملك بني أمية.

هذا وقد رويت مسألة رؤية القردة الذين يستلمون أمر الحكومة ويصعدون على منبر رسول الله ﷺ عن الإمام الباقر والإمام الصادق ﷺ<sup>(٤)</sup>، وذهب مفسّرو

(١) ورد في تفسير الميزان أكثر الآراء عمقاً ودقة حول هذه الآية مستشهداً بالروايات الشريفة.

(٢) سورة الشعراء: الآيات ٢٠٥ - ٢٠٧.

(٣) سورة التوبة: الآية ١٤.

(٤) تفسير البيان.

الشيعة والسنة إلى أن المراد من الشجرة الملعونة هم «بنو أمية»، وعن الإمام السجاد عليه السلام أنه قال: «فسر جبرائيل القردة ببني أمية»، وسأل النبي الأكرم صلى الله عليه وآله جبرائيل قائلاً له: «يا جبرائيل أعلى عهدي يكونون وفي زمني؟ فأجابه جبرائيل بأن ذلك بعد أربعين سنة تقريباً من هجرتك»<sup>(١)</sup>.

ومن بني أمية أيضاً كان ذلك الرجل الذي كان أكثرهم طغياناً والذي سبب واقعة كربلاء وهو يزيد، وهذه الفاجعة كانت أكبر طغيان على مر التاريخ.

### التعاليم:

- ١ - إن الله تعالى عبر طريق الرؤيا يلهم نبيه وغيره بعض الحقائق، ﴿أَرَيْتَكَ﴾.
- ٢ - إن كل حادثة، بما في ذلك تفسير الرؤيا، ربما تكون وسيلة لاختبار الناس، ﴿الرَّيَا...﴾.
- ٣ - إن القبائل والجماعات المسببة للانحراف شجر ملعونون، ﴿فَقِنَّةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ﴾.
- ٤ - إن تحذير الناس بما في ذلك الأقوام والفروع الملعونة يعد من السنن الإلهية، ﴿وَنُحَوِّفُهُمْ﴾.
- ٥ - لا أثر للتحذير والتخويف على القلب اللجوج المتعصب (لا يلج مسمار الحديد في الصوان)، ﴿فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طَغْيَنَا كِبِيرًا﴾.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ

قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾﴾

### إشارات:

□ أشير في القرآن الكريم مراراً إلى قضية سجود الملائكة وعصيان إبليس.

□ إن إبليس من الجن ﴿كَانَ مِنَ الْجِنَّ﴾<sup>(١)</sup>، وله جنود ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، وجيشه رجال وركبان ﴿وَأَجْلَبَ عَلَيْهِمْ بَحْلِكَ وَرَجُلِكَ﴾<sup>(٣)</sup>، وكان السبب في انحرافه وعدم سجوده هو قياسه النار على الطين ﴿خَلَقْنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾<sup>(٤)</sup>.

### التعاليم:

- ١ - السجود لغير الله، إذا كان بأمر من الله فلا مانع منه: ﴿قُلْنَا... اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾.
- ٢ - الإنسان وردة سلة الموجودات؛ إذ إن الملائكة المعصومين قد أمروا بالسجود له، ﴿اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا﴾.
- ٣ - الملائكة مسلمون لأمر الله، ﴿اسْجُدُوا... فَسَجَدُوا﴾.
- ٤ - الاعتقاد بالافضلية الموهومة أمر شيطاني؛ إذ إن الشيطان كان يظن بأفضلية نوعه، ﴿ءَاسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾.
- ٥ - الاعتراض على حكمة الله وعدله وأمره أسوأ من عدم السجود، ﴿ءَاسْجُدْ﴾.
- ٦ - إن إبليس موجود مقياس وذو اختيار، ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ... ءَاسْجُدْ﴾.
- ٧ - الاجتهاد مقابل النص ممنوع، (إبليس اجتهد في مقابل نص الله تعالى)، ﴿قُلْنَا... اسْجُدُوا... ءَاسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾.
- ٨ - سبب المعصية أحياناً ينبع من الأنا والاعتداد بالنفس، ﴿ءَاسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾.
- ٩ - إن حسد إبليس أعمى بصيرته فرأى كون آدم من طين ولم ير روحه الإلهية، ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾<sup>(٥)</sup>، ﴿ءَاسْجُدْ... طِينًا﴾.
- ١٠ - ظن إبليس أن ملاك التقويم هو العناصر المادية، ﴿طِينًا﴾.

(٤) سورة الأعراف: الآية ١٢.

(٥) سورة الحجر: الآية ٢٩.

(١) سورة الكهف: الآية ٥٠.

(٢) سورة الشعراء: الآية ٩٥.

(٣) سورة الإسراء: الآية ٦٤.



﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ  
لَأَحْتَنِكَ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿١٦﴾

### إشارات:

□ «أرأيت» بمعنى «أخبرني»، و«احتنتك» مشتقة من «حنك» و«الحنك» هو «اللجام»، يربط به عنق الحيوان فيجرّ به. و«الاحتناك» بمعنى التسلط الكامل والاستيلاء<sup>(١)</sup>.

### التعاليم:

- ١ - عبادة النفس (الأناني) تجر الإنسان إلى الطغيان في مقابل الله تعالى، ﴿هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾.
- ٢ - يُعدّ سلخ القلب عن أي جاه ومقام من أصعب الامتحانات، ﴿كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾<sup>(٢)</sup>.
- ٣ - الحسد يؤدي تدريجياً إلى الحقد والاعتداء على الآخرين، ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ... لَأَحْتَنِكَ ذُرِّيَّتَهُ﴾.
- ٤ - أحياناً يصيب الحسد والأحقاد الذرية اللاحقة أيضاً، ﴿ذُرِّيَّتَهُ﴾.
- ٥ - إن إبليس كان عارفاً بيوم القيامة ومؤمناً به أيضاً، ﴿أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾.
- ٦ - الإنسان في مقابل وساوس الشيطان حر وله حق الإرادة والاختيار، ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾.
- ٧ - بعض الناس في أمان من خطر تسلط إبليس، ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾.

(١) مفردات الراغب.

(٢) ورد في كلام العطاء: «آخر ما يخرج من رؤوس الصديقين حب الرئاسة».

﴿قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ يَبْعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا﴾ (١٣)

### التعاليم:

- ١ - استجاب الله تعالى لطلب إبليس المهلة منه، ﴿أَذْهَبَ﴾.
- ٢ - الإنسان حر في سلوك سبيل الله أو اتباع الشيطان، ﴿فَمَنْ يَبْعَكَ﴾.
- ٣ - نهاية إبليس وأتباعه في النار، ﴿جَزَاءُكُمْ جَهَنَّمَ﴾.
- ٤ - العقاب الإلهي كامل؛ فالمذنبون يذوقون جزاء ذنوبهم ويزوقون أيضاً جزاء من أضلّوهم على أكمل وجه، ﴿مَوْفُورًا﴾.

﴿وَأَسْتَفْرِزُّ مِنْ أَسْطَعَتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبَ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (١٤)

### إشارات:

- «الاستفزاز» بمعنى الاستزلال مع الخفة والسرعة والإيقاع.
- إن إبليس ومن أجل خداع الإنسان لا يرد من طريق واحد بل من طرق متعدّدة كالوعود والأمنيات، والوسوسة، والمصاحبة، والمشاركة، ومحاصرة بني الإنسان، وسوقهم ركباناً ورجالاً، وبالتالي التسلط عليهم ليصبحوا من أعوانه.
- نقرأ في الروايات: من لم يبال ما قال ولا ما قيل فيه فهو شرك شيطان، ومن لم يبال أن يراه الناس مسيئاً فهو شرك شيطان، ومن اغتاب أخاه المؤمن من غير ترة بينهما فهو شرك شيطان<sup>(١)</sup>.

وكذلك ورد أيضاً: ما كان من مال حرام فهو شرك شيطان. قال: ويكون مع الرجل حيث يجامع فيكون الولد من نطفته، ونطفة الرجل إذا كان حراماً<sup>(٢)</sup>.

(١) تفسير نور الثقلين.

(٢) بحار الأنوار، ج ١٠١، ص ١٣٦.

وكذلك ورد أن الشيطان شريك في نطفة المبغض لأهل بيت النبي ﷺ ونسله<sup>(١)</sup>.

□ إن الإنتاج والاستهلاك غير المشروع، وكذلك كنز الأموال، وإعطاء الاستثمار للشركات والمصانع الأجنبية، وكذلك الترويج لإيجاد المراكز العلمية والثقافية والفنية الاستعمارية، وإقامة المسابقات الدولية في هذا السياق، كل ذلك يعد من شرك الشيطان.

### التعاليم:

- ١ - قدرة إبليس محدودة، ﴿مَنْ أَسْطَعَتْ﴾.
- ٢ - الإعلام الفاسد له دور مؤثر في انحراف الناس، ﴿يَصَوِّتُكَ﴾.
- ٣ - الغزو الإعلامي والثقافي من قبل العدو مقدم على الغزو العسكري، فقد ورد في الآية «الصوت» قبل «الخيال»، ﴿يَصَوِّتُكَ... وَأَجْلِبَ عَلَيْهِمْ بِخَبْرِكَ﴾.
- والشيطان ابتداءً من خلال الإعلام يسلب من الإنسان الدافع التوحيدي ومن ثم يقوم بمهاجمته بالسلاح والجنود.
- ٤ - إبليس في حد نفسه باعثٌ على الضلال، ﴿وَأَسْتَفْزِرْ﴾؛ وكذلك جنوده وأعداؤه، ﴿بِخَبْرِكَ﴾.
- ٥ - أسلوب الشيطان الكمين ومن ثم الأخذ والجلب والخطف، ﴿وَأَجْلِبْ﴾.
- ٦ - مشاركة إبليس في أموال الإنسان وأبنائه يبدأ من النطفة ويستمر مع الطعام الحرام والمشتبه والزنا، ﴿وَشَارِكُهُمْ﴾.
- ٧ - ليس كل حرية واختيار لطف من الله، بل إن القدرة على المناورة أحياناً تعد نوعاً من القهر والغضب الإلهي، ﴿وَأَسْتَفْزِرْ، وَأَجْلِبْ، وَشَارِكُهُمْ، وَعِدُّهُمْ﴾.
- ٨ - نطاق نفوذ الشيطان هو أمانى الإنسان ومن ثم يقوى بالوعود الخيالية الشيطانية، ﴿وَعِدُّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾.

٩ - إن الشيطان، ومضافاً إلى الخداع الذي يقوم به، فإنه يوجه ويعلل الذنوب ويعطي وعداً كاذباً بالشفاعة ويدفع الإنسان إلى تأخير التوبة، ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾.

﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ (١٥)

### إشارات:

□ على الرغم من أن كل الناس هم عباد الله إلا أن الله تعالى، ومن باب الاحترام والتكريم، نسب بعضهم إلى نفسه ﴿عِبَادِي﴾، وكذلك الأمر في بعض الأشياء والجمادات التي نسبها إليه أيضاً، ﴿يَتَّبِعِي﴾.

□ عُرف عباد الله، في آية أخرى، بخصائص أخرى كالإيمان والتوكل وأنه لا يتسلط الشيطان عليهم: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾<sup>(١)</sup>، نعم إن الشيطان يوسوس لهم ويمسهم إلا أنهم يتذكرون فيقاومونه، ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا﴾<sup>(٢)</sup>.  
وقد ورد في الحديث الشريف أن الأذان والصلاة يطردان الشيطان<sup>(٣)</sup>.

### التعاليم:

- ١ - عباد الله الحقيقيون قلة، ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾. وقد مر معنا في الآية ٦٢ على لسان إبليس أنه قال: ﴿لَأَحْتَنِكَ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾.
- ٢ - العبودية لله تحصن الإنسان في مقابل وساوس إبليس وإعلامه وجنوده، ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾. نعم، إن المتصل بالقدرة اللامتناهية لا يمكن اختراقه أبداً.

(٢) سورة الأعراف، الآية ٢٠١.

(١) سورة النحل: الآية ٩٩.

(٣) بحار الأنوار، ج ٦٣، ص ٢٦٨، وج ٥٣، ص ١٨٢.

٣ - الإنسان حر وبإمكانه مقاومة هجوم إبليس عليه من خلال التحصن بالإيمان والعبودية، ﴿عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾.

٤ - من أصبح عبداً لله فإن الله وكيله وحافظ له ومسدده، ﴿عِبَادِي... وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾.

٥ - النبي ﷺ محفوظ بحفظ خاص من الله وبالتالي فهو مأمون من تسلط الشيطان ونفوذه، ﴿إِنَّ عِبَادِي... وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾.

﴿رَبُّكُمْ الَّذِي يُزِيحُ لَكُمْ الْفَلَكَ فِي الْبَحْرِ لِيَتَنَفَّسُوا مِنْ فَضْلِهِ  
إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾﴾

#### إشارات:

□ للطرق البحرية، من حيث كلفتها الرخيصة ودوامها وعموميتها، دور مؤثر في نقل البضائع والناس وانتقالهما، وبالتالي فإن بركات الملاحة البحرية في حمل المسافرين والأمتعة والصيد البحري ونقلهم جمّة. كذلك فإن للبحار سهماً كبيراً في إنتاج الأوكسجين والبخار، وتَشكُلُ الغيوم والأمطار، وتربية الأسماك، وتوفير الغذاء. وعجائب البحار كثيرة سواء من حيث الجمادات، أم النباتات، أم الحيوانات، ونقرأ في دعاء الجوشن: «يَا مَنْ فِي الْبَحَارِ عَجَائِبُهُ»<sup>(١)</sup>.

#### التعاليم:

١ - تأمين الحاجات المادية للإنسان يعد من دلائل قدرة الله على كفاية الإنسان، ﴿...وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا رَبُّكُمْ الَّذِي﴾.

٢ - الإمكانات والفضل بيد الله، وأما نحن فعلينا السعي والعمل لتحصيلها، ﴿يُزِيحُ... لِيَتَنَفَّسُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾.

٣ - كل ما نحصل عليه من نعم البحر إنما هو بفضل الله، ﴿وَمِنْ فَضْلِهِ﴾.

٤ - ربوبية الله مصاحبة لرحمته الدائمة، ﴿رَبُّكُمْ﴾.

﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهًا فَلَمَّا بَلَغْتُمْ آلَ الْبَرِّ ااعْرَضْتُمْ  
وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾

### إشارات:

□ إحدى الدلائل الفطرية على التوحيد مفادها أن الإنسان في حالة العجز، واليأس، وعدم الأمل بكل الوسائل المادية يتوجه إلى قوة غيبية يأمل بها نجاته.

□ قَالَ رَجُلٌ لِلصَّادِقِ (عليه السلام) يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ دُلَّنِي عَلَى اللَّهِ مَا هُوَ فَقَدْ أَكْثَرَ عَلَيَّ الْمُجَادِلُونَ وَخَيَّرُونِي. فَقَالَ لَهُ: «يَا عَبْدَ اللَّهِ هَلْ رَكِبْتَ سَفِينَةً قَطُّ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَهَلْ كُسِرَ بِكَ حَيْثُ لَا سَفِينَةٌ تُنْجِيكَ وَلَا سَبَاحَةٌ تُغْنِيكَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَهَلْ تَعَلَّقَ قَلْبُكَ هُنَالِكَ أَنَّ شَيْئًا مِنَ الْأَشْيَاءِ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُخَلِّصَكَ مِنْ وَرَظْنِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ الصَّادِقُ (عليه السلام) فَذَلِكَ الشَّيْءُ هُوَ اللَّهُ الْقَادِرُ عَلَى الْإِنِّجَاءِ حَيْثُ لَا مُنْجِيٍّ وَعَلَى الْإِغَاثَةِ حَيْثُ لَا مُغِيثَ» (١) ..

### التعاليم:

- ١ - الإيمان والتوبة الموسمية والموضعية (الدوقية) لا قيمة لها، ﴿مَسَّكُمُ الضُّرُّ...﴾.
- ٢ - في مستنقع الخطر يصبح الإنسان موحداً عابداً لله، ﴿إِلَّا إِلَٰهًا﴾؛ ويتضح له عجز الأسباب الظاهرية والتمسك بالظن، ﴿ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ﴾.
- ٣ - الابتعاد عن الوسائل المادية سبب هام لدرك الحقائق بنحو أفضل، ﴿مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهًا﴾.
- ٤ - كل معبود سوى الله فاني وهالك، ﴿ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهًا﴾.
- ٥ - الدعاء الخالص لله مستجاب، ﴿إِلَّا إِلَٰهًا فَلَمَّا بَلَغْتُمْ آلَ الْبَرِّ ااعْرَضْتُمْ﴾.
- ٧ - الراحة والدعة سبب للغفلة، ﴿بَلَغْتُمْ آلَ الْبَرِّ ااعْرَضْتُمْ﴾.
- ٧ - متاع الدنيا خداع لقلب الإنسان إلى حد أنه، وبعد ساعات فقط من نجاته من الهلاك، ينسى كل شيء، ﴿فَلَمَّا بَلَغْتُمْ آلَ الْبَرِّ ااعْرَضْتُمْ﴾.
- ٨ - نسيان الله بعد النجاة من أوضح مظاهر الكفر، ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾.

﴿أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْصِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ

وَكِيلًا﴾

**إشارات:**

□ هلاك الأمم السابقة كان على أنحاء عدّة: فبعض من هؤلاء المتجاوزين والمعتدين ضيق الله بهم الأرض، وبعض أغرق في البحر، ومنهم من رجم بالحجارة والصواعق السماوية فدمروا تدميراً. وبناء عليه فإن يد الله قادرة على إهلاك الكافرين؛ ولذا إذا قمنا اليوم بنجاتكم وإيصالكم إلى الساحل سالمين فلا تظنوا أنه لا سبيل إلى تحذيركم وتأديبكم، وأنه لن ينزل العذاب مجدداً بكم.

**التعاليم:**

١ - علينا أن لا نغتر بالنعم الإلهية، ﴿تَجَدَّكُوا... أَفَأَمِنْتُمْ﴾. فالنجاة من حادثة ما لا يدل على النجاة الأبدي؛ إذ ربما في وقت ما أو مكان ما نتعرض لمصيبة أخرى.

٢ - الإحساس بالأمن من العقوبة يبعث على الغفلة والتعدي، ﴿أَفَأَمِنْتُمْ﴾.

٣ - الإنسان في كل زمان وفي كل مكان تحت ظل قدرة الله؛ لذا لا فرق بين البر والبحر عند حلول قهر الله وعذابه، ﴿يَخْصِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ﴾.

٤ - أمام قهر الله وغضبه لا يمكن الاستناد إلى أي قوة وقدرة، ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا﴾.

﴿أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ نَارَ أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيَغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ

لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ نَبِيْعًا﴾

**إشارات:**

□ «حاصب» يطلق على الريح المهلكة في البر وأما «قاصف» فتطلق على الريح المهلكة في البحر.

□ «تبيع» مشتقة من «تبع» والمراد منها هنا من يتبع إهلاككم للمطالبة بدمائكم وأخذ ثأركم.

### التعاليم:

- ١ - ينبغي علينا ألا نغتر بالسكون المؤقت فالخطر دائماً يكمن لنا، ﴿أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى﴾؛ ومع النجاة من الهلكة فإن الخطر لن يرتفع أبداً.
- ٢ - عقوبة عدم شكر بعض النعم تعجل في هذه الدنيا، ﴿فَيُغْرِقْكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ﴾.
- ٣ - الغفلة عن الله بعد النجاة من الهلكة من مصاديق الكفر والكفران، ﴿بِمَا كَفَرْتُمْ﴾.
- ٤ - من أسباب هلاك الإنسان وسوء عاقبته ميله إلى الكفر وذلك بما كسبت يده، ﴿فَيُغْرِقْكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ﴾.
- ٥ - لا يمكن لأي قوة وقدرة أن تقف في وجه الله كذلك فإن الله تعالى غير مسؤول تجاه أحد، ﴿لَا يَحْذَرُ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾.

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَجَعَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَفَعْنَاهُمْ مِنْ الطِّيبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (٧٠)

### إشارات:

□ التكریم تارة يكون تكريماً معنوياً واكتسابياً ومن عند الله تعالى كالتكریم الخاص بأهل التقوى، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَى﴾<sup>(١)</sup>. وتارة يكون في الخلق نظير قوله تعالى: ﴿أَحْسَنُ تَقْوِيرٍ﴾<sup>(٢)</sup> الوارد في مورد خلق الإنسان. والمراد احتمالاً من «كرمنا» في هذه الآية هو الوجه الثاني.

ومن ثم فإن تكریم الإنسان مضافاً، إلى أصل الخلقة والنطفة والإدراك والعقل، كذلك فإنه من ناحية تخصيصه بقوانين السماء، ووجود القادة المعصومين، وكونه مسجود الملائكة.



□ الإنسان أفضل من الملاك لما يأتي:

أ - فقد سجدت الملائكة للإنسان.

ب - الملاك ذو عقل محض ولا شهوة له ومن هذه الناحية فإن كماله ليس في مستوى كمال الإنسان وقيمته، وبناء عليه فإن كل من غلب عقله شهوته فهو أفضل من الملائكة.

ج - في ليلة المعراج قال جبرائيل ﷺ للنبي ﷺ: تقدم يا محمد ﷺ لأقتدي بك، إن الله تبارك وتعالى فضلك علينا<sup>(١)</sup>.

□ مع أن الله تعالى قد فضل البشر على كل الموجودات بما في ذلك الملائكة أيضاً: ﴿...وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا﴾، إلا أن سوء اختيار الإنسان وعمله الطالح يهوي به إلى أسفل الدرجات: ﴿أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾<sup>(٢)</sup> ويصبح كالحيوانات بل وأدنى من ذلك: ﴿كَمَثَلِ الْإِنْعَامِ﴾<sup>(٣)</sup>، ﴿كَمَثَلِ الْكَلْبِ﴾<sup>(٤)</sup>، ﴿كَالْآفَقِرِ﴾<sup>(٥)</sup>، ﴿كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ﴾<sup>(٦)</sup>.

□ ذكر في الآية الشريفة التكريم للإنسان وكذلك التفضيل ﴿كَرَّمْنَا... فَضَّلْنَا﴾، وربما يكون التفاوت بينهما بما يلي:

أ - التكريم هو امتياز لا يوجد في غيره، أما التفضيل فهو امتياز يشاركه فيه الآخرون.

ب - التكريم إشارة إلى النعم الإلهية في وجود الإنسان والتي تحصل دون سعي واكتساب، أما التفضيل فهو إشارة إلى النعم الإلهية التي ينالها الإنسان من خلال سعيه بتوفيق من الله تعالى.

ج - التكريم يرتبط بالنعم المادية وأما التفضيل فيرتبط بالنعم المعنوية.

□ يعد السفر من لوازم الحياة البشرية والغرض منه رفع الحاجات واكتساب

(٤) سورة الأعراف: الآية ١٧٦.

(٥) سورة الأعراف: الآية ١٧٩.

(٦) سورة البقرة: الآية ٧٤.

(١) تفسير نور الثقلين.

(٢) سورة التين: الآية ٥.

(٣) سورة الجمعة: الآية ٥.

التجارب، وقد هيا الله أسبابه في البر والبحر، وجعلها في خدمة الإنسان والبشر، وعد ذلك من نعمه عليهم.

□ ذكر بعض المفسرين أن قوله تعالى في ما يرتبط بـ«الحمل في البر والبحر» فيه إشارة إلى تسخير تمام القوى البرية والبحرية وجعلها تحت يد الإنسان، ولا يراد منه فقط الحمل في السفينة وركوب الحمار وأمثال ذلك.

□ «الطيبات» على أقسام: الحياة الطيبة، الذرية الطيبة والرزق الطيب. وعن الإمام الباقر عليه السلام أن: «الرزق الطيب هو العلم النافع»<sup>(١)</sup>.

### التعاليم:

١ - إن توجه الإنسان والتفاتة إلى مقامه وكرامته يعد سبباً للشكر والابتعاد عن الكفر، ﴿يَمَّا كَفَرْتُمْ... وَلَقَدْ كَرَّمْنَا﴾.

٢ - لم يكرم آدم فحسب، بل إن نسل الإنسان مكرم ومفضل على غيره، ﴿كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾.

٣ - إن تفاوت الإنسان عن بقية المخلوقات وتفضيله عليها كبير جداً، ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا... وَفَضَّلْنَاهُمْ... تَفْضِيلًا﴾.

٤ - مجالات رشد الإنسان وكماله إنما هي من قبل الله تعالى، ﴿كَرَّمْنَا، حَمَلْنَا، وَرَفَقْنَاهُمْ، فَضَّلْنَا، خَلَقْنَا﴾.

﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أَنَاسٍ بِإِمْئَاتٍ مِّنْ أَوْقٍ كِتَابُهُ يَمِينُهُ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ (٧١)

### إشارات:

□ «الفتيل» هو الشعرة الدقيقة في شق نواة التمر، وهو كناية عن الشيء الصغير جداً والقليل والحقير.

□ ذكر القرآن الكريم نوعين من الأئمة: أحدهما: إمام النور والهداية: ﴿أَيُّمَّةٌ يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾<sup>(١)</sup>، والآخر هو إمام النار والضلالة: ﴿أَيُّمَّةٌ يَكْذِبُونَ إِلَى النَّكَارِ﴾<sup>(٢)</sup>، وهذا القسم الثاني يدعو الناس إلى إطاعته واتباعه بالقوة والتهديد والتطميع والتحقير.

□ روي أن أبا بصير قال للإمام الصادق عليه السلام: «أشهد أنك إمامي، فقال: أما أنه سيدعى كل أناس بإمامهم، أصحاب الشمس بالشمس، وأصحاب القمر بالقمر، وأصحاب النار بالنار، وأصحاب الحجارة بالحجارة»<sup>(٣)</sup>.

### التعاليم:

- ١ - علينا ألا ننسى الآخرة والقيامة، ﴿يَوْمَ نَدْعُوا﴾.
- ٢ - إن تقسيم الناس يوم القيامة سيكون على أساس قادتهم وأئمتهم، ﴿كُلُّ أَتَّاسٍ بِأَمِيرِهِ﴾.
- ٣ - لا مفر للإنسان من اختيار أسوته وإمامه، ﴿كُلُّ أَتَّاسٍ بِأَمِيرِهِ﴾.
- ٤ - على المسلم ألا يتعد عن مسألة الإمامة أو يقلل من أهميتها، ﴿نَدْعُوا كُلُّ أَتَّاسٍ بِأَمِيرِهِ﴾؛ لأنه في يوم القيامة سيحشر مع أئمة.
- ٥ - إن آثار مسألة اختيار الإمام وإطاعته دائمة إلى يوم القيامة، ﴿نَدْعُوا كُلُّ أَتَّاسٍ بِأَمِيرِهِ﴾.
- ٦ - القيامة ليست مجرد محكمة للأفراد فقط، بل هي محكمة كبيرة أيضاً لكل الأمم، والأقوام، والأحزاب، والمذاهب، والحكومات، ﴿نَدْعُوا كُلُّ أَتَّاسٍ بِأَمِيرِهِ﴾.
- ٧ - الإمامة والولاية هما من صميم الحياة وواقعها وليستا مجرد موضوع عقدي نظري وعلى هامش الحياة، كذلك فإن الإمام والقائد هو الذي يهبي أسباب سعادة الناس أو شقتها، ﴿كُلُّ أَتَّاسٍ بِأَمِيرِهِ﴾.

(٣) تفسير نور الثقلين.

(١) سورة الأنبياء: الآية ٧٣.

(٢) سورة القصص: الآية ٤١.

- ٨ - في يوم القيامة يُسر الصالحون بقراءة كتب أعمالهم، ﴿يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ﴾. وينادي بعضهم بعضاً: هلموا اقرأوا كتبنا، ﴿هَآؤُمْ أَقْرَأُوا كِتَابَكُمْ﴾<sup>(١)</sup>.
- ٩ - يأخذ الإنسان نتيجة أعماله في صورة مكتوبة، ﴿كِتَابُهُ﴾.
- ١٠ - يُحاكم بني الإنسان في يوم القيامة استناداً إلى الوثائق والمستندات المكتوبة، ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾.
- ١١ - الجزاء والعقاب في يوم القيامة عادلان تماماً، ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾.
- ﴿وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (٧٢)

### إشارات:

- في يوم القيامة، ومضافاً إلى بعض المشاهد التي يختم فيها على أفواه الناس ويصبحون كالبحم لا يتكلمون، فإن بعض الناس يحشرون عمياً، والعمى هناك نابع من عمى قلوبهم في الدنيا.
- ورد في الروايات الشريفة أن من وجب عليه الحج فلم يحج ومن قرأ القرآن ولم يعمل به فإنه يحشر يوم القيامة أعمى<sup>(٢)</sup>.
- عمى القلب أسوأ من عمى البصر كما ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «شَرُّ الْعَمَىٰ عَمَى الْقَلْبِ»<sup>(٣)</sup>. وكذلك قال أيضاً: «أشدُّ العمى من عُمي عن فضلنا»<sup>(٤)</sup>.
- وردت آيات أخرى في القرآن الكريم تتحدث عن العمى في يوم القيامة منها قوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا﴾. كذلك ورد في الآية (١٢٥) من سورة طه أن الإنسان إنما يحشر أعمى في يوم القيامة بسبب عمى قلبه في الدنيا وإعراضه عن ذكر الله ونسيانه لآياته تعالى.
- سؤال: ورد في الآيات الشريفة أنه يقال للمذنب يوم القيامة اقرأ كتابك، أي صحيفة أعمالك ﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ﴾، وبناء عليه كيف يمكن الجمع بين هذه الآيات

(٣) من لا يحضره الفقيه، ج ٤، ص ٤٠٣.

(١) سورة الحاقة: الآية ١٩.

(٤) تفسير كنز الدقائق.

(٢) تفسير كنز الدقائق.

والآيات التي تتحدث عن حشره أعمى يوم القيامة.

الجواب: العمى إنما يكون في إحدى مواقف يوم القيامة وفي مواقف أخرى يكون الإنسان بصيراً يرى ويبصر الحقائق التي لم يبصرها في الدنيا.

□ عن الإمام الباقر (عليه السلام): «فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (٧٣) قَالَ: مَنْ لَمْ يَدُلَّهُ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَدَوْرَانُ الْفَلَكَ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالْآيَاتُ الْعَجِيْبَاتُ عَلَى أَنْ وَرَاءَ ذَلِكَ أَمْرًا أَعْظَمَ مِنْهُ؛ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَ أَضَلُّ سَبِيلًا. قَالَ فَهُوَ عَمًا لَمْ يُعَايِنْ أَعْمَى وَأَضَلُّ»<sup>(١)</sup>.

### التعاليم:

١ - الشخصية الأخروية للإنسان صدى لشخصيته الدنيوية، ﴿فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى﴾. والبصيرة ها هنا تستبج البصيرة هناك، وعمى القلب ها هنا يستبج العمى هناك.

﴿وَأَنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوتِيتَ إِلَيْكَ لَيَفْتِنَ عَلَيْنَا غِيْرَةً  
وَإِذَا لَاتَخَذُوكَ خَلِيْلًا﴾ (٧٣)

### إشارات:

□ نقرأ في الروايات أن المشركين طلبوا من النبي الأكرم (ص) أن يحترم أصنامهم أو أن يعطيهم المهلة لسنة واحدة ويقرهم على عبادة الأصنام، وكاد النبي (ص) أن يقبل بذلك إلا أن الله تعالى حفظه!! إلا أن هذه الروايات مردودة ولا تتلاءم مع أصل عصمة النبي (ص) وثباته، كما ورد في آيات أخرى من القرآن وسيرة الرسول (ص)<sup>(٢)</sup>.

□ قال صاحب تفسير «أطيب البيان»: إن التعبير في الآية بقوله ﴿عَنِ الَّذِي

أَوْحِيْنَا ﴿ وليس «عما أوحينا» يشير إلى سعي الكفار إلى صرف نظر النبي ﷺ وعنايته الخاصة بشخص ما وليس عن مطالب الوحي، إلا أنه من هو هذا الشخص الذي أنزل الله تعالى الوصية فيه؟

ونقل حديثاً عن الإمام الباقر والإمام الكاظم ﷺ حول ولاية الإمام علي عليه السلام؛ إذ أخبر الله تعالى نبيه عبر الوحي وأوصاه ببعض التوصيات، ولثلا يلتفت النبي ﷺ إلى حسد الناس وعدم قبولهم وعدم عملهم لذلك أنزل الله تعالى هذه الآية، وبالتالي لم تثمر جهود الكفار في عدول النبي ﷺ عن مواقفه وتغييرها.

وحتماً فإن هذا الكلام، وبالالتفات إلى كلمة «الذي» وكذلك الحديث المذكور، يمكن قبوله شرط أن يكون المراد التعريف بالإمام علي عليه السلام في مكة لأن السورة مكية.

#### التعاليم:

١ - للكفار أيضاً مخططاتهم وبرامجهم لأجل جذب الأنبياء والقادة، ﴿كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ﴾.

٢ - يجب على القادة الدينيين أن يكونوا واعين لمؤامرات الأعداء التي تسعى إلى إضعافهم ووهنهم وتغيير مواقفهم المذهبية والدينية، ﴿كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ﴾.

٣ - إذ كان ثمن الصداقة والارتباط بالأفراد والدول الغرض عن الدين والمقدسات فلا قيمة لها حينئذٍ، ﴿وَإِذَا لَاتَخَذُوكَ خَلِيلاً﴾.

٤ - ما لم يرفع المسلمون يدهم عن دينهم ومقدساتهم فإن الكفار والأعداء لن يكونوا أصدقاء واقعيين لهم، فالعدو لا يرضى بأقل من ذلك، فهو يريد منكم أن تنفصلوا عن مذهبكم ودينكم، ﴿وَإِذَا لَاتَخَذُوكَ خَلِيلاً﴾.

﴿وَلَوْلَا أَنْ تُبَيِّنَنَّكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ (٧٤)

#### إشارات:

□ لا تتعارض هذه الآية مع عصمة النبي ﷺ بأي وجه إذ إن قولنا «كدت أن

تذنب» لا يعني «أنك أذنبت»، ومضافاً إلى ذلك، فإن قوله «لولا أن ثبتناك» فيه حالة شرطية ومعناها لولا أن حميناك لربما ملت إليهم؛ ولكن مع تحفيزنا وحمايتنا لك لم يحصل ميلك إليهم.

كذلك وفي موارد أخرى لم يرد الشرط بمعنى القيام القطعي بمضمونه نظير ما ورد في هذه الآية: ﴿وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ... لَقَطَعْنَا يَمِينَهُ الْوَيْتِينَ﴾<sup>(١)</sup>، وكذلك الحال في قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾<sup>(٢)</sup> أي أنه لم يتقوّل ولم يشرك، وبالتالي التعبير المشروط لا يدل على القيام بمثل هذه الأعمال.

وقد ورد عن الإمام الرضا عليه السلام قوله إن هذه الآية من باب «إياك أعني واسمعي يا جاره»<sup>(٣)</sup>، وفي الواقع فإن الخطاب في الآية هو للمسلمين وليس لشخص النبي ﷺ.

### التعاليم:

- ١ - لولا وجود اللطف الإلهي والحفظ من الله فلا ضمان لثبات الأنبياء عليهم السلام وعصمتهم أيضاً، ﴿وَلَوْلَا أَنْ تُبَيِّنَّاكَ﴾.
- ٢ - الثبات وعدم التضعف والوهن أمام الكفار والأعداء يعد من خصائص الأنبياء عليهم السلام، ﴿تُبَيِّنَّاكَ﴾.
- ٣ - إن الله تعالى يثبت الأنبياء المعصومين عليهم السلام، ﴿تُبَيِّنَّاكَ﴾.
- ٤ - التراجع عن المسائل العقدية وأصول الدين والمذهب، والتمايل والركون إلى الظالمين يعد من جملة الأخطار التي ربما تواجه القادة الدينيين، ﴿وَلَوْلَا أَنْ تُبَيِّنَّاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ﴾.
- ٥ - الانحراف حتى ولو كان قليلاً جداً فإنه إذا ما صدر من شخص مثل النبي ﷺ يكون كبيراً جداً، ﴿شَيْئًا قَلِيلًا﴾.

(٣) تفسير نور الثقلين.

(١) سورة الحاقة: الآيات ٤٤ - ٤٦.

(٢) سورة الزمر: الآية ٦٥.

٦ - إن أقل تقهقر وتراجع عن الأصول والقيم ممنوع بتاتا؛ لأن ذلك سيعد إنجازاً للأعداء ونصراً لهم، ﴿شَيْئًا قَلِيلًا﴾.

﴿إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ (٧٥)

إشارات:

□ بعد نزول هذه الآية كان رسول الله ﷺ يكرر هذا الدعاء: «اللهم لا تكنني إلى نفسي طرفة عين»<sup>(١)</sup>.

التعاليم:

- ١ - الله تعالى، مضافاً إلى لطفه، فإنه يغضب أيضاً ﴿نَبِّئَنَّكَ، لَأَذَقْنَاكَ﴾.
- ٢ - الركون إلى الكافرين (بمعنى الميل إليهم والاعتماد عليهم) هو من الذنوب الكبيرة؛ إذ ورد الوعيد بالعذاب في موره، ﴿تَرْكُنْ إِلَيْهِمْ... لَأَذَقْنَاكَ﴾.
- ٣ - عقاب أقل زلل من القادة يضاعف مرتين بالنسبة إلى الآخرين، وكلما كبر مقام الإنسان العلمي ومكانته الاجتماعية والمعنوية سيكبر بالتالي حجم المسؤولية والأخطار التي ستواجهه، ﴿شَيْئًا قَلِيلًا... ضِعْفَ الْحَيَاةِ﴾.
- ٤ - لو سُئِنَ في القوانين الجزائية عقاب مضاعف على جرائم المسؤولين فلن يكون ذلك خلاف العدل والعدالة، ﴿لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ﴾.
- ٥ - أمام غضب الله لن يكون حتى لمثل النبي ﷺ أن يتوسل بأي قدرة وسلطة تمنع غضبه، ﴿لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾.
- ٦ - الركون إلى الكفار يسبب عزلة الإنسان وحرمانه من نصرة الله، ﴿تَرْكُنْ إِلَيْهِمْ... لَا تَجِدُ... نَصِيرًا﴾.



﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا  
وَإِذَا لَا يَلْبِثُونَ خِلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿٧٦﴾

إشارات:

□ تشير هذه الآية إلى الآية (٣٠) من سورة الأنفال إذ يقول تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾.

التعاليم:

١ - كان النبي ﷺ معرضاً للأخطار والدسائس والاغتيال والإبعاد والتهجير، ﴿كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ﴾.

٢ - كان هدف أعداء الدين قمع الدين وقلعه من أساسه وأصله، وفي هذا السبيل لم يرحموا أحداً حتى النبي الأكرم ﷺ، ﴿لَيَسْتَفِزُّوكَ﴾.

٣ - يسعى الكفار في المرحلة الأولى من مؤامرتهم إلى إيجاد الوهن والتزلزل في فكر القائد وعقيدته، ﴿لَيَفْتِنُوكَ عَنِ الَّذِي...﴾. وفي المرحلة اللاحقة يسعون إلى التشدد في المواجهة عملياً، والعمل على الإبعاد والإخراج والنفي ﴿لِيُخْرِجُوكَ﴾.

٤ - إن حضور النبي ﷺ بين الناس كان مانعاً من نزول العذاب الإلهي عليهم، ولذا لو أن رسول الله قد أخرج وأبعد عنهم فإنهم سيهلكون عما قريب، ﴿لَا يَلْبِثُونَ خِلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

٥ - القرآن الكريم، ومضافاً إلى إخباره بالغيب، فإنه، ومن خلال بيان فشل مؤامرة الأعداء، يقوم بتسليية النبي الأكرم ﷺ، ﴿كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ... لَا يَلْبِثُونَ خِلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

﴿سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ ﴿٧٧﴾

إشارات:

□ الدفاع عن الأنبياء ونصرتهم وكذلك إهلاك الكافرين والظالمين من السنن

الإلهية. ويشهد لهذا ما ورد في الآية ١٣ من سورة إبراهيم: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾.

### التعاليم:

- ١ - لما كانت السنن الإلهية على أساس حكمة الله تعالى فإنها تنصف بالثبات والدوام ولا تتغير على مر التاريخ، ﴿سُنَّةٌ مَّن قَدْ أَرْسَلْنَا﴾.
- ٢ - تأمر الكافرين والمدد الغيبي من الله للأنبياء ﷺ لهما سابقة في التاريخ، ﴿سُنَّةٌ مَّن قَدْ أَرْسَلْنَا﴾.
- ٣ - التحولات التاريخية تقوم على أساس السنن الإلهية الثابتة، ﴿وَلَا يَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾.
- ٤ - الله تعالى عادلٌ ولذا يقسم رحمته وغضبه بالعدل في الحالات المتشابهة، ﴿وَلَا يَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾.

﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ  
إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ (٧٨)

### إشارات:

- «دلوك» دلوك الشمس زوالها أي توسطها في وسط السماء وميلها نحو الغروب، وعندئذ يحل وقت صلاة الظهر والعصر، و«غسق الليل» هو حلول وقت صلاة المغرب والعشاء بحلول الظلام، و«الفجر» وقت صلاة الصبح<sup>(١)</sup>.
- عن الإمام الصادق عليه السلام: «إن أول صلاة افترضها الله على نبيه ﷺ الظهر وهو قول الله ﷻ» وتلا الآية<sup>(٢)</sup>.

وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: «إذا صلى العبد الصبح مع طلوع الفجر أثبت له مرتين، أثبتها ملائكة الليل وملائكة النهار»<sup>(١)</sup>.  
وقد احتمل السيد الطباطبائي هذا المعنى في وصف صلاة الصبح وقال أنه هو المشهورة<sup>(٢)</sup>.

### التعاليم:

- ١ - المعيار في معرفة الوقت في الإسلام أمر طبيعي وقابل للفهم والإدراك عند كل أحد، وفي كل مكان، وبشكل دائم، ﴿لِذُلُوكِ السَّنِيسِ، غَسَقِ اللَّيْلِ، الْفَجْرِ﴾.
- ٢ - الشعائر الدينية في الغالب مبرمجة زمانياً، ﴿لِذُلُوكِ السَّنِيسِ إِنْ غَسَقِ اللَّيْلِ﴾.
- ٣ - الصلاة هي العبادة الوحيدة التي وصفت باسم «القرآن»، ﴿قُرْآنَ الْفَجْرِ﴾.
- ٤ - القرآن الكريم وتلاوته في الصلاة هو المحور الأساس، ﴿قُرْآنَ الْفَجْرِ﴾<sup>(٣)</sup>.
- ٥ - من بين كل الصلوات فإن لصلاة الصبح مكانة خاصة، ﴿إِنْ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾.

﴿وَمِنْ أَيْلٍ فَتَهَجَّدْ بِهِ، نَافِلَةً لَكَ غَسَقَ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾

### إشارات:

- «التهجد» بمعنى النوم و«التهجد» التيقظ من النوم للعبادة.
- صلاة الليل من الصلوات التي لها فضل عظيم وقد وردت في سورتي المدثر والمزمل: ﴿قُرْ أَيْلٍ إِلَّا قَلِيلًا﴾، وقد ورد في الروايات الشريفة أكثر من ثلاثين فضيلة لصلاة الليل، وسنشير هنا إلى بعض هذه الفضائل:
- كل الأنبياء عليهم السلام كانوا يصلون صلاة الليل.
- صلاة الليل سلامة للبدن وضياء في القبر.

(٢) تفسير الميزان.

(١) الكافي، ج ٣، ص ٢٨٣.

(٣) عن النبي صلى الله عليه وآله: «لا صلاة إلا بقرآن» (كنز العمال، ح ١٩٦٩٨).

- صلاة الليل تؤثر في الرزق والأخلاق. وترفع الهم والغم وتساعد في أداء الدَّيْن وتَنَوِّرُ البصر<sup>(١)</sup>.

- صلاة الليل تمحو ذنوب النهار، ونور في القيامة<sup>(٢)</sup>.

- عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «ما من حسنة إلا ولها ثواب مبين في القرآن إلا صلاة الليل فإن الله عز اسمه لم يبين ثوابها لعظم خطرها قال: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾»<sup>(٣)(٤)</sup>.

- عن الإمام الصادق عليه السلام: «تشرف المؤمن صلاته بالليل، وعزه كف الأذى عن الناس».

- وقف أبو ذر (رحمه الله) عند حلقة باب الكعبة فوعظ الناس ثم قال: وصل ركعتين في سواد الليل لوحشة القبر.

- المغبون من حرم قيام الليل.

- خيركم من أطعم الطعام، وأفشى السلام، وصلى والناس نيام.

□ صلاة الليل واجبة على النبي الأكرم عليه السلام ومستحبة لسائر الناس<sup>(٥)</sup>.

□ كلمة «مقاماً» تستبطن العظمة (لوجود التنوين فيها) وورد في الروايات أن «المقام المحمود» هو الشفاعة<sup>(٦)</sup>.

□ عن الإمام علي عليه السلام أنه قال لرجل قال له: إني حرمت صلاة الليل قال: «أنت رجل قيدتك ذنوبك»<sup>(٧)</sup>.

□ أقسم الله تعالى بتمام أقسام الزمان فقال: ﴿وَالْفَجْرِ﴾<sup>(٨)</sup>، ﴿وَالصُّبْحِ﴾<sup>(٩)</sup>، ﴿وَاللَّيْلِ﴾<sup>(١٠)</sup>، ﴿وَالْعَصْرِ﴾؛ إلا أنه أقسم بالليل ثلاث مرات فقط، فقال: ﴿وَاللَّيْلِ﴾

(٦) تفسير نور الثقلين.

(١) سفينة البحار.

(٧) بحار الأنوار، ج ٨٧، ص ١٤٥.

(٢) بحار الأنوار، ج ٨٤، ص ١٤٠.

(٨) سورة الفجر: الآية ١.

(٣) سورة السجدة: الآية ١٧.

(٩) سورة المدثر: الآية ٣٤.

(٤) تفسير مجمع البيان.

(١٠) سورة الشمس: الآية ٣.

(٥) تفسير الفرقان.

إِنَّا بَسَرْنَا<sup>(١)</sup>، ﴿وَاللَّيْلَ إِنَّا عَمَسْنَا<sup>(٢)</sup>﴾، ﴿وَاللَّيْلَ إِذْ أَذْبَرْنَا<sup>(٣)</sup>﴾.

وذكر تعالى آيتين حول الاستغفار في السحر فقال: ﴿وَيَا لَأَسْحَارٍ مِّمَّ يَسْتَغْفِرُونَ<sup>(٤)</sup>﴾ ﴿وَاللُّسْتَفْرُونَ بِالْأَسْحَارِ<sup>(٥)</sup>﴾.

### التعاليم:

- ١ - كانت صلاة الليل واجبة على النبي محمد ﷺ، ﴿فَتَهَجَّدَ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ﴾. نعم إن مقام القيادة يستلزم تكاليف عظيمة وثقيلة.
- ٢ - جوف الليل أفضل زمان للعبادة، ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ﴾.
- ٣ - المقامات المعنوية المرضية والمحمودة تتحصل في ظل العبادة والعبودية، ﴿فَتَهَجَّدْ... مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾.
- ٤ - إننا بعبادتنا التي نقوم بها لا نستوجب حقاً على الله حتى نطلبه وجُلّ ما نستحق طلبه هو: الرجاء وفضل الله، ﴿عَسَىٰ﴾.
- ٥ - صلاة الليل وحدها لا تكفي، بل لا بد من وجود كمالات أخرى، ﴿عَسَىٰ﴾.
- ٦ - ما لم يخط الإنسان نفسه نحو الكمال فإن الله لن يوصله إلى أي مقام، ﴿فَتَهَجَّدْ... يَبْعَثُكَ رَبُّكَ﴾.
- ٧ - المقام المحمود والمرضي ما كان مرضياً عند الله تعالى، وإلا فإن الشهرة الكاذبة والفارغة لا قيمة لها وهي زائلة، نعم يرتفع الدخان في الهواء ولكن الوجوه تبقى سوداء، ﴿يَبْعَثُكَ رَبُّكَ﴾.
- ٨ - الله تعالى هو الذي ارتضى الشفاعة وأعطاها لأوليائه لا أن أولياء الله أرحم بعباد الله من الله تعالى نفسه، ﴿يَبْعَثُكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾.

(٤) سورة الذاريات: الآية ١٨.

(٥) سورة آل عمران: الآية ١٧.

(١) سورة الفجر: الآية ٤.

(٢) سورة التكويد: الآية ١٧.

(٣) سورة المدثر: الآية ٣٣.

﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾ (٨٠)

### إشارات:

□ الصدق أفضل وصف وحال للعمل أو للشخص من حين الشروع في العمل وأثناء القيام به حتى الانتهاء منه، فكيف ببعض الأعمال التي يشرع بها على غير وجه الصدق بل يقصد الرياء، والسمعة، والخداع، وكسب الشهرة، وأمثال هذه الأمور. أو قد يشرع بالعمل على نحو الصدق إلا أن خاتمته تختلط بالغرور، والعجب، والمنة. إن مثل هذه الأعمال تحبط وتختتم سوء العاقبة وتزول بركاتها، بل إن السر في انكسار الكثير من الحركات والأفراد يكمن في عدم تحليلهم بالصدق وانقطاع المدد الإلهي عنهم.

□ عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «إذا دخلت مدخلاً تخافه فاقرا هذه الآية: ﴿رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ...﴾، فإذا عاينت الذي تخافه فاقرا آية الكرسي»<sup>(١)</sup>.

□ يصل الإنسان إلى مقام يصبح فيه من «الصدّيقين»؛ يقول ما يفعل، ويفعل ما يقول، ولا يقول ولا يفعل إلا ما يراه ويعتقد به<sup>(٢)</sup>..

□ «سلطاناً نصيراً» من مصاديقه مثلاً الخليفة المناسب واللائق بالمقام، المعين الوفي، والوزير الناصح، والرحيم، والخبير.

### التعاليم:

- ١ - اسألوا الله بالستكم ما تريدون منه، ﴿وَقُلْ رَبِّ﴾.
- ٢ - الدعاء في الصلاة وما بعدها (التعقيب) أثره أكبر من غيره، ﴿أَقْرِ الصَّلَاةَ... فَتَهَجَّدَ... وَقُلْ رَبِّ﴾.
- ٣ - لا بد لنا من أن نتعلم الدعاء أيضاً من الله تعالى، أي كيف ندعو وماذا نطلب منه، ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي﴾.

- ٤ - من أصول الإدارة امتلاك بُعد النظر والتفكير بالمستقبل، ﴿وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾.
- ٥ - البداية الحسنة مهمة؛ ولكن الأهم الختام الحسن والعاقبة، ﴿وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾.
- ٦ - القيادة نهضة عالمية بدايتها وختامها يقوم على الصدق وعدم الانحراف، ولا يمكن أن تتم من دون الدعاء، وطلب المدد من الله، والأخذ بالإمدادات الإلهية، ﴿رَبِّ... أَخْرِجْنِي﴾.
- ٧ - إن كل الأمور بيد الله تعالى؛ لذا لا بد من أن نطلب منه المدد والتأييد، ﴿أَذْخِلْنِي، أَخْرِجْنِي، أَجْعَلْ﴾.
- ٨ - كسب القدرة والسلطة له قيمة لتحقيق الأهداف المقدسة، ﴿وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا﴾.
- ٩ - المؤمن لا يطلب النصر والمدد إلا من الله تعالى، ﴿مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾.

﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾

### إشارات:

- «الحق» بمعنى الثابت والباقي؛ لذا فإن الله تعالى هو الحق وما كان منه فهو الحق. «الحق» أحد أسماء الله تعالى. وكلمة «زهوقاً» تعني أنه ذاهب هالك لا ثبات له ويقال «زهق نفسه» أي خرجت روحه من بدنه.
- قيل في هذه الآية إنها تصدق على مصاديق عدة كظهور الإسلام، والدخول إلى المدينة، وفتح مكة وتكسير الأصنام، باعتبار أن الباطل فيها أجمع قد انكسر وهزم، إلا أن الآية لها مفهوم أشمل وأوسع يفيد فناء الباطل وبقاء الحق.
- بقاء الحق وهلاك الباطل سنة إلهية وقانون إلهي؛ وليس مجرد ظن وصدفة

بالرغم من قلة أتباع الحق وكثرة أنصار الباطل، إذ إن الحق كالماء ثابت ويبقى: ويدوم وأما الباطل فهو كالزبد يذهب ويفنى: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَكُفُّ فِي الْأَرْضِ﴾<sup>(١)</sup>.

□ قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ﴾<sup>(٢)</sup> أي نهلكه، وفي هذه الحالة فإن الباطل زائل، وبناء عليه لا بد للحق من أن يهجم على الباطل بكل قوة وقدرة ليزيله.

### التعاليم:

- ١ - لا بد للنبي ﷺ من أن يعلن للناس بشكل حاسم النصر النهائي للحق، ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾.
  - ٢ - لا بد من إحضار الحق إلى الميدان حتى يزهق الباطل من البين، ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾.
  - ٣ - الباطل زائل وهالك وأما الحق فباق وثابت، ﴿جَاءَ...﴾ (يشير الفعل الماضي إلى كونه قد تحقق قطعاً).
  - ٤ - علينا ألا نخاف من ألاعيب الباطل ومظاهره لأنه لا دوام له، ﴿كَانَ زَهُوقًا﴾.
- ﴿وَنُزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الْفَاسِقِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾<sup>(٣)</sup>

### إشارات:

□ كلمة «من» الواردة في قوله ﴿مِنَ الْقُرْآنِ﴾ ليست تبعيضية بمعنى بعض؛ لتدل على أن بعض القرآن شفاء؛ بل هي بيانية تدلّ على أن كل ما ينزل من القرآن هو شفاء.

□ رغم أن القرآن كتاب هداية لكل الناس، ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾<sup>(٣)</sup>، إلا أن

(١) سورة الرعد: الآية ١٧.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٨٥.

(٣) سورة الأنبياء: الآية ١٨.



المستفيد من هذا النور؛ هم فقط أولئك الذين فتحوا له نوافذ أرواحهم، وتخلوا عن اللجاج والعناد، وتوجهوا نحو القرآن بروح سالمة نقية: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾<sup>(١)</sup>؛ ولذا لا يزيد أصحاب اللجاج ومرضى القلوب إلا خساراً؛ فهو كالمطر عندما ينزل على مستنقع آسن، فإن الروائح العفنة تفوح منه بالرغم من أن المطر ماء زلال وطاهر.

□ استدلال القرآن فيه شفاء من الركود الفكري. مواعظ القرآن شفاء من القسوة. ما ورد في القرآن من مسائل تاريخية يرفع كل حيرة. جمال إيقاعه وفصاحته تجذب الأرواح المنهزمة. قوانين القرآن وأحكامه تستأصل العادات الخرافية. تلاوة القرآن والتدبر فيه تشفي مرض الغفلة. التبرك بالقرآن يشفي أمراض الجسم. وإرشادات القرآن تنير الظلمات.

□ الشفاء بالقرآن يختلف عن الشفاء بالأدوية المادية؛ فدواء القرآن لا يلزمه أي ضرر، ولا يبلى، ولا ينتهي تاريخ صلاحيته. ومن يُشفى بالقرآن فإنه سبب لشفاء غيره أيضاً، كذلك فإن وصفة الشفاء بالقرآن لا اشتباه فيها ومتوفرة للجميع في كل وقت.

ومن ثم فإن طيب هذا الدواء مضافاً إلى معرفته بنا فإنه يحبنا أيضاً، ونتيجة وصفته أبدية، وبالتالي لا يوجد أي وصفة مشابهة لوصفته ولا أي دواء مشابه لدوائه.

يقول الإمام علي عليه السلام: «فإن القرآن شفاء من أكبر الداء وهو الكفر، والنفاق، والغنى، والضلal»<sup>(٢)</sup>.

□ أوجب الله تعالى على نفسه الرحمة: ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾<sup>(٣)</sup>، وجعل نبيه ﷺ رحمة للعالمين: ﴿رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾<sup>(٤)</sup>، وكذلك أمته يرحم بعضها

(١) سورة البقرة: الآية ٢.

(٣) سورة الأنعام: الآية ١٢.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة ١٧٦.

(٤) سورة الأنبياء: الآية ١٠٧.

بعضاً: ﴿رُحْمًا يُبْتِغَىٰ﴾<sup>(١)</sup>، وجعل كتابه رحمة أيضاً: ﴿شِفَاءً وَرَحْمَةً﴾.

### التعاليم:

- ١ - لما كان القرآن الكريم من جانب الله خالق الإنسان وفاطره؛ فإن قوانين هذا القرآن مطابقة للفطرة وسبب لنجاة هؤلاء البشر، ﴿شِفَاءً﴾.
  - ٢ - كل صادر من الإله الرحمن الرحيم هو رحمة، ﴿وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾.
  - ٣ - لما لم يعمل الكفار بأوامر القرآن ونواهيهِ؛ فإنهم ومع نزول كل أمر كان جرمهم يكبر ولم يزدادوا إلى خساراً، ﴿وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾.
- ﴿وَإِذَا أٰمَنَّا عَلَى الْإِنْسَانِ ۖ اٰعْرَضَ وَتَنَا ۖ بِجَانِبِهِ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ ئَوْسًا﴾

### إشارات:

□ «نأى بجانبه» أي التف على نفسه ومال إليها وتبخر.

### التعاليم:

- ١ - الرفاه والراحة من أسباب الوقوع في الغفلة، ﴿وَإِذَا أٰمَنَّا... اٰعْرَضَ﴾.
- ٢ - إن الإنسان وبدل أن يعتقد أن النعم من الله فيلتجئ إليه، فإنه يظن أنها ناتجة عن عقله واستعداده ونبوغه وعمله، فيعرض عن الله تعالى، ﴿وَتَنَا ۖ بِجَانِبِهِ﴾.
- ٣ - النعم من الله وأما الشر والسوء فيما كسبت أيدينا، ﴿اٰمَنَّا... مَسَّهُ الشَّرُّ﴾.
- ٤ - إن الإنسان ضعيف إلى حد أنه وبمجرد نعمة ما فإنه يُبتلى بالغفلة، وبمجرد بلاء ما وشدة وحادثه صغيرة يصبح يؤوساً، ﴿وَإِذَا أٰمَنَّا... اٰعْرَضَ... وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ ئَوْسًا﴾.

﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا﴾

### إشارات:

□ يُروى أن الإمام الصادق عليه السلام تلا هذه الآية عند كلامه عن النية وأن النية أفضل من العمل<sup>(١)</sup>.

□ «الشاكلة» بمعنى البناء والنسيج الروحي للإنسان والذي يتكون من خلال الوراثة والتربية والثقافة الاجتماعية، وذهب بعضهم إلى القول إن «الشاكلة» بمعنى الفطرة مع أن الفطرة واحدة وثابتة، وأما ما هو عند الإنسان فمتفاوت إذ إن الدوافع، والأخلاق، والطبائع، والعادات، والمزاج والفكر، والأعمال مختلفة بين إنسان وآخر<sup>(٢)</sup>.

### التعاليم:

- ١ - سلوك كل إنسان نابع من شخصيته الفكرية والروحية والأخلاقية (كل إناء ينضح بما فيه).
- ٢ - حيث إن السلوك يؤثر في حالات الإنسان وعاداته؛ لذا ينبغي أن نبتعد عن الدوافع والطبائع غير الملائمة لئلا تتحول الأعمال غير الملائمة إلى ملكة ثابتة فينا، ﴿كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾.
- ٣ - إن طرق الهداية على درجات أيضاً، وفيها سلسلة من المراتب المتفاوتة، ﴿أَهْدَى﴾.
- ٤ - كل من حسنت نيته أكثر من غيره فإنه سيكون أقرب إلى الهداية، ﴿أَهْدَى سَبِيلًا﴾.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿٨٥﴾

### إشارات:

□ وردت كلمة «روح» إحدى وعشرين مرة في القرآن الكريم واستعملت في الموارد التالية:

- أ - الروح التي أودعت في قالب الإنسان: ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾<sup>(١)</sup>.
- ب - الوحي: ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾<sup>(٢)</sup>.
- ج - القرآن: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾<sup>(٣)</sup>.
- د - الروح القدس: ﴿وَأَيَّدْتَهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾<sup>(٤)</sup>.
- هـ - كبير الملائكة: ﴿نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ﴾<sup>(٥)</sup>.

وعلى أي حال، فإن الروح البشرية أمر معقد وغير معروف، وهي نفخة إلهية ولها بعد سماوي ولا يعرفها إلا الله سبحانه وتعالى.

□ عن الإمام الباقر عليه السلام أنه لم يرجع «قليلاً» إلى العلم، أي «علماً قليلاً»، بل أرجعها إلى أفراد الإنسان<sup>(٦)</sup>، والمعنى حينئذ أن العلم الكامل قد أعطي لقلّة قليلة من أفراد الإنسان وهؤلاء هم فقط يعرفون أمر الروح.

### التعاليم:

- ١ - الأنبياء عليهم السلام كانوا هم المرجع لتساؤلات الناس، ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾.
- ٢ - حقيقة الروح فوق فهم البشر وعلومهم وهي سر من الأسرار الإلهية، ﴿وَمِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾.
- ٣ - كافة العلوم البشرية هدية إلهية، ﴿أُوتِيتُمْ﴾.
- ٤ - علم الإنسان محدود وقليل جداً، ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

(١) سورة السجدة: الآية ٩.

(٢) سورة غافر: الآية ١٥.

(٣) سورة الشورى: الآية ٥٢.

(٤) سورة البقرة: الآية ٨٧.

(٥) سورة القدر: الآية ٤.

(٦) تفسير الفرقان.

﴿وَلَيْنَ شِئْنَا لَنُدْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ۝٨٦  
إِلَّا رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ۝٨٧﴾

### إشارات:

□ الآية (٨٦) فيها حالة تهديد للنبي ﷺ مفادها أن الله تعالى كما إنه أعطى الوحي كذلك إذا شاء فإنه يأخذه<sup>(١)</sup>، وأما الآية (٨٧) فإن في لحنها شيء من التشجيع.

□ القرآن، الوحي، النبوة، الخاتمية، والشفاعة تُعدُّ كلها من فضائل الله على النبي ﷺ، وهي نابعة من مقام الربوبية الإلهية، وعطاء الله له لا يسترجه منه، إلا أنه ورغم عطائه اللامحدود، فإن قدرته تامة ومطلقة وبإمكانه أن يسترجع جميع ذلك.

### التعاليم:

- ١ - لا بد من أن نعلم ونعتقد أن النعم من الله، وعلينا ألا نصاب بالغرور لأن بقاء النعم وزوالها إنما هو بإرادة الله تعالى، ﴿لَنُدْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا﴾.
- ٢ - لا يمكن لأحد أن يؤثر أو يقف في وجه قدرة الله وقهره، ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ﴾.
- ٣ - نزول الكتب السماوية والوحي الإلهي يُعدّان من شؤون الربوبية الإلهية ويقعان في مسير تربية الإنسان وكماله، ﴿الَّذِي أَوْحَيْنَا... إِلَّا رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ﴾.
- ٤ - القرآن فضلٌ كبير من الله تعالى، ﴿أَوْحَيْنَا... إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾؛ وبما أن الله كبير وعظيم فإن لطفه كبير أيضاً وفضله الكبير مخصوص بالنبي محمد ﷺ.

(١) الأمر كذلك في موارد أخرى كما في «خلقكم - يذهبكم»، وكذلك «يعز - يذل»، و«يهدي - يضل»، و«أحياكم - يميتكم»، وأيضاً «ينصركم - يخذلكم». نعم من المحتوم أن الخلق والفناء، والعزة والذلة، والهداية والضلالة، والحياة والموت، والنصرة والخذلان كلها بيد الله تعالى.

﴿قُلْ لِّينِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ  
بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾

### إشارات:

□ «ظهير» من «ظهر» بمعنى السند والهامي.

□ هذه الآية جواب على كلام الكفار الذين قالوا: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾<sup>(١)</sup>.

وهذه الدعوة من القرآن إلى التحدي والإتيان بمثل هذا القرآن، ما زالت دون جواب منذ قرون وإلى اليوم، فإن الأعداء العارفين باللغة العربية من أهل الكتاب والمذاهب الإلحادية، وعلى الرغم من كل جهودهم وعداوتهم للإسلام وحماية القوى المتعددة لهم، إلا أنهم لم يستطيعوا أن يأتوا بمثل هذا القرآن.

□ من الخصائص الفريدة للقرآن الفريد: أنه معجزة وأنه سلس متنوع، ويخبر عن المستقبل، وفيه أحسن القصص، ويشتمل على أفضل أسلوب للدعوة، ومضافاً إلى ذلك، فإن فيه بيان كل المسائل والاحتياجات الفردية والاجتماعية، الدنيوية والأخروية، في كل المجالات وفي تمام الأزمان.

### التعاليم:

- ١ - الجن مكلفون كبنى الإنسان، والقرآن أيضاً كتاب لهم، ﴿اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ﴾.
- ٢ - العجز عن الإتيان بمثل هذا القرآن دليل على إعجاز هذا الكتاب أيضاً، ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُوراً﴾

### التعاليم:

- ١ - التنوع والتعدد في البيان القرآني يعد من أبعاد الإعجاز في القرآن، ﴿صَرَّفْنَا﴾.

- ٢ - قد أتم الله تعالى الحجة على كل الناس بآيات القرآن الكريم، ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾.
- ٣ - النسق الواحد يبعث على الملل؛ لذا فإن خطاب الدعوة يجب أن يكون متنوعاً، ﴿صَرَّفْنَا﴾.
- ٤ - كتاب الهداية ينبغي أن يكون في متناول كل الناس، ﴿هَذَا الْقُرْآنُ﴾.
- ٥ - ضرب المثل والبيان التمثيلي من أهم أساليب التعليم والتربية، ﴿صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ... مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾.
- ٦ - الناس متفاوتون والأمثلة متنوعة؛ لذا فإن كل واحد منها بإمكانه أن يكون بياناً وهادياً لقسم من هؤلاء الناس، ﴿صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ... مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾.
- ٧ - السبب في إنكار الناس إنما هو لجاجهم وعنادهم؛ لا أن الحجة لم تأت إليهم، ﴿فَأَيُّ أَكْثَرُ النَّاسِ...﴾.
- ٨ - الأكثرية لا تدل على الحقانية، ﴿فَأَيُّ أَكْثَرِ النَّاسِ﴾.
- ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ۖ﴾ (٩٠) **أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّحِيلِ**  
**وَعَسَىٰ أَنْ تَفْجُرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا فَيَجِيءَ ۖ﴾ (٩١)**

## إشارات:

- «ينبوع» يطلق على النبع الفوار دائماً والذي لا يجف.
- إن المشركين المنكرين لإعجاز القرآن اشترطوا لإيمانهم الوصول إلى الماديات وتحقيق بعض التوقعات التافهة من النبي ﷺ، وهم غافلون عن أن النبي ﷺ إنما يأتي بالمعجزة لإثبات نبوته وليس من أجل إشباع هوى الناس المعاندين وهوسهم، أو من أجل اللعب واللهو، أو من أجل الفرار من العمل والسعي.
- في الواقع؛ إن التوقعات التافهة، والقساوة، واللجاج والعناد، والمعاذير، وعدم المعرفة بالأهداف وقلة الأدب تتكاثر جميعاً وتؤدي إلى أن يُطلب من النبي ﷺ أمثال هذه الأمور اللامنتظية من قبيل: الينبوع، البستان (الجنة)،

النهر، سقوط السماء، إحضار الله والملائكة، بيت من الذهب، الطيران في السماء، كتاب مُدَوَّن من عند الله.

### التعاليم:

- ١ - كل إنسان إنما يطلب على قدر عقله، فقد كان ملاك النبوة في نظر هؤلاء المشركين البستان والينبوع والماديات، ﴿لَنْ تُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجَرُوا...﴾.
- ٢ - كان هدف الأنبياء ﷺ إرشاد الناس إلى التوحيد؛ إلا أن بعضاً منهم كان يفكر بالبساتين والذهب والفضة، ﴿لَنْ تُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجَرُوا...﴾.
- ٣ - ليس كل طلب وتوقع منطقي، وكثيرة هي التوقعات التافهة التي تطلب من الأنبياء ومبلغي الدين، ﴿حَتَّى تَفْجَرُوا...﴾.

﴿أَوْ تَشْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ فَيَلَا ۖ﴾ (٩٢) ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُرُوفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُفُيقِكَ حَتَّىٰ تُنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرُؤُهُ ۚ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ۖ﴾ (٩٣)

### إشارات:

□ تعبیر «كما زعمت» يشير إلى التهديد والوعيد بالعذاب من قبل النبي ﷺ الوارد في الآية (٩) من سورة «سبا»؛ إذ ورد فيها: ﴿أَوْ تَشْقِطَ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ ۖ﴾.

□ المعجزة من شؤون الربوبية الإلهية وتنبع من إرادة الله تعالى وحكمته، وبالتالي من شرائط المعجزة أن لا تكون دون هدف وأن لا تكون عبثاً أو محالاً، وبناء عليه فإن ما طلبه الكفار من النبي الأكرم ﷺ في هذه الآية كان عبثاً ولغوياً، إذ إن إسقاط الكسف من السماء سيؤدي إلى هلاك كل الناس ولن يبقى أحد حيثئذ ليؤمن مع تحققها وكذلك فإن إحضار الله والملائكة أمر محال لأنهم ليسوا أجساماً يمكن إحضارها حتى نشاهدها.



## التعاليم:

- ١ - الكفار لجوجون معاندون غير مؤدبين، ففي قولهم: ﴿لَنْ نُؤْمِنَكَ﴾ و﴿كَمَا زَعَمْتَ﴾ نوع من قلة الأدب.
- ٢ - الكفار لم يصدقوا ولم يؤمنوا بتهديدات الأنبياء، ﴿كَمَا زَعَمْتَ﴾.
- ٣ - المطالب المحالة والعبثية لا يمكن أن تقبل، ﴿تَأْتِي بِاللَّهِ﴾.
- ٤ - ميل المشركين إلى الحسنة كان السبب في طلباتهم وتوقعاتهم التافهة، ﴿شَقِطَ... تَأْتِي﴾.

﴿وَمَا مَنَّ النَّاسُ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾

## إشارات:

□ إن الذين لا يمتلكون منطقاً سليماً وصحيحاً يتوهمون نقاط القوة نقاط ضعف. ولذا فإن كون النبي ﷺ إنساناً، نقطة قوة وليست نقطة ضعف فيه؛ إذ إنه كالبشر يمتلك الغرائز والميول وتصيبه المشكلات من الأمور، وهذا ما يجعله يدرك ويشعر بآلام الناس، وبإمكانه حينئذ أن يكون أسوة عملية لهم وأن يقدم لهم حلولاً مفيدة.

□ طبقاً لآيات القرآن الكريم فإن أعذار الكفار في عدم الإيمان كانت على النحو الآتي:

أ - لماذا كان الأنبياء بشرًا أمثالنا؟

الجواب: إن أفضل أنواع التبليغ ما اشتمل على النموذج العملي وتقديم الأسوة والقدوة للناس.

ب- إذا كان البناء على أن يكون النبي إنساناً فلماذا لم يكن فلاناً؟ ولماذا لم يكن من العائلة الفلانية أو من المنطقة الفلانية؟

الجواب: إن تقسيمات الناس تقوم على أساس الخيال والمعايير المادية وأما نزول الوحي واستقباله فيحتاج إلى وجود الشخص اللائق والمستعد.

ج - لماذا لا نكون نحن أنبياء أيضاً؟

الجواب: النبوة مقام رفيع جداً بل هو أفضل من مقام الملائكة وليس كل إنسان، مهما كان تاريخه، جديراً ولائقاً لمقام النبوة.

د - لماذا لا تنزل الملائكة علينا؟

الجواب: الملائكة تنزل على أولئك الذين لم يتحرفوا ولم يذنبوا؛ ولو نزلت على أمثال هؤلاء، فإنهم سيأتون الناس كل يوم بالأكاذيب والأباطيل باسم الوحي.

**التعاليم:**

١ - الكفار طلاب معاذير ولا منطق لهم، فقد تعذر الكافرون بأن النبي لم يكن بشراً مثلهم، ﴿وَمَا مَنَعَ﴾.

٢ - إنما جاء الأنبياء إلى الناس من أجل هدايتهم وتربيتهم، ﴿جَاءَهُمُ الْهُدَى﴾.

٣ - لما كانت شخصية الإنسان وكرامته ومقامه مجهولة عند الإنسان الجاهل فإنه يظن أن الإنسان لا يليق بمقام النبوة ﴿بَشَرًا رَّسُولًا﴾.

﴿قُلْ لَوْ كُنَّا فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةً يَبْسُوتُ مَطْمَعِينَ

لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾ (٩٥)

**إشارات:**

□ الآية الشريفة وردت في مقام الرد على رؤية الكافرين المعترضين على كون النبي بشراً ويفيد مضمونها ما يأتي: إن إرسال الأنبياء سنة إلهية وضرورة دينية، وحتى لو كان كل أهل الأرض ملائكة ولم يكن بينهم أي نزاع وخلاف، بل ويعيشون بكل سكينة واطمئنان ورفاه، لأرسل الله إليهم أيضاً رسولاً من جنسهم والسبب في ذلك أن وظيفة الأنبياء هي التكمال والرشد المعنوي وكونهم أسوة وقدوة للآخرين وليس الغرض فقط من إرسالهم إلى الناس هو رفع الخصومة والعداوة بينهم.

## التعاليم:

- ١ - اتحاد جنس القائد مع الناس ضروري لتربيتهم ولتأسيهم به لذا فالإنسان للإنسان والملائكة للملائكة، ﴿مَلَكِكُمْ، مَلَكًا﴾.
- ٢ - الرسالة والنبوة من جانب الله وليستا بالانتخاب، ﴿لَزَلْنَا... رَسُولًا﴾.

﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ (٩٦)

## التعاليم:

- ١ - أمام هذا التصرف اللامنطقي من الكفار فإن الله تعالى سلى نبيه ﷺ بأنه شاهد وعالم بما يقولون ويعملون، ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ﴾.
- ٢ - مستند الأنبياء ﷺ هو الله تعالى ولذا فإنهم ثابتون راسخون ولا يتقهقرون، ﴿كَفَىٰ بِاللَّهِ﴾.
- ٣ - إن الله تعالى قد أتم الحجة على الكافرين، وبناء عليه لا بد من التوقف عن الجدال معهم، ﴿كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾.
- ٤ - الإيمان بعلم الله وشهادته سبب للابتعاد عن الانحراف وطلب المعاذير، ﴿كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾.
- ٥ - لا بد للشاهد من أن يكون عالماً خبيراً وبصيراً، ﴿شَهِيدًا... خَبِيرًا بَصِيرًا﴾.
- ٦ - إن الله تعالى، ومضافاً إلى أنه شاهد على أن النبي ﷺ قد عمل بتكليفه وأدى وظيفته، هو شاهد أيضاً على عباده من حيث لجاجهم وعنادهم أو إيمانهم وتسليمهم، ﴿كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا... إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾.

﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَيَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وَجُوهِهِمْ عَمِيَائًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ (٩٧)

## إشارات:

□ «خبث» هو سكون النار عن الالتهاب، و«سعير» بمعنى ازدياد اشتعال النار وهو اسم من أسماء جهنم.

□ سؤال: إذا كان أهل الضلالة في يوم القيامة صماً بكماً عمياً فلماذا وكيف ذكر في آيات أخرى أنهم يرون النار: ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ﴾<sup>(١)</sup>، أو يسمعون صوتها: ﴿سَمِعُوا لَهَا تَغِيْطًا وَزَفِيرًا﴾<sup>(٢)</sup>، أو يصرخون وينوحون: ﴿دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾<sup>(٣)</sup>؟

الجواب: إن مراحل يوم القيامة ومواقفها متفاوتة ومتعددة؛ لذا من الممكن أن يكون لكل موقف حالة خاصة به لا توجد في غيره من المواقف اللاحقة<sup>(٤)</sup>.

### التعاليم:

- ١ - الهداية لا تتحقق بالعلم والعقل والاستدلال فقط، بل تتطلب أيضاً توفيقاً إلهياً ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ...﴾.
- ٢ - لا منجى لأهل الضلالة سوى الله تعالى، ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ...﴾.
- ٣ - كل من لم يستفد من أذنه وعينه ولسانه في مسيرة تحصيل الحق، وقوله ورؤيته؛ فإنه سيحشر يوم القيامة أصم أبكم أعمى ومكبواً على وجهه، وفي الواقع فإن هذا نوع من تجسم عمل الإنسان! ﴿تَحْشُرُهُمْ... عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا...﴾.
- ٤ - نار جهنم تنقد على الكفار وتزداد اشتعالاً على الدوام، ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا...﴾.

﴿ذَلِكَ جَزَاءُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا إِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرُفَّتْنَا لَوْ أَنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾

### إشارات:

□ «رفات»: ما تكسر وتفرق من التبن ونحوه<sup>(٥)</sup>، وهو صغير إلى حد لا يقبل الكسر مجدداً.

(٤) تفسير التبيان.

(٥) مفردات الراغب.

(١) سورة الكهف: الآية ٥٣.

(٢) سورة الفرقان: الآية ١٢.

(٣) سورة الفرقان: الآية ١٣.

## التعاليم:

١ - إن قهر الله وعذابه للكافرين ليس عبثاً ودون دليل، بل هو نتيجة أعمالهم، ﴿ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ﴾.

٢ - لا دليل عند الكافرين على إنكار المعاد، وما يقولونه فإما من ناحية الاستهزاء أو التعجب أو الاستبعاد، ﴿أَوَنَّا﴾.

٣ - المعاد جسماني، ﴿عِظْلًا رُفْنًا... خَلْقًا جَدِيدًا﴾.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾ (٩٩)

## إشارات:

□ قوله «لا ريب فيه» أي أنه لا مجال للتشكيك في القرآن، وليس المعنى أنه لا يوجد أي أحد يشك فيه.

□ قد أشار القرآن الكريم مراراً وتكراراً، وفي مقام رفع أي شك في المعاد، إلى خلق السموات والأرض وعظمة جهاز الخلق، وقدرة الله على الخلق، ﴿وَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَرَأَيْتُمْ بَنَّاكُمْ﴾<sup>(١)</sup>. إن أفضل دليل على إمكان وجود شيء، هو وقوعه وكيونه (الوقوع أدل دليل على الإمكان).

□ في يوم القيامة، العظام البالية هي العظام الدنيوية نفسها وكذلك فإن الروح الملحقة بها هي الروح الأولى نفسها، إلا أن القرآن يقول في موردها «مثلها» ولم يقل عينها وهذا نظير جدار الطين إذا ما انقض ودق فأصبح تراباً وعجن مرة أخرى وصنع منه جدار آخر من الطين، فإن الناس تقول هذا مثل الأول وليس عينه مع أن مادته عين المادة الأولى<sup>(٢)</sup>، ﴿مِثْلَهُمْ﴾.

(١) سورة النازعات: الآية ٢٧.

(٢) تفسير نور الثقلين.

## التعاليم:

- ١ - أفضل دليل على إمكان المعاد هو التأمل في قدرة الله في الطبيعة، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾.
- ٢ - الحياة الدنيا ليست إلا أياماً معدودات، لذا أيها الكفار لا تعاندوا كل هذا العناد فإما أن يأتي أجلكم وإما أن تأتي القيامة، ﴿وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً﴾.
- ٣ - إن عدم الالتفات إلى قدرة الله، واستبعاد القيامة وإنكارها عمل ظالم، ﴿فَأَبَى الظَّالِمُونَ﴾ والظلم مهد الكفر ﴿إِلَّا كُفُوراً﴾.

﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ  
وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُوراً﴾

## إشارات:

□ «قتور» من «قتر» بمعنى البخل والإمساك عن العطاء والبذل.

## التعاليم:

- ١ - كثرة المال لا أثر لها في سخاء الحريص والبخل، فبعض الناس لا يشبعون أبداً ومهما جمعوا من شيء فإنهم يخشون نقصانه، ﴿لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ... لَأَمْسَكْتُمْ﴾.
  - ٢ - الخوف من الفاقة والعوز أحد أسباب البخل، ﴿لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ﴾.
  - ٣ - روحية الإنسان وخصاله النفسية هي منشأ سلوكه، ﴿لَأَمْسَكْتُمْ... وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُوراً﴾.
- ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى إِسْحَاقَ يَسْتَشِرُّ فَشَلَّ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَكُونُ مَسْحُوراً﴾

## إشارات:

□ المعجزات التسعة للنبي موسى ﷺ هي:

- ١ - تحول العصا إلى أفعى.

٢ - اليد البيضاء.

٣ - فلق البحر بضربة العصا.

٤ - الطوفان.

٥ - هجوم الجراد.

٦ - هجوم القمل.

٧ - هجوم الضفادع.

٨ - صيرورة الماء دماً.

٩ - انفجار اثنتي عشرة عين من الحجر بضربة العصا.

ومن الممكن أن يقال إن معجزات النبي موسى ﷺ كانت ثمانية عشرة معجزة، لأن رجوع كل معجزة إلى حالتها الأولى كانت معجزة أخرى في حد نفسها.

□ سؤال: مضافاً إلى هذه المعجزات التسع فإن القرآن الكريم ذكر معجزات أخرى للنبي موسى ﷺ نظير: اقتلاع الجبل ونتقه فوق رؤوس اليهود، نزول المن والسلوى، إحياء المقتول بالبقرة المذبوحة، فلماذا ذكر فقط تسع معجزات.

الجواب: إن عدد المعجزات التسع يرتبط بفرعون والذي رغم رؤيته لها لم يؤمن بالله، وأما سائر المعجزات فلا ربط لها بفرعون<sup>(١)</sup>.

### التعاليم:

١ - إن الله تعالى يساند أنبياءه ﷺ، ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا﴾.

٢ - يتم الله تعالى الحجة على الناس خلال إعطاء المعجزات للأنبياء ﷺ، ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا﴾.

٣ - أولئك الأكثر عناداً بحاجة إلى مزيد من الاستدلال والمعجزات، ﴿فَسَحَّ ءَايَاتِنَا﴾.

(١) تفسير الميزان، تفسير الفرقان.

- ٤ - لا بد للمعجزة من أن تكون واضحة بينة لا ترديد فيها، ﴿بَيَّنْتِ﴾.  
 ٥ - الأنبياء ﷺ هم أطباء توجهوا نحو الناس<sup>(١)</sup>، ﴿جَاءَهُمْ﴾.  
 ٦ - يقوم المستكبرون في مقابل المعجزات والبراهين بالتحقير، والاستهزاء، والتوهين، ﴿لَأُظَنُّكَ يَمُوسَى مَسْحُورًا﴾.

﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَزَلَّ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَائِرٍ  
 وَإِنِّي لَأُظَنُّكَ يَفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾

### إشارات:

□ سؤال: رغم أن النبي موسى ﷺ كان على يقين من هلاك فرعون فلماذا قال له: «لأظنك»!

الجواب: أولاً: الظن لا يستعمل بهذا المعنى فحسب، بل يطلق على العلم واليقين أيضاً.

ثانياً: عندما لا يكون العدو وقحاً في التخاطب فإن أدب المناظرة والحوار يقضي علينا أن نحافظ نحن أيضاً على الاحترام ففرعون قال لموسى ﷺ: ﴿لَأُظَنُّكَ يَمُوسَى مَسْحُورًا﴾ فقال النبي موسى ﷺ في جوابه أيضاً: ﴿لَأُظَنُّكَ يَفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾.

### التعاليم:

- ١ - أحياناً يتظاهر الإنسان بالجهالة، رغم معرفته بالحق، ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ...﴾.
- ٢ - العلم وحده لا يكفي لهداية الإنسان، بل لا بد أيضاً من الإيمان والتسليم، وإلا فإن فرعون كان لديه علم أيضاً، ﴿عَلِمْتَ﴾.
- ٣ - لقد كانت معجزات النبي موسى ﷺ واضحة وبينة إلى حد أن فرعون كان عالماً بها أيضاً، ﴿عَلِمْتَ﴾.

(١) يصف الإمام علي ﷺ النبي ﷺ بقوله: «طيب دوار بطبه»، (نهج البلاغة، الخطبة ١٠٨).



- ٤ - المعجزات إنما هي بصائر للناس وأما السحر فلا بصيرة فيه، ﴿بَصَائِرُ﴾.
- ٥ - في نظام الحكومات الفاسدة، ومن أجل هداية الناس، لا بد من الذهاب إلى رؤساء هذه الحكومات، ﴿يَنْفِرَعُونَ﴾.
- ٦ - إن أنبياء الله تعالى كانوا واثقين من مسيرتهم، ولهذا السبب فإنهم يحذرون الطواغيت بصراحة، ﴿لَأَظُنُّكَ يَنْفِرَعُوثُ مُشْبُورًا﴾.
- ٧ - بإمكان كل واحد أن يدرك الحق إلا أن العناد والتكبر يؤديان إلى الهلاك، ﴿عَلِمْتَ... مُشْبُورًا﴾.

﴿فَأَرَادَ أَنْ يَنْفِرَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا﴾ ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِيَنِّي إِسْرَءِيلَ  
أَسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ ﴿١٠٤﴾

### إشارات:

- «الاستفزاز» بمعنى الإخراج بالقوة. وقد أشار القرآن مراراً إلى هذا الأسلوب الذي يقوم به الظالمون بحق أولياء الله وفشلهم في ذلك:
- ألقى النبي إبراهيم عليه السلام في النار، فجعل الله النار برداً وسلاماً.
  - ألقى النبي يوسف عليه السلام في الجب، فجعله الله عزيز مصر.
  - أخرج النبي محمد صلى الله عليه وسلم من مكة، فأعطاه الله حكومة عالم الإسلام.
- وهذه سنة الله وقانونه تقضي بوجود التدبير المناسب في مقابل مكر أهل الباطل.

□ «لفيف» بمعنى جماعات كثيرة ملتف بعضها على بعضها الآخر.

### التعاليم:

- ١ - منطق الطاغوت: القسوة، والإبعاد، وعدم تحمل أهل الحق، ﴿فَأَرَادَ أَنْ يَنْفِرَهُمْ...﴾.
- ٢ - في مقابل إرادة الطاغوت توجد إرادة الله وقهره، ﴿فَأَرَادَ... فَأَغْرَقْنَاهُ﴾.

- ٣ - القدرة الزائفة للطواغيت محدودة وهي الأرض فقط، ﴿مَنْ الْأَرْضُ﴾.
- ٤ - العذاب الإلهي، بعد إتمام الحجة، فبعد ورود المعجزات وعدم إيمان الناس بها فإن الهلاك حتمي الوقوع، ﴿فَأَغْرَقْنَاهُ﴾.
- ٥ - عاقبة الطواغيت وأعدائهم، الهلاك والعناء، ﴿فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا﴾.
- ٦ - إعانة الظالمين في ظلمهم سبب للمشاركة في هلاكهم، ﴿وَمَنْ مَعَهُ﴾.
- ٧ - القادة الفاسدون لهم دور في هلاك قومهم، ﴿فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ﴾.
- ٨ - الحكام الذين حكموا منطقة ما لأيام معدودات مسؤولون أمام الله يوم القيامة، ﴿أَسْكُنُوا الْأَرْضَ... جِنًا يَكُرُّ لَيْفًا﴾.

﴿وَالْحَقُّ أَنزَلْنَاهُ وَالْحَقَّ نَزَّلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (١٠٥)

#### التعاليم:

- ١ - سلامة القرآن مضمونة، فمضافاً إلى أن الله تعالى أنزل القرآن بالحق، فإنه أيضاً أوصل الوحي بكل سلامة إلى مقصده ولم يتمكن الشياطين من الإضرار به، ﴿وَالْحَقُّ أَنزَلْنَاهُ وَالْحَقَّ نَزَّلَ﴾.
- ٢ - محور عمل الأنبياء، البشارة والإنذار، ولا حق لهم في الزيادة على الوحي أو النقيصة منه، ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾.
- ٣ - لا يقع على عاتق النبي ﷺ مسؤولية قبول الناس (للوحي) أو عدم قبولهم، ولا يحق لأي إنسان أن يفرض عقيدته على الآخرين، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾.
- ٤ - البشارة والإنذار يؤثران إذا كانا معاً، ﴿مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾.

﴿وَقَدْ آتَيْنَاكَ الْفُرْقَةَ لِقِرَاءَةِ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلًا﴾ (١٠٦)

#### إشارات:

□ من اعتراضات الكفار قولهم: لماذا لا ينزل القرآن دفعة واحدة؟! وهذه الآية:

﴿لَوْلَا نَزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾<sup>(١)</sup> هي الجواب على مقالتهم.

□ لما كانت آيات القرآن ترتبط بأحداث متنوعة ومختلفة وتنزل لتأمين ما تحتاجه كل طبقات المجتمع على مر التاريخ؛ فإنها نزلت على دفعات لتتطابق مع الحوادث والوقائع المتنوعة ولتكون أشد وقعاً على قلوب المنتظرين لها، ومن باب المثال فقط، فإن آيات الجهاد لو نزلت في زمن الصلح مثلاً، فإنها لن تكون في مكانها الواقعي.

□ التدرج سنة إلهية سواء في عالم الخلق، إذ خلق العالم في ستة أيام؛ أم في نزول القرآن، إذ نزل في ٢٣ سنة، مع أن الله قادر على أن ينزله دفعة واحدة.

فالنزول التدريجي لآيات القرآن أريد منه أن يكون العلم بنزولها توأماً للعمل بها. وحتماً يستفاد أيضاً من النزول التدريجي للقرآن استمرار الارتباط الدائم للنبي محمد ﷺ مع مبدأ الوحي.

### التعاليم:

- ١ - إنزال القرآن على دفعات كان بإرادة الله تعالى، ﴿فَرَّقْنَاهُ﴾.
- ٢ - التعليم والتربية والإرشاد، لا بد من أن يكونوا بشكل تدريجي، ﴿فَرَّقْنَاهُ... عَلَى مُكِّثٍ﴾.
- ٣ - التلاوة التدريجية للقرآن تجعل المستمع لها متعطشاً لسماع الآيات الأخرى ومنتظراً لها ﴿عَلَى مُكِّثٍ﴾ («مكث» الهدوء المصاحب للاطمئنان).
- ٤ - ينبغي للمربي، المصلح أن يكون له برنامج زماني طويل الأمد، وينبغي له أن لا يغفل عن الزمان ومقتضياته الحادثة والجديدة، ﴿عَلَى مُكِّثٍ﴾.
- ٥ - على الرغم من أن الروح العظيمة للنبي محمد ﷺ لها القابلية لاستقبال الوحي دفعة واحدة، إلا أن الناس لديهم نقص في الاستعداد والقابلية ولذا لا بد من استقباله بشكل تدريجي، ﴿لِنَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكِّثٍ﴾.

٦ - في القرآن، مضافاً إلى بعده التعليمي، جنبه إجرائية وتنفيذية، ولا بد من أن تنفذ هذه الناحية بشكل تدريجي؛ لذا من المحال مثلاً أن تطبق دفعة واحدة مبادئ الأوامر والقوانين في مجتمع يتخبط بمشاكل المفساد، ﴿وَرَزَّلْنَاهُ نَازِلاً﴾.

﴿قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ  
إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّداً﴾

### إشارات:

□ «يخرون» الخريف صوت الماء إذا اندفع بقوة أو الساقط من المرتفعات، وكذلك يطلق على أولئك الذين يهبطون للسجود لله وهم يرددون التسبيح بصوت مرتفع.

□ الخَرُّ للأذقان كناية عن منتهى التواضع والتسليم؛ إذ مضافاً إلى وضع الجبهة على التراب فإن الوجه والذقن أيضاً يلامسان التراب.

### التعاليم:

- ١ - إيمان الناس أو كفرهم لا يؤثران في حقانية القرآن، ﴿ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا﴾.
- ٢ - العلم هو هدية إلهية، ﴿أُوتُوا الْعِلْمَ﴾.
- ٣ - خلافاً لمن يعتقد بأن الجهل هو منشأ الإيمان بالله والدين، فإن القرآن يعتبر العلم والمعرفة هما أساس الإيمان، ﴿أُوتُوا الْعِلْمَ... يَخِرُّونَ﴾.
- ٤ - آمن جمع من علماء أهل الكتاب بالقرآن، وقد ترك القرآن أثراً عميقاً على أرواحهم، ﴿أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ... يَخِرُّونَ﴾.
- ٥ - العلم الواقعي هو ذلك العلم الذي يدفع الإنسان إلى الخضوع في مقابل الحق، ﴿أُوتُوا الْعِلْمَ... يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّداً﴾.
- ٦ - عندما نواجه عناد أي جماعة في مقابل الحق، لا بد لنا من أن نتذكر جماعات أخرى كانوا من أهل الطاعة، لئلا يترك عناد هؤلاء المخالفين أثراً سيئاً على روحيتنا، ﴿مِنْ قَبْلِهِ... يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّداً﴾.

٧ - عندما يتلى القرآن فإنه، لعظمته وغنى مضمونه، يستتبع خضوع العلماء، ﴿إِذَا يَتْلَى... يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾.

﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾ ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ ﴿١٠٩﴾

### إشارات:

□ تكرر قوله «يخرون» إما أنه من ناحية تكرار السجود من قبلهم، وإما أنه من باب تعظيم هذا الكمال، وإما لأن سجودهم في المرحلة الأولى كان لأجل معرفتهم بآيات القرآن ووصولهم إلى ما وعد به الإنجيل والتوراة، وأما سجودهم في المرحلة الثانية فكان لأجل البكاء والخشوع.

□ ورد مراراً في الإنجيل والتوراة الوعد بمجيء النبي الخاتم ﷺ، وهذه الآية تشير إلى أن بعض أهل الكتاب لما تحقق عندهم الوعد الإلهي قاموا بتسبيح الله والسجود الخاشع له.

### التعاليم:

- ١ - التعرض لمقالة الصالحين والمؤمنين وسلوكهم مؤثر في تربية الآخرين، ﴿وَيَقُولُونَ...﴾.
- ٢ - العلماء ينزهون الله تعالى عن أي عيب ونقص، ﴿أَوْتُوا أَلْعَمَرَ... وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا﴾ (الاعتقاد بوجود نقص في الله نابع من جهل الإنسان).
- ٣ - تلاوة القرآن تؤثر على بعض الناس من جهات عدة: العمل، والبيان، والقلب، ﴿سُجَّدًا، يَقُولُونَ، يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾.
- ٤ - تلاوة القرآن ترفع الإنسان دائماً، ﴿إِذَا يَتْلَى... وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾.
- ٥ - المعرفة والخشوع لا حد لهما، وكلما ازدادت المعرفة ازداد الخشوع أيضاً، ﴿وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾.
- ٦ - البكاء في حال العبادة والسجود قيم جداً، ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ﴾.

٧ - ذكر الله أثناء السجود يشير إلى عظمة السجود وقيمته، ﴿يَحْزَنُونَ لِلَّذِينَ سَجَدُوا... وَيَحْزَنُونَ لِلَّذِينَ يَبْكُونَ﴾.

٨ - البكاء من بركات العلم وآثاره، ﴿أَتُوتُوا الْعِلْمَ، يَبْكُونَ﴾.

٩ - الدمعة القيمة هي الدمعة الدائمة لا الآنية، ﴿يَبْكُونَ﴾.

﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُوا فِيهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾

### إشارات:

□ ورد في بعض التفاسير أن النبي ﷺ كان في المسجد الحرام يصلي ويقول في دعائه: «يا الله يا رحمان» فسمعه بعض المشركين وظن أنه يدعو أحدهما «الله» والآخر «الرحمان» فنزلت هذه الآية ورفعت هذه الشبهة<sup>(١)</sup>.

□ بعض الأسماء لا تعدو كونها علامة أو إشارة ولا شأن بتطابق الاسم مع المسمى، وهذا من قبيل معرفة الأفراد عن طريق الصوت، أو اللباس، أو الآلة، أو معرفة الدول أو المؤسسات عن طريق الشعار والعلامة، إلا أن بعض الأسماء أحياناً ليست مجرد شعار بل لها محتوى ومضمون كأسماء الله المباركة؛ إذ إن كل واحد منها مظهر لكمال من كمالات ذاته المقدسة.

□ كلما رفع النبي ﷺ صوته بالقراءة في الصلاة كان الكفار يرفعون أصواتهم بالشعر لمزاحمته ﷺ، وكلما قرأ بصوت خافت لم يسمعه أصحابه فنزلت هذه الآية تأمر النبي ﷺ بالقراءة بين الجهر والإخفات<sup>(٢)</sup>.

□ ورد في روايات الشيعة والسنة أن الله تعالى تسعاً وتسعين اسماً من دعا الله بها استجاب له ودخل الجنة<sup>(٣)</sup>.

(٣) تفاسير: الطبري، الميزان، ومجمع البيان.

(١) تفسير: التيان والفرقان.

(٢) تفسير أبو الفتح الرازي.

## التعاليم:

- ١ - على النبي ﷺ أن يرفع كل الشبهات، ﴿قُلْ﴾.
- ٢ - أسماء الله ترجع كلها إلى حقيقة واحدة فهي عين ذاته المقدسة، ﴿أَيُّ مَا تَدْعُوا﴾.
- ٣ - الأسماء الحسنى وأفضل الصفات مختصة بالله تعالى، ﴿قُلْهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾.
- ٤ - حيث إن الله تعالى وكمالاته لا نهاية لهما وحيث إن العقل وكلمات الإنسان محدودات من جهة أخرى، لذا فإن الأفضل أن ندعو الله بأسمائه التي استفدناها منه ومن القرآن الكريم، وإلا فمن الممكن أن ينحرف الإنسان وأن يبتدع لله تعالى أسماء غير لائقة، ﴿الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾.
- ٥ - عند الدعاء الإنسان حرّ في أن يدعو الله بأي واحد من أسمائه تعالى، ﴿أَيُّ مَا تَدْعُوا﴾.
- ٦ - في كل أسماء الله تعالى استفيد من أفضل المعاني وأقدس المفاهيم، ﴿قُلْهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾.
- ٧ - الإسلام، دين الوسطية والاعتدال، فحتى أثناء القراءة في الصلاة لا بد من أن تكون بصوت وسطي، ﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾.
- ٨ - الإسلام، مضافاً إلى النية والعمل، يهتم أيضاً بكيفية العمل والأسلوب؛ لذا لا بد من أن تقرأ الصلاة بآداب خاصة بها، ﴿وَلَا تَجْهَرْ، وَلَا تَخَافُ، وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾.

﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ

وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِثْرٌ مِّنَ الدِّينِ وَكَبِيرُهُ تَكْبِيرًا﴾

## إشارات:

□ ابتدأت هذه السورة بتسبيح الله تعالى واختتمت بتحميده وتكبيره، وكذلك هو الحال في سورة المؤمنون؛ إذ ابتدأت بفلاح المؤمنين ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ واختتمت بعدم فلاح الكافرين ﴿لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾.

- ورد في الروايات الشريفة أن تلاوة هذه الآية مفيدة ومؤثرة لرفع الدَّيْن، ورفع الوسوسة، ونفي الفقر والمرض.
- قيل إن نفي الولد عن الله ورد في مقابل دعوى اليهود والنصارى، وإن نفي الشريك ورد في مقابل قريش، وإن نفي الولي ورد في مقابل بعض المجوس وعباد النجوم<sup>(١)</sup>.

### التعاليم:

- ١ - لتتعلم حقيقة الحمد من الله تعالى، ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾.
- ٢ - دليل اختصاص الحمد بالله تعالى هو عدم احتياجه، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلِيًّا﴾.
- ٣ - عظمة الله تعالى، اعتبرها الله عظمة خاصة به، وينبغي علينا أن نعتبره الغني (غير المحتاج) المطلق، ﴿وَكَبِيرُهُ تَكْبِيرًا﴾.

«الحمد لله رب العالمين»

(١) تفسير مجمع البيان وتفسير الأمثل.



سورة الكهف



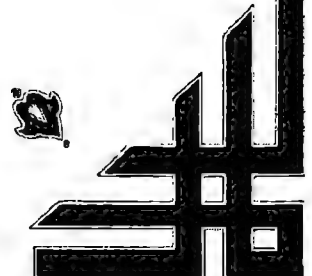
# سُورَةُ الْكَافِرَاتِ

السورة: ١٨ الجزء: ١٥ - ١٦

عدد الآيات: ١١٠



سورة الكهف





## ملاحح سورة الكهف

هذه السورة تشتمل على مئة وعشرة آيات، باستثناء الآية الثامنة والعشرين فإنها نزلت كلها في مكة المكرمة.

وفي هذه السورة ذكرت قصة أصحاب الكهف، وقصة موسى والخضر عليه السلام، وقصة ذي القرنين<sup>(١)</sup>. وبحث فيها بعض المسائل المرتبطة بالمبدأ والمعاد.

روي أن قريشاً أرسلت بعض أفرادها من مكة إلى المدينة ليسألوا أحبار اليهود عن بعثة النبي محمد ﷺ والدلائل على صدقه، فقال أحبار اليهود لمبعوثي قريش: اسألوه عن ثلاثة أمور فإذا أجابكم عن أمرين ولم يجيبكم عن الثالث فهو صادق اسألوه عن أصحاب الكهف وذي القرنين وعن الروح فإذا أجابكم عن أصحاب الكهف وذي القرنين ولم يجيبكم عن الروح فهو نبي<sup>(٢)</sup>.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «من قرأ سورة الكهف في كل ليلة جمعة لم يمت إلا شهيداً، وبعثه الله مع الشهداء، ووقف يوم القيامة مع الشهداء»<sup>(٣)</sup>.

(١) هذه القصص الثلاث ذكرت في هذه السورة فقط.

(٢) تفسير الدر المنثور.

(٣) مجمع البيان.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۖ قَلِيلًا يَنْذِرُ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾

### إشارات:

□ من بين السور القرآنية، فإن سور: الحمد، الأنعام، سبأ، فاطر، والكهف ابتدأت بقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، وفي ثلاث سور منها تكلم عن الخلق. وفي سورة الحمد تكلم عن التربية، وأما في هذه السورة فتكلم عن الكتاب السماوي، وكان الوجود والخلق، مضافاً إلى الكتاب والقانون، بمثابة الجناحين لتربية الإنسان.

□ «العوج» الانحراف، وتستعمل «عَوَج» (بفتح العين) في مورد المحسوسات (ما يُرى شخصه)، وتستعمل «عَوَج» (بكسر العين) في غير المحسوسات (ما لا يُرى شخصه)<sup>(١)</sup>.

و«القيَم» بمعنى المستقيم المعتدل وما يقوم بمصلحة الشيء.

□ ابتدأت السورة السابقة بقوله ﴿سُبْحَنَ الَّذِي﴾ وأما هذه السورة فبمقولة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، فالتسبيح والتحميد يقترنان غالباً.

□ كلمة «عبده» متى ما وردت في القرآن بنحو مطلق فالمراد منها هو النبي الأكرم ﷺ، كما في قوله تعالى: ﴿أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ﴾<sup>(٢)</sup> ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ﴾<sup>(٣)</sup> ﴿يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾<sup>(٤)</sup> ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) «عَوَج» تستعمل لبني الإنسان، و«عَوَج» لغير بني الإنسان. (تفسير التبيان).

(٢) سورة النجم: الآية ١٠.

(٣) سورة الفرقان: الآية ١.

(٤) سورة الحديد: الآية ٩.

(٥) سورة الزمر: الآية ٣٦.

## التعاليم:

- ١ - نعمة الكتاب والقانون، مهمة إلى حد أن الله تعالى نفسه يحمد على ذلك، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ...﴾.
- ٢ - عبودية الله مهد استقبال الكمالات المعنوية، ﴿أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ...﴾.
- ٣ - لا اعوجاج في كتاب الله ولا في رسوله ﷺ، ولا يميل من الحق إلى الباطل، ولا من المفيد إلى غير المفيد، ولا من الصحيح إلى الفاسد، ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا...﴾.
- ٤ - القرآن إلى يوم القيامة ثابت غير قابل للنسخ، ﴿فَيَسَاءَ...﴾.
- ٥ - القرآن، حافظ الكتب السماوية والقيّم على كل مصالح العباد، لا يوجد فيه أي تناقض أو اختلاف أو أي إفراط وتفريط، ويدعو إلى القيام. وكذلك القيام بالدعوة، ﴿فَيَسَاءَ...﴾.
- ٦ - شرط القيام بمصالح الآخرين هو عدم وجود الانحراف والاعوجاج فيها، ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا، فَيَسَاءَ...﴾.
- ٧ - دفع الضرر أولى وأهم من جلب المنفعة، لذا أورد الإنذار قبل البشارة، ﴿لِيُنْذِرَ... وَيُبَشِّرَ...﴾.
- ٨ - الإيمان مع العمل الصالح مؤثر، ﴿الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَمْعَلُونَ الصَّالِحَاتِ...﴾.
- ٩ - العمل الصالح ينبغي أن يستمر، ﴿يَمْعَلُونَ...﴾.

﴿مَنْ كُنْتُمْ فِيهِ أَبَدًا ۖ وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۚ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۚ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۖ﴾

## إشارات:

□ رغم أن الآية السابقة اشتملت على الإنذار إلا أنه، وبسبب أهمية انحراف المشركين في دعوى الولد لله، فقد تكرر الإنذار في هذه الآية مرة أخرى.

□ بالالفتات إلى آيات أخرى في القرآن فإن تهمة الله باتخاذ الولد كانت تهمة كبيرة وشائعة بين المشركين؛ فالمسيحيون قالوا بـ«الآب والابن والروح القدس»، وقالت اليهود إن «عزيراً» ابن الله، وذهب المشركون إلى أن الملائكة بنات الله، مع أن هذه العقيدة لا تتوافق مع الواقع ولا تتطابق مع العقل أيضاً.

### التعاليم:

- ١ - العمل الدائم له ثواب دائم، ففي الآية السابقة كان قوله «يعملون الصالحات» مشيراً إلى دوام العمل، وفي هذه الآية فإن قوله تعالى ﴿مُتَكَبِّرِينَ﴾ يعني الثواب الدائم.
- ٢ - الإنسان محب للحياة الدائمة والخالدة، وهذه الحياة قد جعلها الله في يوم القيامة، ﴿مُتَكَبِّرِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾.
- ٣ - من خصائص النعم الإلهية في الآخرة دوامها وخلودها، وفي يوم القيامة لا موت ولا فناء، ﴿مُتَكَبِّرِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾.
- ٤ - إصلاح عقائد الناس من وظائف الأنبياء، ﴿وَنُذِرَ الَّذِينَ قَالُوا﴾.
- ٥ - الجهل مهد الانحراف، ﴿قَالُوا... مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾.
- ٦ - لا بد من أن تكون العقائد على أساس العلم، والعقيدة دون علم مذمومة، ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾.
- ٧ - من لم يكن لديه إيمان فإنه يتهم خالقه أيضاً، ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً﴾.
- ٨ - اتخاذ الله للولد تهمة لا أساس لها، ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾.
- ٩ - نسبة الولد إلى الله، مضافاً إلى أنها شرك، فإنها تشبیه في غير موقعه، وكذلك هي اعتقاد بحاجة الله إلى من يخلفه والمعين له، ﴿كَبُرَتْ﴾.

﴿فَلَمَّا كَبُرَتْ بَنِيهِمْ عَنْ زَيْدِ بْنِ مَرْثَدَةَ بْنِ هَارِثٍ أَن يَبْنِيَهُمْ أَصْفًا﴾

### إشارات:

□ «الأسف» شدة الحزن.

□ التعبير بقوله ﴿فَلَمَّا لَكَ بَنِيعٌ نَفْسَكَ عَلَىٰ ءَاثَرِهِمْ﴾ يفيد منتهى التعزية للنبي محمد ﷺ، وكأنها تُشبهه النبي ﷺ بشخص يفصل عنه أعز أتباعه وهو بكل حسرة ينظر إليهم من خلفهم.

### التعاليم:

- ١ - الأسى والتأسف على ضلال الآخرين قِيم. والنبي ﷺ هو أكثر الناس تأسفاً وأسى، ﴿بَنِيعٌ نَفْسَكَ﴾.
- ٢ - لا بد للقائد من أن يفكر في إصلاح عقائد الناس وأعمالهم وأن يبقى متابعاً لهم، ﴿عَلَىٰ ءَاثَرِهِمْ﴾.
- ٣ - القرآن فيه كلام جديد وخطاب جديد، ﴿الْحَدِيثِ﴾ ولا بد للمبلغ أيضاً من أن يقوم بالتحديث باستمرار (الحديث بمعنى الجديد الذي لا سابق له).

﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّمَنَّا لِنَبْلُوهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۖ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾

### إشارات:

- «الصعيد» يطلق على التراب وعلى مطلق وجه الأرض. و«الجرز» الأرض الفاحلة التي لا نبات فيها.
- وَضَعَ الله تعالى كلمة «لنبلوهم» المرتبطة بمسألة اختبار الناس بين كلمتي «جعلنا» و«جاعلون»، الأولى منهما ترتبط باخضرار الأرض، والثانية ترتبط بما لا نبت فيها، وربما يكون في ذلك إشارة إلى أَنَّ ابتلاء الناس واختبارهم يقع بين طيات الاخضرار والسرور من جهة واليباس والغموم من جهة أخرى، إِلَّا أن ما هو المهم هو عمل الإنسان وفلاحه.
- ورد في الروايات أن المراد من قوله ﴿أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أي أحسن عقلاً وأحسن ورعاً وتقوى، والتي هي ذخيرة ليوم القيامة أيضاً<sup>(١)</sup>.

(١) تفسير نور الثقلين، ج ٥، ص ٣٦١؛ وج ٣، ص ٢٤٣.

## التعاليم:

- ١ - السبب في عدم إيمان الكفار سكرهم بزينة الدنيا، ﴿لَمْ يُؤْمَرُوا... جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً﴾.
- ٢ - كل شيء على وجه الأرض من بساتين، وورود، وفواكه، وحيوانات، ومياه، ومعادن، وألوان، وروائح، زينة للأرض، ﴿زِينَةً لَهَا﴾. وأما بالنسبة إلى بني الإنسان السائرين نحو الكمال فإن الإيمان زيتهم<sup>(١)</sup>.
- ٣ - الزينة وسيلة للبلاء، ﴿زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ﴾؛ ليعلم حينئذٍ من هو المخدوع المغبون والذي يبيع نفسه، وليعلم من هو القانع الزاهد العفيف الذي يجعلها مقدمة للعمل الصالح.
- ٤ - الابتلاء يدل على اختيار الإنسان<sup>(٢)</sup>، ﴿لِنَبْلُوهُمْ﴾.
- ٥ - المهم هو كيفية العمل وليس مقداره وكميته، ﴿أَحْسَنُ عَمَلًا﴾؛ ولم يقل «أكثر عملاً».
- ٦ - جمال الورد والطبيعة فإن، وأما العمل الحسن فباق، ﴿أَيْكُذُّ أَحْسَنُ عَمَلًا... صَعِيدًا جُرًّا﴾.
- ٧ - علينا ألا نغتر بزينة الدنيا الظاهرية والتي ستسوى جميعاً في التراب، ﴿صَعِيدًا جُرًّا﴾.

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ ءَايَاتِنَا عَجَبًا﴾

## إشارات:

□ «الرقيم» بمعنى الكتاب، وهو لوح من حجارة كتب فيه قصة أصحاب الكهف ودُونت فيه أسماؤهم. و«الكهف» يطلق على الغار الكبير.

(١) ﴿حَبَّبَ إِلَيْنَكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾، (سورة الحجرات: الآية ٧).

(٢) يستخدم الابتلاء في الموارد التي يمتلك فيها الإنسان القدرة على الاختيار.



□ تفيد الآية الشريفة أن الأهم من نوم بعض الأفراد في الغار ومن ثم إيقاظهم هو إيجاد المظاهر الجميلة الكثيرة والمتنوعة على وجه الأرض، ومن ثم محوها وفنائها باعتبار أن قضية أصحاب الكهف ليست عجباً كبيراً بالنظر إلى القدرة الإلهية.

□ حدثت قضية أصحاب الكهف بعد زمان النبي عيسى عليه السلام وقبل بعثة نبي الإسلام محمد ﷺ في مدينة «أفسوس» من أرض الروم، وكان طاغوتها يسمى دقيانوس.

والعبرة التي يمكن استفادتها من هذه الحادثة هي عبرة الهجرة والثبات والمدد الإلهي، ولا ينبغي الالتفات إلى المكان والزمان والعدد وغير ذلك.

□ الظاهر أن أصحاب الكهف والرقيم اسم لمجموعة واحدة. وذهب بعضهم إلى القول إن الرقيم اسم للقرية التي خرج منها أصحاب الكهف، مع أن بعض التفاسير ذكرت أن أصحاب الرقيم هم نفر الثلاثة الذين خرجوا من بيوتهم للكسب والعمل والقوت فأصابهم المطر في الطريق فالتجأوا إلى الغار، وأثناء تواجدهم هناك سقطت صخرة من الجبل سدت باب الغار فحبسوا فيه، فذكر كل واحد منهم ما كان يعمل من الخيرات لوجه الله، ودعوا الله أن ينجيهم بسبب تلك الأعمال، وفي كل مرة من دعائهم كانت الصخرة تميل قليلاً حتى أنجاهم الله تعالى. وعن النبي ﷺ أنه قال بعد ذكر هذه القصة: من صدق الله نجا<sup>(١)</sup>.

﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۝١٠﴾

فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ۝١١﴾

إشارات:

□ «الفتية» جمع فتى بمعنى الشاب وصاحب الهمة. ورُوي عن الإمام الصادق عليه السلام

أنه قال: «كانوا شيوخاً فسماهم الله ﷻ فتية بإيمانهم»<sup>(١)</sup>.

□ «رَشَدًا» بمعنى الرُّشد والنجاة ومرضاة الله<sup>(٢)</sup>. وردت هذه الكلمة ثلاث مرات في هذه السورة: في قصة أصحاب الكهف، وفي قصة النبي موسى ﷺ مع الخضر ﷺ (الآية: ٦٦)، وفي مورد نبي الإسلام ﷺ (الآية: ٢٤).

□ ورد في الحديث أن المراد من قوله تعالى: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ﴾، أي ضرب عليهم النوم والنعاس ثلاث مئة سنة وتسعاً ومن ثم أحياهم مرة أخرى<sup>(٣)</sup>.

### التعاليم:

١ - لأجل حفظ الدين، لا بد من الهمة، وترك الرفاه والراحة، والهجرة، ﴿أَوَىٰ الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ﴾.

٢ - الدعاء المصاحب للسعي والعمل مؤثراً، ﴿أَوَىٰ... رَيْنًا﴾.

٣ - الهجرة من البيئة الفاسدة لأجل المحافظة على الإيمان والقيم تعد عملاً عظيماً، ﴿أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ﴾.

٤ - الهجرة والقيام في سبيل الله يمهدان لتلقي الإمدادات الإلهية، ﴿أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ... فَضَرَبْنَا﴾.

﴿ثُمَّ بَمَنْتَهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لِسُوءِ أَمَدٍ﴾

### إشارات:

□ ﴿أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لِسُوءِ﴾ ربما تشير إلى الآية (١٩) من هذه السورة، إذ تفيد أن أصحاب الكهف قد اختلفوا في مدة نومهم ولبثهم، ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ...﴾.

(١) الكافي، ج ٨، ص ٣٩٨؛ تفسير نور الثقلين.

(٢) تفسير نور الثقلين.

(٣) تفسير مجمع البيان.

□ إن الله سبحانه وتعالى عالم بكل شيء وبناء عليه فإن قوله «لنعلم» إما أن يكون المراد منه أن الله تعالى تكلم بلسان الناس، وإما أنه بمعنى أن ما يعلمه الله قد تحقق وحدث.

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْنَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ (١٣)

### إشارات:

□ الناس من حيث الفساد والمجتمع الفاسد على ثلاثة طوائف:

أ - طائفة تنخرط في فساد المجتمع (وهؤلاء هم الذين لم يهاجروا ولم يؤمنوا بشكل كامل) ﴿وَكُنَّا نَحْوُكُمْ مَعَ الْفَاسِقِينَ﴾.

ب - طائفة تحافظ على نفسها رغم كونها في المجتمع الفاسد. (مثل أصحاب الكهف) ﴿إِنَّهُمْ فِتْنَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ﴾.

ج - طائفة تعمل على تغيير المجتمع الفاسد وإصلاحه (مثل الأنبياء والأولياء) ﴿وَبُرِّكِيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾.

□ ورد في الروايات أن أصحاب الكهف سيكونون من أصحاب الإمام المهدي وأنصاره (عجل الله تعالى فرجه) (١).

### التعاليم:

- ١ - القصص وقصة الحق وقول الحقيقة ليست بمقدور كل أحد، ﴿نَحْنُ نَقُصُّ﴾.
- ٢ - قصة أصحاب الكهف مهمة ومفيدة ﴿نَبَأَهُمْ﴾؛ والنبأ هو الخبر الهام والمفيد.
- ٣ - الاستفادة من الحقائق والعبر التاريخية يعد من أساليب التربية في القرآن، ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ﴾.
- ٤ - قصص القرآن لها حقيقة وليست موضوعة أو مخلوطة بالأوهام والتحريف، ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ﴾.

٥ - تحرك الإنسان وسعيه يؤدي إلى رشد وهدايته، ﴿ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَهُمْ هُدًى﴾.

٦ - الإيمان والهداية على مراتب متفاوتة، ﴿وَزِدْنَهُمْ هُدًى﴾.

﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾

### إشارات:

□ «الشطط» بمعنى الإفراط في الابتعاد عن الحق وقول الكلام الباطل الذي لا يمكن القبول به بأي وجه.

### التعاليم:

- ١ - سكينه القلوب ويقظتها وثباتها بيد الله تعالى، ﴿وَرَبَطْنَا﴾.
- ٢ - في مقابل انحراف المجتمع لا يجوز القعود؛ بل لا بد من القيام والنهوض، ﴿إِذْ قَامُوا﴾.
- ٣ - المدد الإلهي إنما يتم في ظل الإيمان بالله والوحدة والنهوض والقيام والتوكل على الله، ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا﴾.
- ٤ - القيام في وجه الظالم يحتاج إلى إيمان راسخ وقلب مطمئن، ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا﴾.
- ٥ - الإيمان الواقعي يصاحب القيام، ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا﴾.
- ٦ - الموحّد الواقعي لا يميل أبداً إلى الشرك، ﴿لَن نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا﴾.
- ٧ - ثمرة التوحيد في الربوبية، ﴿رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾؛ هي التوحيد في العبودية، ﴿لَن نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا﴾.
- ٨ - الشرك انحراف بعيد، وعميق، وفاحش لا يعفى عنه أبداً، ﴿شَطَطًا﴾.

﴿هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ  
مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ ﴿١٥﴾

### إشارات:

□ رغم أن كلمة «الافتراء» تتضمن معنى الكذب فإنه مع ذلك ذكر في الآية أيضاً كلمة «كذباً»، وربما يكون السبب في ذلك أن الافتراء على نحوين: تارة يوجد فيه إمكان النسبة وتارة أخرى لا يوجد. والشرك ها هنا من النوع الثاني؛ إذ إن وجود الشريك للقادر والعالم على الإطلاق محال.

### التعاليم:

- ١ - قلة الاهتمام بضلال الآخرين وانحرافهم ممنوع، ﴿هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا﴾. (إن أصحاب الكهف كانوا متزعجين من انحراف قومهم).
- ٢ - أكثر ما يقلق رجال الله انحراف الناس العقدي، ﴿اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً﴾.
- ٣ - التقليد والتبعية لمن حولنا في العقائد منطق مذموم وباطل، بل لا بد في العقائد من وجود الدليل الواضح والبيّن، ﴿قَوْمُنَا اتَّخَذُوا... لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾.
- ٤ - الشرك افتراء على الله ودون دليل، ﴿مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ﴾.
- ٥ - الكذب، ظلم والكاذب ظالم، والأظلم هو من يكذب على الله تعالى، ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾.

﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْفُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا﴾ ﴿١٦﴾

### إشارات:

□ تحكي هذه الآية قول رئيس أصحاب الكهف مع بقية الفتية يبعث فيهم الأمل برحمة الله وسعتها<sup>(١)</sup>.

## التعاليم:

- ١ - الموحد الواقعي، مضافاً إلى تركه للأصنام، فإنه يعتزل عبَاد الأصنام أيضاً ﴿اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ﴾.
- ٢ - عباد الله تعالى في معرض التهديد من قبل المشركين، ﴿فَأَوْرَا إِلَى الْكَهْفِ﴾.
- ٣ - السكن في الكهف ضمن أجواء التوحيد أفضل من السكن في المدينة ضمن أجواء الشرك، ﴿فَأَوْرَا إِلَى الْكَهْفِ﴾. كذلك فعل النبي يوسف عليه السلام؛ إذ رجح السجن على القصر فقال: ﴿رَبِّ السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ﴾<sup>(١)</sup>.
- ٤ - إن من يقوم لله تعالى ويهاجر من بلده تاركاً مسكنه ومجتمعه، فإنه سيكون مضمولاً بالأنعام الإلهية، ﴿يَنْشُرْ لَكُمْ﴾.
- ٥ - الشدائد سريعة الانقضاء ومقدمة للرفاه والسكينة، ﴿وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا﴾.

﴿وَرَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضِلِلْ فَلَن يَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ (١٧)

## إشارات:

□ من الناحية الجغرافية فإن غار أصحاب الكهف لم يكن مواجهاً للمشرق ولا للمغرب، بل كان مواجهاً للشمال الشرقي بحيث لم تكن الشمس لتنفذ إلى أعماق الكهف أبداً وفي أي وقت.

وقد اختلفت الآراء في مكان وجود الكهف، فذهب بعضهم إلى القول إنه كان في الجبال بأطراف دمشق وهو مشهور بغار أصحاب الكهف. وذهب آخرون إلى القول بوقوعه في أطراف مدينة عمان عاصمة الأردن وأن فيه عدداً من القبور وصورة كلب منقوشة على الجدار، وتوجد فوق الكهف صومعة قديمة، كذلك فإن

المسلمين قاموا ببناء مسجد في ذلك الموضع<sup>(١)</sup>. وعلى أي حال فإن خصائص الكهف كانت نموذجاً من رحمة الله تعالى التي كان قد وعد بها في الآية السابقة.

### التعاليم:

١ - الحفظ الإلهي لا يكون دائماً على صورة المعجزة بل أحياناً، تكون العوامل الطبيعية من وسائل الحفظ وأدواته، كما كان الحال في حفظ أصحاب الكهف، ﴿وَرَزَى الشَّنَسْ...﴾. (إن عدم شروق الشمس على الكهف بشكل مباشر وكذلك وجود النسيم والهواء وسعة مكان الكهف كانت جميعاً من العوامل الطبيعية التي ساهمت في سلامة أصحاب الكهف).

٢ - التوفيق للإيمان، مضافاً إلى اعتزال القوم المشركين واللجوء إلى ذلك الكهف مع ما له من خصائص، لم تكن لتتم إلا بإرادة الله وهدايته، ﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ...﴾.

﴿وَتَحْسَبُهُمْ آتِفاً وَهُمْ رُفُودٌ وَنُقِلَبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطْلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ ﴿١٨﴾

### إشارات:

□ على حد قول صاحب تفسير مجمع البيان فإن الظاهر من قوله تعالى: ﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ﴾ أن ذلك الكلب بقي حياً يحرسهم ثلاث مئة وتسع سنين.

نعم، إذا شاء الله وأراد فإنه على باب غار يحفظ نبيه ببيت العنكبوت ويؤيس الكافرين، وفي غار آخر يحفظ المؤمنين من يد الظالم بجلوس كلب على بابه وحراسته لهم.

### التعاليم:

١ - إحدى النعم الإلهية تقلب الإنسان في نومه، ﴿وَنُقِلَبُهُمْ﴾.

٢ - الله تعالى مسبب الأسباب ولذا فإن تغيير الأسباب والآثار من أفعال الله تعالى، ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾. (من الناحية الكمية فإن الله تعالى غير مدة نوم أصحاب الكهف من ساعات عدة إلى ثلاث مئة وتسع سنين، ومن الناحية الكيفية فإنه غير نومهم إلى نوم تبقى فيه أعينهم مفتوحة ويديرون أطراف أعينهم).

٣ - الحيوانات أحياناً تكون مأمورة ببعض الأهداف الإلهية؛ لذا لا بد لنا من أن لا نغفل عن دور الحيوانات في حياة البشر، ﴿وَكَلَّبَهُمْ فِي الْوُجُوهِ﴾.

٤ - شكل بعض الناس وقيافتهم لا يعد معياراً صحيحاً للمعرفة، فربما كان بعض الناس مخيفاً؛ ولكنه من أولياء الله تعالى<sup>(١)</sup>، ﴿لَوْ أَطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾.

﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِئْتُمْ قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِئْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾﴾

#### إشارات:

□ «الورق» هو الدراهم، وكان معهم دراهم عليها صورة الملك الذي كان في زمانهم.

□ أثناء المبارزة مع المجتمعات الفاسدة فإن الوحدة بين القوى الفاعلة تعتبر عاملاً مهماً وفي هذه الآية تكررت صيغة الجمع «كم» أربع مرات:

أ - من أجل تهينة الطعام فإن الكل واحد، ﴿أَحَدَكُمْ﴾.

ب - المال للجميع، ﴿بِرِزْقِكُمْ﴾.

(١) ربما يكون الخوف والوحشة - المسيبان عن تغير قيادة أصحاب الكهف - لأجل المحافظة عليهم بحيث لا يجرؤ أحد من الناس على الاقتراب منهم.



- ج - الغذاء الذي يراد تهيئته للجميع، ﴿فَلْيَأْتِكُمْ﴾.  
 د - المحافظة على أرواح الجميع واجب، ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ﴾.

### التعاليم:

- ١ - بالنسبة إلى الله تعالى فإنه لا يشكل عليه أي أمر لا من جهة تنويمهم ثلاث مئة وتسع سنين، ولا من جهة إيقاظهم مرة أخرى، ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ﴾.
- ٢ - لا تتعجبوا من البعث والحشر في يوم القيامة؛ فإن كل يقظة من النوم تعد نوعاً من البعث والنشور، ﴿بَعَثْنَاهُمْ﴾.
- ٣ - الإيقاظ من النوم أيضاً إنما هو بإرادة الله تعالى، ﴿بَعَثْنَاهُمْ﴾.
- ٤ - إيقاظ أصحاب الكهف كان له ثمرتان: إحداها ترتبط بهم أنفسهم إذ تساءلوا: ﴿لَيْسَاءَ لَوْلَا﴾، والثانية ترتبط بالآخرين من جهة كونها نموذجاً للنشور والبعث في يوم القيامة، ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ﴾.
- ٥ - الأمور التي لا علم لنا بها لا ينبغي علينا إبداء رأي فيها، ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسَ﴾.
- ٦ - حتى في ضمن مجموعة صغيرة لا بد أيضاً من وجود المسؤول والقائد (بين أصحاب الكهف كان رجل واحد فقط يأمر وينهى ويسأل)، ﴿قَالَ قَائِلٌ... فَأَبْعَثُوا﴾.
- ٧ - التحرك والسعي من أجل المعيشة في الحياة لا يتنافى مع التوكل. فأصحاب الكهف كانوا يمتلكون المال من جهة ومن جهة أخرى تحركوا من أجل تهيئة الطعام، ﴿فَأَبْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ﴾.
- ٨ - التوكيل وقبول الوكالة من الجماعة جائزان، ﴿فَأَبْعَثُوا أَحَدَكُمْ﴾.
- ٩ - المال والنقد لهما سابقة قديمة في التاريخ، ﴿بِوَرِقِكُمْ﴾.

- ١٠ - ليس كل مال يمكن أن يكون ثمناً للبضاعة، ﴿يُورِقْكُمْ هَذِهِ﴾.
- ١١ - الأحرار المؤمنون لا يأكلون أي طعام ولا يهتمهم نوعه ومقداره بل المهم عندهم كون الطعام طاهراً وحلالاً، ﴿أَزْكَىٰ طَعَامًا... يَرْزُقُ مِنْهُ﴾.
- ١٢ - لا بد للمؤمن من أن يكون حافظاً للأسرار، وأن يكون فطناً، ومن خلال تطبيق أصول السلامة عليه ألا يعرف العدو بوجوده، ﴿وَلَيْتَلَطَّفُ﴾؛ لذا من يتحمل المسؤولية لا بد من أن يمتلك الحصافة الكافية.

﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ

فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا﴾

### التعاليم:

- ١ - في بعض الموارد، ولأجل حفظ النفس والإيمان، فإن التقية واجبة، ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ... يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ...﴾.
- ٢ - من قصر في حفظ نفسه وإيمانه فأصبح منحرفاً فإنه لن يفلح أبداً، ﴿وَلَنْ تُفْلِحُوا﴾.
- ٣ - المنطق القائل: «إذا لم تُرد الفضيحة فتلون بلون الجماعة» مخالف للقرآن، ﴿يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا﴾.
- ٤ - ظروف البيئة وضغطها وما يُلزم به المجتمع والحكومات يؤدي غالباً إلى انحراف عامة الناس وتعاستهم، ولكن لا بد من الوقوف في مقابلها ومواجهتها، ﴿يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا﴾.
- ٥ - الرجم في سبيل الحق ليس عيباً بل المعيب هو الانحراف والارتداد، ﴿يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا﴾.
- ٦ - المرتد لا يفلح أبداً، ﴿يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا﴾.

﴿وَكَذَلِكَ أَغْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّهُ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَسْتَرْعُونَ  
بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ  
لَنَنْخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ﴿٢١﴾﴾

## إشارات:

□ «الإعثار» يقال في مورد الاطلاع على أمر ما صدفة من غير طلبه. كما اطلع  
الناس في ذلك الزمان على سرهم الهام جداً دون أي عناء وطلب وإنما فقط  
من خلال النظر في دراهم.

□ طرحت في قصة أصحاب الكهف مسائل عدة نظير: قدرة الله تعالى وإرادته،  
الشجاعة، الزهد في الدنيا، الهجرة، التقية، المدد الإلهي، والغذاء الحلال.

## التعاليم:

١ - الإرشاد والتعليم التجريبي والعيني والتمثيلي كلها تعد من أفضل الإرشادات  
﴿أَغْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا﴾.

٢ - لا يتصف أي فعل من أفعال الله تعالى بالعبث واللغو، ﴿أَغْتَرْنَا... لِيَعْلَمُوا أَنَّهُ  
وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾.

٣ - لا بد من أن تكون العقائد على أساس العلم، ﴿لِيَعْلَمُوا أَنَّهُ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾.

٤ - القدرة التي يمكنها أن تحفظ الإنسان حياً دون غداء لأكثر من ثلاثة قرون  
بإمكانها أيضاً إحياء الأموات، ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾.

٥ - يمر الإنسان على بعض الحوادث التاريخية بكل بساطة ويغفل عن آثارها  
التربوية، فأصحاب الكهف، وبعد كشف أمرهم، رحلوا عن الدنيا، وأما  
الناس فكان همهم بناء تذكارات ومقبرة لهم وليس العبرة والدرس التربوي من  
هذه الحادثة، ﴿ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا﴾.

٦ - أغلب الناس سطحويون وبسطاء في الفكر لا يبالون بالعمل ويقولون للآخرين  
اعملوا، ﴿قَالُوا ابْنُوا﴾؛ ولكن أصحاب الهمة الأقوياء يقولون: نحن نقوم بذلك  
﴿لَنَنْخِذَنَّ﴾.

- ٧ - بناء المسجد فوق مزار أولياء الله له جذور قرآنية، ﴿لَتَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾.
- ٨ - الآثار المقدسة يجب أن تكون في أماكن مقدسة ولمناسبات مقدسة أيضاً؛ لذا فإن وجود المسجد إلى جوار كهف الموحيدين المهاجرين ذو قيمة عظيمة، ﴿لَتَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾.
- ٩ - علينا الاستفادة من كل فرصة لأجل ترويج الدين ونشره، ﴿لَتَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾ (إذا كان لا بد من بناء شيء كنصب وتذكارة؛ فلنبن مسجداً فإن آثاره المعنوية والمادية كبيرة جداً).

﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَأَيْتُمْ كَلْبَهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ (٢٢)

#### إشارات:

□ لم يرد حرف (و) قبل قوله «رابعهم» و«سادسهم» ولكنه ورد قبل قوله «ثامنهم» ﴿وَتَامِنُهُمْ﴾.

وربما يكون السبب في ذلك أن أصحاب الرأي القائل بكونهم ثلاثة أو خمسة لم يكونوا أهلاً للرأي وقد عبر الله تعالى عنهم بقوله ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾، وأما الرأي القائل بكونهم سبعة فصدر عن المؤمنين وأهل التدقيق<sup>(١)</sup> في الأمور. ومن هذه الناحية لم ترد جملة «رجماً بالغيب» بعد قولهم، واحتراماً لهم فصل بواو العطف بين أصحاب الكهف وكلبهم (سبعة وثامنهم كلبهم).

□ إذا كان للحركات قيم وللناس أهداف فإن كل شيء يصاحبهم ويتعلق بهم حتى ولو كان حيواناً لا بد من أن يحسب لها الحساب. فكونه حيواناً أو نجساً لا يدل على عدم قيمته، وفي هذه الآية ذكر الكلب ثلاث مرات، وفي الآية (١٨) أيضاً أشير إلى الدور المؤثر لكلب أصحاب الكهف، ﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾.

(١) روى ابن عباس هذه المقالة عن أمير المؤمنين عليه السلام.

□ انتقد الله في آيات عدة من هذه السورة الظن والتخمين:

- ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسَ﴾ (الآية ١٩)،

- ﴿رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾ (الآية ٢١)،

- ﴿رَبِّي أَعْلَمُ بَعْدَتِهِمْ﴾ (الآية ٢٢)،

- ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسُوا﴾ (الآية ٢٦).

### التعاليم:

١ - القرآن يخبر أيضاً عن المستقبل، ﴿سَيَقُولُونَ﴾.

٢ - لا ينبغي علينا التكلم دون دليل ولا ينبغي لنا الاستناد إلى التخمين والظن، ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾.

٣ - في بعض المواضع غير الضرورية يجب علينا أن نغض النظر عن البحث والجدال، ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ﴾.

٤ - بدل التفكير بالعدد تفكروا في الأهداف، ولا تذهبوا وراء المعلومات غير المفيدة، ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾.

٥ - الاستفتاء والسؤال من أي إنسان لا يجوزان؛ لذا لا ينبغي لنا أن نسأل من ليس بأهل للسؤال، ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ﴾.

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِيْشَاءَ إِيَّيْ فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ

وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَّبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾﴾

### إشارات:

□ قول «إن شاء الله» الذي يفيد الاعتقاد بقدرة الله تعالى ومشيته كان مستند كلام

أولياء الله تعالى كذلك فإن القرآن أيضاً قد حكا عن لسان أنبياء الله:

- قال يعقوب عليه السلام لأبنائه: ﴿أَدْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

- قال النبي موسى ﷺ للخضر: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا﴾<sup>(١)</sup>.
- قال النبي شعيب ﷺ للنبي موسى ﷺ: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الْقَائِلِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.
- وقال إسماعيل لأبيه النبي إبراهيم ﷺ: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الْقَائِلِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.
- وحتماً ليس المراد من قول «إن شاء الله» و«أعوذ بالله» أن يكونا مجرد لقلقة لسان بل المراد امتلاك مثل هذه الرؤية والمعرفة في تمام أبعاد الحياة ومعتقدات الإنسان وقلبه.
- روي أن الإمام الصادق ﷺ أمر يوماً بكتابة رسالة وعندما جاؤوا بالرسالة إليه وجدها خالية من كلمة «إن شاء الله» فقال ﷺ: «كيف رجوتم أن يتم هذا وليس فيه استثناء، انظروا كل موضع لا يكون فيه استثناء فاستثنوا فيه»<sup>(٤)</sup>.
- وروي أن نبي الإسلام محمد ﷺ كان عندما يدخل إلى المقبرة يقول: «وإنا إن شاء الله بكم لاحقون». أي إن شاء الله فإننا سنلتحق بكم مع أن الموت أمر محتوم<sup>(٥)</sup>.
- إن الإنسان، وفي عين أنه مريد وحر ومختار، إلا أن ذلك ليس بنحو الاستقلال فلم يوكل إليه كل أموره ليقوم بها دون إرادة الله تعالى، أي أن الإنسان لا هو مجبر على كل أموره ولا هو بيده الاختيار في تمام الأمور، بل إن حرية الإنسان وإرادته في ظل مشيئة الله سبحانه، ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾.

### التعاليم:

- ١ - لا بد لنا، أثناء الكلام وأثناء العزم على أي أمر من الأمور، أن لا ننسى الله تعالى، ﴿وَلَا تَقُولَنَّ﴾.
- ٢ - علينا ألا نعتقد باستقلالنا عن الله تعالى، وعلينا ألا نخبر بالقيام في المستقبل

(١) سورة الكهف: الآية ٦٩.

(٢) سورة القصص: الآية ٢٧.

(٣) سورة الصافات: الآية ١٠٢.

(٤) تفسير نور الثقلين.

(٥) تفسير كشف الأسرار.

- بأي عمل مهما كان صغيراً بنحو القطع والجزم، ﴿وَلَا تَقُولَنَّ... إِنِّي فَاعِلٌ...﴾.
- ٣ - علينا ألا نستند فقط إلى إمكاناتنا وقدراتنا؛ إذ إن تهيئة المقدمات لا يضمن القيام القطعي بالعمل، ﴿وَلَا تَقُولَنَّ... إِنِّي فَاعِلٌ...﴾؛ بل وحتى في الأمور التي نتيقن بها لا بد من أن نقول «إن شاء الله» أيضاً.
- ٤ - الإنسان دائماً محتاج إلى الله تعالى؛ لذا يجب علينا في أي عمل أن نعتبر أنفسنا مرتبطين بإرادة الله، ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَأْنٍ إِنِّي فَاعِلٌ...﴾.
- ٥ - جبران ما فات لازم، ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ...﴾.
- ٦ - أنبياء الله أيضاً كانوا بحاجة إلى تعليم الله وهدايته لهم، ﴿وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي...﴾.
- ٧ - إظهار الرجاء بالمدد الإلهي يعد من أساليب الدعاء الصحيحة، ﴿عَسَى...﴾.
- ٨ - الهداية ذات مراحل وكلها بيد الله تعالى، ﴿أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ...﴾.
- ٩ - لا بد من إيجاد أقصر الطرق وأقربها إلى الحق والصواب، ﴿لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا...﴾.
- ١٠ - الوصول إلى الرشد الأكمل أمنية الأنبياء ﷺ، ﴿عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ...﴾.
- ١١ - الأنبياء أيضاً كانوا يسعون للوصول إلى الرشد والمراحل العليا، ﴿عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا...﴾.
- ١٢ - دوام ذكر الله أقصر طريق للوصول إلى الرشد، ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ... عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا...﴾.

﴿وَلِئَلَّامًا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ ٢٥ ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لِيُسْأَلَهُ غِيبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصَرَ بِهِ وَأَسْمَعُ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ﴾  
 مِنْ وَلِيِّ وَلَا يَشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾

إشارات:

□ روي أن يهودياً سأل الإمام علياً بن أبي طالب عليه السلام عن مدة لبثهم (أي لبث

أصحاب الكهف في الغار) فأخبر بما في القرآن (أي ثلاث مئة سنين وتسعاً) فقال اليهودي: إنا نجد في كتابنا ثلاثمئة فقال ﷺ «ذاك بسني الشمس وهذا بسني القمر»<sup>(١)</sup>. (أي أن تسع سنوات هي الفرق بين السنين الشمسية والقمرية).

وذكر في تفسير المراغي أن تفاوت هذه السنين التسع يدل على إعجاز القرآن ودقته؛ إذ أخذ بالاعتبار مدة التفاوت بين السنين الشمسية والسنين القمرية.

□ من الممكن أن يقال إن المدة كانت ثلاثمائة سنة وأن الناس قد زادوا عليها تسع سنوات ﴿وَأَزْدَادُوا تِسْعًا﴾ ولهذا السبب فإن الله تعالى قال في جوابهم: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِئْتُمْ﴾.

□ لا يوجد علمياً ميزان ثابت لمدة عمر أي كائن حي، بحيث يتحقق الجزم بموته حياته، فالمسألة ليست كباقي العناصر الخاضعة لقوانين الطبيعة كالماء الذي يغلي على حرارة ١٠٠ درجة مئوية، ويتجمد على درجة الصفر، وغيره من العناصر التي كشف العلماء من خلال تجاربهم قواعدها ونواميسها، بينما في المقابل لم نرَ أحداً من علماء العالم قد حدد ميزاناً معيناً لعمر الإنسان، نعم استطاعوا من خلال تجارب مختبرية زيادة عمر بعض الكائنات إلى الضعفين أو الثلاثة في بعض الأحيان، واستطاعوا في أحيان أخرى أن يفعلوا ذلك بنسبة (١٢) مرة أو أكثر بالقياس إلى العمر الوسطي. لقد أعلنت الصحف قبل مدة عن اكتشاف سمكة متجمدة بين ثلوج القطب الشمالي يعود عمرها إلى آلاف السنين، كما تبين ذلك من طبقات الثلج القشرية، ويعد أن وضعت السمكة في ماء معتدل عادت إلى حياتها الطبيعية وبدأت بالحركة وسط دهشة الجميع<sup>(٢)</sup>.

□ إذا قدمنا الأرقام والإحصاءات بشكل بسيط وعادي فمن الممكن أن تُنسى بعد مدة أو أن لا يتوجه إليها السامع أصلاً، فمثلاً لو أن مريضاً قال للطبيب: (انتظرت دوري خارجاً طيلة أربع ساعات) فلن يكون وقعه كما لو قال له



انتظرت دوري خارجاً طيلة أربع ساعات إلا سبع دقائق) لأن هذا القول سيلفت نظر الطبيب أكثر؛ إذ إن الأرقام تارة تكون لأجل بيان الزيادة أو النقصان ولا يدق فيها كثيراً؛ ولكن إذا بينت بشكل دقيق ومحسوب فإنها ستجذب إليها أسماع المستمعين لها؛ ولذا فإنه في مورد تحديد مدة تبليغ النبي نوح عليه السلام نراه يقول: «ألف سنة إلا خمسين عاماً» ليعلم الناس أن هذا الرقم دقيق جداً، وفي هذه الآية أيضاً يقول الله تعالى ﴿تِلْكَ يَأْتِرُ سِينَك﴾؛ ومن ثم يقول ﴿وَأَزْدَادُوا تِسْعًا﴾ ليعلم أن هذا الإحصاء دقيق.

### التعاليم:

١ - الدقة في بيان الأرقام والإحصاءات تساهم في ثباتها بشكل أكبر في الأذهان، ﴿تِلْكَ يَأْتِرُ سِينَك وَأَزْدَادُوا تِسْعًا﴾.

﴿وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ يَجْعَلَ مِنْ دُونِهِ مَلْحَضًا﴾

### إشارات:

□ من أعداء المخالفين للنبي الأكرم عليه السلام طلبهم منه تغيير القرآن وتبديله؛ إذ كانوا يقولون له: ﴿أَنْتَ يَشْرَعُ إِنْ غَيْرَ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ﴾<sup>(١)</sup>، فكان النبي عليه السلام يجيبهم قائلاً: إن هذا الأمر ليس بمقدوري واختياري، إن تبديل الآيات بيد الله فقط.

### التعاليم:

١ - إن الوحي ونزول الكتب السماوية من لوازم الربوبية الإلهية وهي تقع في مسير تربية الإنسان، ﴿مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ﴾.

٢ - القرآن الكريم مصون من أي تغيير وتحريف، وكما أن نبي الإسلام ﷺ هو خاتم الأنبياء كذلك فإن القرآن الكريم هو آخر الكتب السماوية، ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾.

﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾

إشارات:

□ على مر التاريخ كان الأغنياء وأصحاب الثروات من الكافرين يشترطون طرد الفقراء والمحتاجين حتى يؤمنوا، وقد طلب من النبي نوح عليه السلام مثل هذا الطلب إلا أنه أجابهم: ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾<sup>(١)</sup>، كذلك في عهد نبي الإسلام محمد ﷺ طلب المشركون منه أن يبعد عنه المحتاجين أمثال سلمان، وأبي ذر، وعمار، والخباب حتى يؤمنوا به ويكونوا معه؛ لذا، فإن هذه الآية تدم هذا الطرز من الفكر والعمل.

□ عن الإمامين الباقر والصادق عليه السلام في قوله: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ قالوا «إنما عني بها الصلاة»<sup>(٢)</sup>.

التعاليم:

١ - سعى أصحاب الثروات عند رسول الله ﷺ ليعرض عن معاشرة الفقراء المحتاجين المؤمنين، إلا أن النبي ﷺ كان مأموراً بمواجهة هذه التحركات ومقاومتها، ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ﴾.

٢ - مواساة الفقراء صعبة ولكن لا بد من تحمل ذلك، ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ﴾.

٣ - الالتزام بالدعاء والمناجاة شرط لياقة الأفراد للصحة والمجالسة، ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ...﴾.

- ٤ - لا بد للقائد من أن يكون مواسياً ومجالساً للمحرومين، لا أن يكون غير مهتم ولا مبال<sup>(١)</sup>، ﴿وَأَمِيرٌ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ... وَلَا تَقْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾.
- ٥ - الدعاء الدائم والخالص لوجه الله ذو قيمة كبيرة، ﴿بِالْقُدْرَةِ وَالْعِشْيِ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾.
- ٦ - لا بد لنا من أن نذكر الله في بداية كل نهار ونهايته، ﴿بِالْقُدْرَةِ وَالْعِشْيِ﴾.
- ٧ - علينا ألا نبتعد عن الفقراء لأجل تحصيل الدنيا وإرضاء أصحاب الأموال، ﴿تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾.
- ٨ - أقبح الأعمال أن يهتم القائد بالدنيا بينما ينصرف الناس إلى الله تعالى، ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ... وَلَا تَقْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾.
- ٩ - طلب الدنيا خطير إلى حد أن الله تعالى حذر الأنبياء أيضاً من ذلك، ﴿وَلَا تَقْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾.
- ١٠ - من يسعى وراء الدنيا فإنه يخرج عن مسير السائرين إلى الله، ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ... تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾؛ وذلك أن الميل إلى الدنيا (الدنيوية) يقابل الميل إلى الله (الإلهية).
- ١١ - عقوبة الميل إلى الدنيا الغفلة عن ذكر الله، ﴿تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِيعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ﴾.
- ١٢ - قيمة ذكر الله بمقدار ترسخه في القلب والروح، ﴿أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا﴾.
- ١٣ - الإنسان يسقط رويداً رويداً، ابتداء يسقط في الغفلة ومن ثم في اتباع الهوى، وأخيراً في مسير الانحراف، ﴿أَغْفَلْنَا، وَاتَّبَعَ هَوَاهُ، وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾.
- ١٤ - قيادة الغافلين، اتباع الهوى والمنحرفين ممنوع، ﴿أَغْفَلْنَا، وَاتَّبَعَ هَوَاهُ، وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾.
- ١٥ - الاعتدال قيم، والتطرف مذموم، ﴿وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾.

(١) ورد في الآية ٥٢ من سورة الأنعام أن طرد المؤمنين يعادل الظلم. قال تعالى: ﴿فَتَطَرَدُهُمْ فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفِرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾

### إشارات:

- الظاهر أن الآية الشريفة جواب لأولئك الذين وضعوا الشروط على رسول الله ﷺ حتى يؤمنوا؛ إذ قالوا: شرط إيماننا أن تطرد الفقراء.
- مع أن الناس أحرار في اختيار الإيمان أو الكفر؛ لكن لا بد من أن يعلموا أن عاقبة الكفر هو العذاب المحرق في يوم القيامة.
- «سرادق» أي الثوب الذي يدار حول الفسطاط<sup>(١)</sup>، ولم ترد هذه الكلمة في القرآن سوى مرة واحدة وفقط بخصوص أهل النار.
- قال الإمام الرضا عليه السلام لزياد بن أبي سلمة وكان يعمل عند الطاغوت: «يَا زِيَادُ لَأَن أَسْقِطَ مِنْ حَالِقٍ فَأَتَقَطَّعَ قِطْعَةً قِطْعَةً أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَوَلَّى لِأَحَدٍ مِنْهُمْ عَمَلًا أَوْ أَطَأَ بِسَاطِ أَحَدِهِمْ إِلَّا لِمَادَا؟ قُلْتُ لَا أَذْرِي جُعِلْتُ فِدَاكَ؛ فَقَالَ: إِلَّا لِتَفْرِيجِ كُرْبَةٍ عَنْ مُؤْمِنٍ أَوْ فَكِّ أَسْرِهِ أَوْ قَضَاءِ دَيْنِهِ؛ يَا زِيَادُ إِنَّ أَهْوَنَ مَا يَصْنَعُ اللَّهُ بِمَنْ تَوَلَّى لَهُمْ عَمَلًا أَنْ يُضْرَبَ عَلَيْهِ سُرَادِقٌ مِنْ نَارٍ إِلَى أَنْ يَفْرُغَ اللَّهُ مِنْ حِسَابِ الْخَلَائِقِ»<sup>(٢)</sup>.

### التعاليم:

- ١ - المنع الأوحد للحق هو الله تعالى، ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾.
- ٢ - طلب طرد الفقراء المؤمنين ليس من الحق بل الحق يصدر عن الله تعالى، ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾.

(١) السرادق كلمة فارسية في الأصل معربة، وقيل إن معناها الدخان، أي أحاط بهم دخان النار، وقيل أيضاً إن معناها الحائط من نار يحيط بهم، وقيل إنه ما يوضع على حائط الدار ويلف به أي الستارة (المترجم).

(٢) الكافي، ج ٥، ص ١١٠.

٣ - رغبة الناس وعدم رغبتهم لا يؤثران في حقانية الدين، ﴿وَقُلِ الْخَيْرُ مِنْ رِزْقِ رَبِّكَ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾.

٤ - النبي ﷺ مسؤول عن البلاغ وأما الناس فهم أحرار في قبول الإيمان أو الكفر، ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾.  
وكما يقول الشاعر:

(متاع الكفر والدين لا يبقى دون شارٍ فقسم يرتضي هذا وقسم يرتضى ذاك).

٥ - الكفر ظلم لأنفسنا، ﴿فَلْيُكْفُرْ، أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ﴾.

٦ - النار مهياة من قبل، ﴿أَعْتَدْنَا﴾.

٧ - مصير الإنسان يدور مدار رغباته وأعماله، ﴿أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرادِقُهَا﴾؛ إذ إن الشهوات والمفاسد التي تحيط بالإنسان في الدنيا ستصبح في الآخرة ناراً تحيط به أيضاً.

٨ - الالتفات إلى العاقبة المشؤومة للكافرين له دور مهم في تربية الإنسان، ﴿لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ...﴾.

٩ - المعاد جسماني، ﴿يَشَوِي النَّارُ هُجُوءًا﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ۖ﴾

إشارات:

□ إن الله تعالى لا يضيع أعمالنا الصالحة بل إن خصالنا وأعمالنا السيئة هي التي توجب حبط أعمالنا الصالحة وفناءها.

□ كل عمل صالح يمكن الإتيان به بأساليب عدة: الأسلوب العادي، الأسلوب الجيد، (الحسن) والأسلوب الممتاز، وبناء عليه فإن هذه الآية تشجع على أحسن الوجوه. نعم، أحياناً تكون المواد الغذائية جيدة وحسنة إلا أن أسلوب طبخها قد يكون حسناً وقد يكون متوسطاً.

## التعاليم:

- ١ - في مجال التربية لا بد من التهديد والتبشير؛ وكذلك الخوف والرجاء وتلازمهما معاً؛ (الآية السابقة كانت تهديداً وأما هذه الآية فإنها بشرى) ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ... إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرًا...﴾.
- ٢ - الفكر والدوافع الإلهية مقدّمة على العمل الصالح، ﴿ءَاتُوا وَعِلُّوا الصَّالِحَاتِ﴾.
- ٣ - لا يخفى، بحسب الرؤية الإسلامية، أي شيء في الحساب الإلهي، ولا يضيع أجر أي عمل من أعمالنا، ﴿إِنَّا لَا نَضِيعُ...﴾.
- ٤ - الملاك في قيمة العمل هو الكيف وليس الكم، قال: ﴿أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ وليس «أكثر عملاً».

﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعَمَ الثَّوَابِ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾﴾

## إشارات:

- «عدن» أي إقامة ومستقر. «أساور» جمع «أسورة» السوار يوضع في اليد. «سندس» الحرير الرقيق، و«إستبرق» الحرير السميك. «الأرائك» جمع «أريكة» أي سرير السلاطين المغطى بالحجال (الشبك) شبه القبة.
- في الآيتين السابقتين قرأنا حول أصحاب النار: ﴿يَشْرَبُونَ شَرَابًا وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾، وأما هذه الآية فتتكلم عن أصحاب الجنة فتقول: ﴿نِعَمَ الثَّوَابِ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾.
- مع أن أهل الجنة يلبسون ما شاؤوا من لباس وسواء من حيث النوع أو اللون، إلا أن التخصيص بذكر اللون الأخضر ربما يكون إشارة إلى اللباس الرسمي والعام لهم، يتزينون به أثناء جلوسهم على الأرائك.

## التعاليم:

- ١ - أنهار الجنة تجري من تحت الأشجار، ﴿تَحِيَّاءُ الْأَنْهَارُ﴾<sup>(١)</sup>؛ وكذلك أيضاً تجري من تحت قصور أهل الجنة، ﴿مِنْ تَحِيَّاءِ الْأَنْهَارِ﴾.
- ٢ - استفادة أهل الجنة من أدوات الزينة يشير إلى أن الإنسان بفطرته يحب التزين والزينة، ﴿يُحَلِّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ﴾.
- ٣ - الإيمان والعمل بما أمر الله والبعد عن التجميل المحرم في الدنيا، سر الوصول إلى الجمال الأبدي في الآخرة، ﴿يُحْكَمُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ﴾.
- ٤ - المعاد روحاني وجسماني؛ لأنه لو كان روحانياً فقط فلا حاجة للذهب والحرير والأسيرة، ﴿يُحَلِّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ﴾.
- ٥ - اللون الأخضر لون الجنة، ﴿ثِيَابًا خَضِرًا﴾.

﴿وَأُضْرِبَ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ۖ كَلَّا الْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أَكْلَهَا وَلَمْ تَنْظُرْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَرْنَا عَلَيْهِمَا نَهَرًا ۖ﴾

## إشارات:

- «الأكل» هو المحصول والغلة القابلان للاستعمال والأكل.
- ربما يستفاد من هذه الآيات أصول البستنة أو أصول تأسيس البساتين النموذجية والجذابة والتي هي عبارة عما يلي:
- أ - أن تكون الأشجار القصيرة في الوسط «الأعناب» والأشجار الطويلة على الأطراف ﴿وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ﴾.
- ب - أن تكون البساتين ذات فواصل بينها وأن تكون مفتحة الأطراف، ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾.
- ج - أن تكون الأرض الفاصلة بين البساتين مزروعة، ﴿بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾.

د - أن يكون الماء جارياً وسط البساتين، ﴿وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا﴾.

هـ - أن لا تكون البساتين عاجزة وضعيفة ومصابة بالآفات، ﴿وَلَوْ تَطَّلَرْتُمْ أَشَيْئاً﴾.

وبناء على هذا ستظهر لنا أروع المناظر: من بساتين الأعناب المتنوعة ﴿أَعْنَابٍ﴾، والأعناب والنخل معاً ﴿أَعْنَبٍ وَحَفَفْتُمَا يَنْخُلٍ﴾، وأنواع المزروعات ﴿زُرْعاً﴾، والزرع الذي يحيط الشجر بأطرافه ﴿وَحَفَفْتُمَا﴾، والمياه الجارية من تحت الأشجار ومن بين المزروعات ﴿وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا﴾.

□ هذه الآيات كأنها جواب على ما طلبه الكفار أصحاب الأموال؛ إذ أرادوا من النبي ﷺ أن يطرد الفقراء من حوله لكي يجتمعوا وحدهم حول النبي ولكي يؤمنوا به، وهنا يقول الله تعالى في جوابهم: لا الفقر علامة الذلة ولا الغنى علامة العزة. كما إنه في الآية (٢٨) قال لنبيه ﷺ أيضاً: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ...﴾.

### التعاليم:

١ - الاستفادة من التمثيل وضرب الأمثال يعد من أفضل الأساليب البسيطة والفطرية والعامة من أجل نقل المطالب وإيصالها إلى الناس، ﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا﴾.

٢ - الزارع الحقيقي هو الله وليس الإنسان، ﴿وَحَفَفْتُمَا، وَفَجَّرْنَا، وَجَعَلْنَا﴾.

﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ (٢١)

### إشارات:

□ «الثمر» يطلق على الأنواع المتعددة من الفاكهة.

□ «الصاحب» هو المرافق، سواء أكان مؤمناً كما في هذه الآية، أم كافراً كما في الآية (٣٧) من هذه السورة؛ إذ يقول تعالى: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ﴾.



## التعاليم:

١ - يؤدي التعلق والعجب والاغترار بالمال والقبيلة إلى الطغيان، ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ﴾.

٢ - لا الفقر علامة الذلة ولا الثروة دليل العزة؛ لذا علينا ألا نفخر على الفقراء، ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ﴾.

وعلى حد قول الشاعر الإيراني:

(لا تنظر باحتقار إلى من يفترش التراب في هذا العالم فإذا رأيت الإبريق بلا يد احمله بيدك الاثنتين).

﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾

## التعاليم:

١ - كل ما يملكه الإنسان إنما هو من الله، والله تعالى هو المالك الحقيقي. في الآية (٣٢) قال تعالى: ﴿جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ﴾. وفي هذه الآية يقول: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ﴾.

٢ - الأملاك والنعم الكثيرة تبعث على الغرور، ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ، قَالَ﴾.

٣ - الغفلة عن الله تعالى، والاعتقاد بأننا أفضل من الآخرين، واحتقار الآخرين، والاغترار بالمظاهر المادية الدنيوية كل ذلك ظلم لأنفسنا، ﴿ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾.

٤ - الإنسان المنحرف والغافل أسوأ من الجماد والنبات، ففي الآية (٢٣) قال الله سبحانه وتعالى عن ذلك البستان (الجنة): ﴿وَلَمْ تَظَلِمْ مِنْهُ شَيْئًا﴾؛ أي لم تنقص منه شيئاً. ولكنه تعالى قال عن صاحب البستان إنه ﴿ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾.

٥ - لا نظنُّ أبداً أن النعم التي بين أيدينا باقية لنا وأنها خالدة ودائمة، ﴿مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ﴾.

﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُودْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ ﴿٣٦﴾

### إشارات:

□ يظن الكافرون أن إعطاء النعم واجب على الله وأنه من حق الإنسان أن يبقى متنعماً بها دائماً، كذلك نقرأ في الآية (٥٠) من سورة فصلت قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْبَىٰ﴾. إلا أن هذا الطرز من التفكير نفاه القرآن ورد عليه؛ فالإنسان إنما يتنعم بلطف الله وفضله، وهو تعالى لو شاء لجعل الماء مرأً، والشجر يابساً، ولأهلك الكافرين، ولقطع الوحي عن الأنبياء لئلا يظنوا استحقاقهم لهذه النعم دون لطف من الله تعالى.

### التعاليم:

- ١ - التعلق بالدنيا والميل إلى الدنيوية يمهد لإنكار يوم القيامة، ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ... وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾.
- ٢ - لا يملك منكرو القيامة أي دليل على نفيها، ﴿وَمَا أَظُنُّ﴾.
- ٣ - الأمل والتمني الكاذب من دون دليل مذموم، ﴿وَلَئِنْ رُودْتُ﴾.
- ٤ - الإنسان بفطرته ميال إلى الله والمعنويات، ﴿إِلَىٰ رَبِّي﴾.
- ٥ - يظن بعض الناس خطأ أن النعم علامة على كرامتهم وقيمتهم وأنها دائمة لهم أبداً، ﴿وَلَئِنْ رُودْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا﴾.

﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا﴾ ﴿٣٧﴾  
 ﴿لَيْكُنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ ﴿٣٨﴾

### إشارات:

□ «المحاورة» بمعنى المناظرة والأخذ والرد في الكلام بين اثنين أو أكثر وإجابة كل واحد للآخر. وكلمة ﴿لَيْكُنَّا﴾ في الواقع أصلها «لكن أن».

## التعاليم:

- ١ - الحوار الحر بين المذاهب المختلفة مقبول في القرآن، ﴿وَهُوَ بِحَاوِرُهُ﴾.
- ٢ - حتى الأثرياء وذوو السلطة عليكم أن تقوموا بإرشادهم دون أي إحساس بالحقارة والذلة بل مع كمال العزة، ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ... أَكْفَرْتَ﴾.
- ٣ - أحياناً قد تكون العلاقة بالمال والثروة ممهدة لكفر الإنسان بالله والقيامة، ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ... أَكْفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ﴾.
- ٤ - من يفتخر بماله وعشيرته فعلاجه أن يُذكر بأصله الترابي، ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ... خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾.
- ٥ - إنكار المعاد إنكار لله، فهو بقوله: ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾ أنكر المعاد، إلا أن صاحبه أجابه قائلاً: ﴿أَكْفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ؟!﴾
- ٦ - الكفر بالله يدعو إلى التعجب والحيرة والتوبيخ، ﴿أَكْفَرْتَ﴾.
- ٧ - الاعتراض على الكفار جائز، ﴿أَكْفَرْتَ؟!﴾ إلا أنه لا بد من أن يصاحبه الاستدلال وكشف الحقائق، ﴿بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ﴾.
- ٨ - إذا أردنا تربية الآخرين ومنعهم من الانحراف لا بد من أن نتكلم بكلام استدلالي، ﴿أَكْفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ﴾.
- ٩ - في مقابل الشك والترديد من الآخرين، لا بد للمؤمن من أن يعلن موقفه بكل صراحة، ﴿لَيْكِنَّا هُوَ اللَّهُ﴾.
- ١٠ - الانتكال على غير الله شرك، ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ... لَيْكِنَّا... وَلَا أَشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾.
- ١١ - التوحيد الخالص لله إنما يتم بنفي كل أنواع الشرك، ﴿اللَّهُ رَبِّي وَلَا أَشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾.

﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَوُنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٢١﴾﴾

## إشارات:

□ قال النبي الأكرم ﷺ: «ما أنعم الله على عبد نعمة في أهل، أو مال، أو ولد، فيقول ما شاء الله لا قوة إلا بالله إلا دفع الله عنه كل آفة حتى تأتبه منيته». وقرأ

﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾<sup>(١)</sup>.

كذلك ورد في الروايات أن قول «لا حول ولا قوة إلا بالله» يدفع البلاء ويديم النعم وأنها كثر من كنوز الجنة<sup>(٢)</sup>.

### التعاليم:

- ١ - التوبخ والتقريع لا بد من أن يصاحبهما الإرشاد والبيان، ﴿وَلَوْلَا... قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ﴾.
- ٢ - الاعتقاد فحسب غير كافٍ، فلا بد معه من الإقرار باللسان أيضاً، ﴿قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ﴾.
- ٣ - أثناء رؤيتنا لمناظر الطبيعة الجميلة لا بد لنا من أن نذكر الله تعالى؛ إذ إن كل هذه النعم إنما هي من الله، ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ﴾.
- ٤ - المؤمن لا يخسر نفسه لأجل قلة المال والولد، ﴿إِنْ تَكْرَنْ﴾؛ أي أنت الذي تراني ناقصاً لا أني أنا ناقص.

﴿فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤَيِّنَ خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ وَرُسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا﴾<sup>(١)</sup> أَوْ يُصْبِحَ مَأْوَاهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا<sup>(٢)</sup> ﴿

### إشارات:

□ «زلق» أي الأرض الملساء التي لا نبات فيها بحيث لو وطأها الإنسان لزلقت قدمه وتعثرت فيها.

### التعاليم:

- ١ - عطاء الله ومواهبه تقوم على أساس ربوبيته تعالى وتربيته، ﴿فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤَيِّنَ﴾.

- ٢ - لا ينبغي أن يياس الفقراء، ﴿أَنَا أَقَلُّ... عَسَى رَيْتَ﴾؛ إذ إن اليأس والقنوط أسوأ من الفقر.
- ٣ - لو شاء الله لجعل الفقير أغنى ممن؟، ﴿خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ﴾.
- ٤ - تمنى سلب النعمة عن الكفار المتفاخرين ولعنهم جائز لا إشكال فيه، ﴿وَرُيِّسَ لَهَا حُسْبَانًا﴾.
- ٥ - قهر الله وعذابه محسوب وعادل، ﴿حُسْبَانًا﴾.
- ٦ - لا بد للأثرياء من أن لا يغتروا بثروتهم؛ إذ من الممكن في لحظة واحدة أن تفنى كلها، ﴿فَتَصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾.
- ٧ - الشرك والكفر والتفاخر يبدلون كل ما يملك الإنسان من خضرة إلى صعيد زلق لا نبات فيه، ﴿فَتَصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾.
- ٨ - يد الله تعالى مفتوحة للقهر والعذاب سواء من السماء أم من الأرض، ﴿وَرُيِّسَ لَهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ... يُصْبِحَ مَأْوَاهَا غَوْرًا﴾.
- ٩ - في مقابل غضب الله وعذابه لا قدرة ولا سبيل للنجاة، ﴿فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا﴾.

﴿وَأَحِيطَ بِشَمْرِهِ فَاصْبَحَ يَقْلُبُ كَفَيْهِ عَلَى مَا أَفْتَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ  
عَلَى عَرْوِشَهَا وَيَقُولُ بَلَيْتَنِي لَمْ أَشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ (٤٢)

#### إشارات:

□ إن بعض الناس، ومن خلال الغرور والتفاخر برؤية أنفسهم أفضل من الآخرين والتبجح بقول: ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا...﴾، يغفلون عن الله تعالى ويخرجون عن مدار التوحيد فيشركون بالله تعالى، إلا أنه عاجلاً أم آجلاً سيقروا بالإله الواحد الأحد، ويستوي المؤمنون في ذلك: ﴿وَلَا أَشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾<sup>(١)</sup>، مع الكافرين: ﴿بَلَيْتَنِي لَمْ أَشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾.

## التعاليم:

- ١ - الله تعالى محيط بكل شيء ﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ﴾<sup>(١)</sup>، فلفظه محيط، ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾<sup>(٢)</sup>؛ وكذلك قهره محيط، ﴿وَأُحِيطَ بِشَرِّهِ﴾.
- ٢ - عقاب الله يكمن للمغرورين، ﴿وَأُحِيطَ بِشَرِّهِ﴾.
- ٣ - الحوادث والعذابات الإلهية ناتجة عن أفكارنا وأعمالنا السيئة فقد جاء قوله تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِشَرِّهِ﴾ إثر كفر صاحب البستان (الجنة) في الآيات السابقة.
- ٤ - اليأس والقنوط وحالات الباطن تؤثر على ظاهر الإنسان وسلوكه، ﴿يُقَلِّبُ كَلِمَهُ﴾.
- ٥ - إن طلاب الدنيا إثر إصابتهم بالمصائب والحوادث فإنهم ابتداء يحللونها تحليلاً اقتصادياً ومن ثم تحليلاً معنوياً، (في هذه الآية كانت الحسرة ابتداء على المال الذي أنفق ومن ثم الغصة بسبب الشرك).
- ٦ - العذاب الدنيوي يوقظ أصحاب الوجدان الخامل والقلوب الغافلة، ﴿وَأُحِيطَ بِشَرِّهِ... يَكْفُلُ يَلَيِّنِي﴾.

﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصَرًّا﴾<sup>(٣)</sup>  
 هُنَالِكَ الْوَلِيَّةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا<sup>(٤)</sup>

## إشارات:

□ أكد القرآن الكريم مراراً وتكراراً أن الإنسان عند تعرضه لأي خطر ومع عجز الوسائل المادية، فإنه يتوجه نحو الله فيناديه من أعماق روحه؛ لذا فإنه عندما يبتلى بأمواج البحر المتلاطمة، أو عندما يأتي العذاب يبادر إلى إظهار الإيمان.

وفي هذا المقام عندما واجه هذا الشخص جنته المحترقة ولم يجد له ناصراً أدرك حينئذ أن ولاية الحق مختصة بالله الواحد الأحد، ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾. □ كلمة «الولاية» في هذه الآية بمعنى القدرة والنصرة.

### التعاليم:

- ١ - عاقبة الاعتماد على غير الله هي الفشل، ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ يَصْرُوهُ﴾.
- ٢ - عند حلول قهر الله وعذابه لا تنفع كثرة المال ولا كثرة البنين، ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ يَصْرُوهُ﴾؛ «عند حلول الشدة لا أثر لأصحابه الذين صحبوه في وقت الرخاء».
- ٣ - البيان الختامي لكل الحوادث المريرة يختصر في جملة واحدة فقط مفادها: القدرة فقط وفقط لله تعالى، ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾.
- ٤ - الولاية لغير الله باطلة ولا ثبات لها، فقط ولاية الله هي الثابتة وهي الحق، ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾.
- ٥ - مهما دققنا الحسابات ومهما كنا بعيدي النظر والتفكير لا بد لنا من أن نتوجه إلى الله تعالى، ﴿هُوَ خَيْرُ ثَوَابًا وَخَيْرُ عُقْبًا﴾.
- ٦ - النصر الإلهية وحقانية الله تعالى تضمن لنا أفضل الثواب وأفضل عاقبة، ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرُ ثَوَابًا وَخَيْرُ عُقْبًا﴾.
- ٧ - ملاك القيم العاقبة وحسن الثواب، ﴿خَيْرُ ثَوَابًا وَخَيْرُ عُقْبًا﴾.

﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَوَةِ الدُّنْيَا كَهَاءِ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقَدِّرًا ﴿٤٥﴾﴾

### إشارات:

□ ورد في هذه الآية مثل عن نمو النبات في الأرض وعن اخضرارها، وعن

حلول عذاب الله واحتراقها، وصيرورتها رماداً، ليكون ذلك عبرة للناس المغرورين والغافلين عن الله تعالى<sup>(١)</sup>.

نعم، إن مَثَلَ الدنيا كالنبات غير المتجذر في الأرض، فمع قليل من المطر تراه مخضراً ومع قليل من الرياح يصبح هشياً يابساً. وحتماً فإن ما يبقى هو عمل الإنسان كما ورد في الديوان المنسوب إلى أمير المؤمنين عليه السلام إذ يقول:

يا من بدنياء اشتغل قد غره طول الأمل  
الموت يأتي بغتة والقبر صندوق العمل<sup>(٢)</sup>

### التعاليم:

- ١ - أمير رسول الله ﷺ بالاستفادة من التمثيل لأجل بيان الحقائق وهداية الناس، ﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾.
- ٢ - إحدى أصول التربية والتبليغ الاستفادة من الأمثال الطبيعية والمفهومة عند عامة الناس، ﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا... كَمَا أُنزِلَتْ﴾.
- ٣ - كل ربيع إلى خريف وكل رحال إلى فراق، ﴿يَبَاسٌ... هَشِيمًا﴾.
- ٤ - علينا ألا نأنس ونغتر بمظاهر الدنيا الزائلة، بل لا بد لنا من أن نفكر بالمستقبل الدائم، ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ﴾.

﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَةُ الصَّلَاحُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾

### إشارات:

- ذكرت الروايات مصاديق عدة لـ «الباقيات الصالحات» كالصلوات الخمس<sup>(٣)</sup>، وذكر الله<sup>(٤)</sup> ومحبة أهل البيت<sup>(٥)</sup> عليهم السلام.

(١) ورد نظير هذه الآية في سورة يونس الآية (٢٤) مع تفصيل أكبر وفي سورة الحديد الآية (٢٠).

(٢) حبيب الله الخوني، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ج ٤، ص ٤٠٦.

(٣) تفسير البرهان. (٤) بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ١٠٨.

(٥) تفسير نور الثقلين.



□ تعد النعم المادية كلها من زينة الحياة الدنيا، إلا أن للمال والبنين مظهراً جلياً أكثر من غيرهما، ولهذا السبب ذكر هذين الاسمين من بين كل النعم الإلهية التي لا تعد ولا تحصى، وحيث إن البنين هم القوة الفعالة من الناحية الاقتصادية وليس البنات؛ لذا ذكرهم إلى جانب «المال» ولم يذكر البنات، ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾.

### التعاليم:

- ١ - زينة المال والبنين مختصة بالدنيا فقط؛ وأما في الآخرة فيومئذ لا ينفع مال ولا بنون، ﴿زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾.
- ٢ - لا بد لأولئك الذين يمتلكون الإمكانيات المادية من أن لا يغتروا بها؛ بها وأما من لا يمتلكها فعليهم أن لا يياسوا، ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةٌ... وَالْبَاقِيَتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ﴾.
- ٣ - المال والولد لا يبقيان ولا يدومان؛ لذا لنفكر ولتتعلق قلوبنا بما يبقى ويدوم، ﴿وَالْبَاقِيَتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ﴾.
- ٤ - في محضر الله تعالى لا يمحي أي عمل صالح، والثواب مضمون لنا، ﴿وَالْبَاقِيَتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾.
- ٥ - قيمة الأعمال الصالحة غير معروفة عند الكل، بل إن أغلب الناس يظنون الخير والقيمة في تحصيل النفائس المادية، ﴿خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ﴾.
- ٦ - الثواب والعقاب من لوازم التربية ومن شؤون الربوبية الإلهية، ﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾.
- ٧ - لا تفكروا أبداً بالثواب فقط؛ بل فكروا أيضاً بالغد الدائم، ﴿خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾.
- ٨ - في مجال الإرشاد والتربية لا بد لنا من أن نستفيد من آمنيات الناس وآمالهم، ﴿خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾.

﴿وَيَوْمَ نُسِرُّ الْجِبَالَ وَنَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ۖ﴾ (٤٧)

إشارات:

□ بين القرآن الكريم وضع الجبال على مشارف يوم القيامة في صور متعددة من قبيل:

- ١ - الزلزلة ورجفة الأرض والجبال، ﴿تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾<sup>(١)</sup>.
- ٢ - الحركة والانتقال، ﴿نُسِرُّ الْجِبَالَ﴾.
- ٣ - تقطيعها قطعة قطعة حتى تصبح كالذرات، ﴿وَيُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثَاتًا﴾<sup>(٢)</sup>.

التعاليم:

- ١ - إذا أردنا عدم التعلق بالدنيا فلا بد من تذكر القيامة، ﴿يَوْمَ...﴾.
- ٢ - الأعمال الحسنة يستفاد منها في كثير من المواضع، ومن ذلك يوم القيامة، عندما تتحرك الجبال وتسير، ﴿وَيَوْمَ نُسِرُّ الْجِبَالَ﴾<sup>(٣)</sup>.
- ٣ - في أرض القيامة وعرصات المحشر لا يوجد أي منخفض أو أي مرتفع، ﴿وَنَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾.
- ٤ - الحشر والقيامة حتميان، ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ﴾. (الفعل الماضي استعمل ها هنا للاستقبال للإشارة إلى حتمية وقوع الحشر).
- ٥ - القيامة لكل الناس ولا يوجد أي استثناء في البين، ﴿فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾.

﴿وَعَرَّضُوا عَلَى رَيْكَ صَفًا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ

أَلَّن نَجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ۖ﴾ (٤٨)

إشارات:

□ «الصف» علامة النظم والترتيب ورمزٌ للأدب والتواضع. وقد ورد التعبير بقوله

(١) سورة المزمل: الآية ١٤. (٢) سورة الواقعة: الآيتان ٥ و٦. (٣) بالاستفادة من كلمة «واو» و«يوم» (ويوم) فإن مفهوم الظرفية يشعر بالارتباط بالآية السابقة.

«صفاً» في القرآن الكريم لبيان أوصاف المجاهدين، وكذلك في مورد الملائكة. وفي القرآن أيضاً سورتان إحداهما اسمها «الصف» والأخرى اسمها «الصافات».

□ في الدنيا إذا كانت القوات المسلحة تعرض على الرؤساء وفق تنظيم خاص بها، فإن كل الناس في يوم القيامة سوف تعرض على الله تعالى بشكل قهري ومنظم.

### التعاليم:

- ١ - الحضور في يوم القيامة والعرض على الله مقطوع بهما، ﴿وَعَرِّضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ﴾.
  - ٢ - الطبقات الدنيوية تزول يوم القيامة فالغني والفقير يقفان في صف واحد، ﴿صَفًّا﴾.
  - ٣ - النظام قيم سواء في الدنيا أم في الآخرة، وسواء في المجتمع أم في العبادة، ﴿وَعَرِّضُوا... صَفًّا﴾.
  - ٤ - الحضور في القيامة كحال الحضور في الدنيا أثناء الولادة، مع العجز والبكاء والعري<sup>(١)</sup>، ﴿كَمَا خَلَقْتَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾.
  - ٥ - المعاد جسماني، ﴿جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْتُمْ...﴾.
  - ٦ - الكافرون لا دليل عندهم على إنكار المعاد، ﴿بَلْ زَعَمْتَ أَنَّ تَجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾.
- ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (١٩)

### إشارات:

□ أشار القرآن مراراً إلى مسألة الكتب وصحائف الأعمال في يوم القيامة ومن ذلك قوله تعالى:

(١) وردت الإشارة في المناجاة والأدعية إلى حالة الخروج عرياناً أثناء البعث والحشر.

﴿إِنْ رُسُلَنَا يَكْتُوبُونَ﴾<sup>(١)</sup>؛

- ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآتَاهُمْ﴾<sup>(٢)</sup>؛

- ﴿الزَّمَنَةَ طَلَّهَا فِي عَذَابٍ﴾<sup>(٣)</sup>؛

- ﴿وَإِذَا الشُّفُفُ ثُثِرَتْ﴾<sup>(٤)</sup>؛ فالمحسنون يأخذون كتابهم بيمينهم، وأما المسيئون فيعطون كتابهم بشمالهم، وكما إن لكل إنسان كتابه كذلك فإن لكل أمة كتاباً، ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا﴾<sup>(٥)</sup>.

□ روي أن رسول الله ﷺ أثناء رجوعه من معركة حنين نزل في أرض قرعاء (لا نبات فيها) فقال لأصحابه: «اثنوا بحطب»، فقالوا يا رسول الله ﷺ نحن بأرض قرعاء ما بها من حطب قال: «فليأت كل إنسان بما قدر عليه»، فجاؤوا به حتى رموا بين يديه بعضه على بعض. فقال رسول الله ﷺ: «هكذا تجتمع الذنوب»، ثم قال: «إياكم والمحضرات من الذنوب فإن لكل شيء طالباً، ألا إن طالبها يكتب ما قدموا وآثارهم، وكل شيء أحصيناه في إمام مبین»<sup>(٦)</sup>.

ومن خلال هذا السلوك الذي قام به رسول الله ﷺ مع أصحابه يمكن الاستفادة الدرس الآتي:

لقد قام رسول الله ﷺ بإعطاء درس تعليمي، كما في مخيمات الكشف، وصحراوي بشكل تجسمي وتمثيلي وعملي، مضافاً إلى إرشاد أصحابه لكيفية ملء أوقات الفراغ، كل هذا في الوقت الذي كان هؤلاء الأصحاب في كمين خطر الغرور الناشئ من انتصارهم في الحرب. وفي الوقت الذي كان هؤلاء الأصحاب يظنون أنه لا ذنب لهم أو أن ذنوبهم صغيرة وقليلة.

□ عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَبِيبًا﴾ قال: «يذكر العبد جميع ما عمل وما كتب عليه حتى كأنه فعله تلك

(١) سورة يونس: الآية ٢١.

(٢) سورة يس: الآية ١٢.

(٣) سورة الإسراء: الآية ١٣.

(٤) سورة التكوين: الآية ١٠.

(٥) سورة الجاثية: الآية ٢٨.

(٦) الكافي، ج ٢، ص ٢٨٨.

الساعة فلذلك قالوا: ﴿يَوْنِلْتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يَقَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَيْنَاهَا﴾<sup>(١)</sup>.

□ إن الذين هم في الدنيا غافلون غير مباليين والذين كانوا يقومون بأي عمل يحلو لهم سيكونون في الآخرة خائفين مضطربين، ﴿مُشْفِقِينَ﴾.  
وأما المؤمنون الذين كانوا في الدنيا أهل تعهد والتزام وخشية من الله تعالى فإنهم في الآخرة مطمئنون، ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

### التعاليم:

- ١ - في يوم القيامة، ومضافاً إلى إعطاء كل إنسان كتاب أعماله بيده، فإنه أيضاً سيوضع كتاب أمام الناس كلهم، ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾.
  - ٢ - المجرمون إنما يقلقون ويخافون من أعمالهم المكتوبة لهم، وليس من الله تعالى، ﴿مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾.
  - ٣ - القيامة يوم حسرة المجرمين وثبورهم وويلهم، ﴿يَوْنِلْتَنَا﴾.
  - ٤ - علم كل الناس بأعمالهم في يوم القيامة على نحو وكان كل الناس متعلمين غير أميين، فالكتاب موجود والقراءة متاحة لهم أجمعين، ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ... مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾.
  - ٥ - أعمال الناس على درجات، ﴿صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾.
  - ٦ - القيامة ساحة تجسم أعمال الإنسان، ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾.
  - ٧ - الاتصاف بالعدالة وعدم الظلم من لوازم الربوبية الإلهية، ﴿وَلَا يَظْلُمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾.
- ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِكُمْ وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾

### إشارات:

□ السجود على أربعة أنواع، ثلاثة منها مرضية والرابع منها ممنوع:

(٢) سورة الطور: الآية ٢٦.

(١) تفسير الميزان، ج ١٣، ص ٧١.

- أ - سجود العبادة وهو مختص بالله تعالى كالسجود في الصلاة.  
 ب - سجود الطاعة، كما في سجود الملائكة لآدم طاعة لأمر الله تعالى.  
 ج - سجود التحية والتكريم والشكر لله تعالى كما في سجود يعقوب عليه السلام بين يدي يوسف عليه السلام.  
 د - السجود الحاصل بغير أمر الله تعالى.

### التعاليم:

- ١ - حادثة سجود الملائكة لآدم عليه السلام وتمرد إبليس عن السجود يستحقان التأمل وهما موضع للعبارة، ﴿وَإِذْ قُلْنَا...﴾.  
 ٢ - وجد الملائكة قبل وجود الإنسان، ﴿قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾.  
 ٣ - الإنسان أفضل من الملائكة إذ أمرت الملائكة بالسجود له، ﴿اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾.  
 ٤ - الملائكة مطيعة لأمر الله تعالى، ﴿اسْجُدُوا... فَسَجَدُوا﴾.  
 ٥ - من لا يسجد فهو في خط إبليس، ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾.  
 ٦ - علينا ألا نغتر بسوابقنا، فإبليس مع ما له من سابقة طويلة في العبادة صار فاسقاً، ﴿كَانَ مِنَ الْإِجْنِ فَفَسَقَ...﴾.  
 ٧ - لإبليس أبناء وذرية، ﴿وَذَرِيَّتُهُ﴾.  
 ٨ - لا ينبغي أن نتخذ الفاسقين أولياء لنا، ﴿فَفَسَقَ... أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذَرِيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ﴾.  
 ٩ - لا بد لأتباع الشيطان من أن يجددوا النظر في أعمالهم وما يعملون، ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذَرِيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ﴾.  
 ١٠ - الشيطان وذريته أعداء للإنسان، ﴿وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾.  
 ١١ - أولئك الذين اتبعوا الشيطان بدل أن يتبعوا الله تعالى هم ظالمون، ﴿يَتَسَّ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾.  
 ١٢ - يعد التخلي عن الله واتباع الشيطان أسوأ اختيار، ﴿يَتَسَّ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾.

﴿مَا أَشْهَدُكُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسِهِمْ  
وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ (٥١)

## إشارات:

□ قيل للإمام علي عليه السلام: يا أمير المؤمنين إن معاوية من قد عرفت وقد ولاه الشام من كان قبلك فوله أنت كيما يتسقى عرى الأمور ثم اعزله إن بدا لك. فقال عليه السلام في جوابه: ﴿وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾<sup>(١)</sup>.

□ الله تعالى غير محتاج فهو الغني المطلق؛ فلا يحتاج إلى أي معين حتى في أمر الخلق والإيجاد، وإذا ما أوكل بعض الأمور إلى غيره كما في إيكال التدبير إلى الملائكة ﴿فَالْمُدَرِّتِ أَمْرًا﴾<sup>(٢)</sup>، فليس من جهة العجز وعدم القدرة بل من جهة الحكمة وفي مسير تربية الإنسان ورشده وتكامله.

## التعاليم:

- ١ - لا يحتاج الله تعالى في أمر الخلق إلى شاهد عليه، ﴿مَا أَشْهَدُكُمْ﴾.
- ٢ - أسرار الوجود والخلق لا يعلمها إلا الله تعالى، ﴿مَا أَشْهَدُكُمْ خَلَقَ...﴾.
- ٣ - من كان هو الخالق، فله حق الولاية، ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ... مَا أَشْهَدُكُمْ خَلَقَ...﴾.
- ٤ - أولياء الله تعالى يجب أن يكونوا أمناء، ﴿وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾.
- ٥ - من كان في خط الله وسبيله لا ينبغي له أن يستعين بالمنحرفين الضالين ويجب عليه المحافظة على استقلاله السياسي والاقتصادي، ﴿وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾.

﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ۝٥٢﴾

إشارات:

□ أولئك الذين ابتعدوا عن الله وأعرضوا عنه سيصبحون تائهين حائرين؛ وحينئذ يتوجهون إلى أي شيء بالدعاء، من الإنسان إلى الجماد والحيوانات، ومن الشمس والقمر في السماء إلى العجل والبقر في الأرض، ومن الملائكة المعصومين إلى الشياطين الفاسقين، ولكنهم مهما دعوا فلن يسمعوا منهم أي جواب ﴿فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾، وأما إذا دعوا الله تعالى فإنه حتماً يستجيب لهم ﴿أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

□ سؤال: نقرأ في القرآن الكريم أن الله تعالى لا يتكلم مع الذين يكتُمون الحق وينقضون العهد: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾<sup>(٢)</sup>، وبناء عليه لماذا يتكلم في هذه الآية مع المشركين؟

الجواب: ربما يكون السبب في ذلك أن العلماء الذين يكتُمون الحق هم أسوأ من المشركين، أو يقال إن ليوم القيامة مراحل مختلفة، في مرحلة ما فإن الله لا يتكلم؛ ولكن في مرحلة أخرى يتكلم معهم ويعاتبهم. ومن الممكن أيضاً أن يكون المراد أنه لا يتكلم معهم كلام محبة وتودد إلا أنه يتكلم معهم بنحو التوبيخ والتحقيق.

التعاليم:

١ - في يوم القيامة يوجد فاصل بعيد<sup>(٣)</sup> بين المشركين وبين من يعبدونهم، ﴿نَادُوا﴾.

(١) سورة غافر: الآية ٦٠.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٧٤؛ سورة آل عمران: الآية ٧٧.

(٣) باعتبار أن النداء يستعمل للبعد أو ما في حكمه، وقد يكون كناية عن عدم وجودهم أصلاً فهم كمن ينادي في الصحراء. (المترجم).



- ٢ - إن الله تعالى يعطي المشركين في يوم القيامة فرصة طلب المدد من معبودهم، ولكن ما النفع حينئذ؟ ﴿نَادُوا شُرَكَائِيَ... فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾.
- ٣ - أساس الشرك الجهل والظنون الواهية، ﴿رَعَتُمْ﴾.

﴿وَرَوَّاءَ الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾

### إشارات:

□ ليس للمجرمين من سبيل للفرار في يوم القيامة؛ لأن النجاة إما أن تكون في ظل الإيمان وإما بسبب العفو من الله على أساس التوبة والعمل الصالح، والحال أن أيديهم خالية من ذلك، وإما بسبب الشفاعة ولكن الأصنام لا تملك ذلك أيضاً، ولذا فإن النار محتومة لهم.

### التعاليم:

- ١ - المكان المهلك الذي توعدوا به في الآية السابقة ﴿مَوْبِقًا﴾ هو النار، ﴿وَرَوَّاءَ الْمُجْرِمُونَ النَّارَ﴾.
- ٢ - الشرك جرم والمشرك مجرم، ﴿نَادُوا شُرَكَائِيَ... وَرَوَّاءَ الْمُجْرِمُونَ﴾.
- ٣ - رؤية النار عذابٌ والاحتراق فيها عذاب آخر، ﴿وَرَوَّاءَ الْمُجْرِمُونَ﴾.
- ٤ - في يوم القيامة ورغم أن المجرمين يرون النار من مكان بعيد<sup>(١)</sup> إلا أنه لصوتها وزفيرها يظنون أنهم الآن قد وقعوا فيها، ﴿فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا﴾.
- ٥ - الشرك، له عذابٌ خالد ودائم أبداً، ﴿وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾.
- ٦ - ليس للمجرم في القيامة أمل بالنجاة والفرار، ﴿وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾.

(١) ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَّكَانٍ يَبِيدٍ يَعْمُرُوا لَهَا قَافًا وَزَفِيرًا﴾. (سورة الفرقان: الآية ١٢).

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ  
وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾

### إشارات:

□ «صَرَّفْنَا» بمعنى تنوع البيان، أي أننا تكلمنا مع الناس بكل لسان وكل منطق يمكن أن يؤثر فيهم. «الجدال» بمعنى الكلام على نحو النزاع والغلبة على الخصم.

□ إن الإنسان، ومضافاً لامتلاكه العديد من النواحي الإيجابية نظير امتلاكه للروح الإلهية والأفضلية على الملائكة وسجودهم له وقدرته على تسخير الموجودات له وأمثال هذه الأمور، إلا أن فيه كثيراً من النواحي السلبية أيضاً، وقد أشير في آيات القرآن الكريم إلى بعضها، من قبيل أنه: «ظلم، جهول، أكثر شيء جدلاً، جزوع، هلوع، منوع، لفي خسر، ليطغى، وإلى غير ذلك».

### التعاليم:

- ١ - التكرار، والتنوع، والتمثيل من الأساليب الضرورية والمفيدة لأجل إرشاد الناس وهدايتهم وتربيتهم، ﴿صَرَّفْنَا... لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾.
- ٢ - هدف القرآن هداية الناس جميعاً، وأمثلة القرآن هي لإفهام عموم الناس، ﴿صَرَّفْنَا... لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾.
- ٣ - أتمَّ الله تعالى الحجة بالقرآن على الناس جميعاً، ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا... لِلنَّاسِ﴾.
- ٤ - في القرآن مثال لكل أصل من أصول الإرشاد والهداية، ﴿كُلِّ مَثَلٍ﴾.
- ٥ - إذا لم يمتلك الإنسان روحية القبول والافتناع فإن كثرة الأمثلة ستؤدي به إلى كثرة الجدل، ﴿كُلِّ مَثَلٍ... أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾.
- ٦ - الإنسان موجود يطلب التنوع ويجادل، ﴿صَرَّفْنَا... جَدَلًا﴾.

﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ  
أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا﴾

إشارات:

□ «قبلاً» إما بمعنى المقابلة والمواجهة، وإما أنها جمع «قبيل» إشارة إلى أنواع مختلفة من العذاب.

التعاليم:

- ١ - الامتناع عن الإيمان رغم رؤية كل تلك الآيات هو تعبير واضح عن جدل الإنسان، ﴿جَدَلًا وَمَا مَنَعَ النَّاسَ﴾.
- ٢ - أتم الله تعالى الحجة على الناس كلهم لثلاثي يبقى عندهم أي حجة وعذر للكفر به، ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ﴾.
- ٣ - لا يكفي الإيمان وحده؛ بل لا بد من الاستغفار أيضاً، ﴿يُؤْمِنُوا... يَسْتَغْفِرُوا﴾.
- ٤ - من لوازم ربوبية الله ترك الباب مفتوحاً للتوبة والاستغفار، ﴿وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ﴾.
- ٥ - في التاريخ سنن ثابتة لا بد من أخذ الدروس منها، ﴿سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾.
- ٦ - الموعظة والاستدلال لا ينفعان دائماً في كل موضع؛ بل لا بد من العقوبة أحياناً، ﴿يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ﴾؛ فأحياناً لا يؤثر في الإنسان اللجوء أي واحد من عوامل التربية التالية: الوحي السماوي، أو التبليغ الدائم، أو مشاهدة التاريخ، أو العبر الكثيرة.
- ٧ - الإيمان والاستغفار يمنعان العذاب الإلهي، ﴿يُؤْمِنُوا... يَسْتَغْفِرُوا... يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ﴾.
- ٨ - يد الله تعالى مبسوطة للعذاب، سواء كعذاب الأمم السابقة أم كعذاب جديد، ﴿سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا﴾.

﴿وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَبُجْدِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ۝٥٦﴾

### التعاليم:

- ١ - الاطلاع على سنن الله، ورسالة الأنبياء، وكيفية رد الناس، ومصير الأقوام والأمم المعاندين، كل ذلك يعد نوعاً من التسلية لقلب النبي ﷺ، ﴿وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ﴾.
- ٢ - وظيفة الأنبياء ﷺ هي البشارة والإنذار وليس إجبار الناس على القبول والافتناع، ﴿إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾.
- ٣ - أتم الله تعالى الحجة على الناس قاطبة، ﴿وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ...﴾؛ والناس غير مجبرين على القبول بها، ﴿إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَبُجْدِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾.
- ٤ - هدف الكافرين هو دحض الحق، ﴿لِيُدْحِضُوا﴾، وأدوات الشغل عندهم هي الجدال والاستهزاء، ﴿وَبُجْدِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.
- ٥ - الصراع والجدال بين الحق والباطل دائم ومستمر، ﴿يُجَادِلُ﴾ (يدل المضارع على دوام العمل واستمراره).
- ٦ - الكافرون يريدون أن يدحضوا الحق بالباطل، ﴿لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾؛ لكنهم غافلون عن أن الباطل زائل وزاهق، ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾<sup>(١)</sup>.
- ٧ - بشارات الأنبياء وإنذاراتهم واقعيات يسعى الكفار من أجل محوها ودحضها ﴿مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ... لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾.
- ٨ - الاستهزاء بآيات الله وأحكامه شأن الكافرين، ﴿وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا﴾.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسَىٰ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾﴾

## إشارات:

□ «التذكر» فيه إشارة إلى أن الإنسان مدرّكٌ لله تعالى في أعماق روحه وفطرته، إلا أنه غافل عن ذلك؛ لذا، فإن التذكر هو لأجل إزاحة حجب الغفلة عنه. يقول الإمام علي عليه السلام في مقام توصيف الأنبياء ﷺ: «فبعث فيهم رسله وواتر إليهم أنبيائه ليستأدوهم ميثاق فطرته ويذكروهم منسّى نعمته»<sup>(١)</sup>.

□ «أكنة» جمع «كنان» بمعنى الغطاء والساتر.

## التعاليم:

- ١ - الإعراض عن آيات الله وعدم الالتفات إليها والاهتمام بها أكبر ظلم، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ، ذُكِّرَ، فَأَعْرَضَ، نَسَى﴾.
- ٢ - تذكر الأعمال السيئة يمهد للتوبة وطلب العذر، وعلى العكس من ذلك فإن الغفلة عنها ستؤدي إلى ظلمة الروح وستكون المفتاح لكل المصائب، ﴿وَنَسَىٰ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾.
- ٣ - الإعراض عن آيات الله والاستهزاء بها والغفلة عن الذنوب يؤدي إلى الحرمان من إدراك الحقائق، ﴿فَأَعْرَضَ... جَعَلْنَا﴾.
- ٤ - العذاب الإلهي غير منحصر بيوم القيامة؛ إذ سلب قوة إدراك الحقائق نوع من العذاب أيضاً، ﴿أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾.
- ٥ - في مقام هداية الناس، لا يكفي ذكر البراهين والأدلة فحسب، بل لا بد من قبول المخاطبين لها أيضاً، ﴿وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوا﴾.
- ٦ - السبيل للهداية وجود القلب اللين والأذن المستمعة، وبالتالي عندما يتغيران

وينقلبان عن حالهما، فلن يقبلا الهداية حتى ولو كان الداعي هو النبي ﷺ نفسه، ﴿فَلَن يَهْتَدُوا إِذَا أَبَدَا﴾.

﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلَهُمُ الْعَذَابُ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَّنْ يَحْدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيَلًا﴾ ﴿٥٨﴾

### إشارات:

□ «الموئل» هو الملجأ والمنجى.

□ إن الله تعالى عادل وهو كذلك غفور، وبمقتضى عدله لا بد من أن يعذب المذنب، ولكن بمقتضى مغفرته ورحمته يمهّل الإنسان حتى يتوب، فإذا لم يتب فإنه يؤاخذه بعدله.

### التعاليم:

١ - الغفران والرحمة من شؤون الربوبية الإلهية ومن لوازم التربية، ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ﴾.

٢ - الله تعالى واسع المغفرة وواسع الرحمة أيضاً، ﴿الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ﴾.

٣ - قهر الله وعذابه نتيجة أعمال الناس أنفسهم، ﴿يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا﴾.

٤ - أقبح الذنوب وأكثرها عذاباً تلك التي يذهب الإنسان نحوها بإرادته وعزمه، ﴿بِمَا كَسَبُوا﴾.

٥ - إمهال المذنبين ستة إلهية، ﴿بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ﴾.

٦ - الإمهال وتأخير العذاب من علائم اللطف الإلهي، ﴿الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ... لَهُمْ مَوْعِدٌ﴾.

٧ - على المذنبين ألا يغترون بإمهال الله لهم؛ لأنه إذا حل الموعد وحان نزول العذاب فلن يجدوا أي سبيل للنجاة، ﴿لَن يَحْدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيَلًا﴾.

﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْتُم مَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾ (٥٩)

### التعاليم:

- ١ - ينبغي أخذ الدروس والعبر من التاريخ ومصير الأمم السابقة، ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْتُم﴾.
- ٢ - السر في بلاء الناس وهلاكهم يكمن في ظلمهم أنفسهم، ﴿أَهْلَكْتُم مَّا ظَلَمُوا﴾.
- ٣ - زوال الحضارات والمجتمعات هو بإرادة الله تعالى، ﴿أَهْلَكْتُم مَّا ظَلَمُوا﴾.
- ٤ - القهر الإلهي كان على وجه الحكمة وله زمانه الخاص به، ﴿مَّوْعِدًا﴾.
- ٥ - إذا رأيت الظالمين في حالة من الرفاه والطمأنينة فلا تيأسوا فإن لهؤلاء أيضاً مهلة وموعداً، ﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ (٦٠)  
فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا شَبَيَا حُوتُهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾ (٦١)

### إشارات:

- وردت كلمة «موسى» (١٣٦) مرة في القرآن الكريم، والمراد منها أجمع هو النبي موسى ﷺ نفسه، أحد الأنبياء من أولي العزم.
- الاستفادة من كلمة «فتى» بمعنى الشاب اليافع بدل الغلام والولد، علامة الأدب والعطف والاسم الحسن، والمراد من «فتاه» في هذه الآية هو «يوشع بن نون» الذي كان صاحب موسى والملازم له في ذلك السفر<sup>(١)</sup>.
- «الحقب» السنون الطويلة وقيل إنه من سبعين إلى ثمانين سنة.
- ذكرت التفاسير والروايات قصة ما جرى بين النبي موسى والخضر.

وكما في كتاب صحيح البخاري نقلاً عن ابن عباس عن أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن موسى قام خطيباً في بني إسرائيل، فسُئِلَ أي الناس أعلم؟ فقال أنا، فعتب الله عليه إذ لم يرِدَ العلم إليه، فأوحى الله إليه أن لي عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك، قال موسى: يا رب فكيف لي به قال: تأخذ معك حوتاً فتجعله في مكمل فحيثما فقدت الحوت فهو ثمٌّ<sup>(١)</sup>. فأخذ حوتاً فجعله في مكمل ثم انطلق، وانطلق معه فتاه يوشع بن نون حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رأسيهما فناهما، واضطرب الحوت في المكمل فخرج منه وسقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سرباً، وأمسك الله عن الحوت جربة الماء فصار عليه مثل الطاق. فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت فانطلقا بقيّة يومهما وليلتهما حتى إذا كان من الغد قال موسى لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً... فقال له فتاه أرايت إذ آوينا إلى الصخرة فلإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجباً، قال فكان للحوت سرباً ولموسى ولفتاه عجباً فقال موسى: ذلك ما كنا نبغي فارتدا على آثارهما قصصاً...».

□ عن الإمام الباقر والإمام الصادق ﷺ قالا: «إنه لما كان من أمر موسى ﷺ الذي كان، أعطى مكمل فيه حوت مملح... وانطلق الفتى يغسل الحوت في العين فاضطرب في يده حتى خدشه وانفلت منه<sup>(٢)</sup>».

□ ذكر بعضهم أن مجمع البحرين هو ملتقى بَحْرِي النبوة (موسى والخضر)، فموسى ﷺ هو بحر الحكمة الظاهرية وأما الخضر فهو بحر الحكمة الباطنية.

□ بما أن الأنبياء ﷺ معصومون ولا ينسون، فإن المراد من نسيان الحوت في الآية وضعها جانباً وتركها، وهذا نظير الآيات التي تنسب النسيان إلى الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَسْكَرُكُم<sup>(٣)</sup>﴾، ﴿إِنَّا نَسِينَكُم<sup>(٤)</sup>﴾، ومضافاً إلى ذلك، فإن ذينك

(١) ذكر العلامة الشعراني في حاشية تفسير أبي الفتوح الرازي أن محل اللقاء كان حوالي الشام وفلسطين.

(٢) سورة الجاثية: الآية ٦٤.

(٣) تفسير نور الثقلين.

(٤) سورة السجدة: الآية ١٤.



العظيمين لم ينسيا السمكة بل إنهما حملاها معهما، وطبقاً لما نقلناه فإن فتى موسى لما لم يرد أن يوقظ موسى ﷺ من نومه صبر عليه وبعد أن استيقظ نسي أن يخبره بما جرى معه.

□ أشير في القرآن الكريم إلى أن بعض الحيوانات كانت تشكل علامة وآية أو كانت مصدراً للإلهام أو لإيصال الخبر والأخبار، ومثالاً على ذلك فإن كيفية دفن هابيل كانت بإلهام من الغراب، والاطلاع على كفر قوم سبأ كان بإخبار من الهدهد، كذلك فإن إحياء السمكة كان علامة في قصة التقاء النبي موسى ﷺ والخضر، والعنكبوت كان لها دور في المحافظة على النبي الأكرم ﷺ في الغار، وكذلك دور الكلب في المحافظة على أصحاب الكهف.

### التعاليم:

- ١ - سعي النبي موسى ﷺ لملاقاة الخضر وتحصيل العلم جدير بالذكر، ﴿وَإِذْ...﴾.
- ٢ - اختيار العنوان الجميل والحسن مما أوصى به الإسلام، ﴿قَالَ...﴾.
- ٣ - الهجرة والسفر لطلب العلم واكتسابه لهما سابقة تاريخية قديمة، ﴿لَا أَنْبَحُ...﴾.
- ٤ - يجب على طالب العلم أن يقصد العالم لا أن يقعد ويتنظر مجيء العالم إليه، ﴿لَا أَنْبَحُ﴾، أي أنه ما لم يصل إلى العالم فلن يكف عن البحث عنه.
- ٥ - في مقام طلب العلم والعالم لو أمضينا عمراً في البحث فهو في محله، ﴿أَمْضِيَ حُقُبًا﴾.
- ٦ - ليس لتحصيل العلم حد ولا نهاية، فحتى لو كان الإنسان نبياً كموسى ﷺ فإنه ينبغي له أن يتهيأ للسفر الطويل من أجل تحصيل العلم، ﴿أَمْضِيَ حُقُبًا﴾.
- ٧ - صاحب الهمام في السفر هو من يبقى مصاحباً لصاحبه منذ بداية السفر وإلى نهايته، ﴿حَقَّ أَنْبَلُ مَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ...﴾.
- ٨ - من الممكن أن يكون البحر أو جانب البحر مكاناً مناسباً وملائماً ومهيأً لأجل التعليم واللقاء المعنوي، ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا﴾.

﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتْنِهِ إِنِّي نَا غَدَاءُ نَا لَقَدْ لَعِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ۝٦٢﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتَ وَمَا أَنْسِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَن أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ۝٦٣﴾

إشارات:

□ «الغداء» طعام الصباح، و«العشاء» طعام الليل.

□ في رواية عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «إن النبي موسى شكى إلى الله تعالى الجوع في ثلاثة مواضع:

الموضع الأول: بعد أن استقى الماء لابنتي شعيب عليه السلام وسقى أغنامهما ثم تولى إلى الظل فقال: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَزَلْتُ إِلَيْكَ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾<sup>(١)</sup>.

الموضع الثاني: في هذه الآية<sup>(٢)</sup>.

الموضع الثالث: عندما طلب من أهل القرية الطعام فلم يعطوهم إياه فاعترض على الخضر بقوله: لِمَ تعمل مجاناً لهؤلاء الناس الذين لم يعطونا الطعام: ﴿كُلُوا شِئْتُمْ لَنَخَذَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾<sup>(٣)</sup>.

□ موعد اللقاء بين النبي موسى عليه السلام والخضر كان له علامة وهي فقد تلك السمكة التي كانت غذاء لموسى وصاحبه يوشع وذهابها في البحر.

وعندما وصلا إلى محل اللقاء وقفزت السمكة إلى البحر نسي صاحب موسى أن يخبره بما جرى، وبعد أن سارا مسافة طويلة طلب موسى الطعام بعد أن نال منه التعب فتذكر صاحبه الحوت وافتقاده، فأخبر موسى بما جرى فطفقا عائدين إلى ذلك المحل وهناك التقيا بالخضر عليه السلام.

□ كان للنبي موسى عليه السلام أربعة أسفار:

١ - سفر الهرب، ﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة القصص: الآية ٢٤.

(٣) سورة الكهف: الآية ٧٧.

(٢) تفسير نور الثقلين.

(٤) سورة الشعراء: الآية ٢١.

٢ - سفر الطلب، ﴿فَلَمَّا أَتَتْهَا أُودِعَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ﴾<sup>(١)</sup>.

٣ - سفر الطرب، ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا﴾<sup>(٢)</sup>.

٤ - سفر التعب، ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾<sup>(٣)</sup>.

### التعاليم:

١ - من آداب السفر وجود الصاحب وتهيئة الطعام، ﴿إِنَّا غَدَاءَنَا﴾<sup>(٤)</sup>.

٢ - في سبيل المعرفة ومن أجل الوصول إلى الأهداف فإن الأنبياء ﷺ أيضاً يتحملون المصاعب والمشقات، ﴿لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾.

٣ - الشيطان كان المانع من ملاقاته موسى مع الخضر ومصاحبه؛ ولهذا السبب فإنه اتهم صاحب موسى بالإنساء، ﴿وَمَا أَسْنِيَهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ﴾.

﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَأَرْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾<sup>(٥)</sup> فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ءَاتِيَهُ رَحْمَةً  
مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿١٥﴾

### إشارات:

□ عن الإمام الصادق ﷺ أنه قال: «كان موسى ﷺ أعلم من الخضر»<sup>(٥)</sup>؛ أي أن موسى ﷺ أعلم من الخضر في علم الشرع؛ ولكن الخضر كان أعلم منه بالحقائق وفي أمور أخرى غيرها.

□ المراد من «عبدنا» في هذه الآية هو الخضر ﷺ، وبالدلائل التالية يتبين أنه كان نبياً:

أ - من كان أستاذ نبي من الأنبياء كالنبي موسى ﷺ فهو حتماً من الأنبياء.

(١) سورة القصص: الآية ٣٠.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٤٣.

(٣) تفسير كشف الأسرار.

(٤) كما هو الحال في أصحاب الكهف إذ كانوا يمتلكون المال اللازم للطعام ﴿فَكَابَتْهُمْ أَهْلُكُم بِوُفْقِكُمْ هُنَا﴾ (سورة الكهف: الآية ١٩).

(٥) تفسير الميزان.

ب - التعبير في القرآن الكريم بقوله: ﴿عَبَدْنَا، عَبْدُو، عِبَادَنَا﴾ مختص بالأنبياء غالباً.

ج - قال الخضر للنبي موسى ﷺ: إن كل ما رأيته من الأمور الخارقة للعادة ولم تصبر عليها كان طبق أمر الله ورأيه ولم يكن ما فعلته من أمري، ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾.

د - قال موسى للخضر: ﴿وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾، وبناء عليه فإن التسليم من نبي من الأنبياء أولي العزم لشخص دون بحث ولا جدال، (دون كيف ولا لماذا)، يشير حتماً إلى أن هذا الشخص معصوم ونبي.

هـ - العلم اللدني مخصوص بالأنبياء قال الله تعالى عن الخضر: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا﴾.

و - ذكر بعض المفسرين أيضاً أن المراد من قوله تعالى ﴿رَحْمَةً﴾ أي النبوة، ﴿رَأَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾.

### التعاليم:

١ - إن بعض العلوم كعلوم الأنبياء ﷺ لا تحصل بالتمرين والتجربة والتعلم؛ بل لا بد فيها من العلم اللدني، ﴿مِنْ لَّدُنَّا عِلْمًا﴾.

٢ - عاقبة التعب والبحث والاكتشاف: الإيجاد والوصول، ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا﴾.

٣ - في المجتمع، يوجد أمثال الخضر<sup>(١)</sup>؛ ولكن المهم هو البحث عنهم وإيجادهم والتلمذ عندهم، ﴿عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا﴾.

٤ - من أراد أن يدعو الناس إلى عبادة الله تعالى، فلا بد من أن يكون هو نفسه عبداً وأن يكون أستاذه أيضاً عبداً، ﴿عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا﴾.

(١) قال الشاعر حافظ الشيرازي

طی این مرحله بی مهری خضر مکن      ظلمات است بترس از خطر گمراهی

((ياك أن تطوي هذه المرحلة دون صحبة الخضر، فإنها ظلمات، لذا فاحذر خطر الانحراف والضلال)).

٥ - استقبال الرحمة والعلم الإلهيين إنما يكون في ظل العبودية، ﴿عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً... وَعَلَّمْنَاهُ﴾.

٦ - فوق كل علم علم؛ لذا علينا ألا نغتر بعلمنا، ﴿عَبْدًا... وَعَلَّمْنَاهُ مِّنْ لَّدُنَّا عِلْمًا﴾.

﴿قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَيْكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَ مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾

إشارات:

□ عن النبي الأكرم ﷺ أنه قال: «لما لقي موسى الخضر جاء طير فألقى منقاره في الماء، فقال الخضر لموسى: تدري ما يقول هذا الطائر؟ قال: وما يقول؟ قال: يقول: ما علمك وعلم موسى في علم الله إلا كما أخذ منقاري من الماء»<sup>(١)</sup>.

□ في هذه الآيات القصيرة نشاهد نكاتاً متعدّدة في الأدب والتواضع تجاه الأستاذ ومنها ما يلي:

أ - ابتدأ موسى تلمذته وتعلمه بأخذ الإذن من الأستاذ، ﴿هَلْ﴾.

ب - عرف موسى نفسه بأنه تابع لأستاذه، ﴿أَتَيْكَ﴾.

ج - عرف موسى الخضر بأنه مُعَلِّم، ﴿تُعَلِّمَ﴾.

د - اعتبر موسى نفسه تلميذاً لبعض علوم أستاذه، ﴿مِمَّا﴾.

هـ - ربط موسى علم أستاذه بالغيب، ﴿عَلَّمْتَ﴾.

و - اعتبر موسى أن تعليم أستاذه مؤثر، ﴿رُشْدًا﴾.

ز - كما إن الله علّمك فانت أيضاً علمني، ﴿مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾.

ح - أعطى وعداً بأن لا يعصى أوامر معلمه (في الآيتين اللاحقتين)، ﴿وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾.

ط - اعتبر موسى أن أفعال معلمه وكلامه بمثابة الأوامر، ﴿وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾.

ي - لم يعط موسى وعداً قاطعاً بل قال له، ﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾.

## التعاليم:

- ١ - من أجل التعلم لا بد من الأدب والتواضع أمام المعلم، ﴿هَلْ أَتَيْتُكَ...﴾.
- ٢ - التواضع للعلماء والأساتذة من أخلاق الأنبياء، ﴿هَلْ أَتَيْتُكَ﴾.
- ٣ - من يعشق العلم والتعلم يسعى ويتحرك من أجل ذلك، ﴿هَلْ أَتَيْتُكَ﴾.
- ٤ - السفر مع العالم، وتحمل المصاعب والمشقات في سبيل كسب العلم والمعرفة، والوصول إلى الكمال والرشد، كل ذلك له قيمة كبيرة، ﴿هَلْ أَتَيْتُكَ﴾.
- ٥ - لا بد لطالب العلم من أن يكون هادفاً وأن لا يكون عبداً للأشخاص، ﴿عَلَيْهِ أَنْ تُعَلِّمَنِ﴾.
- ٦ - على الرغم من أن أفعال الله تعالى تصدر على وجه الإعجاز أحياناً إلا أن القانون الأصل والأساس هو سلوك المسير الطبيعي؛ لذا لا بد لموسى من أن يتلمذ لكي يتعلم الحكمة، ﴿أَنْ تُعَلِّمَنِ﴾.
- ٧ - لم يَأْبِ الأنبياء أولي العزم أيضاً من طلب العلم، ﴿عَلَيْهِ أَنْ تُعَلِّمَنِ﴾.
- ٨ - إن الخضر عليه السلام كان نبياً وذا علم لدني من الله تعالى، ﴿عُلِّمْتَ﴾.
- ٩ - إن طي طريق التكامل والوصول إلى المعارف الإلهية الخاصة يحتاجان إلى معلم ومرشد، ﴿تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ﴾.
- ١٠ - علم الأنبياء محدود وقابل للزيادة، ﴿تُعَلِّمَنِ مِمَّا...﴾.
- ١١ - مراتب الأنبياء متفاوتة من حيث الحظوة بالعلم والكمال، ﴿تُعَلِّمَنِ مِمَّا...﴾.
- ١٢ - التحلي بكل مراتب العلم والكمال ليس شرطاً للنبوة، ﴿تُعَلِّمَنِ﴾.
- ١٣ - الاطلاع على المعارف والعلوم الإلهية يضمن وصول الإنسان إلى الرشد والكمال، ﴿تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾.
- ١٤ - العلم وحده ليس هدفاً؛ بل لا بد من أن يكون وسيلة للرشد وأن يدفع الإنسان إلى العمل الصالح والخضوع الغرور والمجادلة<sup>(١)</sup>، ﴿رُشْدًا﴾.

(١) كان رسول الله ﷺ يدعو الله في تعقيب الصلاة قائلاً: «أعوذ بك من علم لا ينفع» (بحار الأنوار، ج ٨٦، ص ١٨).

﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ ١٧ ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ ١٨ ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ ١٩ ﴿قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ ٢٠ ﴿

## إشارات:

□ بيّنا في الآيات السابقة أنّ موسى ﷺ، وإن كان من أولي العزم، ورغم أنه أعلم من الخضر ﷺ في علم الشرع، إلا أن الخضر كان أعلم منه في سائر العلوم.

## التعاليم:

- ١ - لا بد للمربي والمعلم من أن يكونا مطلعين على مدى الاستعداد والقابلية عند التلامذة، ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ...﴾.
- ٢ - في مقام تعيين المسؤولين الثقافيين لا بد من معرفة اللائقين لذلك والتنبيه على نقاط الضعف عندهم، ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ...﴾.
- ٣ - استعداد الأفراد لتلقي المعرفة متفاوت، حتى إن موسى ﷺ لم يتحمل ما قام به الخضر، ﴿لَنْ تَسْتَطِيعَ...﴾.
- ٤ - الرشد العلمي غير ميسر دون وجود الصبر، ﴿رُشْدًا... وَكَيْفَ تَصْبِرُ...﴾.
- ٥ - الكثير من المجادلات والمخاصمات التي تحصل بين مختلف الأفراد منشؤها عدم معرفتهم بأفكار بعضهم وأهدافه، ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ...﴾.
- ٦ - المعرفة والإحاطة العلميتان ترفعان مقدار استعداد الإنسان وصبره، ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا...﴾.
- ٧ - مع الصبر واللطف الإلهي يمكن الوصول إلى الرشد والكمال، ﴿إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا...﴾.
- ٨ - إذا أردنا أن نقوم بأي فعل في المستقبل لا بد لنا من أن لا ننسى المشيئة الإلهية؛ لذا لا بد من أن نقول: «إن شاء الله»، ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا...﴾.

٩ - كان الخضر عليه السلام نبياً معصوماً؛ إذ إن موسى عليه السلام تعهد له بأن لا يعصي أوامره، ﴿وَلَا أَطِيعُ لَكَ أَمْرًا﴾.

١٠ - إطاعة المعلم والصبر في سبيل تحصيل العلم من آداب التعليم وشروطه، ﴿سَتَجِدُنِي... صَابِرًا﴾.

١١ - أخذ التعهد جائز في المسائل العلمية والتربوية، ﴿فَإِنْ أَتَبَعْتَنِي فَلَا تَتَلَانِي﴾.

١٢ - السؤال له زمانه، والتسرع فيه ممنوع، ﴿فَلَا تَتَلَانِي... حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ﴾.

١٣ - تمام أفعال الأنبياء تقوم على الدليل والمنطق والحكمة، ﴿أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾.

١٤ - لا بد للاستاذ والمربي من أن يرفع الإبهام عن أذهان تلامذته، ﴿حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾.

﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكَبَا فِي الْسَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْنَاهَا لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾  
قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾﴾

#### إشارات:

□ «الخرق» قطع الشيء على سبيل الفساد من غير تدبر ولا تفكر. و«الإمر» يقال للشيء المهم الباعث على التعجب أو للدهاية العظيمة والقيحة جداً.

#### التعاليم:

١ - من أجل التعلم، ينبغي علينا ألا نضيع الوقت، ﴿فَانْطَلَقَا﴾. (حرف الفاء يشير إلى الفورية).

٢ - صحبة الأفراد قد لا تستمر إلى نهاية الطريق، فالصاحب الأول لموسى في سفره (أي يوشع بن نون) لم يكن مع موسى والخضر في بقية الطريق، وبالتالي فإن موسى والخضر فقط تابعا طريقهما، ﴿فَانْطَلَقَا﴾. ولم يقل «فانطلقوا».



- ٣ - اكتساب العلم لا يحد بزمان أو مكان أو وسيلة خاصة، ﴿رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ﴾، (ففي البحر وأثناء ركوب السفينة وفي السفر أيضاً يمكن التعلم).
- ٤ - إذا قبلنا أن فلاناً ما عالم وحكيم، فلا بد لنا من السكوت أمام ما يصدر من أفعاله حتى ولو كان عجيباً وغريباً في نظرنا، ﴿السَّفِينَةَ خَرَقَهَا﴾.
- ٥ - التخريب قد يكون من لوازم التعليم أحياناً، ﴿خَرَقَهَا﴾.
- ٦ - أثناء حلول الخطر فإن كل إنسان يفكر بمصالحه؛ ولكن الأنبياء ﷺ يفكرون بغيرهم، ﴿لِنُفِّقَ أَهْلَهَا﴾. ولم يقل: «لتغرقنا».
- ٧ - إن خرق السفينة في الظاهر، ومضافاً إلى كونه تصرفاً في مال الآخرين دون إجازتهم، هو أيضاً خسارة وإضرار بالمال والنفس والآخرين؛ لذا فإن النبي موسى ﷺ اعترض على ذلك، ﴿شَيْئًا إِمْرًا﴾.

﴿قَالَ لَا تُؤْخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ (٧٣) ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ﴾  
﴿قَالَ أَفَلَنْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ (٧٤)

### إشارات:

□ إن الأنبياء لا ينسون، والنسيان لا يمكن انتقاده ولا المؤاخذه عليه، وبناء على ذلك فإن المراد من النسيان في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا تُؤْخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ هو ترك الوعد بالتبعية والسكوت بسبب تلك الأعمال التي كانت بنظر موسى مخالفة للشرع.

□ «الإرهاق» بمعنى تغطية الشيء بالقهر والغلبة وتأتي أيضاً بمعنى التكليف بما يصعب فعله.

□ يستفاد من كلمة «الغلام» وكلمة «زكية» أن ذلك الغلام لم يكن مكلفاً. و﴿نُكْرًا﴾ تعني القبيح وأثرها أقوى من كلمة ﴿إِمْرًا﴾؛ إذ إنه في مورد ثقب السفينة وخرقها قال: ﴿شَيْئًا إِمْرًا﴾ (باعتبار أنه عرض مجموعة من الناس للخطر إلا أنهم تداركوا ذلك)، وأما في مورد قتل الغلام فقد قال: ﴿شَيْئًا نُكْرًا﴾.

## التعاليم:

- ١ - يمكن للمعلم والأستاذ أن يؤاخذا تلميذهما، ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي﴾.
- ٢ - في مقام التعليم والتربية لا ينبغي أن نصبب الأمر على التلامذة، ﴿وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُمْرًا﴾.
- ٣ - لا بد للمعلم والأستاذ بعد قبول العذر والاشتباه من التلميذ من أن يتابعا عمليات التعليم والتربية والإرشاد، ﴿فَانْطَلَقَا﴾.
- ٤ - لا بد للمعلم من أن يوصل معارفه إلى التلميذ بالتدرج، ﴿فَانْطَلَقَا﴾، (أطلع الخضر موسى على الأسرار خطوة خطوة).
- ٥ - ترك المحرمات أهم من التعهدات الأخلاقية، ﴿أَفَلَنْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾؛ فالنبي موسى ﷺ ولأجل أنه يعتقد بكون القتل من المنكرات رأى أنه من الواجب عليه أن ينهى عن المنكر وأن ينقض التعهد الأخلاقي الذي أعطاه للخضر ﷺ.
- ٦ - قانون القصاص كان موجوداً أيضاً في ديانة النبي موسى ﷺ، ﴿أَفَلَنْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾؛ أي أن اعتراض موسى على الخضر كان مفاده: لماذا قتلت ذلك الغلام مع أنه ليس بقاتل؟
- ٧ - أحياناً قد يظهر ما هو «معروف» عند أحد على أنه «منكر» عند الآخرين، ﴿جِئْتُ سَيِّئًا تُكْرَهُ﴾.

## الجزء السادس عشر

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ (٧٥) قَالَ إِنْ سَأَلْتَكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾

## إشارات:

□ عن النبي محمد ﷺ: لو أن موسى صبر على الخضر لرأى عجائب كثيرة<sup>(١)</sup>.

(١) تفسير الطبري؛ وتفسير أبي الفتح الرازي.

## التعاليم:

- ١ - إن أولياء الله تعالى ليسوا على درجة واحدة من ناحية الاستعداد وتحمل العلم، ﴿لَنْ تَسْتَطِيعَ﴾.
  - ٢ - ثلاث مرات من الاختبار والإمهال تعد كافية لمعرفة الخصال، ﴿إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا﴾.
  - ٣ - إذا تضاربت أفكارنا مع أفكار الآخرين ولم نستطع أن ندرك ونستوعب بعضنا بعضاً، فلا بد من الانفصال عنهم دون حاجة إلى المقاومة والمواجهة معهم، ﴿فَلَا تُصَاحِبْنِي﴾.
  - ٤ - اعتراضات موسى على الخضر ناشئة مما رآه من إبهام في عمله وكانت لها جنبه تساؤلية، ﴿إِنْ سَأَلْتُكَ﴾.
  - ٥ - علينا أن نكون منصفين ولو في تقييم أنفسنا تجاه أي عمل نقوم به، ﴿فَلَا تُصَاحِبْنِي﴾؛ فالنبي موسى ﷺ تحمّل مسؤولية عدم صبره.
  - ٦ - عندما ننفصل عن أي إنسان لا بد من مراعاة الأدب معه، ﴿فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾.
  - ٧ - ليس كل انفصال عن الآخر دليلاً على وجود الحقد، أو التعقيد، أو الغرور، أو التكبر، ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾.
- ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا آتَىٰ أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَظَمَّ أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوا لَهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَاقْسَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾﴾

## إشارات:

- امتنع الناس عن إعطاء الطعام لموسى والخضر ومع ذلك فإن الخضر وحده تصدى لإعمار الجدار الخرب مجاناً.

## التعاليم:

- ١ - إن كل دورة تعليمية بحاجة إلى الحركة، والسعي، والتنوع في الأمكنة لأجل تحصيل علوم جديدة وهذا له قيمة كبيرة، ﴿فَانْطَلَقْنَا﴾.
- ٢ - الأمة الساقطة أخلاقياً تمتنع حتى عن إعطاء الخبز لنبي من أولي العزم، ﴿فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوهُمْ﴾؛ (نعم هذا في صورة معرفتهم بذلك).
- ٣ - أولئك الذين لا يستضيفون الضيوف الغرباء مذمومون، ﴿فَأَبَوْا...﴾.
- ٤ - إن عدم اهتمام الناس وقلة عطفهم ينبغي أن لا يؤثر سلباً على أعمالنا، ﴿فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوهُمْ﴾.
- ٥ - أحياناً قد يضطر الأنبياء أثناء الشدة إلى الطلب من الآخرين، ﴿أَسْتَطْعَمَ﴾.
- ٦ - رغم أن المحتاجين يقتنعون بالقليل إلا أن الكرامة الإنسانية تقول لنا أن نكرمهم على مستوى الضيافة، ﴿أَسْتَطْعَمَ... يُضَيِّقُوهُمْ﴾.
- ٧ - من غير الضروري دائماً أن يكون الضيف معروفاً لنا؛ بل يجب علينا أن نستضيف أحياناً الغرب وابن السبيل، ﴿فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوهُمْ﴾.
- ٨ - يجب رفع النواقص وإصلاحها، ولا ينبغي رفع اليد عن الأشياء المعيوبه ظناً منا بعدم قيمتها، ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا... فَأَقَامَهُ﴾.
- ٩ - أولياء الله تعالى ليسوا من أهل الحقد والانتقام فبالرغم من عدم استضافة موسى والخضر إلا أن الخضر قام بخدمتهم، ﴿فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوهُمْ... فَأَقَامَهُ﴾.
- ١٠ - للأنبياء ولاية على أموال الناس وأرواحهم؛ لذا لهم الحق في التصرف بما شاؤوا دون الحاجة إلى أخذ الإذن من المالك، ﴿فَأَقَامَهُ﴾.
- ١١ - «العيش أولاً ومن ثم العمل» و«التأمين أولاً ومن ثم التمكين»، إن هذين المنطقيين قد لا يصحان في كل موضع وفي كل مكان؛ لذا فإن النبي الجائع يعمل مجاناً ﴿فَأَبَوْا... فَأَقَامَهُ﴾. وبناء عليه، عند الحاجة لا بد من أن نشمر عن سواعدنا ونعمل من دون أن ننتظر الميزانية والمساعدات والمقررات، ﴿جِدَارًا... فَأَقَامَهُ﴾.

- ١٢ - العمل لوجه الله ومن دون أجره ليس عيياً، ﴿فَأَقَامَهُ﴾.
- ١٣ - عندما نشخص أن عملاً ما مفيد وضروري فلا ينبغي لنا أن ننتقده، ﴿لَتُخَذَّتْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾.
- ١٤ - ليس عاراً أن نعمل وأن نأخذ أجره أعمالنا، وليس عاراً أن نكون أجراء عند غيرنا، ﴿لَتُخَذَّتْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾.
- ١٥ - أولياء الله تعالى لا يعملون من أجل المال، ﴿لَوْ شِئْتَ لَتُخَذَّتْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾.

﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ (٧٨)

إشارات:

- «التأويل» هو الإرجاع وتوجيه المقصود، ويطلق أيضاً على كشف الأستار عن الأسرار.
- انفصال الخضر عن موسى كان باقتراح من موسى نفسه؛ إذ قال له: ﴿إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي﴾؛ وقد هيا موسى أسبابه بتكرار السؤال والاعتراض وتركه الخضر يقيم الجدار وحده.
- سئل النبي موسى ﷺ: ما هي أصعب الأوقات التي مرت عليك؟ فقال ﷺ: مع أنني سمعت التهم من فرعون ورأيت أعداء بني إسرائيل، إلا أن أصعب الأزمنة علي كانت تلك اللحظة التي قال فيها الخضر: ﴿هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾ (١).

دعني أبكي وأهل الدمع كغيوم الربيع  
فلو أن الحجر يخرج منه الماء لفعل عند فراق الاحبة

## التعاليم:

- ١ - من لا يعرف قدر الوصال سيبتلى بالفراق، ﴿هَذَا فِرَاقٌ﴾.
  - ٢ - لا ينبغي التخلي عن الأصدقاء بسرعة، فالخضر لم يفارق رفيقه إلا بعد تكرر الاعتراضات، ﴿هَذَا فِرَاقٌ...﴾.
  - ٣ - علينا أن نرفع كل إبهام من أذهان الآخرين فوراً، ﴿سَأُنَبِّئُكَ﴾.
  - ٤ - من خلال بيان الحكمة وتعليمها للآخرين فسوف نزيد من مقدار قابليتهم واستعدادهم، ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِأَوَّلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ﴾.
  - ٥ - الحوادث الظاهرية لها أبعاد باطنية أحياناً، ﴿بِأَوَّلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾.
- ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرْدَتْ أَنْ أَعْيِبَهَا وَكَانَ رِجَالُهَا يَأْخُذُ كُلُّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ (٧٩)

## إشارات:

- «وراء» تطلق على ما كان مخفياً ومستوراً سواء أكان أمام الإنسان أم كان خلفه.
- إن ما يشاهده الإنسان هو الصور الظاهرية للأمور وقد يكون لكثير منها صوراً باطنية أيضاً. فلم يكن ظاهر ما فعله الخضر مشروعا في نظر موسى؛ ولكن كان يستبطن أسراراً ورموزاً وحقائق.
- لم يخرق الخضر السفينة بنحو يسبب دخول الماء إليها بنحو لا يستفاد منها أو يؤدي إلى غرقها؛ بل إنه أعابها فقط ولكم كانت المصالح موجودة في العيوب والنواقص.

يقول الشاعر صائب التبريزي:

(لربما بعد أن كُسرَت تصلح كل تلك الأمور، فمفتاح رزق الشحاذ رجلٌ

عرجاء ويد مشلولة).

□ إنما أعيبت السفينة لثلاث تقع في يد ذلك الملك الظالم ولثلاث يزداد أولئك البؤساء بؤساً، وفي الواقع كان ذلك من باب دفع الأفسد بالفساد، وهذا ليس من شأن كل أحد من الناس، بل إن تشخيص المهم والأهم من شأن العرفاء المتعمقين في الدين.

□ إن أهل البيت عليهم السلام كانوا أحياناً يعييون ويذمون أتباعهم المخلصين لهم أمام الآخرين لثلاث يُساء الظن بهم من قبل الحكومة الظالمة فتحفظ أرواحهم، وهذا ما حدث بين الإمام الصادق عليه السلام وصاحبه زرارة؛ إذ إن الإمام انتقده في العلن ليكون في مأمن من أذى العباسيين ومن ثم أرسل إليه برسالة يقول له فيها: «إنما أعيبك دفاعاً مني عنك فإن الناس والعدو يسارعون إلى كل من قربناه وحمدناه مكانه لإدخال الأذى في من نجه ونقربه... فإنما أعيبك لأنك رجل اشتهرت بنا وبمهلك إلينا، وأنت في ذلك مذموم عند الناس، فيكون ذلك دافع شرهم عنك لقول الله تعالى: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرْدَتْ أَنْ أَعْيِبَهَا...﴾ ومن ثم قال له: فإنك أفضل سفن ذلك البحر القمقام وإن من وراءك ملكاً ظلوماً غصوباً يرقب عبور كل سفينة صالحة ترد من بحر الهدى ليغصبها وأهلها...»<sup>(١)</sup>.

□ إن من وطأت أقدامه دنيا الأسرار واطلع على باطن الأشياء لا بد من أن يكون قد تجاوز مرحلة الظاهر منها، كما هو حال موسى عليه السلام الذي كان عالماً بالشرعية وعاملاً بها وأثناء صحبته مع الخضر فإنه أصبح عارفاً بالأسرار الباطنية أيضاً.

### التعاليم:

١ - رعاية النظم والترتيب مهم في الأسلوب التعليمي والتربوي. فالسؤال الأول من موسى كان عن سبب خرق السفينة وعند الإجابة ابتدأ بالجواب عن هذا السؤال نفسه، ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ﴾.

(١) تفسير نور الثقلين بتصرف يسير (المترجم).

- ٢ - الأسرار المخفية وسر الأعمال ستعرف يوماً ما، ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ﴾.
- ٣ - الإنسان الحكيم لا يفعل أبداً أي شيء عبثاً، بل إن كل أعماله تقوم على أساس الحكمة والمصلحة<sup>(١)</sup>، ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ﴾.
- ٤ - الفرد المسؤول يجب عليه أن يحافظ على حقوق الناس وأموالهم، ﴿فَكَانَتْ لِسَنَكَيْنَ...﴾.
- ٥ - أولياء الله رحماء بالمساكين والمحرومين، ﴿لِسَنَكَيْنَ﴾.
- ٦ - إن كثيراً من الناس ورغم امتلاكهم للمال والعمل إلا أن ما يحصلون عليه لا يكفيهم في نفقاتهم. وفي نظر القرآن فإن هؤلاء يعدّون مساكين، ﴿لِسَنَكَيْنَ يَعْمَلُونَ﴾.
- ٧ - الشركة في المال والعمل عقد قانوني، وكان موجوداً في الأديان السابقة أيضاً، ﴿لِسَنَكَيْنَ يَعْمَلُونَ﴾.
- ٨ - يجب حرمان الحاكم الظالم الغاصب من الاستيلاء على أموال الناس المساكين، ﴿أَعْيَبَهَا... مَلِكٌ يَأْخُذُ﴾.
- ٩ - دفع الأفسد بالفساد جائز. واستبدال المهم بالأهم لازم، ﴿أَعْيَبَهَا... مَلِكٌ يَأْخُذُ﴾.
- ١٠ - الطواغيت لا يرضون بالقليل؛ ولذا فإنهم أيضاً لا يرحمون الفقراء رغم قلة أموالهم، ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ﴾.
- ١١ - بالرغم من أن ما فعله الخضر كان بأمر من الله، ﴿وَمَا فَعَلْنَاهُ عَنْ أَمْرِئٍ﴾؛ إلا أنه، ورعاية للأدب، فقد نسب إغابة السفينة إلى نفسه، ﴿أَعْيَبَهَا﴾.
- ١٢ - إن أفعال الأنبياء في العادة تقوم على أساس القوانين الظاهرية إلا أن وظيفة الخضر كانت قائمة على أساس الأمور الواقعية، ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعْيَبَهَا... مَلِكٌ يَأْخُذُ﴾.

(١) قال الشاعر مولوي:

گر خضر در بحر کشتی را شکست      صد درستی در شکست خضر هست  
(لئن خرق الخضر سفينة البحارين، فإنّ في فعله لمن الصواب مئة).



﴿وَأَمَّا الْفُلُّ فَأَنَّ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۖ فَآرَدْنَاهُ أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَحْمَةً خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رَحْمًا ۖ﴾ (٨١)

## إشارات:

- «الإرهاق» وهو أن يحمل الإنسان على القيام بما لا يطيقه ويصعب عليه.
- ورد في الحديث أن الله تعالى أبدل والديه بتناً ولدت سبعين نبياً<sup>(١)</sup>.
- أحياناً قد يكون الولد سبباً في انحراف الوالدين وكفرهما، ﴿فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا﴾. وفي أحيان أخرى أيضاً فإن الوالدين يجران أبنائهما مع ما لهم من فطرة طاهرة إلى الكفر والانحراف، كما ورد عن النبي الأكرم ﷺ أنه قال: «كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه يهودانه وينصرانه»<sup>(٢)</sup>.

## التعاليم:

- ١ - لا يصدر عنهم أولياء الله تعالى العبث واللغو، مع أن بعض أعمالهم قد تبدو مشروعة في الظاهر، ﴿وَأَمَّا الْفُلُّ﴾.
- ٢ - موت الولد أفضل من أن تكون عاقبته سيئة وأن يكون بقائه موجباً للطغيان والفساد، ﴿يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾.
- ٣ - لله تعالى عناية خاصة بالأبوين المؤمنين، ﴿أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا﴾.
- ٤ - يجب أن يكون الجسم فداء للفكر أحياناً، فالولد يُقتل ليُحفظ إيمان والديه، ﴿فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا﴾.
- ٥ - لا بد من ترقب الفتن ودفنها في مهدها، ﴿فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا﴾.
- ٦ - الطغيان يمهد للكفر (وردت كلمة الطغيان قبل كلمة الكفر).
- ٧ - إرادة رجال الله هي إرادة الله تعالى، ﴿فَآرَدْنَاهُ أَنْ يُبَدِّلَهُمَا﴾.
- ٨ - إن أولياء الله تعالى، ومضافاً إلى أنهم مسؤولون، فإنهم أيضاً يفكرون في مستقبل الناس ومصيرهم، ﴿فَآرَدْنَاهُ أَنْ يُبَدِّلَهُمَا﴾.

- ٩ - قد يكون السبب في ابتلاء المؤمنين ببعض البلاءات حفظ إيمانهم وعقيدتهم أنفسهم، ﴿يُدِّلُهُمَا رُحْمًا خَيْرًا مِنْهُ﴾.
- ١٠ - إذا أخذ الله تعالى من المؤمن شيئاً فإنه يعطيه ما هو أفضل منه، ﴿يُدِّلُهُمَا رُحْمًا خَيْرًا مِنْهُ﴾.
- ١١ - أخذ الولد الطالح وإبداله بالولد الصالح مظهر من مظاهر ربوبية الله تعالى، ﴿يُدِّلُهُمَا رُحْمًا خَيْرًا مِنْهُ﴾.
- ١٢ - زكاة الأبناء وصلاحهم لا يكفيان؛ بل لا بد من أن يكونوا رحماء بآبائهم أيضاً، ﴿رُكُوزٌ وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾.
- ١٣ - في مورد الولد فإن ما له القيمة هو أن يكون سالماً وزكياً ومحباً لوالديه لا أن يكون ذكراً أو أنثى، ﴿رُكُوزٌ وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾.

﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُمْ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾

### إشارات:

□ روي عن النبي الأكرم ﷺ أنه قال: «كان لوحاً من ذهب وفيه مكتوب: عجباً لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن. عجباً لمن أيقن بالرزق كيف يتعب. عجباً لمن أيقن بالموت كيف يفرح. عجباً لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل. عجباً لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها. لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ»<sup>(١)</sup>.

□ طبقاً للروايات الشريفة فإن لطف الله ورحمته لا يشملان الأبناء المباشرين فحسب، بل يشملان أيضاً الذراري اللاحقة، وكذلك فإن صلاح الأجداد يوجب عناية الله تعالى بذرية أبنائهم<sup>(٢)</sup>.

□ عن الإمام الصادق عليه السلام: «لما أقام العالم الجدار أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: إني مجازي الأبناء بسعي الآباء إن خيراً فخيئراً وإن شراً فشرّاً، لا تزنوا فتزني نساؤكم، من وطئ فراش امرء مسلم وطئ فراشه، كما تدين تدان»<sup>(١)</sup>.

□ في موضع يُقتل الولد لأجل أن يُحفظ إيمان والديه، وفي موضع آخر ولأجل صلاح الوالد يعمل نبي الله (في إقامة الجدار) ليصل الكثر إلى الولد.

□ عندما اعترض بعضهم على الإمام الحسن عليه السلام بسبب مصالحته لمعاوية، قال الإمام عليه السلام: «يا أبا سعيد إذا كنتُ إماماً من قبل الله تعالى ذكره، لم يجب أن يسفه رأيي فيما أتيت من مهادة أو محاربة وإن كان وجه الحكمة فيما أتيت ملتبساً، ألا ترى إلى الخضر عليه السلام لما أخرج السفينة، وقتل الغلام، وأقام الجدار، سخط موسى عليه السلام فعله لاشتباه وجه الحكمة عليه حتى أخبره فرضي، هكذا أنا سخطتم علي بجهلكم بوجه الحكمة فيه ولولا ما أتيت لما ترك من شيعتنا على وجه الأرض أحدٌ إلا قتل»<sup>(٢)</sup>.

□ للقرية والمدينة معنى واحد، ففي الآية (٧٧) قال تعالى: ﴿أَيُّهَا أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾، وقال ها هنا: ﴿فِي الْمَدِينَةِ﴾.

□ «الأشد» جمع «شدة» و«يلغا أشدهما» أي حتى يصلا إلى الحلم والرشد.

### التعاليم:

١ - يمكن للطفل غير البالغ أن يكون مالكاً؛ إلا أن شرط التصرف في أمواله هو الرشد، ﴿كَثْرُ لَهْمًا، يَلْفًا أَشَدُّهُمَا﴾.

٢ - ادخار الثروة من أجل الأبناء جائز، ﴿كَثْرُ لَهْمًا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾؛ إلا أن كثر المال من دون إنفاق ممنوع.

٣ - حفظ أموال اليتامى واجب، ﴿لِلْيَتَامَىٰ يَتِيمَيْنَ﴾.

- ٤ - الأعمال الصالحة للأب تؤثر في حياة الأبناء، ﴿أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾.
- ٥ - كان الخضر عليه السلام نبياً، ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾.
- ٦ - قد يكون لبعض الحوادث أحياناً تحليل عميق يصبّ في مسير رشد الإنسان، ولقد كان الهدف من هذه الأحداث إرشاد موسى عليه السلام، ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ، رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾.
- ٧ - لا بد من التكلم بأدب مع الله تعالى، فالنبي الخضر عليه السلام عندما تكلم عن العيب والنقص نسب ذلك إليه، ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَمِيبًا﴾. وعندما كان الأمر يرتبط بفعل حسن نسب ذلك إلى الله تعالى، ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾.
- ٨ - إرادة أولياء الله تعالى إرادة الله، ﴿أَرَدْتُ، أَرَدْنَا، فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾.
- ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾﴾

### إشارات:

□ للقرن معنيان، أحدهما: المدة الطويلة زمنياً (١٠٠ سنة)، والمعنى الآخر قرن الحيوان، وإنما سُمِّيَ «ذو القرنين» بهذا الاسم ووصف به، إما من جهة حكومته الطويلة زمنياً، وإما لأنه كان يعقد خصلتين من شعره كالقرنين؛ وإما أنه كان قد جعل قرنين على قلنسوته.

وكذلك من الممكن أن يكون المراد من «القرنين» ناحيتي الشرق والغرب من هذه الدنيا<sup>(١)</sup>؛ إذ إنه لما بسط سلطانه على شرق العالم وغربه سمي بذي القرنين.

وروي عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «إن ذا القرنين لم يكن نبياً ولكنه كان عبداً صالحاً، أحب الله فأحبه الله، وناصره الله فناصره الله، أمر قومه بتقوى الله فضربوه على قرنه فغاب عنهم زماناً ثم رجع إليهم فضربوه على قرنه الآخر»،

(١) كما تقول العرب: «قرنا الشمس» أي مشرقها ومغربها في هذه الدنيا.

وأردف الإمام عليه السلام قائلاً: «وفيكم من هو على سبيل سته»<sup>(١)</sup>. وبناء على ذلك فإنه سمي ذو القرنين لضربه على قرنيه.

ذهب صاحب تفسير الأمثل - وبالاتفات إلى ما نُقِلَ عن بعض المؤرخين اليونانيين، وكذلك إلى بعض مقاطع التوراة (كتاب أشعيا، الفصل ٤٦، العدد ٢٨ و١١)، وكذلك اكتشاف تمثال قورش في القرن التاسع عشر الميلادي إذ كان على رأسه تاج فيه قرنان - إلى مطابقة ذي القرنين مع قورش؛ إلا أن المرحوم الشعراني في حاشية تفسير أبي الفتح الرازي ذهب إلى أن ذا القرنين هو الإسكندر المقدوني نفسه الذي كان تلميذاً لأرسطو منذ الثالثة عشرة من عمره، وقد اعتبر صاحب تفسير الميزان أن قورش هو «ذو القرنين» نفسه.

وعلى أي حال، فإن الكلام حول ذي القرنين ومدة حكمه؟ وعن اسمه؟ وسنين عمره؟ وهل كان بشراً أو ملاكاً، أو نبياً أو عبداً صالحاً؟ وهل هو الإسكندر أم قورش؟ ولماذا سمي بذي القرنين؟ وكم كانت إمكاناته؟ وإلى أين امتدت حدود حكمته؟ وما هو طول السد الذي بناه وعرضه؟ وفي أي زمان كان؟ وهل إن هذا السد هو سور الصين نفسه أم لا؟ كلام طويل؛ وبالتالي فإن البحث في تفاصيل هذه الجزئيات لا نفع جَمَّ له، بل لا بد لنا من أن نسعى وراء الحقائق والأهداف، لا المسائل الجزئية التي لا يوجد أي رشد فيها.

### التعاليم:

١ - كان الأنبياء عليهم السلام مراجع للناس يجيبون عن أسئلتهم، ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ﴾.

٢ - لا بد للقائد والمبلغ الديني من أن يكون عارفاً مطلعاً على التاريخ وحوادثه الهامة، ﴿يَسْأَلُونَكَ...﴾؛ فإنه سيُسأل أسئلة مختلفة، كما حين سئل الرسول ﷺ عن «الروح».

- ٣ - علينا ألا نترك الإجابة عن تساؤلات الناس المنطقية والمفيدة، ﴿سَأْتَلُوا﴾.
- ٤ - لا تَحُسِّن العجلة في الجواب عن الأسئلة، ﴿سَأْتَلُوا﴾.
- ٥ - يعتبر التاريخ وروايته، بما هو عبرة، من الأمور القيمة، ﴿سَأْتَلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾.
- ٦ - كانت تساؤلات الناس سبباً له لنزول بعض الآيات أحياناً، ﴿يَسْأَلُونَكَ... قُلْ...﴾.

﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتَى سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾

### إشارات:

□ نقرأ في الدعاء الذي علّمه الإمام علي عليه السلام لذلك الشاب البلخي (دعاء المشلول) قوله: «يَا مَنْ نَصَرَ ذَا الْقُرَيْنَيْنِ عَلَى الْمُلُوكِ الْجَبَّارَةِ»<sup>(١)</sup>.

وفي رواية عن أمير المؤمنين عليه السلام ذكر فيها أنه كان لذي القرنين علائم الملك والنبوة، وأن الله آتاه من كل شيء يعرف به الحق والباطل، وأن الله طوى له البلاد وذلّل له العباد<sup>(٢)</sup>.

□ ملك الأرض كلها أربعة: مؤمنان وكافران، فأما المؤمنان فسليمان بن داود وذو القرنين، وأما الكافران فنمرود ونبوخذ نصر<sup>(٣)</sup>.

□ السلطة التي يعطيها الله تعالى لأوليائه (كالنبي سليمان والنبي يوسف وبعض المؤمنين) إنما يعطيهم إياها ليستفيدوا منها في سبيل الله. يقول القرآن الكريم حول عباد الله الصالحين: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ...﴾<sup>(٤)</sup>.

وفي المقابل، انتقد القرآن أولئك الذين استفادوا من سلطتهم في غير مسير الحق، نقرأ في القرآن: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ...﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) البلد الأمين والدرع الحصين، ص ٣٣٩. (٤) سورة الحج: الآية ٤١.

(٢) تفسير نور الثقلين. (٥) سورة الأنعام: الآية ٦.

(٣) تفسير نور الثقلين.

## التعاليم:

- ١ - الله تعالى هو الحاكم والمسيطر على الوجود والأسباب الطبيعية، يمكن من يشاء من عبادته ويعطيه القوة والسلطة، ﴿مَكَّنَّا لَكُمُ﴾؛ إلا أن الاستفادة الصحيحة إنما تكون في ظل حسن النية وحسن التدبير من الإنسان، ﴿فَأَنْبَغَ سَبَبًا﴾.
  - ٢ - أحياناً يضع الله تعالى كل أنواع الإمكانيات والأسباب في تصرف بعض العباد، ﴿مَكَّنَّا لَكُمُ... وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾.
  - ٣ - النظام الطبيعي نظام الأسباب والمسببات، فكل شيء له سبب لا بد من معرفته والسعي وراءه، ﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا فَأَنْبَغَ سَبَبًا﴾.
  - ينبغي على خاصة أولياء الله الأخذ بالأسباب والإمكانيات الطبيعية لتحقيق أهدافه تعالى.
  - ٤ - امتلاك الإمكانيات والقدرة مهم؛ ولكن الأهم هو حسن الاستفادة من وجودها، ﴿ءَاتَيْنَاهُ...﴾.
  - ٥ - إن ذا القرنين، ومضافاً إلى امتلاكه الإمكانيات، فقد كان يمتلك أيضاً معرفة الاستفادة من الأسباب، ﴿فَأَنْبَغَ سَبَبًا﴾.
- ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَدْأِ الْقَرْنَيْنِ إِنَّمَا أَنْ تَعَذِّبَ وَإِنَّمَا أَنْ نَلْخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ (٨٦)

## إشارات:

□ كلمة «حمئة» تطلق على الطين الأسود التّن وكذلك على الطين الحار.

## التعاليم:

- ١ - الأنبياء وأولياء الله يقومون ويتحركون بأنفسهم من أجل حل مشاكل الناس ونجاتهم ولا يكتفون بالدعاء فحسب، ﴿بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ﴾.

- ٢ - السياحة القيّمة والمقبولة هي الهادفة والملازمة للمعرفة، ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ...﴾.
  - ٣ - كان ذو القرنين نبياً؛ ولذلك خاطبه الله، ﴿قُلْنَا يَدَا الْفَرِّقَيْنِ﴾.
  - ٤ - أحياناً يجب تفويض المدراء والقادة باتخاذ القرار من بين خيارات عدة، ﴿إِنَّمَا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِنَّمَا...﴾ أعطى البارئ تعالى صلاحيات لخاصة أوليائه.
  - ٥ - للكفر في مغرب الأرض سابقة قديمة، ﴿وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا... أَنْ تُعَذِّبَ﴾.
  - ٦ - لا ينبغي للأنبياء ﷺ أن يتعدوا عن الناس، ﴿تُنْخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾.
- ﴿قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّكَرًّا ۖ ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحَسَنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِن أَمْرٍ آخَرَ ۖ ﴿٨٨﴾﴾

### التعاليم:

- ١ - الكفر والشرك ظلم، ﴿أَمَّا مَنْ ظَلَمَ... وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ﴾، في مقابل الإيمان استخدم كلمة الظلم بدل الشرك.
- ٢ - للحكومة الإسلامية الحق في التعامل مع المشركين بكل قسوة، ﴿مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ﴾.
- ٣ - كان ذو القرنين يأمل توبة الظالمين؛ لذا فإنه لم يستعجل في مجازاتهم، ﴿مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ﴾.
- ٤ - عذاب الدنيا لا يرفع عذاب الآخرة، ﴿نُعَذِّبُهُ، فَيُعَذِّبُهُ﴾.
- ٥ - العذاب الدنيوي معروف ومعلوم؛ ولكن العذاب الأخروي غير معروف، ﴿عَذَابًا لَّكَرًّا﴾، أي أنه لم ير مثله ولم يسمع به.
- ٦ - لا ينبغي التعامل سواء من الأفراد أم من الحكومات مع المحسنين والمسيئين على حد سواء، ﴿أَمَّا مَنْ ظَلَمَ... وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ﴾.
- ٧ - كان ذو القرنين منقذاً لأحكام الله وأوامره، ففي الآية السابقة أوصي أن يتعامل بالحسنى، ﴿تُنْخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ وهنا قال: ﴿فَلَهُ جَزَاءُ الْحَسَنَىٰ﴾.



- ٨ - القادة الإلهيون لا بد لهم من أن يحكموا الناس بقوانين ميسرة، ﴿وَسَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرًا يُسْرًا﴾.
- ٩ - الشدة مع الظالمين واللين مع المؤمنين طريقة القادة الإلهيين، ﴿عَذَابًا لَكُمْ... أَمْرًا يُسْرًا﴾.
- ١٠ - وظيفة القائد والحاكم الإلهي تطبيق العدالة ومواجهة الظلم وتيسير المقررات الاجتماعية، ﴿عَذَابًا لَكُمْ... أَمْرًا يُسْرًا﴾.
- ١١ - بادروا إلى التشجيع والتحفيز والإثابة، ولكن تمهلوا في العقاب والعذاب (حرف السين في قوله «سنقول» يدل على الفورية وأما «سوف» فتدل على التأخير).

﴿ثُمَّ أُنْبِئْ سَبَّأًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّهُمْ مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾﴾

### إشارات:

- بعد أن سافر ذو القرنين إلى الغرب، حيث أقام النظام الديني العادل بين أهل الساحل هناك، ابتداء السفر نحو الشرق أيضاً.
- المراد من عدم وجود ساتر لأولئك القوم دون الشمس أن حياتهم كانت ابتدائية ودون وسائل وإمكانات. وعن الإمام الصادق عليه السلام أنهم لم يكونوا يعلمون صنعة البيوت<sup>(١)</sup>، وقيل صنعة الثياب، وكانوا لا يسترهم من الشمس شيء حتى أصبحت وجوههم سوداً.

### التعاليم:

- ١ - الصالحون والملتزمون يتابعون أعمالهم ويدامون عليها، ﴿ثُمَّ أُنْبِئْ سَبَّأًا﴾.
- ٢ - إن أولياء الله حتى ولو امتلكوا وسائل الراحة والرفاه؛ إلا أنهم يسعون لنجاة المحرومين وبسط العدالة بين الناس، ﴿ثُمَّ أُنْبِئْ سَبَّأًا﴾.

٣ - الأخبار عن سفر أولياء الله والبركات المترتبة على أسفارهم أمر قيم وفيه دروس وعبر، ﴿فَأَنْبَغُ سَبَبًا حَتَّى إِذَا﴾.

٤ - المهم هو خدمة الناس وهدايتهم سواء أكانوا في الشرق أم في الغرب، ﴿ثُمَّ أَنْبَغُ سَبَبًا﴾.

٥ - الله تعالى محيط ومطلع على أوليائه والنعم الخاصة التي اختصهم بها، ﴿أَحْطَنًا بِمَا لَدَيْهِ خَيْرًا﴾. (الأخبار عن أسفار ذي القرنين، وما جرى، معه وكلامه مع الناس يعد نموذجاً من إحاطة علم الله بكل شيء).

﴿ثُمَّ أَنْبَغُ سَبَبًا ٩٢ حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ٩٣﴾

#### إشارات:

□ بالنظر إلى الآية اللاحقة التي يظهر منها أن الناس عرفوا كمال ذي القرنين وقدرته وعطفه ولياقته، وأنهم شخصوا أن عدم الأمن يعد أهم مسألة عندهم وأن القادر على حلها هو ذو القرنين، وتكلمهم معه في هذا الخصوص. بناء على كل ذلك يظهر أن المراد من قوله تعالى: ﴿لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ أن مستوى ثقافتهم كان متدنياً ومحدوداً. كما هو الحال في الآية (٧٨) من سورة النساء إذ ورد فيها: ﴿فَقَالَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾؛ إذ ليس المراد من الآية هو عدم معرفتهم باللغة أو بلهجة خاصة مثلاً، بل المراد أنه لماذا لا يضع هؤلاء أنفسهم في المسار الصحيح!

□ في هذه السورة تكلم عن ثلاث حكايات وفي الثلاثة يوجد السعي والحركة والهجرة: هجرة أصحاب الكهف، هجرة النبي موسى للقاء الخضر وهجرة ذي القرنين، والهجرة الأولى كانت لأجل المحافظة على الإيمان، والثانية كانت لتحصيل العلم والمعرفة، والثالثة كانت من أجل نجاة المحرومين والمستضعفين.

## التعاليم:

- ١ - يجب اكتشاف القوانين الحاكمة في الطبيعة والاستفادة منها، ﴿ثُمَّ أُنْبِئْ سَبِيًّا﴾.
- ٢ - لكل حركة وسفر وهدف وسيلته الخاصة به. فقد تكرر قوله تعالى: ﴿أُنْبِئْ سَبِيًّا﴾ في مورد كل حركة وسفر.
- ٣ - عند أولياء الله لا معنى للتوقف عن العمل، والنشاط، والفراغ، والتقاعد، ﴿ثُمَّ أُنْبِئْ سَبِيًّا﴾.
- ٤ - يجب على أئمة الناس وقادتهم أن يزوروا المناطق ليطلعوا على أوضاعها وأخبارها، ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ...﴾.
- ٥ - ما لم يكن ثمة سعي وتحرك، فلن تعرف الحاجات وما هو الواقع الموجود، ﴿إِذَا بَلَغَ... وَبَدَّ﴾.
- ٦ - خدمة المحرومين عمل قيم سواء أكانوا من المثقفين أم من غير المثقفين، ﴿لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ﴾.

﴿قَالُوا يٰذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾

## إشارات:

- «الخراج» يطلق على ما يخرج من الأرض و«الخروج» يطلق على ما يخرج من المال.
- ذهب أكثر المفسرين والمؤرخين، وبالا اعتماد على القرائن الموجودة، إلى أن المراد من يأجوج ومأجوج هو قبائل المغول والتتار.
- في رواية عن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال: «قالوا: يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج خلف هذين الجبلين وهم مفسدون في الأرض. إذا كان إبان زروعنا وثمارنا خرجوا علينا من هذين السدين فرعوا من ثمارنا وزروعنا حتى لا يكون

منها شيئاً، فهل نجعل لك خرجاً نؤديه إليك في كل عام على أن تجعل بيننا وبينهم سداً»<sup>(١)</sup>.

### التعاليم:

١ - عندما يشعر الناس بالحاجة إلى أمر ما فإنهم يستثمرون أموالهم أيضاً، ﴿فَهَلْ نجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾. ففي الآية (٧٧) من هذه السورة أبى الناس عن إعطاء الطعام لنبيين من أنبياء الله، ولكن في هذه الآية فإن هؤلاء الناس حاضرون لاستثمار مالٍ كثير.

٢ - إن أولياء الله هم أفضل من يمكنه إقامة الأمن والأمان والتفريج عن الناس وحل مشاكلهم، ﴿بِئْسَ الْقَرْنَيْنِ، نجْعَلُ بَيْنَهُمَا...﴾.

٣ - الحاجة إلى الأمن مقدّمة على المسكن واللباس، ﴿نجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ نجْعَلُ...﴾. (فقد طلب أولئك الذين لا ساتر لهم من الشمس ولا بيوت ولا لباس، من ذي القرنين الأمن، ولم يطلبوا منه الساتر).

٤ - يتمتع الأمن والسكينة بأهمية خاصة عند كل المجتمعات الإنسانية، ﴿نجْعَلُ بَيْنَهُمَا سَدًا﴾؛ لذا فقد وُضعت أشد العقوبات على المخلين بالأمن<sup>(٢)</sup>.

٥ - حبس المجرمين والحد من تحركاتهم جائز، ﴿سَكَدًا﴾.

﴿قَالَ مَا مَكْنِي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۖ ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا ۖ فَمَا اسْتَطَعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا ۖ﴾

### إشارات:

□ «الردم» يطلق على سد الثلمة بالحجر ونحوه...

(١) تفسير نور الثقلين.

(٢) إشارة إلى الآيات التي تبين عقوبة «المفسدين في الأرض».

«الصدف» أي الجانب والناحية.

«القطر» النحاس المذاب.

«الزبر» القطع الكبيرة من الحديد.

□ عن الإمام الصادق عليه السلام: «...إذ عملت بالتقية لم يقدروا لك على حيلة، وهو الحصن الحصين، وصار بينك وبين أعداء الله سداً لا يستطيعون له نقباً»<sup>(١)</sup>.

### التعاليم:

- ١ - باعتقاد أولياء الله فإن كل مكنة هي من الله تعالى، ﴿مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي﴾.
- ٢ - إن الأنبياء ولأجل تبليغ الرسالة وهداية الناس لم يطلبوا منهم أي مال وأي أمور مادية<sup>(٢)</sup>، ﴿مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾.
- ٣ - إمكانات الناس لا بد من أن تصرف في تأمين مصالحهم، ﴿فَأَعِثُونِي﴾.
- ٤ - من أجل الوصول إلى الأهداف، ومضافاً إلى طرح الميزانية اللازمة وطلبها، لا بد أيضاً من همة الناس ومشاركتهم الفعالة، ﴿فَأَعِثُونِي﴾.
- ٥ - أحياناً، وبدل طلب المساعدات المالية، تطلب مساعدة القوى الإنسانية، ﴿فَأَعِثُونِي﴾.
- ٦ - الخلط بين النحاس والحديد من ابتكار الأنبياء عليهم السلام، ﴿ءَأَتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ... وَقَطَّرَا﴾. (في عصرنا الحاضر ثبت أهمية هذا التركيب من الناحية العلمية).
- ٧ - إتقان العمل والقيام بالأعمال دون أي نقص هو أسلوب الأنبياء وطريقتهم، ﴿فَمَا اسْتَطَعُوا...﴾.

(١) تفسير نور الثقلين، ج ٣، ص ٣٠٨.

(٢) ورد في سورة الشعراء خمس مرات على لسان خمسة من الأنبياء قولهم: ﴿وَمَا اسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْمَلَكِينَ﴾.

وأما رسول الله ﷺ فقد جعل أجر رسالته المودة في أهل البيت عليهم السلام وبالتالي فإن نعمة محبتهم واتباعهم ترجع إلى الناس أنفسهم أيضاً.

لقد كان سد ذي القرنين قوياً ومحكماً وكبيراً بحيث لم يقدر أولئك القوم على تخريبه أو تجاوزه، ﴿أَنْ يَّظْهَرُوهُ... لَهُمْ نَقْبًا﴾.

٨ - من أجل حل المشكلات الاجتماعية يجب الاستعانة بالناس المبتلين بتلك الآلام والمشاكل (لأنهم سيعملون بجد أكبر ولأنهم يعرفون قيمة تعبهم ولن يقصروا في عملهم)، ﴿فَأَعِثُّوْنِي... فَمَا اسْتَطَعْتُمْ...﴾.

٩ - إن القادة اللائقين، ومن خلال الاستعانة بالعلم، والفن، والحماس، والتعاون، ومن خلال أبسط الأفراد والآلات والوسائل سينتجون أفضل الإنجازات، وبناء على ذلك، إذا كان المدير جديراً فإنه من خلال العمال العاديين سينجز أهم المشاريع، ﴿فَأَعِثُّوْنِي... فَمَا اسْتَطَعْتُمْ...﴾.

﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾

#### إشارات:

□ إن سد ذي القرنين ليس هو جدار الصين نفسه ولا غيره من الموارد التي ذكرت حوله؛ لأنها لم تصنع من الحديد والنحاس، «ولكن بالاستناد إلى شهادة العلماء وأهل الخبرة فإن السد... يقع في أرض القوقاز... والمضيق الوحيد الذي يقع بين هذه الجبال الصخرية هو مضيق «داريال» المعروف، ويشاهد فيه جدار حديدي أثري حتى الآن، ولهذه المرجحات يعتقد الكثيرون أن سد ذي القرنين يقع في هذا المضيق... الطريف في الأمر أنه يوجد نهر على مقربة من ذلك المكان يسمى «سائرس» أي كورش... وهذا دليل آخر على أن كورش هو الذي بنى السد»<sup>(١)</sup>.

#### التعاليم:

١ - رجال الله يعتقدون أن توفيقاتهم رحمة من الله ولا يصابون بالغرور أبداً، ﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّي﴾.

٢ - إن كل الجهود والتغييرات والتحوّلات تقع في مسير تربية الإنسان ورشده، ﴿رَبِّي﴾ تكررت ثلاث مرات في هذه الآية.

٣ - الرحمة مرتبطة بالربوبية الإلهية، ﴿رَحْمَةً يِّنْ رَبِّي﴾.

٤ - تحقيق الأمن رحمة إلهية، ﴿رَحْمَةً يِّنْ رَبِّي﴾؛ إذ كان بناء السد لأجل الأمن.

٥ - قداسة العمل والسعي، إتقان العمل، تعاون الناس، الإدارة والصناعة، والأهداف السامية... كل ذلك يعد مجموعة من اللطاف الإلهية، ﴿هَذَا رَحْمَةٌ يِّنْ رَبِّي﴾.

٦ - من خلال تأمين الأمن والأمان للناس ستتاح الفرصة بشكل أفضل للتبليغ والإرشاد، وستتاح الفرصة أيضاً للقيام بمشاريع أخرى، ﴿رَحْمَةً يِّنْ رَبِّي... وَعَدُّ رَبِّي حَقًّا﴾. إن ذا القرنين، وبعد إتمام السد، عرّف الناس على المبدأ والمعاد.

٧ - على مشارف القيامة سيؤول كل شيء إلى الخراب، ﴿جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾.

٨ - إن أشد حصون البشر إحكاماً وقوة ستتهوى أمام إرادة الله تعالى وقدرته، ﴿جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾.

٩ - إن رجال الله، وبلاستناد إلى لطف الله تعالى، يتنبأون الغيب أيضاً، ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعَدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾.

١٠ - يجب علينا أن نتعلم الإنقاذ في العمل من أولياء الله تعالى، فقد صنعوا سداً سيبقى صامداً إلى مشارف القيامة، ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعَدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾.

١١ - مضافاً إلى وجوب القيام بأعمالنا الدنيوية دون خلل وبشكل محكم، لا بد لنا أيضاً من أن نتذكر القدرة الإلهية وضعف قدرتنا، ﴿فَمَا اسْتَطَعُوا... وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾.

١٢ - القادة الإلهيون، ومضافاً إلى إعمارهم دنيا الناس، فإنهم أيضاً يذكرونهم بالآخرة، ﴿فَمَا اسْتَطَعُوا... وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾.

﴿وَرَكْنَا بَعْضُهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجٌ فِي بَعْضٍ وَفُتِحَ فِي الْأَرْضِ لِمَجْعَتِهِمْ جَمْعًا ۖ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ۖ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنِ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ۖ﴾

## إشارات:

□ إذا وضعنا الآية ﴿وَرَكْنَا...﴾ إلى جانب قوله تعالى: ﴿حَقُّوَ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ وَأَقْرَبَ الْوَعْدِ﴾<sup>(١)</sup> يظهر لنا حينئذ أن مسألة قوم يأجوج ومأجوج ترتبط بالقيامة وكأنها من مقدماتها، أي قبل يوم القيامة فإن قوم يأجوج ومأجوج يحررون ويتركون ويتكاثرون كتكاثر الأمواج.

□ ورد عن الإمام الرضا عليه السلام في تفسير قوله تعالى ﴿أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنِ ذِكْرِي﴾ أنه قال للمأمون: «المراد من الذكر في هذه الآية علي بن أبي طالب»<sup>(٢)</sup>.

□ المراد من العين والأذن في الآية (١٠١) المعرفة والبصيرة والإدراك أي عين القلب وأذنه، وليس المراد بهما ما يوجد في الرأس؛ إذ إن القرآن أحياناً ينسب العمى إلى القلب فيقول: ﴿وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْيُنٌ﴾<sup>(٣)</sup>.

## التعاليم:

١ - أينما حل الأمن فهو من لطف الله، ولو ترك الناس للحظة لعم الفساد في الأرض، ﴿وَرَكْنَا بَعْضُهُمْ﴾.

٢ - انهيار سد ذي القرنين من علامات يوم القيامة، ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي... تُفْجَعُ فِي الْأَرْضِ﴾.

٣ - قبل يوم القيامة يسود الهرج والمرج في الأرض من قبل بعض الأقوام، ﴿وَرَكْنَا... يَمُوجُ﴾؛ رغم أن هذا الهرج والمرج سيصلح من خلال ظهور صاحب العصر والزمان (عج).

(٣) سورة الإسراء: الآية ٧٢.

(١) سورة الأنبياء: الآية ٩٦.

(٢) تفسير اللامعبي.



٤ - غالباً ما يكون سبيل المعرفة بواسطة العين والأذن (السمع والبصر)، إلا أن هؤلاء كانت أعينهم في غطاء، وأذانهم لا قدرة لها على استماع الحق وإدراكه وفهمه، وإلا فإن الذكر لا يقبل الرؤية أساساً، ﴿أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي﴾.

٥ - يصل الإنسان السميع، وبسبب عناده، إلى مقام لا يقدر معه على استماع الحق، ﴿لَا يَسْتَلِيمُونَ سَمْعًا﴾.

٦ - السبب في عرض جهنم على الكافرين إنما هو لأعمالهم وقسوة قلوبهم في الدنيا، ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ... الَّذِينَ كَانَتْ...﴾.

﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِ أَوْلِيَاءِ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ۝١٠٢﴾

#### إشارات:

□ في هذه الآيات رسمت هيئة الكافرين على النحو الآتي:

أ - عمى القلب، ﴿كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي﴾.

ب - العبودية للعباد بدل العبودية لله تعالى، ﴿يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِ أَوْلِيَاءِ﴾.

ج - الجهل والتعصب، ﴿يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾<sup>(١)</sup>.

□ «نزلاً» إما بمعنى المنزل، وإما بمعنى أول شيء يُقدَّم للضيف.

#### التعاليم:

١ - الشرك ومعتقدات المشركين ليست إلا خيالاً ووهماً، ﴿أَفَحَسِبَ﴾.

٢ - غير الله، مهما كان، ﴿دُونِ اللَّهِ﴾؛ فهو مخلوق من خلق الله وعبد له ﴿عِبَادِي﴾. فكيف اتخذوا المخلوقين أولياء من دون الله؟

٣ - القبول بولاية غير الله كفر، ﴿كَفَرُوا... مِنْ دُونِ أَوْلِيَاءِ﴾.

- ٤ - النار موجودة حالياً والعذاب الإلهي حتمي وقطعي، ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا﴾.  
 ٥ - عقوبة الكفر هي النار، ﴿أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ﴾.

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾

الَّذِينَ ضَلَّ سَبِيلُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١١٦﴾

### إشارات:

- فُسرَت هذه الآية في الروايات بالمنكرين لولاية أمير المؤمنين علي عليه السلام<sup>(١)</sup>، وبالذين يسوفون الحج ويؤجلونه مع الاستطاعة<sup>(٢)</sup>.  
 □ روي أن ابن الكواء سأل أمير المؤمنين علي عليه السلام عن أهل هذه الآية فقال: «أولئك أهل الكتاب كفروا بربهم وابتدعوا في دينهم فحبطت أعمالهم، وما أهل النهر منهم (الخوارج) ببيعيد»<sup>(٣)</sup>.  
 □ عن الإمام الحسين عليه السلام في دعاء عرفة: «إِلَهِي مَنْ كَانَتْ مَحَاسِنُهُ مَسَاوِي فَكَيْفَ لَا يَكُونُ مَسَاوِيهِ مَسَاوِي وَمَنْ كَانَتْ حَقَائِقُهُ [حَقَائِقُهُ] دَعَاوِي فَكَيْفَ لَا تَكُونُ دَعَاوِيهِ دَعَاوِي»<sup>(٤)</sup>.  
 □ كما إن العطاء متفاوت وله درجات، ضعفين، أضعاف عدة، عشرة أضعاف ﴿ضِعْفٌ، أَضْعَافًا، عَشْرُ أَضْعَافًا﴾، وأحياناً سبعمائة ضعف ﴿فِي كُلِّ سُبُلَةٍ يَأْتِيهِ جَبْرٌ﴾<sup>(٥)</sup>، وأحياناً أخرى بما يفوق التصور، ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ﴾<sup>(٦)</sup>.  
 كذلك فإن الضرر والخسران لهما مراحل متفاوتة:  
 أ - تكون المعاملة أحياناً بنس المعاملة، ﴿بِئْسَمَا أَشْرَوْا﴾<sup>(٧)</sup>.  
 ب - ولا ربح فيها أحياناً، ﴿فَمَا رِبْحَتْ يَحْزَنُ لَهُمْ﴾<sup>(٨)</sup>.

(١) تفسير نور الثقلين.

(٢) تفسير أبي الفتوح الرازي.

(٣) تفسير مجمع البيان.

(٤) إقبال الأعمال، الطبعة القديمة، ج ١، ص ٣٤٨.

(٥) سورة البقرة: الآية ٢٦١.

(٦) سورة السجدة: الآية ١٧.

(٧) سورة البقرة: الآية ٩٠.

(٨) سورة البقرة: الآية ٩٠.

ج - وتؤدي إلى الخسران أحياناً، ﴿أَشْرَوْا الصَّلَاةَ بِالْهَدْيِ﴾<sup>(١)</sup>.

د - أحياناً إلى الفرق في الخسران، ﴿لَيْ خَيْرٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

هـ - أحياناً الخسارة الكبيرة البينة، ﴿خُسْرَانًا مُبِينًا﴾<sup>(٣)</sup>.

و - أحياناً الخسارة من جميع الجهات، ﴿وَالْآخِرِينَ أَعْمَلًا﴾<sup>(٤)</sup>.

□ «الآخسرون» فئات وطوائف عدة:

أ - طائفة لا تعمل الأعمال الصالحة.

ب - طائفة تعمل للدنيا لا للآخرة.

ج - طائفة تعمل وتعلم أن عملها غير صحيح.

د - طائفة خاسرة وتظن أنها رابحة.

هذا، ومن الممكن للطوائف الثلاثة الأولى أن تفكر بإصلاح نفسها من خلال التوبة وجبران ما فاتها؛ ولكن الطائفة الرابعة هم أسوأ الناس لأنهم لا سبيل لهم إلى التفكير، وهؤلاء من قبيل الرهبان النصاري الذين يحرمون على أنفسهم الحلال من لذائذ الدنيا، وقد انتقدهم الأنبياء على ذلك أيضاً، وكذلك من قبيل الزهاد المرائين.

□ إن الذين يعتقدون باعتقادات فاسدة وغير صحيحة، ويتبعون أهواءهم وظنونهم الباطلة لا يخسرون في عمل واحد فحسب، بل يخسرون في كافة أعمالهم وبرامجهم؛ لأن المعيار لقيمة أي عمل إنما هو الباعث الصحيح نحوه. وقد انتقد القرآن أيضاً الحسابات الواهية المستندة إلى الخيال والظنون التي لا أساس لها بتعابير شتى نظير قوله تعالى: ﴿أَحْسِبْ، يَحْسُبُونَ، وَلَا يَحْسَبُونَ، أَفَحَسِبْتُمْ﴾.

### التعاليم:

١ - النبي ﷺ مأمور ببيان الأرباح والخسائر الواقعية للناس، ﴿قُلْ... أَعْمَلًا﴾.

٢ - أسلوب السؤال والجواب يعد من أهم الأساليب التربوية والتعليمية، ﴿هَلْ...﴾.

(١) سورة البقرة: الآية ١٧٥.

(٣) سورة النساء: الآية ١١٩.

(٢) سورة العصر: الآية ٢.

(٤) سورة الكهف: الآية ١٠٣.

٣ - الإنسان في معرض الغفلة عن ربحه وخسرانه، ﴿هَلْ نُنَبِّئُكَ...﴾.

٤ - إن أي عمل لا يمحي حتى ولو غاب عن أنظارنا، ﴿سَلَّ سَعْيِهِمْ﴾.

٥ - علينا أن نكون واقعيين وألا نستند إلى الخيال، ﴿يَحْسِرُونَ﴾.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِمْ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا ۚ﴾ ذَلِكَ

جَزَاءُكُمْ بِهِمْ بِمَا كَفَرُوا ۖ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾

### إشارات:

□ «الحبط» في اللغة هو أن تأكل الحيوانات شيئاً مسموماً يضرها فتعظم بطونها ويؤدي ذلك إلى هلاكها، ومن رآها يظن أنها سالمة مثلثة اللحم بينما هي في الواقع منتفخة البطن مسمومة.

وبالتالي فإن بطلان أعمال الإنسان إنما سُميت بهذا لأن الذنوب قد أفسدتها، وسممتها وجعلتها منتفخة لا شيء فيها، وعرضتها للهلاك والزوال.

□ الناس في القيامة ثلاث طوائف:

أ - طائفة لصالحها لا تحتاج إلى الميزان.

ب - طائفة لسوءها وشقاوتها لا تحتاج إلى الميزان أيضاً: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾.

ج - طائفة متوسطة لا بد من أن تحاسب أعمالها: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُتِيَ هَكَوِيَةً﴾<sup>(١)</sup>.

### التعاليم:

١ - الكفر بالله يسبب حبط الأعمال، وكل ما أصبح فارغاً لا وزن له، ﴿فَحَبِطَتْ، فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ...﴾.

- ٢ - الحق عند الله له وزن وأما الباطل فجفاء ولا وزن له، ﴿فَلَا تُقِيمُ... وَزَنًا﴾.  
 ٣ - مصير الإنسان مرتبط بأعماله، ﴿جَزَاءُكُمْ... بِمَا كَفَرُوا﴾.  
 ٤ - عاقبة الكفر والاستهزاء بآيات الله ورسله هي النار، ﴿بِمَا كَفَرُوا...﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٧﴾﴾

﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٨﴾﴾

### إشارات:

□ عن النبي الأكرم ﷺ أنه قال: «الجنة مئة درجة ما بين كل درجتين مسيرة عام، والفردوس أعلاها درجة... فإذا سألتكم الله فاسألوه الفردوس»<sup>(١)</sup>.

### التعاليم:

- ١ - الإيمان والعمل الصالح شرطان لنيل نعم الجنة، ﴿ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ...﴾.  
 ٢ - في مقام التربية لا بد من التحذير والإنذار إلى جانب البشارة، ولا بد من الثواب إلى جانب العذاب.  
 قبل آيات عدة ورد أن النار مضاف للكافرين، ﴿أَعَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾، وأما ها هنا فقد ذكر أن الجنة والفردوس مضاف للمؤمنين، ﴿كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾.  
 ٣ - الإنسان بطبعه إذا ما سكن في مكان ما ولمدة طويلة فإنه يشعر بالملل، ولو وجد مكاناً أفضل منه لتمنى الانتقال إليه، ولكن وعلى الرغم من الخلود في الجنة إلا أن أهلها لا يتمنون أبداً الانتقال منها، ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾.

﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ ﴿١٠٩﴾

إشارات:

□ «المداد» يطلق على الحبر الذي يوضع في دواة وتغمس الأقلام فيها فيجري الحبر على الورق وليُمَدَّ القلم في الكتابة.

□ «كلمات الرب» إما بمعنى الوعود والمخلوقات، وإما الحكم والمفاهيم، وإما الوحي وكل ما يدل على الله تعالى؛ لذا فإن كل ذرة وكل خلية هي من كلمات الرب تعالى.

التعاليم:

١ - الآيات الإلهية لا نهاية لها، والإنسان عاجز حتى عن عدّها وتدوينها، ﴿لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ﴾.

٢ - إن كل ظاهرة آية وعلامة وكلمة من الخالق والرب، وتقع في مسير رشد الإنسان وتربيته، ﴿كَلِمَاتُ رَبِّي﴾.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ ﴿١١٠﴾

إشارات:

□ ورد في هذه الآية كلّ من التوحيد ﴿إِلَهُ وَحْدٌ﴾، والنبوة ﴿يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾، والمعاد ﴿لِقَاءَ رَبِّهِ﴾، والأمل برحمة الله ﴿يَرْجُوا﴾، والسعي من أجل الوصول إليها ﴿فَلْيَعْمَلْ﴾، والإخلاص كذلك ﴿وَلَا يُشْرِكْ﴾.

ولهذا السبب ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لو لم ينزل على أمّتي إلا خاتمة سورة الكهف لكفتهم»<sup>(١)</sup>.

- ورد في الكثير من الروايات التي تعرضت لهذه الآية الكلام عن أهمية الإخلاص وخطر الرياء والشرك الخفي.
- ورد في الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «ما من عبد يقرأ آخر الكهف إلا تيقظ في الساعة التي يريد»<sup>(١)</sup>.

### التعاليم:

- ١ - لا ينبغي لنا أن نصف أنفسنا بأكثر مما نحن عليه، فالأنبياء عليهم السلام يعتبرون أنفسهم مجرد بشر، ﴿أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾.
- ٢ - شرط النبوة أن يكون النبي إنساناً؛ ليكون أسوة في العمل لسائر الناس، ﴿أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾.
- ٣ - على القادة الإلهيين أن يصدوا عن الغلو والمبالغات، ﴿أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾.
- ٤ - لكي يكون العمل عملاً إلهياً يكفي الرجاء بالثواب الإلهي حتى ولو لم نتيقن ذلك ﴿فَنَ كَانَ يَرْجُوا... فَلْيَعْمَلْ﴾.
- ٥ - يجب أن يبقى الرجاء عند الإنسان حالة دائمة له وملازمة، وينبغي ألا يكون آنياً، ﴿فَنَ كَانَ يَرْجُوا﴾.
- ٦ - الرجاء دون عمل لا ينفع، ﴿يَرْجُوا... فَلْيَعْمَلْ﴾.
- ٧ - الموت حتمي لكل الناس، لكن ما هو الأهم من ذلك أن يتمنى الإنسان لقاء الله، ﴿يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ﴾.
- ٨ - الشرك، وبأي نحو كان، ممنوع، ﴿وَلَا يَشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾.
- ٩ - قيمة الأعمال لها ثلاثة جهات: أصل العمل، والقائم بالعمل، والنية والهدف منه. وقد وردت هذه الجهات الثلاث في هذه الآية: ﴿عَمَلًا صَالِحًا، مَن كَانَ يَرْجُوا، وَلَا يَشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ﴾.

١٠ - إن هذه الآية، ومضافاً إلى ذكرها مقام التوحيد في الألوهية، ﴿إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾؛ فإنها أيضاً تذكر التوحيد في الربوبية والعبودية، ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدٌ﴾.

«والحمد لله رب العالمين»

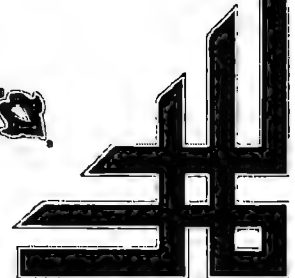




# سُورَةُ قُرَيْشٍ

السورة: ١٩ الجزء: ١٦

عدد الآيات: ٩٨





## ملاحم سورة مريم

سورة مريم هي السورة التاسعة عشرة من القرآن الكريم وعدد آياتها ثمانية وتسعون آية، وقد نزلت في مكة المكرمة<sup>(١)</sup>.

محتوى السورة، وكما هو الحال في سائر السور المكية، يشتمل على مسائل ترتبط بالقيامة، ومصير المجرمين، وثواب المحسنين، وفي قسم منها يرد بعض ما جرى على زكريا، ومريم، وعيسى بن مريم، وإبراهيم، وإسماعيل، وإدريس عليهم السلام.

ونقرأ في تفسير الميزان قوله: «غرض السورة على ما ينبئ عنه قوله تعالى في آخرها: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لَّدُنَّا﴾ هو التبشير والإنذار غير أنه ساق الكلام في ذلك سوقاً بديعاً فأشار إلى هذا الهدف في قالب جميل من قصص حياة الأنبياء عليهم السلام».

ورد اسم مريم (٣٤) مرة في القرآن الكريم، ولم يذكر الله تعالى أي امرأة باسمها في القرآن الكريم سوى اسم مريم، وكذلك فإن السورة الوحيدة في القرآن التي سميت باسم امرأة هي نفس هذه السورة أي سورة مريم. ورد في فضل تلاوة هذه السورة عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «من أدام قراءة سورة مريم لم يمت في الدنيا حتى يصيب منها ما يغنيه في نفسه وماله وولده، وكان في الآخرة من أصحاب عيسى بن مريم عليه السلام، وأعطي من الأجر في الآخرة ملك سليمان بن داود في الدنيا»<sup>(٢)</sup>. وحتماً لا شك في أن العمل بمحتوى هذه السورة يغني الإنسان عن الاحتياج إلى الآخرين.

(١) ذكر بعضهم أن الآيتين (٥٨ و٧١) مدنيان. (٢) تفسير مجمع البيان.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿كَهَيْعَصَ ① ذَكَرْتُ رَحْمَتَ رَبِّكَ عَبْدُكَ زَكَرِيَّا ②﴾  
 إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ③﴾

### إشارات:

□ «كهيعص» من الحروف المقطعة في القرآن الكريم والتي تتضمن أسراراً ورموزاً. وفي بعض الأدعية نقسم على الله بحق هذه الحروف فنقول: «بحق كهيعص»<sup>(١)</sup>، كذلك روي عن الإمام علي عليه السلام أنه قال في دعائه: «أسألك يا كهيعص»<sup>(٢)</sup>.

□ «النداء» معناه الدعاء بصوت عال، و«خفياً» بمعنى الإخفاء وليس الإخفات؛ لأن مثل هذا النداء لا يكون إخفاً بل يمكن أن يكون خفياً<sup>(٣)</sup>.

وربما يكون الدعاء الخفي من زكريا سببه استهزاء الناس ولثلا يقولوا: لماذا يطلب هذا المعجوز من الله ولدًا؟ ﴿يَدَّأْ خَفِيًّا﴾.

□ ورد اسم «زكريا» سبع مرات في القرآن، وهو من أنبياء بني إسرائيل ومن أبناء هارون أخي موسى عليه السلام.

□ ورد في الحديث: «خير الدعاء الخفي»<sup>(٤)</sup>.

### التعاليم:

١ - تذكر النعم الخاصة من الله من أسباب محبة الله، ﴿ذَكَرْتُ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾.

٢ - ذكر أولياء الله قيم، ﴿ذَكَرْتُ... زَكَرِيَّا﴾.

٣ - العبادة والدعاء يمهدان لاستقبال رحمة الله، ﴿رَحْمَتَ رَبِّكَ... إِذْ نَادَى رَبَّهُ﴾.

(١) إشارة المصطفى لشيعته المرتضى، الطبعة القديمة، ج ٢، ص ٢٥٧.

(٢) تفسير مجمع البيان.

(٣) تفسير الأمل.

(٤) تفسير مجمع البيان.

- ٤ - علينا ألا نغفل عن دور الدعاء في تحولات حياة البشر، ﴿إِذْ نَادَى﴾، فالأنبياء أيضاً كانوا يلجأون إلى الدعاء لحل مشاكلهم.
- ٥ - المؤمن لا يحس بالوحدة أبداً، ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ﴾.
- ٦ - إذا شاء الله فإنه يعلن للتاريخ النداء الخفي الذي نادى به العباد المخلصون، ﴿يَدَاءَ خَفِيًّا﴾.
- ٧ - الدعاء الخفي أكثر قيمة من غيره؛ لأنه أقرب إلى الإخلاص، ﴿يَدَاءَ خَفِيًّا﴾.
- ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۖ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَأْيِ وَكَانَتِ أَمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۖ﴾

## إشارات:

- «العافر» وصف يطلق على الرجل الذي لا ولد له وعلى المرأة التي لا تلد.
- «الاشتعال» بمعنى ارتفاع السنة اللهب وانتشارها، وبناءً عليه فإن قوله ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ﴾ يعني: أن بياض الشعر في رأسي اشتعل وانتشر كما تشتعل النار وتنتشر.
- بالنظر إلى الآية (٣٨) من سورة آل عمران التي ورد فيها دعاء زكريا كما يلي: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾، يُعلم أن المراد من «الولي» في هذه الآية هو الولد الصالح الذي يكون وارثاً لأبيه.
- في الدعاء تَقْصُر المسافة بين العبد والله إلى حد يقول: «رب» بدل قوله: «يا رب»<sup>(١)</sup>.

- عن الإمام الصادق عليه السلام: «إن خوف زكريا كان من العمومة وأبناء العم»<sup>(٢)</sup>.

## التعاليم:

- ١ - في الدعاء، لنطلب المدد من خلال كلمة «رب»، ﴿رَبِّ... رَبِّ... رَبِّ﴾،

ولنخبر بها عن ضعفنا، ﴿وَأَشْتَلَّ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾، ولنذكر نعم الله وألطافه علينا ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾، ومن ثم لنذكر حينئذ حاجتنا، ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾.

٢ - أساس جسم الإنسان هي العظام، وضعف هذه العظام سيؤدي إلى ضعف تمام بدن الإنسان، ﴿وَهَنَ الْعَظْمُ﴾.

٣ - المؤمن لا ييأس أبداً من رحمة الله (فذكر يا ﷺ) رغم عجزه يطلب الولد من الله تعالى، ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ... وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾.

٤ - الإنسان اليائس شقي، ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾. أما أولياء الله فحتى في أصعب اللحظات وأشدّها لا يتطرق اليأس أبداً إلى قلوبهم.

٥ - رجال الله يخشون الوارث الطالح، ﴿خَفْتُ الْمَوْلَى مِنْ وَرَائِي﴾.

٦ - في الرؤية الإلهية دائماً إرادة الله حاكمة على العوامل الطبيعية، ﴿هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ﴾.

٧ - على الرغم من أن الله تعالى يعلم حاجات الإنسان، إلا أن الدعاء والمناجاة يتضمنان بركات كثيرة كالسكينة الروحية وتواضع الداعي وعبوديته، ومدح الله تعالى وثنائه، ﴿إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ... فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾.

٨ - الولد هبة سماوية من جانب الله تعالى، ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ﴾.

٩ - لا تنفصلوا عن الزوجة العاقر، ولا تفقدوا الأمل والرجاء، ﴿وَكَاثِبَ أَمْرًا قَاغِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾.

١٠ - التعلق بالخلود والبقاء موجود في فطرة البشر، والإنسان لا يحب أن يُنسى وأن يكون أبتراً لا نسل له، ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾.

١١ - على الرغم من أن البقاء بلا ولد يعد من مخاوف الإنسان، ﴿خَفْتُ﴾؛ إلا أن أولياء الله إنما يطلبون الولد غالباً لاستمرار مسيرة أهدافهم المعنوية ودوامها ﴿وَلِيًّا﴾.

﴿يَرْثِي وَيَرِثُ مِنْ آلٍ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ٦﴾ يَرْكَرِيًّا إِنَّا نَبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ  
يَحْيَى لَمْ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي  
عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ٨﴾

## إشارات:

□ استعمل «الإرث» في القرآن الكريم في معانٍ عدة، فتارة أريد من الإرث العلم كما في قوله تعالى: ﴿وَأَوْزَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ﴾<sup>(١)</sup>، وتارة أخرى السلطة والملك: ﴿وَوَيْتَ سُلَيْمَنُ دَاوُدَ﴾<sup>(٢)</sup>، وغير ذلك من المعاني. ولكن في كل موضع لا يوجد قرينة خاصة فالمراد من الإرث هو المال كما هو الحال في هذه الآيات؛ إذ إن المراد من «يرثني» أن يكون لي ولد يرث من أبيه<sup>(٣)</sup>.

□ في رواية عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «... قال رسول الله ﷺ: «ميراث الله ﷻ من عبده المؤمن ولد يعبد من بعده»، ثم تلا أبو عبد الله ﷻ آية زكريا ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرْثِي وَيَرِثُ مِنْ آلٍ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾<sup>(٤)</sup>.

□ «رضيا» بمعنى مرضياً عند الله تعالى وكذلك بمعنى المحبوب عند الناس، هذا ومقام الرضا - أي رضا الله عن الإنسان ورضا الإنسان عن الله - يعد من أعلى المقامات وهو الفوز العظيم.

□ جملة ﴿مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ إما أنها بمعنى أن اسم يحيى لم يكن له سابقة وإما أن الخصائص الشخصية ليحيى لا سابقة لها.

□ «عتياً» بمعنى تجاوز الحد، وتطلق على الإنسان الذي أصبحت أطرافه يابسة بسبب العجز والتقدم في السن.

□ قول زكريا ﴿أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾ ليس سؤالاً واقعاً، بل هو بمثابة تعجب يراد منه الاستعلام من أنه تعالى كيف سيجعلهما شابين ثم يرزقهما ولداً أو يتركهما

(٣) التفسير الكبير للفخر الرازي.

(٤) تفسير نور الثقلين.

(١) سورة غافر: الآية ٥٣.

(٢) سورة النمل: الآية ١٦.

شيخين ويرزقهما الولد مع الشيخوخة<sup>(١)</sup>. نعم التعجب من شيء لا يتنافى مع مقام النبوة فعلم الأنبياء محدود في قبال علم الله تعالى.

□ عن الإمام الباقر عليه السلام: «إِنَّمَا وُلِدَ يَحْيَى بَعْدَ الْبَشَارَةِ لَهُ مِنَ اللَّهِ بِخَمْسِ سِنِينَ»<sup>(٢)</sup>.

### التعاليم:

- ١ - قداسة النبوة لا تتنافى مع المطالب الفطرية والغريزية كطلب الولد مثلاً، ﴿يَرْثُنِي﴾.
- ٢ - استمرار خط الأنبياء عليهم السلام قيمة معنوية، ﴿يَرْثُنِي﴾.
- ٣ - الأنبياء عليهم السلام كسائر الناس يتركون إرثاً، ﴿يَرْثُنِي﴾.
- ٤ - رجال الله يتوجهون إلى القيم المعنوية أيضاً حتى في حاجاتهم المادية، ﴿يَرْثُنِي... رَضِيّاً﴾.
- ٥ - إذا كان الأولاد مورد رضا الله تعالى فهم رحمة، ﴿وَأَجْعَلُهُ رَبِّ رَضِيّاً﴾. وقد قرأنا في الآية الثانية قوله تعالى: ﴿ذَكَرْ رَحْمَتَ رَبِّكَ عَبْدُكَ زَكِرّاً﴾.
- ٦ - لكي يكون الولد صالحاً وحسناً لا بد من الدعاء لذلك حتى قبل انعقاد النطفة، ﴿وَأَجْعَلُهُ رَبِّ رَضِيّاً﴾.
- ٧ - علينا أن نطلب الولد الصالح من الله تعالى، ﴿وَأَجْعَلُهُ رَبِّ رَضِيّاً﴾.
- ٨ - علينا ألا ننظر إلى التسمية بتهاون، فبعض الأسماء نزلت من قبل الله تعالى، ﴿نَبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى﴾. (الاسم يكشف عقيدة الإنسان، وثقافته، وعواطفه، وارتباطاته، وأهدافه، وشعاراته، وقضاياه).
- ٩ - لا بد للرجال العاقرين وللنساء العاقرات من أن لا ييأسوا من لطف الله ورحمته، ﴿إِنَّا نَبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ... عَاقِرًا... عَتِيّاً﴾.
- ١٠ - كون الولد ذكراً أم أنثى بيد الله تعالى، ﴿نَبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ﴾.

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي.

(٢) تفسير مجمع البيان، بحار الأنوار، ج ١٤، ص ١٧٦.



﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىٰ هَٰئِنَ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ۚ﴾  
 ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِّي ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ۚ﴾

## إشارات:

□ إن الله تعالى قادر على كل شيء ولا يصعب عليه أي أمر ولذلك يقول تعالى في هذه الآية: ﴿هُوَ عَلَىٰ هَٰئِنَ ۚ﴾.

وكذلك فإننا نقرأ في الآية (٢٢) من سورة الحديد، والآية (٧) من سورة التغابن قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ عَلَىٰ اللَّهِ يَسِيرٌ﴾، وكذلك ورد في الآيتين (٢٠ و ١٠٦) من سورة البقرة قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، وقال تعالى أيضاً في سورة الكهف الآية (٤٥): ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾.

□ «المراد بثلاث ليال ثلاث ليال بأيامها وهو شائع في الاستعمال»<sup>(١)</sup>، لذا فإننا نقرأ في الآية (٤١) من آل عمران قوله ﴿ثَلَاثَ أَيَّامٍ﴾. وأما ها هنا فإنه يقول ﴿ثَلَاثَ لَيَالٍ﴾؛ والسبب في هذا أن كلاً من اليوم واللييلة يذكران بدل بعضهما بعضاً أحياناً.

□ ورد في تفاسير: مجمع البيان، والطبري، والميزان أن النبي زكريا كان أثناء تلاوة الآيات الإلهية يقدر على الكلام؛ ولكنه أثناء المحاورة مع الناس لا يقدر على تكليمهم لانعقاد لسانه.

□ سأل زكريا ﷺ الآية ليميز بها الحق من الباطل فتدله على أن ما سمعه من النداء وحي ملكي لا إلقاء شيطاني...<sup>(٢)</sup>.

## التعاليم:

١ - القوانين الطبيعية والعلل المادية لا يحدان أبداً من قدرة الله تعالى، ﴿هُوَ عَلَىٰ هَٰئِنَ ۚ﴾.

٢ - التفكير في الخلق والإيجاد يرفع كل شك في قدرة الله تعالى، ﴿وَلَمْ تَكُنْ شَيْئًا...﴾

٣ - كان الأنبياء ﷺ يفكرون في الوصول إلى مراحل عليا من اليقين، فالنبي إبراهيم عليه السلام مثلاً يطلب من الله تعالى علامة ليطمئن قلبه، ﴿لَيُطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾<sup>(١)</sup>. وهنا زكريا أيضاً يطلب من الله علامة خاصة ﴿أَجْعَلْ لِيَ آيَةً﴾.

٤ - كل حركاتنا وأفعالنا بإرادة الله، فإذا لم يشأ الله أن نتكلم فلا يمكننا ذلك حتى ولو كنا في سلامة كاملة، ﴿أَلَا تَكَلِّمُ النَّاسَ﴾.

﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾

إشارات:

- «بكرة» يطلق على الزمان الفاصل ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس.
- و«عشيًا» يطلق على الزمان الفاصل بين الظهر والغروب أو على آخر النهار.
- «المحراب» إنما سمي بهذا الاسم لأنه مكان المحاربة مع الشيطان ووساوسه التي تمنع فكر الإنسان من التركيز. وربما يكون المراد من محارب بني إسرائيل هي المساجد التي اختارها الناس للعبادة.
- على حد قول الطبرسي والفخر الرازي فإن المراد من التسبيح في هذه الآية هو الصلاة؛ إذ إنها تشتمل على التسبيح أيضاً.

التعاليم:

١ - في مجال التبليغ، الأولى أن يكون المبلغ من قوم المدعوين، ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ﴾.

٢ - رجال الله، يتخذون مكاناً خاصاً لهم من أجل العبادة، ﴿الْمِحْرَابِ﴾.

٣ - من يدعو الناس إلى العبادة لا بد من أن يكون هو نفسه من أهل العبادة، ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ﴾.

- ٤ - لا بد من التبليغ بأي وسيلة ممكنة (عندما كان يقبض لسان زكريا كان يوحى إلى الناس بالإشارة والرمز أن يسبحوا الله)، ﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ﴾.
- ٥ - وظيفة الأنبياء ﷺ دعوة الناس إلى العباداة، ﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا﴾.
- ٦ - إنجاب الشيخ العجوز ولدًا من امرأة عاقر دليل على كون الله تعالى منزهاً من أي عيب ونقص وعجز، ﴿سَبِّحُوا﴾.
- ٧ - قيمة العباداة الكبرى في ديمومتها لا أن تكون مرحلية وموسمية، ﴿بَكْرَةً وَعَشِيًّا﴾.

﴿يَبْحَثُ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَمَا يُنْذِرُ الْخَلْقَ صَيِّبًا﴾ (١٢)  
 وَخَنَاءًا مِّنْ لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا﴾ (١٣)

#### إشارات:

- «الحكم» بمعنى العلم والفهم<sup>(١)</sup> وبمعنى القضاء<sup>(٢)</sup>. وذكر في تفسير الميزان أن المراد بالحكم العلم بالمعارف الحقة الإلهية وانكشاف ما هو تحت أستار الغيب بالنسبة إلى الأنظار العادية.
- ثلاثة أوتوا النبوة في صغرهم: النبي سليمان، النبي عيسى، والنبي يحيى ﷺ. وثلاثة أيضاً أوتوا الإمامة في صغرهم: الإمام الجواد، والإمام الهادي، والإمام المهدي ﷺ<sup>(٣)</sup>.
- ذكر بعضهم أن النبي يحيى ﷺ هو «يوحنا» في العهد الجديد.
- ربما يكون المراد من الكتاب السماوي ها هنا هو كتاب التوراة؛ لأنه لم يعرف أي كتاب آخر أنزل على النبي يحيى ﷺ.

(٣) تفسير أطيب البيان.

(١) لسان العرب.

(٢) قاموس القرآن.

□ ورد في الآيتين (٦٣ و ٩٣) من سورة البقرة الأمر بأخذ الكتاب السماوي بقوة: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾.

□ «الحنان» بمعنى الإشفاق والعطف. إن رأفة الله بيحيى، وعشق يحيى لله، وكذلك عطف الناس ومحبتهم ليحيى، ومحبة يحيى للناس كل ذلك شعاع من الحنان اللدني الإلهي، ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾.

□ كل ما في سبيل الله هو رحمة: فالله هو الرحمن، ونبيه وكتابه: ﴿رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾<sup>(١)</sup>، وأمه، ﴿رَحْمَةً بَيْنَهُمْ﴾<sup>(٢)</sup>.

□ «الزكاة» وردت بمعنى الصدقة، الرشد، الطهارة من الذنوب والبركة. فالنبي يحيى عليه السلام بالنسبة إلى زكريا عليه السلام كان هدية مباركة ومثالاً للإنسان الطاهر الراشد.

### التعاليم:

١ - لا بد للقائد من أن يكون صلباً قوياً في مقام تحقيق أهداف الكتاب السماوي، ﴿يَبْتَغِيْ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾.

٢ - من أجل حفظ الدين وتطبيق أحكامه لا بد من الصلابة والقوة، ﴿خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾.

٣ - التدين يجب أن يكون بقوة وجدية، ﴿خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾.

٤ - إذا شاء الله فإنه يؤتي النبوة لصبي أيضاً، ﴿وَمَا آتَيْنَاهُ الْخُكْمَ صِبيّاً﴾.

٥ - من لوازم التبليغ والتربية: الرأفة، والمحبة، والطهارة، ﴿وَحَنَانًا... وَزَكَاةً﴾.

٦ - منبع الرأفة والمودة هو الله تعالى، ﴿مِّن لَّدُنَّا﴾.

٧ - امتلاك الإنسان لروحية الرأفة والعطف أمر قيم وعظيم، ﴿وَحَنَانًا﴾.

٨ - التقوى إنما تكون ذات قيمة إذا كانت دائمة وملكة للإنسان، ﴿كَانَ تَقِيّاً﴾.

(١) سورة الإسراء: الآية ٨٢، وسورة الأنبياء: الآية ١٠٧.

(٢) سورة الفتح: الآية ٢٩.

- ٩ - ليست التقوى بمعنى الانزواء والتخشن؛ بل بصحبة الناس مع العطف والمحبة، ﴿وَحَنَانًا... كَانَتْ تَقِيًّا﴾.
- ١٠ - التقوى، تمهد لاستقبال اللطاف الإلهية والنمو الصالح والمحبوبة، ﴿وَحَنَانًا... رُكَّوْهُ... كَانَتْ تَقِيًّا﴾.

﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾  
﴿وَسَلَّمَ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾

### إشارات:

- عدد الله تعالى في هذه الآيات أوصاف عدة للنبي يحيى عليه السلام: فقد كان تقياً في محضر الله تعالى، ﴿كَانَ تَقِيًّا﴾، وكان باراً بوالديه، ﴿وَبَرًّا﴾، ولم يكن مع الناس جباراً وعاصياً<sup>(١)</sup>، ﴿وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾.
- المراد من السلام أثناء الموت سلامة العقيدة والموت على الإيمان.

### التعاليم:

- ١ - لا يغفلنكم المقام والمنصب عن تذكر الوالدين، فالنبي أيضاً كان باراً بوالديه يحسن إليهما، ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ﴾.
- ٢ - البر بالأم والأب من مظاهر التقوى، ﴿وَكَانَ تَقِيًّا وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ﴾.
- ٣ - البر بالوالدين إنما يكون ممدوحاً ومورداً للتقدير إذا لم يكن فيه أي نوع من العصيان والتسلط، ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾.
- ٤ - ترك الإحسان إلى الوالدين دليل على العصيان والطغيان، ﴿وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾.
- ٥ - السلام على أولياء الله لا يختص فقط بحال حياتهم، ﴿وَسَلَّمَ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ...﴾.

٦ - السلام ليس علامة على التصغير؛ إذ إن الله الكبير يسلم أيضاً، ﴿وَسَلِّمْ عَلَيْهِ، سَلِّمْ عَلَيْهِ إِزْهِيَةً﴾<sup>(١)</sup>، ﴿سَلِّمْ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

٧ - طوى يحيى عليه السلام حياته بحلوها ومرها في سلامة من دينه وإيمان بالله تعالى، ﴿وَسَلِّمْ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَ...﴾.

٨ - تعظيم ذكرى أيام ولادة أولياء الله وأيام وفاتهم هو أمر قرآني، ﴿وَسَلِّمْ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَ...﴾.

٩ - قراءة الزيارة - والسلام على أولياء الله في حياتهم وبعد وفاتهم أمر قرآني، ﴿وَسَلِّمْ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَ...﴾.

١٠ - مفتاح الحياة بسلام، والموت بسلام، والبعث في القيامة بسلام هم التقوى، والبر بالوالدين، واجتناب المعاصي والطغيان، ﴿وَكَانَ تَقِيًّا وَبَرًّا بَوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا وَسَلِّمْ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَ...﴾.

﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْفِيًّا ﴿١٦﴾ فَأَتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾﴾

### إشارات:

□ قال رسول الله ﷺ: «إن الله اختار من النساء أربعاً: مريم، وآسية، وخديجة، وفاطمة»<sup>(٣)</sup>.

□ «النبذ» بمعنى طرح الشيء جانباً من باب عدم الاعتناء به. و«الانتباز» بمعنى التنحي جانباً عن الناس، وحيث إن مريم كانت وقفاً للمسجد الأقصى؛ لذا فإنها اختارت لنفسها ناحية في شرق المسجد.

(٣) بحار الأنوار، ج ١٤، ص ٢٠١.

(١) سورة الصافات: الآية ١٠٩.

(٢) سورة الصافات: الآية ١٢٠.

## التعاليم:

- ١ - إحدى مهام القادة الدينيين تعظيم أطهار التاريخ وصلحاته، ﴿وَأَذْكُرْ...﴾.
- ٢ - لا بد من إحياء ذِكْرِ النساء البطلات كما يُحيى ذكر الرجال الكبار، ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ... وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ﴾<sup>(١)</sup>.
- ٣ - علينا اختيار الخلوة للعبادة، ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا﴾.
- ٤ - العبادة ممهدة لنزول الألطاف الإلهية، ﴿فَاتَّخَذَتْ... فَأَرْسَلْنَا...﴾.
- ٥ - فصل مكان عبادة النساء وحجبه يعد أمراً قيماً، ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا﴾، فالسيدة مريم اتخذت ناحية من المسجد لعبادتها ووضعت عليها ستاراً وحجاباً.
- ٦ - لجبرائيل عند الله مقام رفيع، ﴿رُوحَنَا﴾.
- ٧ - بإمكان الملائكة، ودون أن يغيروا ماهيتهم، أن يظهروا بشكل يتمكن الإنسان فيه من رؤيتهم، ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا﴾.
- ٨ - أحياناً ولأجل القيام ببعض المهام لا بد من تغيير المظهر، ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا﴾.
- ٩ - لا بد من أن تكون التربية خطوة خطوة؛ فالله تعالى ذكر ابتداء قصة ولادة يحيى عليه السلام من أبوين عجوزين. ومن ثم بين ولادة عيسى عليه السلام من دون أب، ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا﴾.
- ١٠ - إن جبرائيل ينزل أيضاً على غير الأنبياء عليه السلام، ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا﴾.
- ١١ - بإمكان المرأة أن تصل إلى مقام يمكنها فيه التواصل مع الملاك، ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا﴾.
- ١٢ - قدرة الله وإرادته لا تتحددان بنطاق الوسائل والعلل؛ بل هما قاهرتان لها، ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا﴾.

﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾ (١٨) ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ (١٩) ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكْ بَغِيًّا﴾ (٢٠)

### إشارات:

□ «الزكي» من «الزكاة» بمعنى الطهارة والنمو والبركة، و«بغياً» ها هنا بمعنى الزانية.

□ أشير في هذه السورة مراراً إلى مسألة هبة الولد من قبل الله تعالى: في الآية (١٩) هبة عيسى لمريم ﷺ، وفي الآية (٤٩) هبة إسحاق ويعقوب لإبراهيم ﷺ، وفي الآية (٥٣) هبة هارون لموسى ﷺ، وفي الآية (٧) البشارة بالولد لزكريا ﷺ.

### التعاليم:

- ١ - الطاهرون المنزهون عندما يشعرون باحتمال المعصية، فإنهم يرتعدون ويعوذون بالله تعالى، ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ﴾.
- ٢ - أفضل معاذ وملاذ هو الرحمة الإلهية، ﴿أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ﴾.
- ٣ - الاستعاذة بالله تعالى مما أوصى به الله أنبياءه، وهي سيرة الأنبياء وأولياء الله<sup>(١)</sup>، ﴿أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ﴾.
- ٤ - لا ينبغي لنا الدخول إلى حريم الأفراد بغتة، ﴿أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ﴾.
- ٥ - خلوة المرأة مع الرجل الأجنبي أمر خطير، ﴿إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ﴾.
- ٦ - في مقام النهي عن المنكر علينا الاستفادة من الغيرة الدينية عند الناس، ﴿إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾.
- ٧ - التقوى هي الطريق إلى الطهارة والنزاهة وهي الرادعة عن الذنوب والمعاصي، ﴿إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾.

(١) صيغ «أعوذ، فاستعذ، وعذت» الواردة في القرآن تشير إلى ما ذكرناه.



٨ - التعريف بأنفسنا ضروري لرفع التهمة ورفع قلق الناس، ﴿إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ﴾.

٩ - لا تنحصر مهمة الملائكة في إبلاغ الوحي الإلهي فحسب، بل هم أيضاً واسطة لأفعاله تعالى، ﴿رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا﴾.

١٠ - امتلاك الولد أمر قيم لكن الأكثر قيمة أن يكون الولد طاهراً زكياً، ﴿لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾.

١١ - الزنا فعل قبيح عند كل الأديان السماوية، ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾.

﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَلَنَجْعَلَنَّ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ ﴿٢١﴾ ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾ ﴿٢٢﴾ ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جَنَعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّنْسِيًّا﴾ ﴿٢٣﴾

#### إشارات:

□ ظهر الملاك على مريم في صورة بشرية فنفع فيها فحملت فوراً، وحينئذٍ تنحت مريم بالحمل إلى مكان بعيد خوفاً من تهمة أولئك الذين لا يقبلون عذرها أو لأن المرأة الحامل غالباً ما تحتاج إلى المكان الهادئ والسكينة.

وحول ذلك المكان وكيفية حمل مريم، وأول من عرف بخبرها، كلام كثير ذُكر في التفاسير المختلفة؛ ولكن باعتبار أن القرآن الكريم لم يذكر شيئاً حول هذه الموارد، فلن نبحث نحن أيضاً في ذلك؛ إذ مثل هذه المعلومات لن تؤثر في زيادة فهمنا حول لما جرى عليها.

□ أحياناً يتجرع أفضل من يصطفيهم الله أكثر المصائب وأشدّها، ومن هذه المشاكل والصعاب التي تحملتها مريم ما يلي:

أ - تهمة الناس لها وسوء ظنهم بها.

ب - الحمل والولادة حال الوحدة والغربة.

ج - عدم وجود مكان لاستراحتها ولجوئها إلى تحت النخلة.

د - الاحتفاظ بطفل لا أب له رغم سوء معاملتها من الناس ونظراتهم السيئة تجاهها.

### التعاليم:

- ١ - فعل الله تعالى حاكم على الأسباب والعلل الطبيعية، ﴿هُوَ عَلَىٰ هَيْنٍ﴾.
- ٢ - كيفية ولادة عيسى عليه السلام كانت أول معاجزه، ﴿وَلَنَجْعَلَنَّ آيَةً لِلنَّاسِ﴾.
- ٣ - المعجزة والقيام بالأمور الخارقة للعادة من شؤون الربوبية الإلهية وتنصب في مسير تربية الإنسان، ﴿رَبُّكَ﴾.
- ٤ - وجود عيسى عليه السلام رحمة؛ وسبب وجودها هو إحياء الإيمان بالله عند الناس، وهدايتهم وإرشادهم، فهو رحمة قطعاً، ﴿رَحْمَةً مِّنَّا﴾.
- ٥ - لا يقدر أي موجود على منع تحقق أمر الله، ﴿وَكَاثَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾.
- ٦ - أحياناً ينبغي على الناس المطهرون أن يبتعدوا عن سائر الناس فراراً من تهمتهم، ﴿مَكَانًا قَصِيًّا﴾.
- ٧ - أحياناً تكون المشكلات والمصاعب سبباً لفتح أبواب الخير. وها هنا فإن مشكلة الولادة والاضطراب كانت سبباً لوجود الرطب الطازج وجنيه، ﴿يَجْنَعُ النَّخْلَةَ﴾.
- ٨ - أحياناً لا يتمكن الإنسان حتى من البوح بسر له وأهله وقومه؛ بل ويتمنى الموت لذلك، ﴿يَلْتَنِي مِثُّ قَبْلَ هَذَا﴾.
- ٩ - الموت أفضل من الحياة مع العار والتهمة، ﴿يَلْتَنِي مِثُّ قَبْلَ هَذَا﴾.

﴿فَنَادَيْنَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ٢٤﴾  
 وَهَرَيْتَ إِلَيْكَ الْجَنَّةَ تَنْقُطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا ٢٥﴾

### إشارات:

□ كلمة «سرياً» بمعنى النهر الصغير، و«جنيّاً» تطلق على الثمر إذا بلغ إبان قطافه.

□ ذكر بعضهم أن المنادي هو جبرائيل، إلا أن سياق الآيات يشير إلى أنه كان عيسى عليه السلام لتسمع أمه كلامه ولتصدق بذلك ومن ثم لتقول باطمئنان للناس: اسألوا هذا الطفل الذي ما زال في المهد عن طهارتي ونزاهتي.

□ النساء يحتجن حين الولادة وما بعدها إلى السكينة والهدوء وكذلك إلى الماء والطعام المناسبين، وهذا ما أشارت إليه الآيات الكريمة.

فالطعام والغذاء الذي يوحى به القرآن والروايات للمرأة حين تضع حملها هو الرطب الطازج؛ فعن رسول الله ﷺ أنه قال: «ليكن أول ما تأكل النفساء الرطب»<sup>(١)</sup>.

□ أو من الامتحان الإلهي. في ذلك اليوم الذي كانت مريم فيه سليمة أنزلت عليها مائدة من السماء، ولكن في ذلك اليوم الذي كانت فيه حبلى تلد وحيدة أُمِرت أن تهز جذع النخلة لتحصل على طعامها.

### التعاليم:

- ١ - الإلهام الغيبي يفرج عن الإنسان أثناء الاضطراب والقلق، ﴿فَنَادَتْهَا﴾.
- ٢ - لا غم للمرأة الطاهرة العفيفة أكبر من غم التهمة بالزنى وعدم العفاف، ﴿أَلَّا تَحْزَنَ﴾.
- ٣ - التوتر والاضطراب مضران بالمرأة الحامل، ﴿أَلَّا تَحْزَنَ﴾.
- ٤ - لا بد للإنسان حتى في أصعب الظروف من السعي لتحصيل قوته، ﴿وَهَزَيْتَ﴾.
- ٥ - السكينة مقدّمة على الطعام والتغذية، ﴿أَلَّا تَحْزَنَ، رُطْبًا جَيِّتًا﴾؛ لأن الإنسان المضطرب والمغموم لن يجد ميلاً في نفسه حتى إلى أفضل الأطعمة.

﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَفَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيَنَّ مِنَ الْبَشَرِ لَحْدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾

### إشارات:

- صوم السيدة مريم عن الكلام أمام الناس، إما لكون هؤلاء الناس لا قابلية لهم لاستماع الجواب، وإما لأن الكلام معهم سيعقب أثراً سلبياً، وإما لأنهم من خلال إدامة السؤال والجواب سي طرحون المزيد من الأسئلة والافتراءات.
- عن الإمام الصادق عليه السلام: «إن الصوم ليس من الطعام والشراب وحده، إن مريم قالت: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾، أي صمتاً، فاحفظوا ألسنتكم...»<sup>(١)</sup>.
- من الممكن أن تكون هذه الآية تنمة لكلام النبي عيسى عليه السلام الوارد في الآية السابقة.

### التعاليم:

- ١ - الولد قرة عين الإنسان وأمله بالألطف الإلهية، ﴿وَفَرِّي عَيْنًا﴾.
- ٢ - أفضل الطعام ما صاحبه السكينة والسرور، ﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَفَرِّي عَيْنًا﴾.
- ٣ - النذر له سابقة قديمة ويمكن للإنسان أن يتوسل بالنذور للنجاة من بعض الشدائد والطرق المسدودة، ﴿فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ﴾.
- ٤ - لا بد في النذر من قصد القربة لله وأن يذكر اسم الله فيه، ﴿نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ﴾.
- ٥ - قصد القربة لا يتنافى مع ضم قصد الخلاص من الشدائد، ﴿نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ﴾؛ (ثلاً يأخذني الناس بأسألهم عن طفلي).
- ٦ - الوفاء بالنذر واجب، ﴿نَذَرْتُ...﴾.
- ٧ - أحياناً ينبغي السكوت في مقابل كلام الناس، ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾.

﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلَةً ۖ قَالُوا يَمْرَأَتُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾  
يَتَأَخَذَ هَنُؤُنَ مَا كَانَ آبُوكِ أَمْرًا سَوًّا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾﴾

## إشارات:

- كلمة «فرياً» بمعنى الفعل القبيح والمنكر العظيم.  
□ رغم أن بعضاً قد ذهب إلى أن هارون هو أخو مريم واقعاً؛ لكن ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «كانت مريم من نسل هارون أخي موسى عليه السلام»<sup>(١)</sup>.

## التعاليم:

- ١ - علينا أن نظهر الحقيقة حتى ولو أدت إلى انزعاج بعض واتهامنا، ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلَةً﴾.
- ٢ - حكم الناس غالباً عجول وقائم على أساس القرائن الظاهرية لا على أساس الواقع، ﴿لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾؛ (بمجرد رؤية الناس طفلاً مع مريم بادروا إلى اتهامها والحكم عليها بالسوء).
- ٣ - إحدى طرق التربية أن يلتفت الناس إلى الحُسن، وفضيلة المحسنين، والصلحاء وعائلاتهم ﴿يَتَأَخَذَ هَنُؤُنَ﴾.
- ٤ - لا يتوقع من الوالدين الصالحين ومن العائلة الصالحة إلا الولد الصالح، ﴿يَتَأَخَذَ هَنُؤُنَ مَا كَانَ آبُوكِ... أُمُّكَ بَغِيًّا﴾. (صلاح الأب والأم والعائلة مؤثر في سلوك الأولاد وأفعالهم).
- ٥ - إذا صدر العمل القبيح ممن هو من أسرة شريفة فسيكون أكثر ملامة وتقريعاً من غيره، ﴿مَا كَانَ آبُوكِ...﴾.

(١) تفسير البرهان؛ الأماشي للمرتضى، ج ٤، ص ١٠٦.

﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ تُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾<sup>(١)</sup>  
 قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾

### إشارات:

- لما كانت السيدة مريم قد نذرت الصوم عن الكلام فإنها، ولأجل الوفاء بنذرها لم تتكلم؛ بل أشارت إليه، ﴿فَأَشَارَتْ...﴾.
- على الرغم من أن أول كلام تكلم به عيسى عليه السلام كان إظهار عبوديته لله تعالى إلا أن أتباعه غلوا فيه، وقالوا إنه الله وابن الله.
- سئل الإمام الباقر عليه السلام: «أكان عيسى بن مريم حين تكلم في المهد حجة الله على أهل زمانه؟ فقال: «كان يومئذ نبياً حجة الله غير مرسل... فلما بلغ عيسى سبع سنين تكلم بالنبوة والرسالة...»<sup>(١)</sup>.
- إن النبي عيسى عليه السلام وبجملة قصيرة دفع التهمة عن أمه، ومضافاً إلى ذلك أخبر عن مستقبله، وكذلك أشار إلى وظيفة الناس في المستقبل، ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ... وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾.

### التعاليم:

- ١ - متى شاء الله فإنه يُنطق طفلاً في المهد ويخمد الشائعات والفتن، ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾.
- ٢ - عندما نعرف عن أنفسنا، وقبل أي شيء، لا بد من أن نختم أنفسنا بختم العبودية لله وهذا من أعظم الافتخارات، ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ... وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾.
- ٣ - عبودية الله منبع كل الفيوضات الإلهية، ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ... وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾.
- ٤ - لا يشترط في النبوة «والإمامة» بلوغ سن معين، ﴿فِي الْمَهْدِ... وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾.

(١) تفسير كنز الدقائق؛ بحار الأنوار، ج ١٤، ص ٢٥٥.

﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۖ وَبَرًّا بِوَالِدَيْنِي  
وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ۝﴾

### إشارات:

□ إنما يكون الشيء مباركاً إذا كان فيه منفعة كبيرة، وتعليم وتأديب للآخرين على الدوام، فالنبي عيسى عليه السلام كان له عمر مبارك وهو حي إلى ما بعد ظهور الإمام المهدي صاحب الزمان (عجل الله فرجه)، ومضافاً إلى ذلك فإن أتباعه كثر ومنتصرون على الكافرين الذين سعوا في قتله ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾<sup>(١)</sup>.

□ منبع الخيرات والبركات هو النوايا، والأهداف، والحالات، والخصال الباطنية؛ لذا فإن بعض الناس أينما كانوا فهم مباركون: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾<sup>(٢)</sup>. وفي المقابل فإن بعض الناس وبسبب مشاكلهم الروحية وبعدهم عن الأمور المعنوية يتلون بخصالهم الذميمة أين ما كانوا ولا يصل خيرهم إلى غيرهم.

□ أشار عيسى عليه السلام بقوله كلمة «والدتي» إلى نزاهة أمه وطهارتها وعدم وجود أب له ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْنِي﴾ ولم يقل: «بوالدي».

### التعاليم:

- ١ - علينا أن نعتبر امتيازاتنا وفضائلنا من الله، ﴿وَجَعَلَنِي﴾.
- ٢ - إن مدح أنفسنا إذا لم يكن لجهة التفاخر لا مانع منه، ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا﴾.
- ٣ - الأنبياء عليهم السلام منبع الخير والبركة والآثار الأبدية، ﴿مُبَارَكًا﴾.
- ٤ - القيم المعنوية فوق الزمان والمكان، ﴿أَيْنَ مَا كُنْتُ... مَا دُمْتُ حَيًّا﴾.
- ٥ - الصلاة والزكاة من الأمور المشتركة بين الأديان السماوية، ﴿وَأَوْصَنِي بِالصَّلَاةِ

(١) سورة آل عمران: الآية ٥٥.

(٢) سورة مريم: الآية ٣١.

وَأَلَزَّكَوَّةَ ﴿١﴾. (ربما يقال إن الشرط ليكون مباركاً هو إقامة الصلاة ودفع الزكاة).

٦ - الارتباط بالله (إقامة الصلاة) لا ينفك عن الارتباط بالمحرومين (دفع الزكاة)، ﴿وَالصَّلَاةُ وَالزَّكَاةُ﴾.

٧ - الصلاة والزكاة تمتدان مدى العمر ولا تعطيل فيهما، ﴿مَا دُمْتُ حَيًّا﴾.

٨ - الإحسان إلى الأم من أخلاق الأنبياء، ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْ﴾.

٩ - من لم يرحم أمه؛ فلن يكون رحيماً بالناس، ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾.

١٠ - الأنبياء ليسوا في وارد الاستبداد بالناس والتسلط عليهم، ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾.

﴿وَالسَّلَامُ عَلَى يَوْمٍ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾

### التعاليم:

١ - إن خط الأنبياء ﷺ هو الخط الوحيد الذي يبقى سالماً من أي انحراف منذ الولادة إلى المعاد، ﴿وَالسَّلَامُ عَلَى يَوْمٍ وُلِدْتُ وَيَوْمَ... أُبْعَثُ حَيًّا﴾.

٢ - أحياناً، وفي بعض الموارد، من الجائز أن نكرّم أنفسنا، ﴿وَالسَّلَامُ عَلَى﴾.

٣ - أهم الأيام للإنسان: يوم الولادة، ويوم الوفاة، ويوم البعث حياً في يوم القيامة<sup>(١)</sup>، ﴿وُلِدْتُ... أَمُوتُ... أُبْعَثُ حَيًّا﴾.

٤ - الموت والقيامة يشترك فيهما كل الناس (إن عيسى ﷺ وعلى الرغم من كونه حياً وما زال إلى الآن في السموات إلا أنه سيموت أيضاً في يوم ما)، ﴿وَيَوْمَ أَمُوتُ﴾.

(١) عن الإمام الرضا ﷺ: «إن أوحش ما يكون هذا الخلق في ثلاثة مواطن: يوم يولد ويخرج من بطن أمه فيرى الدنيا، ويوم يموت فيعابن الآخرة وأهلها، ويوم يبعث فيرى أحكاماً لم يرها في دار الدنيا... وقد سلم موسى على نفسه في هذه الثلاثة المواطن». (عيون أخبار الرضا ﷺ، ج ١، ص ٢٥٧).



٥ - كيف يُتوهم مَمَّنْ كان محكوماً بالولادة، والموت، والبعث في يوم القيامة أنه شريك الله تعالى، ﴿وُلِدْتُ... أَمُوتُ... أُبْعَثُ﴾.

﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ ﴿٢٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَنَهُ إِذَا فَضَّلَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٢٥﴾

### إشارات:

□ ضمن آيات عدة سبقت وُصِفَ عيسى عليه السلام بسبع صفات بارزة فيه وتكليفين هامين، أما الصفات البارزة فيه فهي ما يلي:

أ - كونه عبداً لله، ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾.

ب - الإتيان بكتاب سماوي، ﴿آتَانِي الْكِتَابَ﴾.

ج - النبوة، ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾.

د - كونه مباركاً، ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا﴾.

هـ - الإحسان والبر بأمه، ﴿وَبِرًّا بِوَالِدَتِي﴾.

و - عدم كونه جباراً وشقيفاً، ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾.

ز - التواضع، عرفان الحق، وكونه سعيداً بذلك، ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ...﴾.

وأما بالنسبة إلى التكليفين الذين كلف بهما عيسى عليه السلام فهما:

أ - إقامة الصلاة.

ب - إيتاء الزكاة.

وبناءً على ذلك فإن هذه الآية تصرّح بأن: القول الحق في عيسى هو هذا دون غيره من الغلو فيه أو التقصير، ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾.

□ أشار الله تعالى في القرآن الكريم مراراً وتكراراً إلى مسألة انحراف النصارى، واعتبر عقيدتهم في عيسى عليه السلام باطلة، ومثالاً على ذلك فإنه تعالى انتقدهم في الآية (٧٣) من سورة المائدة إذ يقول: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾، وفي الآية ٣٠ من سورة التوبة إذ يقول: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ الْمَسِيحُ

أَبْنُ اللَّهِ ﷺ. وأما ها هنا فإن الله تعالى، ومن خلال بيان الصورة الواقعية للنبي عيسى ﷺ، يشير إلى طريق الحق مقابل طريق الباطل.

□ من أجل تحقق إرادة الله تعالى فإنه لا يحتاج إلى أي لفظ وقول حتى قول «كن»، إلا أن الله تعالى، ومن أجل تفهيمنا، بيّن إرادته في ضمن هذا القلب.

□ الله تعالى هو القادر على الإطلاق ولا يحتاج في أمر الخلق والإيجاد إلى الأسباب والوسائل، ومن ثم فإن قدرته المطلقة التي لا تنتهي لها تدل على كونه منزهاً عن العجز، والضعف، واتخاذ الولد.

### القرآن والمسيح ﷺ

بعدما اشتدت الضغوط من قبل كفار مكة على أتباع النبي ﷺ هاجر جمع من المسلمين بصحبة جعفر بن أبي طالب إلى الحبشة، وعندئذ قال كفار قريش: إذا وصل المسلمون هناك إلى السلطة وقاموا بتشكيل الحكومة فإن عبادتنا للأصنام ستقتلع من جذورها؛ لذا أرسلت قريش عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي أمية ومعهما آخرون إلى الحبشة، وبعثوا معهم بهدايا إلى النجاشي وأصحابه، فأخذ أصحاب النجاشي هداياهم ووعدوا الوفد المساعدة والتكلم مع النجاشي لينقلب على المسلمين المهاجرين، إلا أن النجاشي دعا المسلمين إليه ليستمع إلى كلامهم، فحضروا إليه وكان المتكلم عنهم جعفر بن أبي طالب، فتكلم في حضور الملك وابتدأ كلامه بذكر ظلمات عبادة الأوثان، والخرافات، والاعتداءات الحاصلة في عهد الجاهلية، وتكلم على ظهور الإسلام ونورانية دين النبي محمد ﷺ، وكان كلامه بليغاً ومؤثراً حتى أبكى النجاشي الذي أمر برد الهدايا التي حملها الكافرون إليه وقال لهم: ما أخذ الله الرشوة مني حتى آخذها منكم ولا أطاع الناس في حتى أطيعهم فيه.

وانتهى ذلك المجلس بظفر المسلمين وخذلان الكافرين. وبعد خروجهم من عنده وبعد هذه الهزيمة فكر عمرو بن العاص ملياً في الأمر، وقال: والله لآتينه

غداً بما يبید خضراءهم... فلما كان الغد جاء إلى النجاشي بكلام جديد سعى من ورائه إلى إثارة الحمية الدينية عند النجاشي فقال له: إن هؤلاء يقولون في عيسى بن مريم قولاً عظيماً (أي أن هؤلاء يعتقدون بعقائد مضادة لعقائدكم).

فأرسل النجاشي مرة أخرى وراء المسلمين وأمر بإحضارهم إليه فسألهم مرة أخرى عن قولهم في المسيح ﷺ، فقال جعفر الطيار في جوابه: نقول فيه الذي جاءنا به نبينا... وتلا عليه آيات من سورة مريم حتى تلا قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَكَ الْحَقُّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ فلما سمع النجاشي آيات القرآن النورانية نزلت دموعه على خديه وقال: هذا والله هو الحق.

وبعد هذه الهزيمة والافتضاح المجدد لعمر بن العاص أراد أن يعيد الكرة فقال للنجاشي: أيها الملك إن هذا معارض لنا فردّه إلينا، فرفع النجاشي يده فضرب بها وجه عمرو<sup>(١)</sup>.

### التعاليم:

١ - في مقابل المنحرفين والعقائد المنحرفة لا بد من تبيان الطريق الصحيح، ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَكَ الْحَقُّ﴾.

٢ - شأن الله تعالى لا ينسجم مع اتخاذ الولد، ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ...﴾. (لأن طلب الولد: إما بسبب عمرنا المحدود، وإما بسبب الحاجة إلى القوى الإنسانية، وإما أن الحاجة الروحية والعاطفية تقتضي ذلك، والحال أن الله تعالى منزّه عن كل ذلك)، ﴿سُبْحَنَهُ﴾.

٣ - ليس لله تعالى أي نوع من الولد، ﴿مِنْ وَلَدٍ﴾؛ (وهذا خلافاً لبعض من يقول إن الملائكة بنات الله، أو من يقول إن عيسى ابن الله).

٤ - الولد يجب أن يكون من جنس الأب ومثله، وأما الله تعالى فلا مثيل له ﴿سُبْحَنَهُ﴾.

(١) فروغ أديت، ج ١، ص ٢٥٣، نقلاً عن: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٥٤؛ بحار الأنوار، ج ١٨، ص ٤١٥.

- ٥ - كلما نقلنا كلام الآخرين الباطل لا بد من أن نعقب بكلام توحيدى لتبرئة أذهاننا وأذهان غيرنا، ﴿سُبْحَنَهُ﴾.
- ٦ - لم يخلق عيسى عليه السلام فحسب دون أب، ولم يخلق آدم عليه السلام من دون أب وأم؛ بل إن كل شيء إنما يوجد بإرادة الله ومشيئته، ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾.
- ٧ - لا يوجد فاصل بين إرادة الله لشيء ما وبين تحقيقه خارجاً، ﴿فَيَكُونُ﴾ (يستفاد ذلك من حرف العطف «الفاء»).
- ٨ - الرابطة بين الموجودات والله رابطة الخالق بالمخلوق وليست رابطة الأب بالابن، ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾.

﴿وَلِإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ (٣٦)

#### إشارات:

- قال النبي عيسى عليه السلام أثناء التعريف بنفسه: أنا عبد الله، ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾. وأول تكليف ألقى إليه كان الوصية بالصلاة والعبادة، ﴿وَأَوْصِنِي بِالصَّلَاةِ﴾. ومضافاً إلى ذلك فإن أول برنامج أعلنه كان عبادة الله تعالى، ﴿فَأَعْبُدُوهُ﴾.
- إصرار السيد المسيح على التوحيد في العبادة وتأكيد على أن هذا هو الصراط المستقيم فقط، جواب قاطع على أنصار الثلاث وغيرهم<sup>(١)</sup>.

#### التعاليم:

- ١ - إنما تليق العبادة بمن هو ربنا، ﴿رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ﴾.
- ٢ - الاعتقاد بأن عيسى ابن الله تحريف للدين وموجب للكفر، ﴿اللَّهُ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ﴾.
- ٣ - الوحداية والعبودية لله هي الصراط المستقيم وأما سائر الطرق فإلى ضلال (عرف الصراط المستقيم في القرآن بأنه طريق الله، والرسول، والعبادة، والاعتصام بالله تعالى)، ﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾.

(١) ورد شبهة هذه الآية في: سورة آل عمران: الآية ٥١؛ وفي سورة الزخرف: الآية ٦٤.

﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ يَوْمَ وَأَنْصُرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣٨﴾﴾

### إشارات:

- «الحزب» هو جماعة لها مواقف متحدة وأهداف خاصة بها.
- كلمة «مشهد» إما أنها بمعنى محل حضور الناس واجتماعهم وإما إنها محل الشهادة ومكان أدائها؛ الشهادة، إذ إنه في يوم القيامة سيكون كل الناس حاضرين مجتمعين، وكذلك فإن شهوداً كثر كالأنبياء والملائكة وغيرهم سيشهدون على الإنسان وأعماله.
- يعتقد بعض الناس أن عيسى هو الله تعالى كما تقول «اليعقوبية»، ويقول بعضهم إنه ابن الله كما تقول «النسطورية»، ويقول بعض ثالث بالثلاث كما ذهبت إليه «الإسرائيلية»، إلا أن كل هؤلاء سيشهدون يوم القيامة على بطلان عقائدهم<sup>(١)</sup>.

### التعاليم:

- ١ - على الرغم من أن إشارة النبي عيسى ﷺ إلى الصراط المستقيم، إلا أن بعض الأحزاب أثاروا الاختلاف، ﴿فَاخْتَلَفَ﴾.
- ٢ - التحزب والاختلاف كانا موجودين على مر التاريخ، ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ﴾.
- ٣ - الكفار ظالمون (يظلمون أنفسهم والدين والمجتمع)، ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾  
﴿الظَّالِمُونَ﴾.

﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾﴾

### إشارات:

- مفتاح كل المصائب الغفلة: الغفلة عن الله، الغفلة عن المعاد، الغفلة عن آثار

الذنوب وعواقبها، الغفلة عن المؤامرات، الغفلة عن المحرومين، الغفلة عن التاريخ والسنن التاريخية، والغفلة عن الشباب والقابليات ومواطن الرشد والكمال.

□ في القرآن الكريم آيات أخرى مشابهة لهذه الآية ومن ذلك قوله تعالى:

أ - ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾<sup>(١)</sup>.

ب - ﴿وَلِلَّهِ يَبْرُكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾<sup>(٢)</sup>.

□ أحد أسماء يوم القيامة ﴿يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾ أي الحسرة والندامة على الفرص التي ضاعت من أيدينا وعلى الرساميل التي أهدرناها.

### التعاليم:

- ١ - الإنذار من مهام الأنبياء ﷺ، ﴿وَأَنْذَرَهُمْ﴾.
- ٢ - اعملوا في هذه الدنيا كل عمل تقدرون على القيام به؛ لأنه لا عمل في يوم القيامة، ﴿فَقِضَ الْأَمْرُ﴾.
- ٣ - تفضي الغفلة إلى الكفر، ﴿فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.
- ٤ - الموت في حال الغفلة وعدم الإيمان يبعث على الحسرة، ﴿فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.
- ٥ - الأموال سبب الغفلة، والغفلة سبب الكفر، ﴿فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ إِنَّا تَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ﴾.

﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا﴾<sup>(٣)</sup>

### إشارات:

□ كلمة «الصديق» تطلق على من يكثر التصديق بالحق، وكذلك تطلق أيضاً على الإنسان الذي تقوم كل أفعاله وأقواله على أساس الصدق، يعمل بما يقول ويقول ما يعمل.

## التعاليم:

- ١ - يجب علينا المحافظة على إحياء ذكرى رجال الله، ﴿وَأَذْكُرْ﴾.
- ٢ - الالتفات إلى كمالات الآخرين وتكريم العظماء يعدّان من وسائل التربية، ﴿وَأَذْكُرْ﴾.
- ٣ - الصدق شرط النبوة، ﴿صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾.
- ٤ - إنما يكون الصدق ذا قيمة إذا أصبح جزءاً من خلق الإنسان وطبعه، ﴿كَانَ صِدِّيقًا﴾.

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ۖ﴾

## إشارات:

□ «إن هذا الذي كان يخاطبه إبراهيم عليه السلام بقوله: «يا أبت» لم يكن والده (لأن والده كان قد توفي) وإنما كان عمه آزر، أو جده لأمه، أو زوج أمه بعد وفاة أبيه»<sup>(١)</sup>.

وكذلك ورد في روايات أهل البيت عليه السلام أن والد النبي إبراهيم عليه السلام كان موحداً والمراد من الأب ها هنا هو عمه.

□ في اللغة العربية لكلمة «أب» معانٍ عدّة، وتطلق أيضاً على المعلم والمربي؛ بل وحتى على أبي الزوجة. وورد في الروايات أيضاً أن النبي محمد عليه السلام قال: «أنا وعلي أبوا هذه الأمة»<sup>(٢)</sup>.

## التعاليم:

- ١ - ما جرى من مناظرات بين إبراهيم عليه السلام وعمه يستحق الذكر والإحياء والتعظيم، ﴿إِذْ قَالَ﴾.

- ٢ - في مقام النهي عن المنكر لا بد من أن نشرع بأقرب المقربين منا، ﴿يَتَأْتِ﴾.
  - ٣ - النهي عن المنكر لا يحد بعمر دون عمر (فيما كان الولد أن ينهى كبير العائلة؛ لكن لا بد من المحافظة على الاحترام له ولهم)، ﴿يَتَأْتِ﴾.
  - ٤ - كمال الأفراد لا يرتبط بأعمارهم دائماً، فأحياناً ربما يكون أصغر أفراد العائلة أكثر فهماً من كبارها، ﴿يَتَأْتِ﴾.
  - ٥ - الإرشاد والتبليغ لا ينبغي أن يكونا عامين دائماً، بل أحياناً يجب أن يكونا خاصين وأن يُبلغ الإنسان بمفرده، ﴿يَتَأْتِ﴾.
  - ٦ - في مقام النهي عن المنكر بإمكاننا، من خلال طرح سؤال ما، أن ندع وجدان الأفراد يقضي ويحكم وحده، ﴿لَمْ تَعْبُدْ﴾.
  - ٧ - في مقام النهي عن المنكر لا بد لنا من أن نشرع بالمنكرات العقدية (للأسف فإننا غالباً ما نشرع ونتكلم في المنكرات الأخلاقية والاجتماعية)، ﴿لَمْ تَعْبُدْ﴾.
  - ٨ - علينا أن لا نفدي طريق الحق بعواطفنا (أي لا تُقدم العاطفة على الحق)، ﴿لَا يَأْتِي يَتَأْتِ لَمْ تَعْبُدْ﴾، فالقراية لا ينبغي أن تكون مانعة عن النهي عن المنكر.
- ﴿يَتَأْتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعُلَمَاءِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ۝١٣﴾ يَتَأْتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ۝١٤﴾

#### إشارات:

□ المراد من عبادة الشيطان: ﴿لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ﴾، هو طاعته وأتباعه فيصبح الإنسان بذلك عبداً للشيطان.

#### التعاليم:

- ١ - العلم يستتبع المسؤولية، ﴿جَاءَنِي مِنَ الْعُلَمَاءِ... فَاتَّبِعْنِي﴾.
- ٢ - علم الأنبياء ﷺ محدود أيضاً، ﴿مِنَ الْعُلَمَاءِ﴾.
- ٣ - الناهي عن المنكر يجب أن يكون عالماً، ﴿جَاءَنِي مِنَ الْعُلَمَاءِ... لَا تَعْبُدْ...﴾.



- ٤ - أحياناً، وفي بعض الموارد، ينبغي أن نُجِلَّ أنفسنا، ﴿قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾.
- ٥ - الجهل أساس الشرك، ﴿جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾.
- ٦ - يجب على الناس اتباع العالم، ﴿جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ... فَأَتَّبَعِي﴾.
- ٧ - بإمكان الإنسان الصغير أن يكون إماماً للكبار، ﴿فَأَتَّبَعِي﴾.
- ٨ - اتباع الأنبياء ﷺ هو سلوك للصراط المستقيم، ﴿فَأَتَّبَعِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾.
- ٩ - طريق الأنبياء ﷺ طريق الاعتدال وليس الإفراط ولا التفريط، ﴿صِرَاطًا سَوِيًّا﴾.
- ١٠ - في مقام النهي عن المنكر لا بد لنا من أن نذكر الأدلة أيضاً، ﴿لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ... كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾.
- ١١ - ولاية الشيطان خطيرة جداً، فإلى أين سيأخذنا من عصى الله عندما نتخذه ولياً؟ ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾ (كم هو قبيح عصيان ذلك الإله الذي هو منبع كل رحمة).

﴿يَكَايَبُ إِلَيَّ أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ١٥﴾

### التعاليم:

- ١ - الاستفادة من العاطفة في مجال الدعوة والتبليغ يساهم في التمهيد للقبول والافتناع (في هذه الآيات وردت جملة «يا أبت» أربع مرات).
- ٢ - الأنبياء رحماء بالناس، ﴿إِلَيَّ أَخَافُ﴾.
- ٣ - يصل الإنسان حداً يدفع منبع الرحمة إلى الغضب، ويُغضب الإله الرحمان، ﴿عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾.
- ٤ - إذا انحرف أقرباء النبي أيضاً فإنهم سيبتلون كغيرهم بالعذاب الإلهي، ﴿يَكَايَبُ إِلَيَّ أَخَافُ... عَذَابٌ﴾.
- ٥ - من لم يكن على صراط مستقيم، فسيكون في ولاية الشيطان، ﴿أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا... فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾.

٦ - إذا أحببنا أحداً ما فلا ينبغي أن نتحجب إلى عدوه، ﴿لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا... لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾.

﴿قَالَ أَرَأَيْبُ أَنْتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰإِبْرَاهِيمُ لِمَ لَمْ تَتَنَّهُ لَازِحُكُمْ وَأَهْجُرُنِي مَلِكًا﴾ (٤٦)

إشارات:

□ «ملياً» من «الإملاء» بمعنى الإمهال الطويل.

التعاليم:

١ - أحياناً لا بد لنا من إخفاء ما نعتقد به (الظاهر أن إبراهيم عليه السلام كان حتى تلك اللحظة قد أخفى عقيدته عن عمه؛ ولذلك سأله سؤال متعجب)، ﴿أَرَأَيْبُ﴾.

٢ - هذه الآية كانت سبب تسلية للنبي محمد ﷺ وكأنها تقول له: إذا كان عمك أبو لهب كافراً ومهدداً لك فإن عم إبراهيم عليه السلام كان مثله ﴿قَالَ أَرَأَيْبُ أَنْتَ﴾.

٣ - يصل الإنسان إلى مقام يستصعب سماع الحق؛ بل يتعجب من سماع غيره له، ﴿أَرَأَيْبُ أَنْتَ﴾.

٤ - عدم قبول سماع الحق ممن هو أصغر منا علامة على التكبر، ﴿أَرَأَيْبُ أَنْتَ﴾.

٥ - من لم يقبل بآله واحد فسوف يقبل بآلهة عدّة لا شعور لها، ﴿ءَالِهَتِي﴾.

٦ - قول الحق ومحاربة السنن الباطلة يستتبع الهجران والحرمان، ﴿لَازِحُكُمْ وَأَهْجُرُنِي مَلِكًا﴾.

﴿قَالَ سَلِمْتُ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ (٤٧)

إشارات:

□ «الحفي» هو اللطيف بك، يبرّك، ويلاطفك، ويحتفي بك. وأنا به حفي أي برّ

مبالغ في إكرامه. وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ فِي حَقِّكَ أَي لَطِيفًا<sup>(١)</sup>﴾.

و«الحفي» يراد منها العالم أحياناً.

□ في هذه الآيات يظهر لنا بشكل واضح روحية المؤمن ونفس الكافر في المحاوراة والتخاطب:

أ - يتكلم النبي إبراهيم ﷺ بكل عاطفة وحنان، وأما عمه فيتكلم بكل قسوة؛ فالنبي إبراهيم ﷺ قال أربع مرات «يا أبت»؛ ولكن عمه عابد الصنم لم يقل ولو لمرة واحدة «يا بني».

ب - النبي إبراهيم ﷺ يتكلم مع الاستدلال على كلامه، وأما عمه آزر فيتكلم دون أي دليل؛ فالنبي إبراهيم ﷺ قال له: ﴿لَمْ تَقْبُدْ مَا لَا يَسْمَعُ﴾، بينما يقول عمه «آلهتي».

ج - النبي إبراهيم ﷺ يتكلم بأسى وحرقة قلب. وأما آزر فيتكلم ويعجبه مهدداً له.

د - النبي إبراهيم ﷺ يسلم عليه. وأما آزر فيأمره بالابتعاد عنه ﴿وَاهْجُرْنِي﴾.

(لا تباعد عن ظل الشجرة إذ كلما أصبتها بالحجر أعطتك الثمر)

□ إن استغفار النبي إبراهيم ﷺ لعمه العابد للصنم إنما كان لاحتمال هدايته ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ﴾، ولكنه عندما يش من هدايته أعلن البراءة منه. قال تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ<sup>(٢)</sup>﴾.

### التعاليم:

١ - يتحلّى رجال الله بالصبر وسعة الصدر أمام تهديد الآخرين واستهزائهم، ﴿قَالَ سَلِّمْ عَلَيَّ﴾.

(٢) سورة التوبة: الآية ١١٤.

(١) لسان العرب، ج ١٤، ص ١٨٧.

٢ - لنسَعْ في إطفاء نار غضب الآخرين بكلامنا الجميل والهادئ، ﴿لَا زَجَمَنَّكَ...﴾  
قَالَ سَلَّمُ عَلَيْكَ ﴿﴾.

٣ - استغفار الأنبياء والأولياء له آثار خاصة، (وإلا لما كانوا يعدون بالاستغفار)،  
﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ﴾.

٤ - قبول العذر من شؤون الربوبية، ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾.

٥ - الأولى في الاستغفار أن يكون في أزمدة محددة، ﴿سَأَسْتَغْفِرُ﴾؛ بمعنى  
سأدعو لك ربي في زمان مناسب للاستغفار والدعاء.

٦ - من آداب الدعاء التوجه إلى ربوبية الله تعالى، ﴿رَبِّي﴾.

٧ - أمام تهديدات الآخرين المخالفين لنا، علينا أن نذكر لطف الله بنا، ﴿إِنَّهُ  
كَانَ بِى حَفِيًّا﴾ (أي لطيفاً).

﴿وَأَعَزَّلَكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾

### إشارات:

□ لا بد للشباب المؤمنين العابدين لله تعالى والذين يعيشون بين عائلاتهم  
المنحرفة من أن ينهجوا نهج النبي إبراهيم ؑ في الدعوة المصاحبة للأدب  
والاحترام: ﴿يَتَأْتِي﴾، والرحمة المصاحبة للمنطق والاستدلال: ﴿لِمَ تَعْبُدُونَ...﴾،  
والإنذار المصاحب للدعاء والاستغفار: ﴿إِنِّي أَخَافُ... سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ﴾، والسلام  
المصاحب للاستغفار: ﴿سَلَّمُ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ﴾، وفي الختام الاعتزال  
والانفصال عنهم: ﴿وَأَعَزَّلَكُمْ﴾.

### التعاليم:

١ - من جملة المراحل النهائية للنهي عن المنكر: قطع الروابط والعلاقات،  
﴿وَأَعَزَّلَكُمْ﴾؛ (إذا لم تقدر على تغيير المجتمع الفاسد، فعلى الأقل لا بد لنا  
من تركه واعتزاله).

٢ - تعدّ البراءة من الكافرين من الأصول الأساس في الأديان الإلهية: ﴿وَأَعَزِّلُكُمْ﴾.  
 ٣ - مرتبة البراءة سابقة على مرتبة الولاية، يجب علينا أولاً التبري من الشرك والطاغوت والفساد والابتعاد والانفصال عنهم، ومن ثم علينا الاتصال بالحق والارتباط به، ﴿وَأَعَزِّلُكُمْ... أَدْعُوا رَبِّي﴾؛ فمن المحتوم أنك عندما تطرد الشيطان من داخلك ستصبح ملاكاً، وابتداءً نقول «لا إله» ومن ثم نقول «إلا الله»، كذلك ورد في القرآن الكريم الابتداء بقول: ﴿يَكْفُرُ بِالطَّاغُوتِ﴾، ومن ثم يقول: ﴿وَيُؤْمِرُ بِاللَّهِ﴾<sup>(١)</sup>.

٤ - إذا أردنا أن يكون دعاؤنا دعاءً إبراهيمياً فلا بد لنا من أن نتعد عن الأفراد الفاسدين، ومراكز الفساد والانحراف، ﴿وَأَعَزِّلُكُمْ... وَأَدْعُوا﴾.

٥ - التلطف بكلمة «رب» في الدعاء لها أثر هام، ﴿أَدْعُوا رَبِّي... بِدَعَا رَبِّي﴾.

٦ - المؤمن بين الخوف والرجاء، ﴿عَسَى﴾. إذا غلب الخوف عليه فسوف يجره إلى اليأس، وإذا غلب عليه الرجاء فسوف يجره إلى الإسراف. وبناء على ذلك لا بد من أن يكون الإنسان في حال ما بين الرجاء والخوف.

٧ - استجابة الدعاء تَفْضُلٌ من الله، ﴿عَسَى﴾.

٨ - الأنبياء أنفسهم يرجون الله ويأملون به بالنسبة إلى عاقبتهم<sup>(٢)</sup>، ﴿عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ... سَقِيًّا﴾.

﴿فَلَمَّا أَعَزَّزْتُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۖ كُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ۖ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُم لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ۖ﴾

إشارات:

صفات إبراهيم

• قطع النبي إبراهيم ﷺ تعلقه بالشمس والقمر والنجوم وهرب منها فوصل إلى

- الله تعالى، ﴿لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ... وَجَّهْتُ وَجْهِيَ...﴾<sup>(١)</sup>.
- ترك أباه المنحرف فأصبح نفسه أباً لكل الناس، ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ﴾<sup>(٢)</sup>.
  - هجره عمه، ﴿وَأَهْجُرَنِي مَيْكًا﴾<sup>(٣)</sup>؛ إلا أن الله لطف به، ﴿إِنَّهُ كَانَ فِي حَفِيَّا﴾<sup>(٤)</sup>.
  - اعتزل قومه لأجل الله، ﴿وَأَعَزَّلَكُمْ﴾<sup>(٥)</sup> فبلغت شهرته الآفاق، ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ﴾.
  - فر من بيت الأصنام فأصبح بانياً لبيت التوحيد، ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ﴾<sup>(٦)</sup>.
  - سلم روحه ونفسه في سبيل الله فأصبحت النار جنة له، ﴿يَنَارُ كُوفِي بَرْدًا وَسَلَامًا﴾<sup>(٧)</sup>.
  - أسلم ابنه من أجل الذبح ﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾<sup>(٨)</sup>، فسلمه الله روحه وأوجب عليه ذبح ذبيح عظيم، فكان ذلك سنة التضحية.
  - بقي إلى أواخر عمره دون ولد؛ ولكنه كان راضياً بذلك، وفي آخر عمره جعلت النبوة في اثنين من نسله.
  - بنى الكعبة المكرمة في مكان قفر، فأصبحت أكثر مناطق الأرض جذباً للناس.
  - أذن في الصحراء وحيداً فريداً، فجاء الجواب في كل أنحاء الأرض لبيك لبيك، ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾<sup>(٩)</sup>.
  - ترك طفله العطشان فأجرى الله له ماء زمزم إلى الأبد.
  - في مقابل تهديد عمه عابد الصنم سلم عليه، ﴿قَالَ سَلِّمْ عَلَيَّ﴾<sup>(١٠)</sup>؛ فسلم الله تعالى عليه، ﴿سَلِّمْ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾<sup>(١١)</sup>.

(٧) سورة الأنبياء: الآية ٦٩.  
 (٨) سورة الصافات: الآية ١٠٣.  
 (٩) سورة الحج: الآية ٢٧.  
 (١٠) سورة مريم: الآية ٤٧.  
 (١١) سورة الصافات: الآية ١٠٩.

(١) سورة الأنعام: الآيتان ٧٦ و ٧٧.  
 (٢) سورة الحج: الآية ٧٨.  
 (٣) سورة مريم: الآية ٤٦.  
 (٤) سورة مريم: الآية ٤٧.  
 (٥) سورة مريم: الآية ٤٨.  
 (٦) سورة البقرة: الآية ١٢٧.

- كان فرداً واحداً أما اليوم فإن كل الأديان السماوية تنسب نفسها إليه.
- عاداه كل الناس، فاتخذ الله لنفسه خليلاً، ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾<sup>(١)</sup>.

### التعاليم:

- ١ - مضافاً إلى اعتزال المذنبين لا بد لنا من أن نعتزل الذنوب أيضاً؛ لأن اعتزال المنحرفين إنما يكون مؤثراً إذا صاحبه اعتزال الانحراف أيضاً، ﴿وَأَعْتَزَلْكُمْ وَمَا تَدْعُونَ... أَعْتَزَلْكُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ﴾.
- ٢ - الولد الصالح ثواب جهاد الوالدين، ﴿فَلَمَّا أَعْتَزَلْتُمُ... وَهَبْنَا﴾.
- ٣ - إذا أعرضنا عما سوى الله فسوف يصلنا المدد الإلهي، ﴿فَلَمَّا أَعْتَزَلْتُمُ... وَهَبْنَا﴾.
- ٤ - الأهم من الولد هو مقامه المعنوي، ﴿وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾.
- ٥ - أحفاد الإنسان أيضاً تعد من الألفاظ الإلهية، ﴿وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾؛ (إن يعقوب عليه السلام كان من أحفاد إبراهيم عليه السلام)<sup>(٢)</sup>.
- ٦ - النبوة مقام تعييني من قبل الله، ﴿جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾.
- ٧ - على الرغم من أن هبة إبراهيم كانت واحدة إلا أنها أدت إلى شمول نسله بالرحمة الإلهية، ﴿أَعْتَزَلْتُمُ... وَهَبْنَا﴾.
- ٨ - كل ما لدى الإنسان إنما هو من الله تعالى، ﴿وَهَبْنَا... جَعَلْنَا... رَحْمَتًا﴾.
- ٩ - رحمة الله تعالى واسعة إلى حد أن الأنبياء عليهم السلام مهما شملهم منها فليس ذلك إلا جانباً من جوانبها، ﴿مِنْ رَحْمَتِنَا﴾.
- ١٠ - المحبوبة والسمعة الحسنة هما من الألفاظ الإلهية، ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ﴾؛ (بلغ مقام إبراهيم عليه السلام حداً يقول فيه كل المشركين واليهود والمسيحيين: إن إبراهيم كان منا).
- ١١ - دعاء أولياء الله مستجاب (إن إبراهيم عليه السلام طلب من الله تعالى حسن السمعة

(١) سورة النساء: الآية ١٢٥.

(٢) ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءَهُ يَاقُوبَ﴾ (سورة هود: الآية ٧١).

﴿وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾؛ فقال تعالى في هذه الآية: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾.

﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ (٥١)

### إشارات:

□ «المخلص» (بكسر اللام) هو الذي يعمل الله تعالى فقط، ولكن من الممكن أن يؤثر فيه الشيطان فيجره إلى الشرك بالله، وما أكثر الذين يخلصون لله أثناء حلول العذاب أو الغرق؛ ولكنهم بعد النجاة من ذلك يشركون بالله مرة أخرى.

وأما «المخلص» (بفتح اللام) فيطلق على من اصطفاهم الله تعالى ولا قدرة للشيطان على النفاذ إليهم والتأثير فيهم، ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

□ وقال الزمخشري في تفسيره الكشاف: «المخلص» بالكسر الذي أخلص العبادة عن الشرك والرياء أو أخلص نفسه وأسلم وجهه لله.

و«المخلص» بالفتح الذي أخلصه الله لنفسه فلا يؤثر فيه غير الله تعالى.

□ اصطفاء موسى ﷺ ورد في آيات أخرى أيضاً كقوله تعالى: ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ﴾<sup>(٢)</sup>، وكذلك قوله تعالى في موضع آخر: ﴿وَأَسْطَغْنُكَ لِنَفْسِي﴾<sup>(٣)</sup>.

□ النبي موسى ﷺ كان رسولاً وكان نبياً أيضاً.

وعن زرارة قال سألت أبا جعفر ﷺ عن قول الله ﷻ: ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ ما الرسول وما النبي؟ فقال: «النبي هو الذي يرى في منامه ويسمع الصوت ولا يعاين الملك، والرسول هو الذي يسمع الصوت، ويرى في المنام، ويعاين الملك»<sup>(٤)</sup> ﴿رَسُولًا نَبِيًّا﴾.

(١) سورة الحجر: الآية ٤٠.

(٣) سورة طه: الآية ٤١.

(٢) سورة طه: الآية ١٣.

(٤) تفسير الميزان وتفسير نور الثقلين.



## التعاليم:

١ - ذكر العظماء له آثار عظيمة من حيث التربية، والتأسي، والاقتداء ﴿وَأَذْكُرْ...﴾.

إن التعرف إلى تاريخ الأنبياء ﷺ وجهادهم، والسنن الإلهية والمدد الغيبي يساهم في كسب التجارب وأخذ العبر، ويُعدُّ من العوامل الهامة للاطمئنان وتثبيت القلب. (وخاصة تاريخ النبي موسى ﷺ المليء بالحوادث الكثيرة والذي اختصب بمئات الآيات القرآنية) ﴿وَأَذْكُرْ...﴾.

٢ - القيم المعنوية هي المعيار للتعظيم والإجلال، ﴿وَأَذْكُرْ...﴾.

٣ - الخلوص يمهد لنيل الرتب المعنوية، ﴿مُخْلِصًا... رَسُولًا نَبِيًّا﴾.

٤ - الأنبياء ﷺ معصومون ولا سبيل للشيطان إليهم، ﴿مُخْلِصًا﴾.

٥ - إن الله تعالى أخلص<sup>(١)</sup> بعض الناس لأجل إتمام رسالته، ﴿كَانَ مُخْلِصًا﴾.

﴿وَنَذِيئَتُهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّتُهُ يَمِينًا﴾ ﴿٥٢﴾

## إشارات:

□ كلمة «الأيمن» مأخوذة من «اليمن» أي المبارك، أو من «اليمين» أي ناحية اليمين.

□ ذكر في ابتداء الآية «النداء» وفي آخرها «المناجاة». وهذا يشير إلى رحمة الله ولطفه، ومثاله من الحسن أن ينادي السيد العزيز عبده الذليل فيقر به من مجلسه حتى يجعله نجياً ينجيه، ففيه نيل ما لا سبيل لغيره وإليه<sup>(٢)</sup>.

□ عُبر في القرآن الكريم عن مكالمة موسى ﷺ مع الله وارتباطه به تارة بنحو «التكلم»، كما في قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾<sup>(٣)</sup>، وتارة أخرى

(١) كما ورد في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ (سورة ص: الآية ٤٥).

(٢) سورة النساء: الآية ١٦٤.

(٣) تفسير الميزان.

بـ «النداء»، كما في قوله تعالى: ﴿وَنَدَيْتُهُ﴾، وتارة ثالثة بـ «النجوى»، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَرَّنتُهُ نَجِيًّا﴾.

□ المراد من القرب في هذه الآية القرب المقامي والمعنوي وليس القرب المكاني.

□ جبل «الطور» يقع بين مصر ومدین<sup>(١)</sup>.

### التعاليم:

١ - إن الله تعالى بلطفه ورحمته يقرب الأنبياء منه خطوة خطوة، ﴿وَنَدَيْتُهُ...﴾ و﴿قَرَّنتُهُ﴾.

٢ - لبعض الأماكن قدسية خاصة، ﴿جَانِبَ الطُّورِ﴾.

٣ - مقام القرب والنجوى من أعلى المقامات<sup>(٢)</sup>، ﴿وَقَرَّنتُهُ نَجِيًّا﴾.

٤ - إن الله تعالى يناجي أنبيائه ﷺ أحياناً في خصوص بعض المطالب ويسرها إليهم، ﴿نَجِيًّا﴾.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾

### التعاليم:

١ - دعاء الأنبياء ﷺ مستجاب؛ فالنبي موسى ﷺ طلب من الله أن يجعل أخاه هارون وزيراً له: ﴿وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِ هَارُونَ أَخِي أَشَدُّ بِكَ أَرْزِي﴾<sup>(٣)</sup>، واستجاب الله تعالى لطلبه فجعله نبياً: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ... هَارُونَ نَبِيًّا﴾.

٢ - المساعد الجيد والحسن يعد من الألفاف الإلهية، ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾.

(١) تفسير كشف الأسرار.

(٢) قال الإمام علي عليه السلام: «إذا اشتغل أهل الجنة بالجنة، اشتغل أهل الله بالله يناجونه ويناجيهم».

(٣) سورة طه: الآيات ٢٩ - ٣١.

٣ - من الممكن وجود أنبياء عدة في زمان واحد، ﴿وَوَقَّعْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا... هَٰرُونَ نَبِيًّا﴾.

٤ - مقام النبوة لا يمنع أحد الأنبياء من اتباع نبي آخر، ﴿وَهَبْنَا لَهُ... هَٰرُونَ نَبِيًّا﴾.

﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾﴾

### إشارات:

□ المراد من إسماعيل هذا ليس ابن النبي إبراهيم عليه السلام، بل هو نبي من الأنبياء عليه السلام، ذكر في تفسير القمي أن اسمه إسماعيل بن حزقيل.

□ إن كل الأنبياء عليه السلام كانوا صادقي الوعد، إلا أن هذه الخصلة كانت أكثر ظهوراً في إسماعيل عليه السلام.

وفي الرواية أن النبي محمداً ﷺ وعد أحد أصحابه بمكة أن ينتظره عند الكعبة حتى يرجع إليه، فمضى الرجل لشأنه ونسي الأمر، فبقي رسول الله ﷺ ثلاثة أيام هناك ينتظره، فاطلع بعض الناس عليه فأخبر الرجل بذلك فجاء واعتذر إليه<sup>(١)</sup>.

كذلك روي أن النبي ﷺ تواعد مع رجل أن يلاقه ظهراً فلم يأت الرجل، فبقي رسول الله ﷺ منتظراً حتى غروب الشمس.

□ صدق الوعد صفة إلهية، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ﴾<sup>(٢)</sup>.

والخلف بالوعد علامة النفاق، ففي الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ أنه قال: «للمنافق ثلاث علامات: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان»<sup>(٣)</sup>.

□ مقام الرضوان والرضا أكبر أمنية وهدف للأنبياء عليه السلام، ﴿وَجَعَلَهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) تفسير الميزان.

(٢) تفسير نور الثقلين.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٩.

(٤) سورة مريم: الآية ٦.

﴿وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾<sup>(١)</sup>.

ونقرأ في الحديث أَنَّ أهل الجنة عندما يستقرون في الجنة يخاطبهم الله تعالى: هل لكم من حاجة؟ فيقولون «ربنا رضاك» أي: يا ربنا رضاك هدفنا<sup>(٢)</sup>.

### التعاليم:

- ١ - تجليل العظماء أمر لازم، ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ﴾.
- ٢ - تجليل العظماء، ينبغي أن يكون ثابتاً وعميقاً وليس سطحياً وسريع الزوال، ﴿فِي الْكِتَابِ﴾.
- ٣ - معيار التجليل ينبغي أن يكون هو الكمالات المعنوية الثابتة، ﴿كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾.
- ٤ - الوفاء بالعهد من الصفات الأخلاقية القيمة، ﴿كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾.
- ٥ - الأنبياء ﷺ، كانت لهم مسؤولية عائلية مضافاً إلى مسؤوليتهم الاجتماعية، ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ﴾.
- ٦ - الوصية بالصلاة والزكاة من مهام أبي العائلة، ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾؛ (على الرغم من أن الأمر بالصلاة موجود في العائلات ولو بنحو متفاوت إلا أن الأمر بالزكاة غير موجود بينها).
- ٧ - الأمر بالصلاة والزكاة من مصاديق الأمر بالمعروف، ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ﴾.
- ٨ - الصلاة والزكاة لهما إذاً، سابقة قديمة في التاريخ، ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ﴾.
- ٩ - الصلاة (الارتباط بالخالق) والزكاة (الارتباط بالمخلوق) لا ينفك أحدهما عن الآخر. (العبادة البدنية لا تكفي وحدها للوصول إلى الكمال)، ﴿بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾.
- ١٠ - في مقام الأمر بالمعروف والوصية بالصلاة، لا بد من أن نشرع بالأقرباء والأهل، ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ﴾.
- ١١ - الإرشاد والوصية بالصلاة يجب أن تكون دائماً وباستمرار، ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ﴾.

﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ٥٦ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ٥٧﴾

### إشارات:

- قوله تعالى: ﴿مَكَانًا عَلِيًّا﴾، هو المقام المعنوي الشامخ، أو العروج إلى السماء.
- «الصدِّيق» هو الذي يطابق قوله فعله.

### لمحة عن إدريس عليه السلام

- النبي إدريس عليه السلام من أجداد النبي نوح عليه السلام وإنما اشتهر بإدريس لكثرة اشتغاله بالدرس<sup>(١)</sup>، أو لأنه أول من كتب بالقلم<sup>(٢)</sup>.
- ورد هذا الاسم الشريف «إدريس» مرتين في القرآن الكريم، وكرمه الله بأوصاف: «الصدِّيق»، «الصابر»، و«النبي».
- عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث يذكر فيه مسجد السهلة (الواقع في أطراف النجف الأشرف): «أما علمت أنه موضع بيت إدريس النبي الذي كان يخط فيه...»<sup>(٣)</sup>.
- كان إدريس أول عالم يعلم علم النجوم والحساب<sup>(٤)</sup>.
- كان إدريس أول من علّم البشر خياطة الملابس<sup>(٥)</sup>.
- عمّر إدريس عليه السلام (٣٦٥) سنة ومن ثم رُفِعَ إلى السماء وما زال حياً إلى يومنا هذا وسيكون حاضراً في زمن ظهور الإمام المهدي عليه السلام<sup>(٦)</sup>.

### التعاليم:

- ١ - إحياء ذكر العظماء وتجلييلهم من وسائل إرشاد الآخرين وهدايتهم، ﴿وَأَذْكُرُ﴾.

(٤) تفسير أطيب البيان.

(١) تفسير الميزان.

(٥) تفسير الأمثل.

(٢) تفسير الأمثل.

(٦) تفسير أطيب البيان.

(٣) تفسير الميزان.

٢ - التجليل يجب أن يبقى ثابتاً، ﴿فِي الْكِتَابِ﴾.

٣ - المعيار في تجليل الأفراد يجب أن يكون قيمهم المعنوية، ﴿صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾.

٤ - الصدق شرط التأثير في التبليغ، ﴿صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾. تقدم كلمة «صديقاً» على كلمة «نبياً» يشير إلى أن الصدق يمهد للنبوة.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَءِيلَ وَمَنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَكِتًا ۖ ﴿٥٨﴾﴾

### إشارات:

□ ذكر في الآيات السابقة أسماء عشرة من الأنبياء هم: زكريا، يحيى، عيسى، إبراهيم، إسحاق، يعقوب، موسى، هارون، إسماعيل، وإدريس.

وفي هذا المقام، تشير الآية إليهم: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾، نعم إن هؤلاء الجماعة هم أنفسهم الذين نطلب نحن من الله عشر مرات في صلاتنا كل يوم أن يهدينا صراطهم ويجتنبنا طريق الضالين والمنحرفين، ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ...﴾.

□ المراد من ﴿ذُرِّيَةِ آدَمَ﴾ في هذه الآية إدريس، والمراد من ﴿ذُرِّيَةِ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ إبراهيم؛ لأنه كان من أولاد سام بن نوح، والمراد من ﴿ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ إسحاق وإسماعيل ويعقوب، والمراد من ﴿ذُرِّيَةِ... وَإِسْرَءِيلَ﴾ موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى عليه السلام (١).

□ ورد في الحديث الشريف: «إن القرآن نزل بالحزن فإذا قرأتموه فابكوا فإن لم تبكوا فبأكوا» (٢).

□ إن النبي محمداً ﷺ وأهل بيته المعصومين عليهم السلام أفضل مصداق للذين اجتباهم الله وللذين كانوا يسجدون السجود الطويل وهم يبكون لله تعالى، وقد نقل

الكثير من أحوالهم وهم يسجدون ويبكون في مناجاة شهر رمضان ويوم عرفة وغير ذلك من الأوقات.

### التعاليم:

- ١ - لكل الأنبياء ﷺ هدف واحد، (ذكر الله هؤلاء الأنبياء إلى جانب بعضهم بعضاً ووصف كل واحد منهم بوصف يخصه)، ﴿أَزْلَيْكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ...﴾.
  - ٢ - الله تعالى هو المنعم الحقيقي، ﴿أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾.
  - ٣ - للوالدين وللآباء والأجداد من الناحية الوراثية تأثير في نشأة الأولاد وتربيتهم، ﴿ذُرِّيَّةَ آدَمَ... ذُرِّيَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾.
  - ٤ - على الرغم من أن كل الأنبياء ﷺ هم من ذرية آدم ﷺ، إلا أن ذكر أسماء نوح، وإبراهيم وإسرائيل (يعقوب) ﷺ إنما هو تجليل خاص لهم، ﴿مَعَ نُوحٍ وَبَنِيهِ...﴾.
  - ٥ - البكاء في السجود عظيم وقيم إلى حد أن الله تعالى قام بتجليل أهل البكاء والسجود، ﴿سُجَّدًا وَبُكْيًا﴾.
  - ٦ - البكاء والتضرع في محضر الله دليل على الرشد، والمعرفة، والتوفيق، والاجتهاد، ﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَاهُ...﴾.
- ﴿خَلَفَ مِنْ بَلَدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا ۝٦١﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ۝٦٢﴾

### إشارات:

- «الخلف» (بفتح اللام) الأولاد الصالحون، و«الخلف» الأولاد الطالحون، و«الغي» ما يقابل الرشد، ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾<sup>(١)</sup>.
- إضاعة الصلاة غير ترك الصلاة وعدم الإتيان بها؛ إذ إن من يصلي ولا يراعي شرائطها أو يؤخرها عن وقتها يكون قد أضاع صلاته واستخف بها<sup>(٢)</sup>.

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥٦.

(٢) بحار الأنوار، ج ١١، ص ٧٢.

□ نقرأ في حديث ورد في كثير من كتب علماء أهل السنة أن النبي محمداً ﷺ عندما تلا هذه الآية قال: «يكون خلقٌ من بعد ستين سنة أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات...»<sup>(١)</sup>.

وهنا نقول إذا كان هذا الكلام قد صدر عنه ﷺ في السنة الأولى للهجرة فسنة ستين للهجرة هي سنة استشهاد الإمام الحسين عليه السلام وسنة وصول السلطة إلى يزيد بن معاوية.

### التوبة في القرآن

- عادة ما يذكر في القرآن الكريم بعد آيات العذاب تعبير «إلا الذين تابوا»، أو تعبير «إلا من تاب» ليقول لنا الله: إن طريق الإصلاح غير مسدود في وجه أحد أبداً.
- التوبة واجبة؛ لأنها أمر الله تعالى: ﴿تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ﴾<sup>(٢)</sup>.
- قبول التوبة الواقعية قطعي؛ لأنه لا يمكن التصديق بأننا مع امتثالنا أمر الله بالتوبة لن يقبلها منا: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾<sup>(٣)</sup>، ﴿هُوَ الْوَّابُّ الرَّحِيمُ﴾<sup>(٤)</sup>.
- مضافاً إلى أن الله يقبل التوبة فإنه أيضاً يحب المكثرين للتوبة: ﴿يُحِبُّ الْمُتَوَّبِينَ﴾<sup>(٥)</sup>.
- التوبة لا بد من أن يصاحبها العمل الصالح وجبران ما سلف: ﴿تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾<sup>(٦)</sup>، ﴿تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ﴾<sup>(٧)</sup>، ﴿تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا﴾<sup>(٨)</sup>.
- التوبة رمز الفلاح: ﴿تَوْبُوا... لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾<sup>(٩)</sup>.
- التوبة وسيلة لتبديل السيئات بالحسنات: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾<sup>(١٠)</sup>.

(٦) سورة الفرقان: الآية ٧١.

(٧) سورة الأنعام: الآية ٥٤.

(٨) سورة البقرة: الآية ١٦٠.

(٩) سورة النور: الآية ٣١.

(١٠) سورة الفرقان: الآية ٧٠.

(١) تفسير الأمثل.

(٢) سورة التوبة: الآية ٨.

(٣) سورة الشورى: الآية ٣٧.

(٤) سورة البقرة: الآية ٣٧.

(٥) سورة البقرة: الآية ٢٢٢.



- التوبة سبب نزول المطر، ﴿تُوبُوا... يُزِيلِ السَّيْلَ﴾<sup>(١)</sup>.
- التوبة سبب الرزق الحسن، ﴿تُوبُوا إِلَيْهِ يُنْفِخْكُمْ مَنَاخًا حَسَنًا﴾<sup>(٢)</sup>.
- التوبة لا تقبل عند رؤية آثار الموت والعذاب، ﴿حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي بُتِّئْتُ الْقَتْلَ﴾<sup>(٣)</sup>.
- إن الله له لطف خاص مضافاً إلى قبول التوبة، ﴿هُوَ الْكَوَابُ الرَّجِيءُ﴾<sup>(٤)</sup>، ﴿ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(٥)</sup>، ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(٦)</sup>، ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾<sup>(٧)</sup>، ﴿ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾<sup>(٨)</sup>، ففي هذه الآيات أشير مع التوبة إلى مسألة الرحمة والرأفة والمحبة الإلهية.
- اعتبر القرآن الكريم أن ترك التوبة فيه ظلم وهلاك وعذاب: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَٰكِلُونَ﴾<sup>(٩)</sup>، ﴿ثُمَّ لَوْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ﴾<sup>(١٠)</sup>.

### التعاليم:

- ١ - أحياناً يحبط الأبناء والذرية اللاحقة جهود آبائهم (أحياناً تخرج ذرية خبيثة من الأهل الطيبين الصالحين)، ﴿خَلَفَ مَآبِغُوا الصَّلَاةِ﴾.
- ٢ - الصلاة عمود الدين (لأجل تبيان ملامح نسل لنسل آخر، فإن إضاعة الصلاة تبين هؤلاء وتكشف عنهم)، ﴿فَخَلَفَ... خَلَفَ مَآبِغُوا الصَّلَاةِ﴾.
- ٣ - الصلاة سد محكم بين الإنسان والشهوات وإذا ما كسر هذا السد فسوف يسهل على الإنسان اتباع الشهوات، ﴿أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ﴾.
- ٤ - من ينفصل عن الارتباط بالله (الصلاة) فسوف يرتبط بالشهوات، ﴿أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ﴾.

- |                             |                             |
|-----------------------------|-----------------------------|
| (١) سورة هود: الآية ٥٢.     | (٦) سورة التوبة: الآية ١١٧. |
| (٢) سورة هود: الآية ٣.      | (٧) سورة مريم: الآية ٦٠.    |
| (٣) سورة النساء: الآية ١٨.  | (٨) سورة هود: الآية ٩٠.     |
| (٤) سورة البقرة: الآية ٣٧.  | (٩) سورة الحجرات: الآية ١١. |
| (٥) سورة الأنعام: الآية ٥٤. | (١٠) سورة البروج: الآية ١٠. |

- ٥ - اتباع الشهوات غي وضلالة، ﴿وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ... يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾.
- ٦ - عقوبة إضاعة الصلاة الغي والضلال، ﴿يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾.
- ٧ - مصير الأمم بيد الأمم أنفسها، ﴿أَضَاعُوا... يَلْقَوْنَ... إِلَّا مَنْ تَابَ...﴾.
- ٨ - التوبة تحول ورجوع حقيقي عن المعصية، لا تظاهر بالرجوع، ﴿تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾.
- ٩ - التوبة والإيمان والعمل الصالح شروط للفلاح، والإخلاص، ودخول الجنة، ﴿تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا... يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾.

﴿جَنَّتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْنَّبِيِّ إِنَّهُمْ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا ﴿١١﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لِقَاءٌ إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١٢﴾﴾ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾﴾

### إشارات:

□ في الآية السابقة استعمل لفظ «الجنة» بنحو مفرد ﴿يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾ وأما في هذه الآيات فقد وردت كلمة «جنات» بصورة الجمع، وهذا يشير إلى أن لأهل الجنة مجموعة من الجنان المتعددة.

وربما يكون في التعبير بذلك إشارة إلى أن لكل واحد من أهل الجنة أربع جنات كما أشير إلى ذلك في سورة الرحمن، ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ... وَنِ دُونَهُمَا جَنَّاتٍ﴾<sup>(١)</sup>.

والمعنى أنه من كان من أهل التقوى فإن له جنتين، وبعد أن وصف هاتين الجنتين أشار إلى وجود جنتين آخرين غير الجنتين الأوليين فيصبح المجموع أربع جنات.

ومن ثم فإن الجنتين الآخرين إما أنهما قريبتان للأوليين، أو أنهما دونهما، وإما أنه لاختلاف درجات أهل الجنة، فإن نوع الجنان أيضاً متفاوت<sup>(٢)</sup>.

□ تعرض القرآن الكريم مراراً إلى قضية تحقق الوعد الإلهي ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَوْفَ بِعَهْدِهِ مِنْ اللَّهِ؟﴾<sup>(١)</sup>.

□ تعظيم الجنة بأنه لا يُسمع فيها أي لغو، وصية لنا أيضاً في أيامنا هذه بأن نبتعد عن اللغو، وكذلك فإنه إشارة إلى أن الكلام البذيء للكافرين وما يؤدي المؤمنين سماعه في هذه الدنيا، غير موجود هناك.

□ في قوله تعالى: ﴿ثَوْرٌ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ مضافاً إلى ذكر التقوى والتي هي مفتاح الجنة، فإنه ذكر أيضاً «الإرث» بمعنى الوصول إلى المال والنعمة دون تعب وعناء. فعلى الرغم من أن التقوى مفتاح الجنة إلا أن كل ذلك الثواب هو إرث من الله تعالى لنا؛ إذ إن أعمالنا ليست بمقدار ذلك الثواب. وفي الحقيقة فإن ثوابنا إرث من الله وصل إلينا دون عناء يذكر.

□ روي عن النبي الأكرم ﷺ أنه قال: «ما من أحد إلا وله منزل في الجنة ومنزل في النار، فأما الكافر فيرث المؤمن منزله من النار، والمؤمن يرث الكافر منزله من الجنة، فذلك قوله: ﴿أَوْرِثْتُمُوهُمَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾»<sup>(٢)</sup>.

□ اشتكى رجل إلى الإمام الصادق عليه السلام ما يلقي من الأوجاع والتخمة فقال له: «تغد وتعيش ولا تأكل بينهما شيئاً فإن فيه فساد البدن أما سمعت قول الله ﷻ يقول: ﴿وَلَمْ يَرْزُقْهُمْ فِيهَا بَكْرَةً وَعَشِيًّا﴾»<sup>(٣)</sup>.

### التعاليم:

- ١ - الاستقرار في جنات الجنة أبدي، ﴿جَنَّتٍ عَدْنٍ﴾<sup>(٤)</sup>.
- ٢ - منبع كل تلك اللطاف الموعودة هو لطف الإله الرحمان، ﴿وَعَدَ الرَّحْمَنُ﴾.
- ٣ - لا يمكننا اليوم أن ندرك حقيقة وعود الله تعالى، ﴿يَالْغَيْبِ﴾.
- ٤ - الكلام الشائع بين أهل الجنة هو السلام، ﴿لَا يَسْمَعُونَ... إِلَّا سَلَامًا﴾. إن

(١) سورة التوبة: الآية ١١١.

(٢) تفسير نور الثقلين؛ محاسن البرقي.

(٣) تفسير نور الثقلين، ج ٢، ص ٣١.

(٤) كلمة «عدن» بمعنى إقامة وخلد.

محيط الجنة محيط أمن وسلام، فأهل الجنة يسمعون السلام من الملائكة: ﴿سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ﴾<sup>(١)</sup>، وكذلك أيضاً من أصحابهم فيها، ﴿فَسَلِّمُوا لَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْبَارِئِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

٥ - في الجنة، مضافاً إلى الأمان الروحي، ﴿إِلَّا سَلَامًا﴾؛ فإنه يوجد أيضاً تأمين لحاجات الجسم، ﴿وَيَرْزُقُهُمْ فِيهَا بِكَرَّةٍ وَعِشْيَا﴾.

٦ - لا رجوع في عطاء الجنة ولا نقض في البين وهذا أقوى أنواع الملكية<sup>(٣)</sup>، ﴿ثَوْرٌ﴾.

٧ - الجنة ميراث الأتقياء، ﴿ثَوْرٌ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾.

﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا  
وَمَا خَلْفُنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رُبُّكَ شَيْئًا﴾<sup>(٤)</sup>

### إشارات:

□ نقرأ في تفسير الميزان قوله: الآيتان (أي هذه الآية وما بعدها) معترضان بين آيات السورة. وقد تكلف جمعٌ في بيان اتصال الآيتين بالآيات السابقة.

□ نقرأ في تفاسير الفخر الرازي، والطبري، والبيان أن الوحي انقطع مدة عن النبي الأكرم ﷺ فأدى ذلك إلى قلق النبي ﷺ والطعن من المخالفين له، فنزلت هذه الآية: ﴿وَمَا كَانَ رُبُّكَ شَيْئًا﴾؛ وهذا نظير قوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾<sup>(٤)</sup>.

### التعاليم:

- ١ - نزول القرآن كان تدريجياً وبناء على أمر الله تعالى، ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾.
- ٢ - الملائكة مسلمون لأمر الله، ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾.

(٣) تفسير كشف الأسرار.  
(٤) سورة الضحى: الآية ٣.

(١) سورة الزمر: الآية ٧٣.  
(٢) سورة الواقعة: الآية ٩١.

٣ - الله هو المالك الحقيقي لكل شيء، ﴿لَهُ﴾.

٤ - كان تأخير الوحي بأمر الله ولم يكن نسياناً من الله لنبيه<sup>(١)</sup>، ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾.

﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاسْطِرِّ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾

### إشارات:

□ السمي له معان عدة كما ذكروا: الشريك، المثل، المشارك له في الاسم والولد.

□ كلمة «ربك» الواردة في الآية السابقة، وقوله: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ في هذه الآية يشير إلى وحدة الربوبية المدبرة لأمر البشر وتمام ما في الوجود.

□ ليست العبادة مجرد ذكر الله والصلاة له؛ فإن مثل هذه العبادات لا مشكلة فيها حتى تحتاج إلى الصبر والتحمل؛ لذا المراد من العبادة في قوله: ﴿فَاعْبُدْهُ وَاسْطِرِّ﴾ هي تلك العبادة التي يواجه الإنسان فيها الأضداد والطواغيت والمشاكل والمصاعب الكثيرة؛ ولهذا فإنها تحتاج إلى الصبر والثبات.

□ نقرأ في رواية عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: «وأما قوله ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ فإن تأويله: هل تعلم أحداً اسمه الله غير الله تبارك وتعالى»<sup>(٢)</sup>.

### التعاليم:

١ - فلسفة عبادتنا لله تعالى ربوبيته الحصرية لكل ما في الوجود، ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ... فَاعْبُدْهُ﴾.

٢ - العبادة لا بد فيها من الصبر، ﴿فَاعْبُدْهُ وَاسْطِرِّ﴾، (العبادة نوع من المبارزة مع الهوى والطواغيت وهذه المبارزة لا بد فيها من الصبر والتحمل).

٣ - إن الله تعالى لم ينسك؛ لذا لا تنسأ أنت أيضاً، ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا... فَاعْبُدْهُ﴾.

٤ - الله تعالى لا ولد له ولا يوجد أي موجود مثله، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾.

﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَنُ أَوَدَا مَا مِثْ لَسَوْفَ أَخْرِجُ حَيًّا ۖ﴾  
 ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَنُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ۖ﴾

### إشارات:

□ هذه الآية مشابهة للآيتين (٧٨ و ٧٩) من سورة يس؛ إذ إن رجلاً أخذ عظماً بالياً مفتتاً أمام رسول الله ﷺ وقام بمجادلته ﷺ وقال له: من يحيي العظام وهي رميم؟ فقال الله تعالى في جوابه (يا محمد) قل له إن الذي أنشأها أول مرة هو من يحييها بعد الموت وهو بكل شيء عليم، ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَبَيَّنَّا خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾.

□ عن مالك الجهني قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَنُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾، قال: فقال: «لا مقدراً ولا مكوناً»، قال: وسألته عن قوله: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَنِ حِينٌ مِنْ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾<sup>(١)</sup>، فقال: «كان مقدراً غير مذكور»<sup>(٢)</sup>.

وبناء على ذلك، فإن هاتين الآيتين تتكلمان عن مرحلتين قبل خلق الإنسان. وفي حديث آخر عن الإمام الباقر عليه السلام، سئل عن قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَنُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾، فقال: «لم يكن شيئاً في كتاب ولا علم»<sup>(٣)</sup>.

### التعاليم:

- ١ - عدم التصديق بالمعاد كان حجة لارتكاب الذنوب والفرار من العبادات، ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِحُكْمِهِ... يَقُولُ الْإِنْسَنُ...﴾.
- ٢ - التعجب من المعاد وإحياء الإنسان مجدداً لا يرتبط بزمان واحد وبجماعة خاصة من بني الإنسان، ﴿يَقُولُ الْإِنْسَنُ...﴾.

(٣) بحار الأنوار، ج ٥، ص ١٢١.

(١) سورة الإنسان: الآية ١.

(٢) الكافي، ج ١، ص ١٤٧.

- ٣ - المعاد جسماني، ﴿أُخْرِجُ﴾؛ أي إخراج الجسم من الأرض.
- ٤ - المعاد قهري وإجباري، ﴿أُخْرِجُ﴾؛ أي الخروج القهري ودون اختيار.
- ٥ - ترديد الإنسان في المعاد مع أنه خُلِقَ لا من شيء، هو أمر يبعث على التعجب، ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ﴾.
- ٦ - توجه الإنسان إلى أنه لم يكن موجوداً أولاً ومن ثم خلق بعد ذلك، يكفي للقبول بالمعاد، ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ...﴾.
- ٧ - ليس لمنكري المعاد أي دليل على إنكارهم، وإنما قالوا باستبعاد وجود القيامة، إلا أن القرآن جاء بالدليل والبرهان، ﴿خَلَقْتُهُ مِنْ قَبْلُ﴾.
- ٨ - خلق الإنسان من العدم أكثر تعقيداً (وفي الظاهر أصعب) من خلق الإنسان بعد الموت، ﴿خَلَقْتُهُ... وَلَمْ يَكُ شَيْئاً﴾.

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًا﴾

#### إشارات:

□ كلمة «جثياً» إما أنها جمع «الجائي» وهو الذي يترك على ركبتيه عند محاكمته، وإما أنها من «الجثوة» بمعنى المتراكم من الحجارة والتراب.

#### التعاليم:

- ١ - تحذيرات يوم القيامة لا بد لنا من أخذها على محمل الجد، فالحشر مقطوع به في يوم القيامة، ﴿فَوَرَبِّكَ﴾.
- ٢ - إن الله تعالى يسلي نبيه في مواجهته للكافرين المنكرين للمعاد، ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾.
- ٣ - الشيطان مشارك للإنسان في كفره، ﴿لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ﴾؛ (إن حشر الناس مع الشياطين إلى جانب دفع بعضهم بعضهم الآخر يقوم على أساس التفكير المتحد بينها وكذلك السخية الواحدة والتعاون الحاصل بينهم).

٤ - الحضور حول جهنم نوع من التخويف والعذاب، والوقوع فيها عذاب آخر، ﴿لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ﴾.

٥ - في يوم القيامة سيوضع المجرمون المنحرفون في أسوأ وضع؛ إلى جانب الشياطين، حول جهنم جثياً أذلاء، ﴿لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾.

﴿ثُمَّ لَنَزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عَيْنًا﴾<sup>(٦٩)</sup>  
 ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلًا﴾<sup>(٧٠)</sup>

### إشارات:

□ كلمة «الشيعية» بمعنى التابعين لشخص ما، وكذلك بمعنى الجماعة المتفقة على سلوك نهج ما. و«عتياً» بمعنى التمرد والطغيان. و«صلياً» بمعنى إشعال النار، والاحتراق بالنار، والدخول إلى النار.

### التعاليم:

١ - المذنبون في يوم القيامة سيفصلون عن بعضهم وسيوضعون في طبقات متعددة (فالذين طغوا على الإله الرحمن سيكون لهم حساب وعذاب خاص وأشد من غيرهم).

٢ - المذنبون على ثلاث طوائف؛ طائفة ارتكبت الذنوب بنفسها، وطائفة أخرى كانت وسيلة وواسطة لغيرها في إعانتها على ارتكاب الذنوب، وطائفة ثالثة كانت راضية بذنوب الآخرين. ومن البديهي أن ذنب كل واحدة من هذه الطوائف وعقوبتها يختلف عن الأخرى، ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ﴾.

٣ - على الرغم من أن الله تعالى هو منبع كل رحمة، ولكن مع ذلك فإن الإنسان يظني عليه سبحانه، ﴿عَلَى الرَّحْمَنِ عَيْنًا﴾.

٤ - العذاب في النار له نظام محاسبة دقيق جداً وعلم الله هو الضامن لتلك الدقة والفرق في الحساب، ﴿ثُمَّ لَنَزِعَنَّ... أَيُّهُمْ أَشَدُّ... لَنَحْنُ أَعْلَمُ...﴾.



٥ - لجهنم طبقات ودركات متفاوتة، وبالتالي فإن العذاب فيها يختلف شدة وضعفاً، ولا يخفى على الله مراتب استحقاق كل فرد أي واحدة منها، ﴿لَنَحْنُ أَعْلَمُ﴾.

﴿وَلَن يَنكَرُ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ (٧١)

### إشارات:

□ ورد في تفسير الطبري أن عبد الله بن رواحة كان واضعاً رأسه في حجر امراته فبكى، فبكت امراته لبكائه، قال: ما يبكيك؟ قالت: رأيتك تبكي فبكيت، قال: إني ذكرت قول الله ﷻ: ﴿وَلَن يَنكَرُ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ فلا أدري ألنجز منها أم لا؟

□ لا بد من أن تُفسَّر هذه الآية بضمها إلى الآيات والروايات المرتبطة بالصراط؛ إذ إن الصراط جسر فوق جهنم وسيعبر كل الناس فوقه، بعضٌ منهم يعبر بسرعة وبعضٌ آخر يعبر بطيئاً، وبعضٌ ثالث يهوي في جهنم.

□ عَنْ أَبِي سَمِينَةَ قَالَ: «اخْتَلَفْنَا فِي الْوُرُودِ فَقَالَ قَوْمٌ لَا يَدْخُلُهَا مُؤْمِنٌ وَقَالَ آخَرُونَ يَدْخُلُونَهَا جَمِيعاً ثُمَّ يُنَجَّى الَّذِينَ اتَّقَوْا، فَلَقِيتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ فَسَأَلْتُهُ فَأَوْمَأَ بِإِصْبَعِهِ إِلَى أُذُنَيْهِ فَقَالَ صَمًّا إِنْ لَمْ أَكُنْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: الْوُرُودُ الدُّخُولُ لَا يَبْقَى بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ إِلَّا يَدْخُلُهَا تَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ بَرْدًا وَسَلَامًا كَمَا كَانَتْ عَلَى إِبْرَاهِيمَ حَتَّى إِنَّ لِلنَّارِ أَوْ قَالَ لِيَجْهَنَّمَ ضَجِيجاً مِنْ بَرْدِهَا ثُمَّ يُنَجَّى الَّذِينَ اتَّقَوْا»<sup>(١)</sup>. وبناء عليه، فإن هذه الآية مورد البحث والتي تدل على حتمية ورود كل الناس إلى النار لا تتنافى مع الآيات التي تقول إن المؤمنين عنها مبعدون<sup>(٢)</sup>؛ إذ إنهم سيدخلون النار من جهة، ولكن من جهة أخرى، وبلطف من الله، لن يصيبهم فيها أي أذى.

(١) بحار الأنوار، ج ٨، ص ٢٤٩.

(٢) ﴿أُولَئِكَ عِنَّا مُبْعَدُونَ﴾، (سورة الأنبياء: الآية ١٠١).

﴿وَمَنْ يَنْزِقْ بِهِ نَمِيمًا يَبُوءْ بِالْحَقِّ﴾، (سورة النحل: الآية ٨٩).

﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَتَهَا﴾، (سورة الأنبياء: الآية ١٠٢).

نعم من الممكن أن نقول إن الورود بمعنى العبور وليس الدخول، كما ورد في قصة موسى ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾، أي عندما عبر ومر قرب ماء مدين لا أنه دخل في الماء<sup>(١)</sup>.

وربما يقال إن المراد من قوله ﴿مِنْكُمْ﴾ في الآية مورد البحث أولئك الطوائف الذين ذكروا في الآيات السابقة، أي أتباع الشيطان، والمراد من نجاة المتقين هو نجاة أولئك الذين نجوا من الكفر والشرك. والمعنى حينئذ أن كل أنصار الشيطان وأتباعه سيدخلون إلى جهنم، أما الكفار والمشركون، فسوف يبقون فيها. وأما المذنبون الذين لم يتلوثوا بالشرك والكفر إلا أنهم كانوا فاسقين، فسيحررون منها في نهاية المطاف.

### التعاليم:

- ١ - القيامة ومراحلها لهم حساب منظم ودقيق جداً، ﴿لَنَحْشُرَنَّهُمْ... لَنَنْزِعَنَّ... وَلَنَمُنَّكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾.
- ٢ - لله تعالى سنن وبرامج قطعية وحتمية، ﴿كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾.

﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًا﴾ (٧٢)

### إشارات:

□ روى عن النبي الأكرم ﷺ أنه قال: «يرد الناس النار، ثم يصدرون بأعمالهم؛ فأولهم كلنج البرق، ثم كمرّ الريح، ثم كحضر الفرس، ثم كالراكب، ثم كشذّ الرجل (أي ركضه وهروته)، ثم كمشيه»<sup>(٢)</sup>.

### التعاليم:

- ١ - النار ممر المتقين ومقام الظالمين، ﴿وَلَنَمُنَّكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا... ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾

(١) عن أبي عبد الله الصادق ﷺ في قوله ﷻ ﴿وَلَنَمُنَّكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾، قال: «أما تسمع الرجل يقول: وردنا بني فلان فهو الورود ولم يدخله». (تفسير نور الثقلين).

(٢) تفسير نور الثقلين.

وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا ﴿١﴾.

٢ - التقوى وحدها طريق النجاة من النار، ﴿ثُمَّ نُخَيِّ إِلَٰذِينَ أَنَقُوا﴾.

٣ - الإنسان غير التقي ظالم، ﴿وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ﴾.

٤ - الظالمون مستحقون للتحقير، ﴿وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ﴾؛ (هذه الجملة تستعمل في مورد يترك فيه الشيء لحقارته وضعته).

﴿وَإِذَا نُنَاقِ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ

خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾﴾

### إشارات:

□ «الندي» يطلق على كل مجلس، أو المجلس الذي يتشاور فيه «دار الندوة» أي مجلس الشورى. ﴿وَنُؤْتُوكَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ﴾<sup>(١)</sup>، أي أنكم ترتكبون المعاصي في مجالسكم. ﴿فَلْيَنْعُ نَادِيَهُ﴾<sup>(٢)</sup>، أي فليدع مشاوريه وأهل مجلسه.

□ إن الكفار كانوا في معرض السخرية من المؤمنين، أو إنهم قالوا بنحو السؤال: هل إن الأثرياء كالنضر بن الحارث والوليد بن المغيرة خير مقاماً؟ أم الفقراء كأمثال بلال وعمار؟ وبالتالي فإنهم من خلال هذه النظرة المتكبرة انفصلوا عن المسلمين ولم يدخلوا في الإيمان.

نعم إن بعض الناس يسعون لجبران النقص المعنوي عندهم بالمظاهر المادية، وكما ورد في بعض الروايات فإن بعض أشرف قريش الكافرين كانوا يلبسون الثياب الجميلة والفاخرة فيمرون بها أمام النبي ﷺ وأصحابه وهم ينظرون إليهم بعين الاستهزاء والسخرية<sup>(٣)</sup>.

يقول الشاعر الإيراني:

لا تنظر باحتقار إلى من يفتersh التراب في هذا العالم

(١) سورة العنكبوت: الآية ٢٩.

(٣) التفسير الكبير للفخر الرازي.

(٢) سورة العلق: الآية ١٧.

فإذا رأيت الإبريق بلا يد أحمله بيدك الاثنتين

### التعاليم:

- ١ - حساب العقيدة والمنطق السليم منفصل عن الرفاه الديني، ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ؟﴾ فقد كان الكفار يقولون: إذا كان طريقنا باطلاً فلماذا تكون أوضاعنا الدينية أفضل منكم؟
- ٢ - المال والثروة لا يدلان على حقانية الإنسان وشخصيته، ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا؟﴾
- ٣ - الفخر والمباهاة يمهدان للكفر، ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْنًا وَرِيًّا﴾

### إشارات:

□ كلمة «الأثاث» بمعنى المتاع ووسائل الحياة والرفاهية. و«رثياً» المنظر الجالب والحسن. و«قرن» يطلق على جماعة أو أمة من الناس كانوا يعيشون معاً في زمان واحد.

### التعاليم:

- ١ - تاريخ سقوط الطواغيت والكافرين، يعد من مصادر معرفة الإنسان واستلهامه العبر، ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ؟﴾ (التاريخ سلسلة مترابطة من الأحداث يستفاد فيه من عبر الماضي للمستقبل).
- ٢ - عدد الكفار والطواغيت الذين أهلكوا ليس قليلاً، ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا؟﴾
- ٣ - التحولات التاريخية تسير طبقاً للسنن الإلهية، ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا؟﴾
- ٤ - وسائل الرفاهية والأموال المادية ليست معياراً للسعادة، وليست مانعة من حلول قهر الله وعذابه، ﴿أَهْلَكْنَا... هُمْ أَحْسَنُ أَثْنًا؟﴾
- ٥ - الرفاه والمتاع يسببان الغرور، والغفلة، والطغيان، والهلاك في نهاية المطاف، ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا... أَحْسَنُ أَثْنًا وَرِيًّا؟﴾

﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ  
فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾

### إشارات:

□ «المدّ» و«الإمداد» لهما معنى واحد؛ ولكن الراغب الأصفهاني قال: وأكثر ما جاء «الإمداد» في المحبوب و«المد» في المكروه.

□ إن الله تعالى يمهل كل إنسان اختار سلوك طريق الشر، وهذه المهلة إنما تعطى لاحتمال أن يتوب هذا الإنسان، أو لاحتمال أن يخرج أبناء صالحون من نسله؛ ولكن بعض الضالين أساءوا الاستفادة من المهل الإلهية فارتكبوا المزيد من المعاصي والذنوب ما استوجب زيادة العذاب عليهم<sup>(١)</sup>.

□ عن الإمام الصادق عليه السلام في قول الله ﷻ ﴿إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾ قال: «هو خروج القائم (عجل الله فرجه) وهو الساعة، فسيعلمون ذلك اليوم وما نزل بهم من الله على يدي قائمه، فذلك قوله: ﴿مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ يعني عند القائم ﴿وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾»<sup>(٢)</sup>.

### التعاليم:

١ - سنة الله قائمة على أن يهيئ أسباب السعي والرشد لكل الناس، وهذا الإنسان إذا اختار بنفسه طريق الضلالة فإن الله تعالى يمهل له لمدة من الزمن، ﴿مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ﴾. وأما إذا اختار طريق الهداية فإن الله يزيده هدى، ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾.

٢ - المهلة والإمداد ناشتان من الرحمة الإلهية، ﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾.

٣ - تُوعَد الكافرون مراراً وتكراراً بالويل والعذاب، إلا أنهم لم يتذكروا وكانوا عنها غافلين، ﴿مَا يُوعَدُونَ﴾.

(١) تفسير أطيح البيان.

(٢) الكافي، ج ١، ص ٤٣١.

- ٤ - إن الله تعالى يعذب بعض الضالين في الدنيا ويبقي حسابهم في القيامة كما هو؛ ولكن بعضاً منهم لا يعاقبه إلا في الآخرة، ﴿إِنَّا الْعَذَابَ وَإِنَّا السَّاعَةَ﴾.
- ٥ - عند لحظة الموت لا ينفع المقام، ولا المكانة ولا الموقع، وكذلك لا ينفع الأهل، ولا كثرة الجند والأعوان، ﴿شَرُّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾.
- ٦ - القيامة هي يوم ظهور الحقائق، والكشف، والشهود، ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا... فَسَيَعْلَمُونَ...﴾.

﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَلِغَةُ الصَّالِحَةُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾ (٧٦)

### إشارات:

- قوله «مَرَدًّا» أي عاقبة ومنفعة، وكلمة «الثواب» بمعنى ما يرجع إلى الإنسان من جزاء أعماله، والثواب يقال في الخير والشر؛ لكن المتعارف أكثر في الخير<sup>(١)</sup>.
- قرأنا في الآية السابقة أن الله يمد الضالين في ضلالتهم، وفي هذه الآية يزيد الله المهتدين أيضاً هدى ونوراً.
- نقرأ في بعض الروايات أن المراد من «الباقيات الصالحات» هو قول المؤمن: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر<sup>(٢)</sup>.

### التعاليم:

- ١ - الهداية ذات مراحل ودرجات، ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ...﴾.
- ٢ - الأعمال الصالحة محفوظة عند الله، ﴿وَالْبَلِغَةُ الصَّالِحَةُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ﴾.
- ٣ - التوفيق للقيام بالأعمال الصالحة هو شعاع من أشعة الهداية الإلهية، ﴿أَهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَلِغَةُ الصَّالِحَةُ﴾.
- ٤ - لله تعالى عناية خاصة بنبيه ﷺ، ﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾.
- ٥ - العقاب والثواب من شؤون الربوبية الإلهية، ﴿عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾.
- ٦ - العمل الصالح أساس حسن العاقبة، ﴿وَالْبَلِغَةُ الصَّالِحَةُ... وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾.

﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّكَ مَالًا وَّوَلَدًا ۖ ﴿٧٦﴾ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ۖ ﴿٧٧﴾ كَلَّا سَكَتَ مِمَّا يَقُولُ ۖ وَمُذْ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَذًا ۖ ﴿٧٨﴾ وَنَرَاهُ مِمَّنْ يَقُولُ وَيَأْتِنَا فَرْدًا ۖ ﴿٧٩﴾﴾

## إشارات:

□ عن الإمام الباقر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّكَ مَالًا وَّوَلَدًا﴾ قال: «ذلك أن العاص بن وائل القرشي ثم السهمي وهو أحد المستهزئين، وكان لخباب بن الإرت على العاص بن وائل حق فأتاه يتقاضاه، فقال له العاص: أستم تزعمون أن في الجنة الذهب والفضة والحريز، قال: بلى، قال: فموعد ما بيني وبينك الجنة فوالله لأوتين فيها خيراً مما أوتيت في الدنيا...»<sup>(١)</sup>.

## التعاليم:

- ١ - يبعث الإعراض عن الله والاعتماد على المال والولد على التعجب، ﴿أَفَرَأَيْتَ﴾.
- ٢ - يعتقد الكافر أن الدين مانع من التقدم والتطور، وأن الكفر هو منشأ الرشد وزيادة المال والأولاد، ﴿كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّكَ﴾.
- ٣ - ملاك الخير والقيمة عند الكفار هو المال والولد، ﴿لَأُوتِيَنَّكَ مَالًا وَّوَلَدًا﴾؛ (إن الكافر أمام المنطق والتهديد لا يتعلق إلا بما يملك في يده).
- ٤ - عليكم أن تحقروا المرفهين المنحرفين فكرياً؛ لئلا يصبحوا أسوة في المجتمع، ﴿أَفَرَأَيْتَ... أَطَّلَعَ الْغَيْبَ... وَمُذْ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ﴾.
- ٥ - لم يوقع الله تعالى أي سند أو وثيقة لأحد من الناس، ﴿أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾.
- ٦ - على الرغم من أن عهد الله لا خلف فيه، إلا أن الكفار لم يتخذوا مع الله عهداً، ﴿أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾.
- ٧ - اقمعوا الظنون الباطلة بكل حزم وصراحة، ﴿كَلَّا﴾.

- ٨ - سلوك الإنسان وأقواله مثبتة في الديوان الإلهي، ﴿سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾.
- ٩ - كل قول وعمل له مهلة إلى مدة قبل أن يكتب، فربما يندم الإنسان على ذلك ويتوب إلى الله؛ ولكن إذا انتهت المهلة ولم يندم على ما فعل حينئذ يكتب عليه. حرف «السين» في «سنتكتب» إشارة إلى المهلة<sup>(١)</sup>.
- ١٠ - الكلام لا بد من أن يستند إلى العلم والدليل، فالإنسان مسؤول عن كل أقواله، ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾.
- ١١ - في يوم القيامة يتخلى الإنسان عن ماله وأولاده، وقد كانا السبب في كفره وغروره، ويأتي إلى محضر الله وحيداً فريداً، ﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾.

﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾  
 ﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾

### إشارات:

- يرى العلامة الطباطبائي أن قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ﴾ يفسر بتفسيرين:
- أ - سيكفر المشركون بعبادة الآلهة ويكونون على الآلهة ضداً.
- ب - سيكفر الآلهة بعبادة هؤلاء المشركين، ويكون الآلهة حال كونهم على المشركين لا لهم، ضداً لهم يعادونهم، ولو كانوا لهم عزاً لثبتوا على ذلك دائماً، وقد وقع ذلك في آيات أخرى من القرآن الكريم تدل على هذا المعنى أيضاً<sup>(٢)</sup>.
- «العزیز» أي القاهر، والغالب، والذي لا يمكن اختراقه بحيث لا يصل إليه أي ضرر أو شر.
- عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا...﴾

(١) نقرأ في الروايات أيضاً: أنه عندما يصدر من الإنسان أي ذنب أو عمل سيئ فإن الملائكة مأمورة أن لا تكتب ذلك عليه إلى مدة لعله يندم على فعله، فإذا انقضت المدة يكتب له ذلك في صحيفة عمله.

(٢) نظير قوله تعالى: ﴿يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ (سورة فاطر: الآية ١٤)، وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّا خَيْرُ الْبَشَرِ مَا كَانُوا﴾  
 لَهُمْ أَفْئَةٌ وَكَانُوا يُعَادِيهِمْ كَذِبِينَ﴾ (سورة الأحقاف: الآية ٦).



ضِدًّا، قال: «يكون هؤلاء الذين اتخذوهم آلهة من دون الله ضداً يوم القيامة، ويتبرأون منهم ومن عبادتهم إلى يوم القيامة»<sup>(١)</sup>.

وضدية المعبودات أمثال الطواغيت والشياطين مع أتباعهم واضحة، ومن الطبيعي أن تكلم المعبودات التي لها عقل وإدراك كالملائكة، والشياطين، والجن، واضح ومعلوم، إلا الآلهة الميتة التي لا روح لها، (كالحجارة والأخشاب) من الممكن أن تتكلم بإذن الله وتعلن تنفرها واشمئزازها من عبادتها...<sup>(٢)</sup>.

□ عن الإمام الصادق عليه السلام في كلامه على هذه الآية قال: «ليس العبادة هي السجود ولا الركوع وإنما هي طاعة الرجال، من أطاع مخلوقاً في معصية الخالق فقد عبده»<sup>(٣)</sup>.

### التعاليم:

- ١ - طلب العزة مودع في فطرة الإنسان؛ ولكن الإنسان يشتبه في المصداق ولا يذهب نحو المصدر الحقيقي للعزة، ﴿اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ...﴾.
- ٢ - القيامة قريبة، وعلينا التصديق بها، ﴿سَيَكْفُرُونَ﴾.
- ٣ - إن أولئك الناس، أنفسهم، الذين تعزز بهم الإنسان في الدنيا بدل الله تعالى، سينقلبون عليه ويكونوا له ضداً يوم القيامة، ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾؛ (الاتكال على غير الله سبب عداوتهم في يوم القيامة).

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْزُهُمْ أَزًّا  
فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذَابًا﴾

### إشارات:

□ «الأز» بمعنى التحريك الشديد للشيء واقتلاعه من أساسه، «أزَّتِ القِدْر» أي

(٣) تفسير نور الثقلين.

(١) تفسير الصافي.

(٢) تفسير الأمثل.

اشتد غليانها فترجع ما فيها ويصبح عاليها أسفلها.

□ علاقة الشيطان بأهل الإيمان بسيطة ويعقبها اليقظة والتوبة، ﴿فَوَسَّسَ إِلَيْهِ﴾<sup>(١)</sup>.

وأما ارتباط الشيطان بالكافرين فهو ارتباط تسلط، قال: ﴿أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾؛ وليس «إلى الكافرين». وحتماً فإن هذه السلطة يهيؤها الكافر بنفسه ويمهد لها: ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ﴾<sup>(٢)</sup>.

□ ربّما يكون المراد من إرسال الشياطين من قبل الله تعالى هو تركها، ومثال على ذلك الشخص الذي لم يقيد كلبه ولم يمنعه يقال فيه إنه أرسل كلبه.

□ ورد في تفسير القمي أن قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَزَّؤُهُمْ أَزًّا﴾ نزلت في مانعي الخمس والزكاة والمعروف، فيبعث الله عليهم سلطاناً أو شيطاناً فينفقون ما يجب عليهم من الزكاة والخمس في غير طاعة الله ويعذبهم الله على ذلك.

□ عن الإمام الصادق عليه السلام أنه سئل عن قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذَابًا﴾ فقال: «ما هو عندك؟ قال السائل: عَذَابُ الْيَوْمِ؟ إن الآباء والأمهات يحصون ذلك، قال: لا، ولكنه عدد الأنفاس»<sup>(٣)</sup>.

### التعاليم:

١ - إن الذين اختاروا الكفر والدخول في ولاية الشيطان يرسل الله عليهم الشياطين فتوزَّؤهم أزاً وتحركهم تحريكاً نحو الفساد. (من عقوبة الكافرين تسلط الشياطين عليهم)، ﴿أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

٢ - الشيطان يحرك الإنسان ويدفعه إلى المعصية؛ لكنه لا يجبره على ذلك، ﴿تَوَزَّؤُهُمْ أَزًّا﴾.

(٣) تفسير الصافي.

(١) سورة طه: الآية ١٢٠.

(٢) سورة النحل: الآية ١٠٠.

- ٣ - تحريك الشيطان (للإنسان) قوي جداً، ﴿تَوَّضَعُوا لِحُكْمِ رَبِّكُمْ﴾.
- ٤ - لا يخرج أي شيء عن إرادة الله حتى وساوس الشيطان، ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا... تَوَّضَعُوا لِحُكْمِ رَبِّكُمْ﴾.
- ٥ - الكفر سبب لتحريك الشيطان، ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَّضَعُوا لِحُكْمِ رَبِّكُمْ﴾.
- ٦ - علم الأنبياء ﷺ بالمصالح والحوادث محدود، ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾.
- ٧ - عناد الكافرين في كفرهم وعداوتهم تدفع نبياً ذا خلق عظيم وسعة صدر إلى طلب إنزال العذاب عليهم، ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾.
- ٨ - إمهال الناس سنة إلهية، ﴿نَعُدُّ لَهُمْ عَذَابًا﴾؛ فالتقدير الإلهي منظم ومقدر؛ لذا علينا ألا نستعجل في طلب موت الكافرين وهلاكهم، ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾.
- ٩ - لا بد من أن تبينوا أوامركم ونواهيكم وقراراتكم بنحو استدلال، ﴿فَلَا تَعْجَلْ... إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ﴾.

﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ۝٨٥ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرْدًا ۝٨٦﴾

إشارات:

□ «الوفد» يطلق على الجماعة الواردة ركباً لزيارة أو لاستنجاز حاجة و«الورد» فيها معنى «العطش».

التعاليم:

- ١ - مشاهد يوم القيامة تلفت النظر، فالقيامة يوم ظهور التفاوت والفرق بين المتقين والمجرمين، ﴿يَوْمَ...﴾.
- ٢ - كيفية حضور أهل الجنة وورود أهل النار مهم جداً، ﴿وَفْدًا... وَرْدًا﴾.
- ٣ - المتقين ضيوف الله، ﴿وَفْدًا﴾. وأما المجرمون فيُساقون أذلاء، ﴿نَسُوقُ﴾. المتقون وضمن تشريفات ومراسم خاصة واستقبال الملائكة لهم يدخلون إلى الجنة<sup>(١)</sup>.

(١) بينت هذه المراسم ضمن شرح مفصل في رواية عن رسول الله ﷺ.

٤ - الأهم من الجنة هو الرحمة الإلهية؛ إذ إن الجنة مظهر من مظاهر رحمة الله، فعبارة: ﴿إِلَى الرَّحْمَنِ﴾ وردت بدل قوله «إلى الجنة».

٥ - مفتاح الجنة تقوى الله، ﴿تَحْتَسِرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ﴾.

﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنْ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ (٨٧)

### إشارات:

□ يحدّد القرآن شروطاً للشفاعاة، ولا يتصور أنّ أحد أن كل إنسان إذا تشفع بشيء ما فإنه سيشفع له، ففي يوم القيامة يطرق الكفار كل باب، وسيلجأون إلى أي شخص؛ ولكنهم سيجابّهون بالنفي.

□ من الممكن أن يكون المراد من «العهد» هو عهد العبودية لله والتبري من الشيطان؛ إذ إنّ القرآن الكريم يقول: ﴿أَلَمْ نَعْهَدْ إِلَيْكُمْ بَيْنَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُرْ عَدُوٌّ مُبِينٌ وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>، ونقرأ في موضوع آخر منه: ﴿لَا تَنْفَعُ الشَّفْعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرِضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾<sup>(٢)</sup>.

□ فسر «العهد» في الروايات بتفاسير عدة:

أ - الالتزام بولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والأئمة عليهم السلام من بعده<sup>(٣)</sup>.

ب - وصية الإنسان إذا حضره الموت واجتمع الناس من حوله فيقول: «... إني أعهد إليك في دار الدنيا أنني أشهد أن لا إله إلا أنت، وحدك لا شريك لك، وأن محمداً صلى الله عليه وآله عبدك ورسولك، وأن الجنة حق، وأن النار حق، وأن البعث حق، والحساب حق...»<sup>(٤)</sup>.

ج - «المحافظة على العهد هو المحافظة على الصلوات الخمس»<sup>(٥)</sup>.

(٢) سورة طه: الآية ١٠٩.

(١) سورة يس: الآيتان ٦٠ - ٦١.

(٣) تفسير الميزان.

(٤) تفسير مجمع البيان، ج ٦، ص ٤٥٣ (مقتبس من حديث طويل عن رسول الله صلى الله عليه وآله - المترجم).

(٥) تفسير الميزان.

## التعاليم:

- ١ - تجري الشفاعة وفق قانون يُطبَّق تحت إشراف الله تعالى، ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَعَةَ إِلَّا مِنْ...﴾.
- ٢ - ليس لأي إنسان أن يكون له، اعتباراً أو من قبل نفسه، قدرة على الشفاعة أو الحق فيها، ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾.
- ٣ - الشفاعة مظهر من مظاهر الرحمة الإلهية الواسعة، ﴿عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾.
- ٤ - بعض الناس خاصة لهم عهد عند الله وحق في الشفاعة، ﴿إِلَّا مَنْ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾.

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ ﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ﴿٨٩﴾

## إشارات:

- «الإدّ» بكسر الهمزة: الشيء المنكر الفظيع والقيح جداً.
- هذه الآية تنطبق على طوائف كثيرة، ومنها:
- أ - المشركون الذين كانوا يعتقدون أن الملائكة بنات الله، ﴿وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنْتِثًا﴾<sup>(١)</sup>.
  - ب - اليهود الذين زعموا أن «عزيراً» ابن الله، ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرُ ابْنِ اللَّهِ﴾<sup>(٢)</sup>.
  - ج - النصارى الذين زعموا أن المسيح ابن الله، ﴿وَقَالَتِ الْنَصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾<sup>(٣)</sup>.

## التعاليم:

- ١ - الاعتقاد بأن الله ولدأ قول لا أساس له وهو قبيح جداً، ﴿وَلَدًا... شَيْئًا إِذَا﴾.
- ٢ - أن يكون لله ولد، لا يعد كمالاً له بل يدل على نقصه تعالى الله عن ذلك، ﴿شَيْئًا إِذَا﴾.

(٣) المصدر نفسه.

(١) سورة الإسراء: الآية ٤٠.

(٢) سورة التوبة: الآية ٣٠.

﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا ۝١﴾  
 أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ۝١١ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ۝١٢ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ  
 وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ۝١٣﴾

إشارات:

□ «الهد» بمعنى السقوط.

□ تعرض القرآن الكريم مراراً لمسألة انفعال الطبيعة أمام الحقائق ومن ذلك:

قوله في بعض الآيات إن من الحجارة ما يهبط ويسقط من الجبال من خشية الله: ﴿وَلِنْ مِنْهَا لَمَّا يَهَايَظُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۝١١﴾، أو قوله: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَضِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۝٢١﴾.

التعاليم:

١ - يمكن للذنوب أن تكون سبباً لاختلال نظام الوجود، ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ ۝١﴾.

٢ - إن الله تعالى خلق الوجود لأجل الإنسان، وبالتالي إذا انحرف هذا الإنسان فإن سقوط الوجود واختلاله لن يكون إلا في محله، ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ ۝١﴾.

٣ - أكبر فساد في عالم الوجود هو فساد العقيدة، ﴿دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ۝١١﴾.

٤ - الاعتقاد بالولد لله تعالى معناه أن الله تعالى محتاج لبقاء النسل، وللمعنيين، وللمساعدة، يعاني من الوحدة، مع أن الله منزّه عن ذلك كلّهُ، ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ۝١١﴾.

٥ - تمام ما في الوجود تحت سلطان الله وسيرجع كل شيء إليه، ﴿آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ۝١٣﴾.

٦ - الوجود والموجودات كلها مأمورة بأمر الله وعابدة له، فلم تقولون إن عباده أولاد له، ﴿وَمَا يَنْبَغِي... إِنْ كُلُّ... عَبْدًا﴾.

﴿لَقَدْ أَحْصَيْنَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا ٩٥﴾

### التعاليم:

- ١ - الإحصاء الدقيق لكل أجزاء الوجود بيد الله تعالى، ﴿لَقَدْ أَحْصَيْنَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾. إن علم الله تعالى لا يحيط بالكماليات فحسب بل يعلم أيضاً كل الجزئيات. وكما يقول الفيض الكاشاني شعراً بالفارسية ترجمته: إحذر، فإن لكل ذرة حساباً ها هنا، فديوان الحساب والكتاب ها هنا.
- ٢ - موجودات العالم المادي محدودة، ﴿وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾.
- ٣ - القيامة لكل شيء ﴿كُلُّهُمْ﴾.
- ٤ - رغم أن الحشر لكل الناس إلا أن كل واحد منهم يفكر في نفسه، وكان كل واحد منهم وحيداً ﴿فَرْدًا﴾، ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْتُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ٩٦﴾.
- ٥ - في يوم القيامة تتلاشى جميع الروابط العائلية، والاقتصادية، والاجتماعية، والحزبية، وغيرها الكثير، ﴿فَرْدًا﴾.
- ٦ - في يوم القيامة لا ينفع الكافرون أي مال، وولد، وصديق ولا غير ذلك، ﴿فَرْدًا﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ٩٦﴾

### إشارات:

□ لطالما رأينا عند موت الناس المؤمنين والصالحين ووداعهم لهذه الدنيا، أن أكثر الناس وحتى اللامبالين والفاسقين يتأثرون بذلك، ويحزنون عليهم، ويقيمون العزاء لأجلهم، ويكون عليهم، ويعظمون ذكراهم، ويزورون قبورهم،

وَيَقْصُّونَ سِيرَهُمْ لِلآخِرِينَ، ذلك كله نابع من الفطرة السليمة الطاهرة، وحب الإنسان للكمال.

نعم إن من تعلق قلبه بالله فقط فإن الله يعلق قلوب الناس به، من ذكر الله فإن الله يذكره أيضاً، ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

□ روي عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ أنه قال: ولاية أمير المؤمنين هي الود الذي قال الله تعالى<sup>(٢)</sup>.

وعن رسول الله أيضاً في هذه الآية أنه قال: «محبة في قلوب المؤمنين»؛ وقال: «نزلت في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب»<sup>(٣)</sup>.

### التعاليم:

١ - الإيمان دون عمل لا ينفع، والعمل دون إيمان لا ينفع أيضاً، ﴿ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ...﴾.

٢ - الإيمان والعمل الصالح مفتاح المحبوبة عند الناس، ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا...﴾.

كلما رأينا أن محبوبيتنا قد خفت، فعلينا أن نراجع حساباتنا على مستوى العقيدة والعمل؛ لأن وعد الله لا يتخلف.

٣ - أن نصبح محبوبين فهو بيد الله، ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ إذ إن القلوب أيضاً بيد الله.

٤ - المحبوبة رحمة إلهية تصيب المؤمنين والصالحين، ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا...﴾.

٥ - من الممكن اليوم أن لا تقدر أعمالكم الصالحة؛ ولكن صبركم وسعيكم الدائم سيثمر في المستقبل، ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا...﴾.

(٣) تفسير فرات الكوفي، ص ٢٤٨.

(١) سورة البقرة: الآية ١٥٢.

(٢) الكافي، ج ١، ص ٤٣١.



٦ - المحبوبة لطف من الألفاف الإلهية والثواب الإلهي في الدنيا، ﴿سَيَجْعَلُ لَّهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾. (فالمؤمنون والصالحون، مضافاً إلى ثوابهم الأخروي، فإنهم يثابون في هذه الدنيا أيضاً).

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لَّدَا﴾

إشارات:

□ «اللدا» بمعنى العدو الشديد العداوة.

التعاليم:

١ - اليسر في الكلام أسلوب قرآني للإرشاد، ﴿يَسَّرْنَاهُ﴾، اليسر في الكلام غير الضعف، فالكلام يجب أن يكون محكماً ولكن بيسر وسلاية ﴿أُنْحِكْتَ يَاسَّرُ﴾<sup>(١)</sup>.

٢ - البيان السلس من ألفاف الله تعالى، ﴿يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ﴾.

٣ - لا بد من الكلام مع كل قوم بطريقة خاصة، ﴿لِتُبَشِّرَ... وَتُنذِرَ﴾. (التكلم مع الموقن بلسان البشارة، ومع المعتدي بنحو الإنذار).

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ هَلْ يُحِشُّ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾

إشارات:

□ هذه الآية الشريفة فيها تسكين وتهذبة لخاطر النبي الأكرم ﷺ، وتسليية له، وبشارة، بأن أعداء المعاندين سيهلكون عما قريب، كما أهلك من قبل الكثير من المعاندين للحق.

□ «الركز» بمعنى الصوت الهادئ والخفي.

□ أجاب الإمام الصادق عليه السلام جابراً عن هذه الآية فقال له: «يا جابر هم بنو أمية ويوشك أن لا يحسن منهم من أحد يرجى ولا يخشى»، فقلت: رحمك الله وإن ذلك لكائن؟ فقال: «ما أسرع»، سمعت علي بن الحسين عليه السلام يقول: «إنه قد رأى أسبابه»<sup>(١)</sup>.

#### التعاليم:

- ١ - هلاك القوم المعاندين دليل على جدية التحذيرات القرآنية، ﴿وَنُذِرْ بِهِ قَوْمًا لَّدَا وَكَمْ أَفْلَكُنَا﴾.
- ٢ - هلاك أعداء الحق من سنن الله تعالى، ﴿وَكَمْ أَفْلَكُنَا﴾.
- ٣ - التاريخ مرآة العبر، ﴿هَلْ يُحْشَى...﴾.

«والحمد لله رب العالمين»



# سُورَةُ طٰهٍ

السورة: ٢٠ الجزء: ١٦

عدد الآيات: ١٣٥





## ملامح سورة طه

سورة طه، آياتها مائة وخمسة وثلاثون آية، وهي من السور المكية، ومحتواها كما هو حال سائر السور المكية يحكي غالباً عن المبدأ والمعاد.

هذه السورة هي أول سورة تبين بالتفصيل قصة النبي موسى عليه السلام، فقد خصصت لها أكثر من ثمانين آية، وبعض هذه السورة يتكلم عن عظمة القرآن وصفات الله تعالى، ويرتبط بعضها أيضاً بما جرى مع آدم وحواء ووسوسة الشيطان لهما، وتذكر في ختامها مواعظ باعثة على اليقظة من الغفلة.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «لا تدعوا قراءة سورة طه فإن الله يحبها ويحب من قرأها، ومن أدام على قراءتها أعطاه الله يوم القيامة كتابه يمينه ولم يحاسبه بما عمل في الإسلام، وأعطى في الآخرة من الأجر حتى يرضى»<sup>(١)</sup>.



(١) تفسير نور الثقلين، ج ٣، ص ٣٦٦.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿طه ١﴾ مَا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾ إِلَّا نَذِيرٌ لِّمَن يَخْشَى ﴿٣﴾

تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ﴿٤﴾

### إشارات:

□ ذكرت معانٍ وتفسير عدّة لهذه الحروف المقطعة «طه»، ومما ذكر، أنها اسم الله تعالى، أو أنها قسم، أو اسم للنبي محمد ﷺ<sup>(١)</sup>، كما يعبر عن أهل بيت النبي ﷺ بأنهم «أهل طه»، أو عن الإمام علي عليه السلام بأنه «طه»<sup>(٢)</sup>، ونقرأ في دعاء الندبة أيضاً ندائنا لإمام الزمان عليه السلام: «يا ابن طه».

وعلى أي حال فإن هذه الحروف ليست زائدة أو لا معنى لها، ومن الممكن أن يقال إن لهذه الحروف، أو على الأقل إن لقسم منها، معانٍ ومفاهيم خاصة؛ ولا يلاحظ في أي من التواريخ (ومنذ نزول القرآن وإلى يومنا هذا) أن أحداً من المتبعين للعيوب والهفوات قد اتخذوا الحروف المقطعة وسيلة للقيام بردود فعل ضد الإسلام اعتماداً عليها<sup>(٣)</sup>.

□ النبي الأكرم ﷺ ولشدة عشقه وتلهفه والتزامه بأداء التكليف، كان لا يكلّ ولا يملّ من ذلك، ﴿لِتَشْقَى﴾ ولقد قام ﷺ عشر سنين على أطراف أصابعه حتى تورمت قدماه واصفر وجهه، يقوم الليل أجمع حتى عوّب في ذلك، فقال الله ﷻ: ﴿طه مَا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ بل لتسعد به<sup>(٤)</sup>.

□ «التنزيل» هو النزول التدريجي، أي أن القرآن الكريم نزل طيلة ثلاث وعشرين

(٣) تفسير الأمل.

(٤) التفسير الصافي.

(١) تفسير نور الثقلين.

(٢) بحار الأنوار، ج ٩٧، ص ٣٧٥.

سنة، وفي حوادث ومناسبات مختلفة، ولا يتنافى هذا التنزيل مع النزول الدفعي للقرآن على قلب النبي ﷺ في ليلة القدر.

### التعاليم:

- ١ - لم ينزل الوحي الإلهي ليسبب الألم والتعب والعناء، ﴿مَا أَرْسَلْنَا... لِنَشَقَّ﴾.
- ٢ - في أداء التكاليف الدينية لا يجب تحمل المشقات التي تثقل كاهلنا، ﴿مَا أَرْسَلْنَا... لِنَشَقَّ﴾.
- ٣ - للإنسان عقائد مودعة في فطرته؛ ولكن حيث إنه يغفل عنها فلا بد من تذكيره، ﴿تَذَكُّرًا﴾.
- ٤ - التقوى، والعلم، والخشية، مفاهيم بينها تلازم، <sup>(١)</sup> ﴿تَذَكُّرًا لِّمَن يَخْشَى﴾.
- ٥ - من أجل الوصول إلى الرشد والكمال اللازمين لا يكفينا كمال المربي والمبلغ، بل لا بد من وجود الاستعداد اللازم للقبول والتلقي، ﴿لِّمَن يَخْشَى﴾. كما هو الحال في إنتاج المحصول الجيد إذ لا بد من البذر الجيد، والأرض المناسبة، والمراقبة الدائمة.
- ٦ - الإحساس بالمسؤولية مقدّمة للاتعاظ والقبول بالنصح، ﴿تَذَكُّرًا لِّمَن يَخْشَى﴾.
- ٧ - تكليف النبي ﷺ تذكير الناس، وليس إجبارهم على القبول والاعتناء، ﴿إِلَّا تَذَكُّرًا لِّمَن يَخْشَى﴾.
- ٨ - التشريع والتكوين كلاهما من منبع واحد وقوانينهما متطابقة، ﴿تَزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ﴾.
- ٩ - خالق السماوات العظيمة عظيم، ولا بدّ من أن يكون كلامه كذلك أيضاً: ﴿...وَالْتَمَزَتْ أَلْفًا﴾ (كلام الأمير أمير الكلام).

(١) كما نقرأ في آيات أخرى: ﴿تَذَكُّرًا لِلْعَذَابِ﴾ (سورة الحاقة: الآية ٤٨)، و﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْمُسْلِمُونَ﴾ (سورة فاطر: الآية ٢٨).

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ٥ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴿٦﴾  
وَلَنْ يُجَاهَرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُمْ يَعْلَمُونَ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴿٨﴾

## إشارات:

□ ضمن هذه الآيات ذكرت أربع صفات من صفات الله البارزة:

- أ - الخالق، ﴿خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْفُلَى﴾.
- ب - الحاكم، ﴿عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾.
- ج - المالك، ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا...﴾.
- د - العالم، ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾.

□ (استيلاء الخالق على العرش)، ورد في هذه الآيات وفي آيات أخرى من سور قرآنية أخرى ضمن التعبير التالي: ﴿اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾، وذلك كناية عن إحاطة الله وسلطانه على عالم الوجود، فمثلاً عندما يقال في الفارسية: فلاني بر تخت نشست، أي (جلس فلان على السرير [العرش])؛ أو: فلاني را از تخت به پایین کشیدند أي (خلع فلان عن عرشه)؛ فعلى الأول يعني أنه أصبح حاكماً، وعلى الثاني أنه سلب السلطة والحكم.

□ غالباً ما يرد بعد قوله تعالى: ﴿اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ وأشباهها جمل تكون مفسرة لها، نظير قوله تعالى:

- ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾<sup>(١)</sup>.
- ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ﴾<sup>(٢)</sup>.
- ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ﴾<sup>(٣)</sup>.
- ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾<sup>(٤)</sup>.
- وفي هذه الآية: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾.

(٣) سورة الحديد: الآية ٤.

(٤) سورة السجدة: الآية ٤.

(١) سورة الأعراف: الآية ٥٤.

(٢) سورة يونس: الآية ٣.



□ «الثرى» هو التراب الرطب، وقوله «تحت الثرى» يشمل الأموات والكنوز وكل شيء مخفي تحت التراب.

□ «الأسماء الحسنى» هي صفات الله تعالى، وهي تسعة وتسعون اسماً بناء على ما ورد في الروايات؛ ولكنها ليست منحصرة بها؛ إذ ورد في دعاء الجوشن الكبير ألف اسم من أسماء الله، ولهذه الأسماء آثار وبركات عظيمة إذا ما دعي الله بها، والتوسل بهذه الأسماء لا يكون بمجرد الحفظ والقراءة، بل بالعمل بها، والاقتراب أكثر فأكثر منها.

ونشير أيضاً إلى أن ورود الحسنى بصيغة المفرد مع أن موصوفها أي «الأسماء» بصيغة الجمع، ربما يكون لتقدير كلمة «هذه» قبلها أي «هذه الأسماء الحسنى»، ولهذا نظائر أخرى وردت في القرآن الكريم مثل قوله تعالى: ﴿مَنَازِبُ أُخْرَىٰ﴾<sup>(١)</sup> و﴿وَعَدَّائِقُ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾<sup>(٢)(٣)</sup>.

□ ورد عن الأئمة المعصومين عليهم السلام قولهم: «نحن والله الأسماء الحسنى»<sup>(٤)</sup>.

□ عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «السِر: ما أخفيت في نفسك، وأخفى: ما خطر ببالك ثم أنسيته»<sup>(٥)</sup>، أي أنه لم يخف عن الآخرين فحسب؛ بل غفلت عنه أنت أيضاً.

□ الله تعالى عالم ومحيط بكل شيء: ﴿يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ﴾<sup>(٦)</sup>، ﴿يَعْلَمُ حَآيَاتَهُ الْأَعْنَٰى﴾<sup>(٧)</sup>، ﴿يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾<sup>(٨)</sup>، و﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن رَّزَقٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾<sup>(٩)</sup>.

### التعاليم:

١ - سيطرة الله على عالم الوجود سيطرة رحمة لا طغيان، ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾.

(٢) سورة النمل: الآية ٦٠.

(١) سورة طه: الآية ١٨.

(٣) تفاسير: الأمل، مجمع البيان، الطبري والبيان.

(٥) تفسير الصافي.

(٤) تفسير الأمل.

(٧) سورة الرعد: الآية ٨.

(٦) سورة البقرة: الآية ٣٣.

(٩) سورة الأحزاب: الآية ٥١.

(٨) سورة غافر: الآية ١٩.

- ٢ - نزول القرآن مظهر لرحمانية الله وسلطته على عالم الوجود، ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ...﴾.
- ٣ - سيطرة الله على عالم الوجود كله على نحو سواء<sup>(١)</sup>، ﴿عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾.
- ٤ - الله تعالى، مضافاً إلى أنه خالق الوجود، فإنه الحافظ له والحاكم عليه، ﴿خَلَقَ... عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾.
- ٥ - الله تعالى له الإحاطة التامة والمالكية المطلقة لما يُرى ولما لا يُرى، ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ... وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾.
- ٦ - من الطرق التي تصد عن ارتكاب المنكرات: التفات الناس إلى علم الله بالظاهر والباطن، ﴿يَعْلَمُ الْسِرَّ وَخَفَى﴾.
- ٧ - الاسم الحسن والجميل سواء في اللفظ أو المعنى أمر قيم وعظيم، والله تعالى جميل وله أيضاً أفضل الأسماء وأحسنها، ﴿لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾.
- ﴿وَهَلْ أُنْتَلِكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿٩﴾ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾﴾

## إشارات:

- «القبس» الشعلة من النار المنفصلة عن مجموعها.
- في قسم من هذه السورة يُبَيَّنُّ بالتفصيل مقاطع من قصة موسى ﷺ:
- أ - اختياره ﷺ للرسالة.
- ب - دعوته ﷺ لفرعون لاتباع الحق.
- ج - خروجه من مصر وغرق فرعون.
- د - عبادة العجل من قبل بني إسرائيل.
- خرج النبي موسى ﷺ في سفر تصحبه امرأته الحامل، فَضَلَّ الطريق في

الصحراء، وفي ليلة مظلمة باردة ممطرة احتاج موسى إلى النار، فرأى ناراً من بعيد، فتوجه إليها ليحضر منها قسماً من أجل مصالح أسرته، وعندما اقترب منها سمع النداء الإلهي، وهناك اختار الله موسى نبياً<sup>(١)</sup>.

نعم إن موسى ﷺ توجه نحو النار ليجد طريقاً لنجاته ونجاة عائلته، إلا أن الله تعالى فتح له طريق نجاة الآخرين. كان موسى يبحث عن طريق أرضي إلا أن الله فتح له طريقاً إلى المعنوية والسعادة، سعى موسى وراء طريق الهداية الفردية إلا أن الله كشف له طريق هداية الأمة.

### التعاليم:

- ١ - أثناء نقل الحقائق والوقائع التاريخية لا بد من أن نجعل المخاطبين يتشوقون لسماعها، وحينئذٍ نقص عليهم مجرياتها، ﴿هَلْ أَتَاكَ﴾.
- ٢ - أسلوب السؤال من الأساليب المناسبة للتبليغ والتربية، ﴿هَلْ أَتَاكَ﴾.
- ٣ - بيان التاريخ بيان للاتعاظ، ووسيلة للعبرة، وفيه تسلية لقلب النبي ﷺ وخاطره، ﴿حَدِيثُ مُوسَى﴾. (الحديث في القرآن هو التاريخ وليس الأمر الحادث والجديد).
- ٤ - أحياناً يرى الإنسان النور الإلهي في صورة النار<sup>(٢)</sup>، ﴿إِذْ رَأَى نَارًا﴾.
- ٥ - النساء لهن سهم في تجرع النوائب إلى جانب الرجال كتفاً إلى كتف، ﴿لَأَهْلِيهِ﴾.
- ٦ - علينا أن لا نجزع ونخشى الحوادث المرة والأليمة؛ إذ لربما يظهر لطف الله ورحمته من باطن هذه الحوادث الأليمة وقلبها، ﴿إِذْ رَأَى نَارًا﴾.
- ٧ - على الرجل تأمين رفاه عائلته وراحتها، ﴿لَعَلَّيْكُمْ مِنْهَا يُفْقَبِينَ﴾.

(١) كانت الليلة ليلة الجمعة، تفسير مجمع البيان.

(٢) تفسير مجمع البيان.

﴿فَلَمَّا أَنهَا نُوْدَىٰ يَمْوَسَىٰ ۖ إِنَِّّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ۖ﴾

### إشارات:

□ ورد اسم موسى ﷺ في عشرين سورة من القرآن، مئة وثلاثا وستين مرة، وقصة موسى ﷺ تعد أكبر قصص القرآن الكريم لتخصيص حوالى تسعمئة آية قرآنية لها.

□ كلمة «رب» من أسماء الله الحسنی، وقد وردت في القرآن الكريم أكثر من (٩٧٠) مرة، وقد عرّف الله تعالى نفسه بها في أول تجل له على النبي موسى ﷺ ﴿إِنَِّّي أَنَا رَبُّكَ﴾. وبما أن نبوة النبي موسى قد ابتدأت بالنداء والكلام الإلهيين، من هنا قد سُمي موسى «كليم الله»: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾<sup>(١)</sup>.

□ «الوادي المقدس» يطلق على المكان المنزه عن العيب والذنوب، و«طوى» يعني الشيء أو المكان المحاط بالبركة.

□ ورد أن المراد من ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ هو خلع قلبه من خوفين: خوفه من وضع عياله في تلك الحال، وخوفه من شر فرعون<sup>(٢)</sup> وذهب بعضهم إلى أن المراد من ذلك الزوجة والأولاد أو حب الدنيا والآخرة. هذا وقد ورد هذا التعبير نفسه ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ في التوراة الحالية<sup>(٣)</sup>.

### التعاليم:

- ١ - كثيراً ما يطلب الإنسان شيئاً من الله أو من غيره فيصل إلى غير ما يريد، ﴿إِنَّا إِلَهُكُمْ مِّنْهَا يَفْتِينَ... نُوْدَىٰ﴾ (كان يطلب النار فوصل إلى النبوة ونجا من النار).
- ٢ - عندما تتعلق إرادة الله تعالى بتحقيق شيء ما فإنه يسخر كل شيء لتحقيق ذلك الهدف (ظلمة الليل، الزوجة الحامل، إضاعة الطريق، رؤية النار... كل ذلك كان مقدمة لجذب موسى ﷺ، وإعطاء النبوة له في ميعاد الله تعالى).

(٣) التوراة، سفر الخروج، الفصل الثالث.

(١) سورة النساء: الآية ١٦٤.

(٢) تفسير نور الثقلين.

- ٣ - يستدعي الإحساس بعدم التصديق مزيداً من التأكيد، ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾.
- ٤ - آثار قداسة الأشياء ومعنويتها لا بد من أن تظهر أيضاً على ظاهر الأفراد، ﴿فَأَخْلَعَ نَعْلَيْكَ﴾.
- ٥ - الارتباط العميق بالله يدور مدار خلع القلب عن كل ارتباط، ﴿فَأَخْلَعَ نَعْلَيْكَ﴾.
- ٦ - لبعض الأماكن قداسة خاصة بها، ﴿فَأَخْلَعَ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ﴾. (خلع النعلين والمشى حافياً من آداب الدخول إلى الأماكن المقدسة).
- ٧ - النداء المقدس ينزل في المكان المقدس، ﴿ثُوْدِي... بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ﴾.
- ٨ - القبول ببعض المسؤوليات السماوية كان أحياناً في قلب الطبيعة الطاهر، كما في: جبل الطور، والوادي المقدس طوى، وغار حراء، ﴿ثُوْدِي... بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾.

﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ (١٣) إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (١٤) إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ (١٥)﴾

### إشارات:

□ «الساعة» من أسماء يوم القيامة<sup>(١)</sup>.

### التعاليم:

- ١ - الأنبياء ﷺ مُعَيَّنُونَ من قبل الله وليس من قبل الناس، ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ﴾.
- ٢ - لا بد من أن نستمع إلى كلام الوحي ونتوجه إليه بكل كيائنا، ووجودنا، وروحنا، وقلبنا، ﴿فَاسْتَمِعْ﴾؛ ولم يقل «فاسمع».
- ٣ - من آداب الكلام والمحاورة أن نعرف عن أنفسنا، ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ﴾.

(١) استعملت كلمة «الساعة» في التعبير عن يوم القيامة أكثر من أربعين مرة في القرآن الكريم (تفسير الفرقان).

- ٤ - في النظام الإلهي، المعرفة أساس العمل، ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ... فَأَعْبُدْنِي﴾.
- ٥ - معرفة أصول الدين مقدمة للقيام بفروع الدين، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَأَعْبُدْنِي﴾، التوحيد النظري مقدم على التوحيد العملي، ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ... فَأَعْبُدْنِي﴾.
- ٦ - لا بد في العبادة من الإخلاص، فقيمة العبادة بميزان خلوصها، ﴿فَأَعْبُدْنِي﴾.
- ٧ - التوحيد رأس كل العقائد، والصلاة رأس كل العبادات، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، فَأَعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾.
- ٨ - الصلاة أول تكليف عملي للأنبياء ﷺ، ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾.
- ٩ - الصلاة كانت مشرعة أيضاً عند الأديان الأخرى، ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾.
- ١٠ - ليس الهدف من الصلاة رعاية قلبها؛ بل التوجه إلى قلبها، أي الإحساس بالحضور والخشوع، ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾.
- ١١ - الالتفات إلى القيامة يسبب إقامة الصلاة، ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ... إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ﴾؛ ففي يوم القيامة يُسأل الإنسان عن الصلاة.
- ١٢ - إقامة الصلاة لأجل ذكر الله، ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾؛ وذكر الله يوجب اطمئنان القلوب، ﴿أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾<sup>(١)</sup>، كما إن ذكرنا الله يوجب ذكر الله لنا، ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾<sup>(٢)</sup>.
- ١٣ - التوحيد والمعاد أول خطاب إلهي للبشر، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا... إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ﴾.
- ١٤ - لا أحد يعلم زمان حدوث القيامة إلا الله تعالى، ﴿أَكَادُ أَخْفِيهَا﴾.
- ١٥ - وقوع القيامة حتمي، ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ﴾؛ إلا أن زمانها مخفي، ﴿أَخْفِيهَا﴾.
- ١٦ - ليس كل علم ومعرفة مفيدان، ﴿أَكَادُ أَخْفِيهَا﴾؛ فعدم معرفة زمان وقوع القيامة فيه حكم والطف، فمثلاً سيقى الإنسان حراً في أعماله ولن يتلى بالاضطراب والخوف، فحاله كحال من لا يعرف ساعة حضور الضيوف فإنه سيقى متأهباً دائماً.

- ١٧ - العقاب والثواب الدنيويين ليسا كامليين، ﴿إِنَّ أَلْسَاعَهُ... لِيُجْزَى﴾.
- ١٨ - يوم القيامة هو اليوم الذي سيطبق فيه القانون الإلهي، والثواب، والعقاب على كل الناس، ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾.
- ١٩ - الثواب سيكون على أساس السعي للعمل سواء تم أم لم يتم، ﴿لِيُجْزَى... بِمَا تَسْعَى﴾.

﴿فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى﴾ (١١)

### التعاليم:

- ١ - لا يكفي مجرد الاعتقاد بالأصول والعمل بالفروع، بل لا بد أيضاً من الصلابة أمام المخالفين، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا... فَأَعْبُدْنِي... فَلَا يَصُدُّكَ﴾.
- ٢ - غير المؤمنين في صدد أن يصدوكم عن طريق الحق؛ لذا لا ينبغي أن تؤدي فتنتهم ومؤامراتهم إلى خلل في سيركم وسلوككم، ﴿فَلَا يَصُدُّكَ﴾.
- ٣ - منشأ إنكار المعاد اتباع هوى النفس<sup>(١)</sup>، ﴿مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾.
- ٤ - الإيمان بالمعاد أفضل عامل لكبح عبادة الهوى، ﴿مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾.
- ٥ - نتيجة عبادة الهوى واتباعه هي السقوط، حتى لو صدر من نبي ولن يصدر، ﴿فَتَرْدَى﴾.
- ٦ - موافقة الكافرين وغير المؤمنين سبب للهلاك، ﴿فَلَا يَصُدُّكَ... فَتَرْدَى﴾.
- ٧ - الكافرون وعباد الهوى يسعون لصد المؤمنين عن الصلاة، ﴿أَقْرِ الصَّلَاةَ... فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا﴾.

(١) «العمل الإتيان في قوله ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ بصيغة الماضي مع كون المعطوف عليه ﴿لَا يُؤْمِنُ﴾ بصيغة المضارع للتلويح إلى عليّة اتباع الهوى لعدم الإيمان» (تفسير الميزان).

﴿وَمَا تِلْكَ يَمِينُكَ يَمْوَسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَاهْتُمُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَنَازِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقَهَا يَمْوَسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَهَا فَإِذَا هِيَ حَبَآءٌ لَّسَعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَتُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ﴿٢١﴾﴾

### إشارات:

□ إن الناس، وبشكل طبيعي، يخافون من أي شيء مسبب للخطر عليهم، أو يلحق الضرر والشر بهم، وبالتالي فإنهم يتجنبون كل ما يسبب ذلك، ومن البديهي أن موسى ﷺ، كإنسان، يخاف ولكن لا يمكن أن يكون تأثيره واضطرابه من غير رضا الله تعالى وإلا سيكون مورداً للذم والانتقاد، مع أن ذلك بالأصل مخالف للشجاعة ومن الصفات الرذيلة، وحتماً موسى ﷺ كان بعيداً كل البعد عن ذلك.

وفي الأساس فإن هذا الخوف نفسه دليل بنفسه على كون ما حصل معه معجزة، وإلا فإن الساحر الذي يعلم بأن سحره لا واقعية له لا يخاف من سحره. □ إن الله تعالى في كل لحظة يهب الروح للملايين ممن لا روح لهم، وفي المقابل يسلب أرواح الملايين من الأحياء.

وها هنا فإن العصا التي لا روح لها يهبها الروح ومن ثم يسلبها منها لتصبح عصا مرة أخرى<sup>(١)</sup>. وهنا نسأل: ألا يمكن لهذا الإله أن يميت الإنسان الحي ومن ثم يعيده مجدداً على صورته الأولى؟

وفي الحقيقة إذا أدت نظرة من الله إلى أن تتحول العصا إلى أفعى، فكيف إذا نظر إلينا نظرة لطف ورحمة ماذا سيحل بنا حينئذ؟! وإذا كانت نتيجة نظره قد التفتت سحر كل الساحرين ألا يمكن لنظرته - هو نفسه - على قلوبنا أن تلقف كل الوسواس منها؟!

□ في بداية أمر موسى ﷺ وقعت له معجزتان: الأولى: تحولت العصا إلى أفعى



﴿فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾، والثانية إعادة الأفعى إلى صورة العصا الأولى: ﴿سِيرَهَا أَلْوَكٌ﴾.

### التعاليم:

- ١ - إن الله تعالى، ولإظهار قدرته يستفيد من أقرب الأمور وأبسطها، ﴿وَمَا يَلِكُ بِمِيزَانِكَ يَمُوسَى﴾.
- ٢ - مع الاستفادة من الوسائل التي لها نواح متعددة للاستعمال يمكن الاستفادة من الأحجام الصغيرة لأشياء كبيرة، ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَاهْتَسُ بِهَا﴾.
- ٣ - الاتكاء على العصا والوسائل المادية لا يتنافى مع التوكل على الله تعالى، ﴿أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا﴾.
- ٤ - الرعي كان عمل أكثر الأنبياء، ﴿وَاهْتَسُ بِهَا عَلَى غَنَمِي﴾.
- ٥ - كان من الضروري التمرين، والتجربة، والاستعداد قبل الدعوة، فالنبي موسى ﷺ الذي كان سيذهب إلى فرعون ليلقي عصاه فتصبح أفعى، لا بد من أن يكون نفسه قد رأى هذه الواقعة من قبل، ﴿فَأَلْقَيْنَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾.

﴿وَأَضْمُكُمْ يَدَكُمْ إِلَى جَنَاحِكَ فَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ؕ آيَةً أُخْرَى ۚ لِّئَلَّيْكَ مِنْ ءَايَاتِنَا الْكُبْرَى ۚ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ۚ﴾

### إشارات:

□ المعجزة الثانية للنبي موسى ﷺ كانت «اليد البيضاء» وقد وردت في القرآن بثلاث تعابير: أولها: ﴿أَتْلُكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾<sup>(١)</sup>، والثانية: ﴿وَأَدْخُلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾<sup>(٢)</sup>، والثالثة: ﴿وَأَضْمُكُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ﴾، وبالإمكان الجمع بينها كلها بأن نقول: ادخل يدك إلى جيبك وأوصلها إلى تحت إبطك.

ورد في التوراة أن موسى ﷺ ابتلي بالبرص فابيضت يده (الآن ضع يدك

(١) سورة القصص: الآية ٣٢.

(٢) سورة النمل: الآية ١٢.

إلى جنبك فوضع يده إلى جنبها وأخرجها فإذا يده مبروصة كالثلج<sup>(١)</sup>. إلاً أن القرآن ذكر أنها خرجت ﴿مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ﴾ ليقول لنا إن بياض اليد كان نوراً وليس مرضاً وهذا يدل على التحريف في التوراة.

### التعاليم:

- ١ - يد القدرة الإلهية مبسطة ومتى ما شاء فإنه يظهر قدرته في أي لحظة وبأي وسيلة، ﴿وَأَضْمُكُمْ يَدَكُمْ﴾.
- ٢ - كلما كان المخاطب متكبراً ومعانداً احتاج إلى معجزات عده، ﴿ءَايَةً أُخْرَى﴾ (لا بد للفراعنة والمتفرعين من معاجز عده).
- ٣ - من كان مهياً لدعوة الطاغوت إلى الحق لا بد من أن يكون هو نفسه قد رأى آثار الحق، ﴿لِيُرِيكَ مِنْ ءَايَاتِنَا الْكُبْرَى﴾.
- ٤ - معجزات الأنبياء ﷺ جانب من آيات الله الكبرى، ﴿مِنْ ءَايَاتِنَا﴾.
- ٥ - أول مهمة للأنبياء ﷺ مواجهة الطواغيت، ﴿أَذْهَبْ﴾.
- ٦ - لا ينبغي دائماً انتظار مجيء الناس؛ بل أحياناً يجب - حتى على الأنبياء ﷺ - أنفسهم - الذهاب إلى الحكام لهدايتهم، ﴿أَذْهَبْ إِلَيْكَ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾.
- ٧ - من أجل إصلاح المجتمع لا بد من أن نذهب إلى مصدر الفتنة والفساد، ﴿أَذْهَبْ إِلَيْكَ فِرْعَوْنَ﴾.
- ٨ - الدين لا ينفك عن السياسة فالنبي موسى ﷺ نهض لإصلاح الحكومة، ﴿أَذْهَبْ إِلَيْكَ فِرْعَوْنَ﴾.
- ٩ - محاربة الطاغوت تكليف إلهي وليست عرضاً سياسياً، ﴿أَذْهَبْ﴾.
- ١٠ - منشأ كل إنكار وفساد هو الطغيان والعصيان في مقابل الحق، ﴿إِنَّهُمْ طَغَوْا﴾. إن طغيان فرعون بادعاء الربوبية أدى إلى القهر، والوحشة، والتفرقة، واستعباد الناس.

(١) التوراة، سفر الخروج، الفصل الرابع، الجملة ٦، تفسير الأمل.

١١ - الذين يتمكنون من مواجهة الطاغوت أو بإمكانهم ذلك، كانوا قد هياؤا أنفسهم من خلال الإيمان والعبادة وصلابة الموقف على مواجهته، ﴿فَاعْبُدْنِي... أَقِمِ الصَّلَاةَ... فَلَا يَصُدُّكَ... أَذْهَبَ إِلَيَّ...﴾.

﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ (٢٥) ﴿وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾ (٢٦)  
﴿وَأَحْلِلْ عُقْدَةً مِن لِسَانِي﴾ (٢٧) ﴿يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ (٢٨)

### إشارات:

□ عندما كلف موسى ﷺ بتبليغ الرسالة الإلهية طلب من الله تعالى أربعة مطالب:

١ - سعة الصدر، ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾.

٢ - تيسير الأمور، ﴿وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾.

٣ - سلاسة البيان، ﴿وَأَحْلِلْ عُقْدَةً مِن لِسَانِي﴾.

٤ - الوزير، ﴿وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا﴾.

□ لما كان موسى ﷺ مأموراً بالعديد من المسائل: العبادية، السياسية، الثورية، الاجتماعية، الأخلاقية، الفردية والجماعية وبالطبع فإن اشتغال الإنسان بأحدها قد يؤدي إلى الغفلة عن سائرهما لذا كان من الضروري وجود سعة الصدر لأداء كل هذه المسائل<sup>(١)</sup>.

□ سعة الصدر مطلوبة لنفس الإنسان وكذلك أيضاً للقيام بالمسؤولية والمهام، وكلمة «لي» ترمز إلى أن استقبال الوحي بحاجة إلى وعاء كبير واستعداد كبير أيضاً كما جاء في مورد النبي محمد ﷺ في سورة الانشراح حيث قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنزَلْنَاكَ... إِنَّا مَعَ الْمُصْرِكِ﴾.

### خصائص قلب المؤمن وقلب الكافر

□ قلب المؤمن مستودع أمور عدة، وقلب الكافر محل لأضدادها:

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي.

## أ - قلب المؤمن:

- ١ - الحياة، ﴿أَوْمِنَ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾<sup>(١)</sup>.
- ٢ - الشفاء، ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.
- ٣ - الطهارة، ﴿أَمْحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾<sup>(٣)</sup>.
- ٤ - سعة الصدر، ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾<sup>(٤)</sup>.
- ٥ - الهداية، ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾<sup>(٥)</sup>.
- ٦ - الإيمان، ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾<sup>(٦)</sup>.
- ٧ - السكينة، ﴿السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٧)</sup>.
- ٨ - الإلفة، ﴿وَأَلَّتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾<sup>(٨)</sup>.

## ب: قلب الكافر:

- ١ - المرض، ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرْمٌ﴾<sup>(٩)</sup>.
- ٢ - القسوة، ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾<sup>(١٠)</sup>.
- ٣ - الزيف (عدم القبول)، ﴿أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾<sup>(١١)</sup>.
- ٤ - الطبع، ﴿وَنَقَطَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾<sup>(١٢)</sup>.
- ٥ - الرين (إحاطة الظلمات)، ﴿رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾<sup>(١٣)</sup>.
- ٦ - الحجاب، ﴿جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾<sup>(١٤)</sup>.

- |                              |                               |
|------------------------------|-------------------------------|
| (١) سورة الأنعام: الآية ١٢٢. | (٨) سورة الأنفال: الآية ٦٣.   |
| (٢) سورة التوبة: الآية ١٤.   | (٩) سورة البقرة: الآية ١٠.    |
| (٣) سورة الحجرات: الآية ٣.   | (١٠) سورة المائدة: الآية ١٣.  |
| (٤) سورة طه: الآية ٢٥.       | (١١) سورة الصف: الآية ٥.      |
| (٥) سورة التغابن: الآية ١١.  | (١٢) سورة النحل: الآية ١٠٨.   |
| (٦) سورة المجادلة: الآية ٢٢. | (١٣) سورة المطففين: الآية ١٤. |
| (٧) سورة الفتح: الآية ٤.     | (١٤) سورة الكهف: الآية ٥٧.    |

٧ - الإقفال، ﴿أَمَرَ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَغْفَالَهَا﴾<sup>(١)</sup>.

٨ - الختم، ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾<sup>(٢)</sup>.

### التعاليم:

- ١ - سعة الصدر أول شرط للنجاح في أي عمل، ﴿رَبِّ أَشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾.
- ٢ - بدل الخوف والهرب من المسؤوليات، علينا أن نطلب الإمكانيات والمقدمات والوسائل اللازمة لها من الله تعالى، ﴿رَبِّ أَشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾.
- ٣ - الدعاء قبل أي عمل رمز التوكل، وهو يدفع الأخطار وآفات الطريق، وهو في نفسه عبادة وإعلام بالحاجة أيضاً، ﴿رَبِّ أَشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾.
- ٤ - إرشاد الناس وتربيتهم، والمواجهة مع الطواغيت ترتبط ارتباطاً تاماً بمدى صبر المجاهد والمربي وتحمله، ﴿رَبِّ أَشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾.
- ٥ - تبليغ الرسالة لا يتلاءم مع الشدة والخشونة، فالعمل العظيم يحتاج إلى روح كبيرة وعظيمة أي إلى سعة صدر كبيرة، ﴿رَبِّ أَشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾. (في إحدى النزاعات ضرب موسى ﷺ بيده رجلاً فقتله ولهذا طلب من الله أن يشرح صدره).
- ٦ - دعاء الأنبياء ﷺ في القرآن الكريم يبدأ بكلمة: ﴿رَبِّ﴾.
- ٧ - استقبال الألفاظ الإلهية يتطلب روحاً كبيرة وصدراً مشروحاً، ﴿رَبِّ أَشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾.
- ٨ - مع سعة الصدر تصبح الأمور سهلة ميسرة، ﴿قَالَ رَبِّ أَشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾.
- ٩ - بساطة الكلام وسلاسة البيان هما كمال، ﴿وَأَعْلَلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي﴾.
- ١٠ - في مقام هداية الناس، وتعبثتهم، وإثارة الحماس في قلوب المقاتلين، وإرعاب العدو، وتضعيف روحية الطواغيت... فإن للسان البليغ دوراً هاماً جداً، ﴿وَأَعْلَلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي﴾.



□ طلب النصرة من الناس لا يتنافى مع التوكل على الله والاستعانة به وليس شركاً، ففي القرآن الكريم أشير مراراً إلى مسألة التعاون كما في قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾<sup>(١)</sup>، كما ورد على لسان عيسى عليه السلام أيضاً قوله: ﴿مَنْ أَمَّكَارِي إِلَى اللَّهِ﴾<sup>(٢)</sup>، أو كما في جواب الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم إذ يقول له: ﴿حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنْ أَتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٣)</sup>، أو كما في طلب ذي القرنين من الناس أن يعينوه في بناء السد إذ قال: ﴿فَاعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾<sup>(٤)</sup>، وفي هذا المقام أيضاً فإن موسى عليه السلام يطلب من الله إنساناً مناسباً ليعينه في أمره في تبليغ الدين.

### التعاليم:

- ١ - لا يمكن لموسى عليه السلام أن يواجه وحده طاغوتاً كفرعون، ﴿وَأَجْعَلْ لِّي وَزِيرًا﴾.
- ٢ - كلما كان الأمر أكثر أهمية فإن اختيار الوزير والمعين سيكون أكثر حساسية؛ لذا فإن الوزير الذي اقترحه موسى لا بد من طلبه من الله تعالى، ﴿وَأَجْعَلْ لِّي وَزِيرًا﴾.
- ٣ - إذا كان المساعد للإنسان من أهل بيته فهو أفضل<sup>(٥)</sup>، ﴿مِنْ أَهْلِي﴾.
- ٤ - القيادة أو الإدارة لا بد من أن تتمركز في شخص واحد، وأما الآخرون فيعينونه في أمره، ﴿أَشْدُّ بِهِ أَرِي وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي﴾.
- ٥ - التعاون أساس النجاح في ما إذا كان قائماً على أساس المشاركة في الفكر والإعانة وليس على أساس المقابلة، ﴿أَشْدُّ بِهِ أَرِي﴾.
- ٦ - التسيب الواقعي يكون أثناء المواجهة مع الطاغوت، ﴿إِنَّهُ طَغَىٰ... كَيْ سَجَّكَ﴾.
- ٧ - فلسفة الحكومة والسلطة إحياء المعنويات في المجتمع ونشرها، ﴿أَشْدُّ بِهِ أَرِي وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي كَيْ سَجَّكَ كَثِيرًا وَتَذَكَّرَكَ كَثِيرًا﴾.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٥٢.

(١) سورة المائدة: الآية ٢.

(٤) سورة الكهف: الآية ٩٥.

(٣) سورة الأنفال: الآية ٦٤.

(٥) بشرط أن تتوفر الأهلية المطلوبة؛ ولذلك علل موسى اختيار أخيه بقوله: ﴿...مَنْ أَمَّكَارِي...﴾.

- ٨ - وظيفة الأنبياء ﷺ تنزيه الله عن الشرك والأوهام والخرافات، ﴿سُئِلَ عَنْكَ﴾.  
 ٩ - المسؤولية الكبيرة تحتاج إلى تسبيح كثير، ﴿سُئِلَ عَنْكَ كَثِيرًا﴾.  
 ١٠ - الصحيح هو البدء بتنزيه الله تعالى من كل عيب ونقص ومن ثم نذكره ونشكره، ﴿سُئِلَ عَنْكَ، وَتَذَكَّرَكَ﴾.  
 ١١ - ما له القيمة الكبيرة هو الذكر الكثير، وإلا فإن كل إنسان عند حلول الخطر والبلاء يذكر الله تعالى، ﴿وَتَذَكَّرَكَ كَثِيرًا﴾.

﴿إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ٢٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴿٣٧﴾

### التعاليم:

- ١ - الأنبياء ﷺ يرون أنفسهم دائماً في محضر الله تعالى ويرضون بإرادته وما يختاره لهم، ﴿إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا﴾.  
 ٢ - وعلى الرغم من أن الله تعالى عالم ومحيط بكل شيء إلا أنه، ومع ذلك، لا بد من الدعاء والطلب منه، ﴿رَبِّ أَشْرَحْ... إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا﴾.  
 ٣ - إذا كان الطلب صحيحاً وفي موقعه وكان الدعاء خالصاً فالاستجابة قطعية بإذن الله، ﴿قَدْ أُوتِيتَ﴾.  
 ٤ - عطاء الله يقوم على الحكمة وعلى أساس البصيرة، ﴿بِنَا بَصِيرًا... أُوتِيتَ سُؤْلَكَ﴾.  
 ٥ - عندما نكلف شخصاً ما بأي مهمة، فلا بد من أن نؤمن له كل ما يلزمه وما يريده، ﴿أَذْهَبَ إِلَيْكَ فِرْعَوْنُ... رَبِّ أَشْرَحْ لِي صَدْرِي... وَزَيِّرْ لِي أَهْلِي... قَدْ أُوتِيتَ﴾.  
 ٦ - النعم الإلهية كلها من باب الامتنان لا الاستحقاق، ﴿وَلَقَدْ مَنَّا﴾.  
 ٧ - علينا ألا ننسى ونغفل عن الطاف الله أبداً، ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى﴾.

﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنَّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٣٨﴾ أَنْ أَقْدِفِيهِ فِي النَّابُوتِ فَأَقْدِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيَلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ ۚ وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٣٩﴾﴾

### إشارات:

□ المراد من الوحي ها هنا هو الإلهام والإلقاء في القلب وليس الوحي المصطلح



المختص بالأنبياء ﷺ؛ لأن الرسالة مختصة بالرجال كما ورد في قوله تعالى في سورة يوسف الآية (١٠٩): ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِيْ اِلَيْهِمْ﴾.

□ «التابوت»<sup>(١)</sup> يعني الصندوق، و«اليم» البحر، وقد استعملت كلمة «اليم» في القرآن في ثمانية مواضع كلها في قصة النبي موسى ﷺ.

□ خلافاً لما هو المتعارف في أيامنا هذه من إطلاق «الصناعة» على صناعة البضائع والسلع المادية، فإن القرآن الكريم، ومضافاً إلى مثل قوله: ﴿أَصْنَعِ الْفُلَ﴾ استعمل الصناعة أيضاً في مورد تربية الإنسان: ﴿وَلْيُصْنَعْ عَلَى عَيْنِي﴾.

□ إذا أراد الله أمراً هياً جميع مقدماته أيضاً: ففي هذا المقام، ومن أجل حفظ موسى ﷺ ألهم أمه أن تقذفه في البحر، وأمر البحر بأن يلقي بالصندوق الحامل لهذا الطفل إلى الساحل، وألقى في قلب عدوه بأن يأخذه ويحبه حباً كبيراً.

□ عن الإمام الباقر ﷺ أنه قال «... وكان موسى لا يراه أحد إلا أحبه»<sup>(٢)</sup>.

□ سر الوصول إلى الكمالات قطع القلب عن التعلقات والمحجوبات، ﴿أَنْزِفِي﴾.

أ - قطع تعلق القلب بالنفس، النبي إبراهيم ﷺ كان مستعداً للإلقاء نفسه في النار.

ب - قطع تعلق القلب بالزوجة؛ النبي إبراهيم ﷺ أيضاً ترك زوجته في مكة حيث لا ماء ولا زرع.

ج - قطع تعلق القلب بالطفل؛ قذفت أم موسى ولدها في الماء.

د - قطع تعلق القلب بالولد الشاب؛ النبي إبراهيم ﷺ كان مستعداً أيضاً لأن يضحي بابنه إسماعيل.

(١) المراد من التابوت في قصة طالوت وجالوت في الآية (٢٤٨) من سورة البقرة هو صندوق النبي موسى ﷺ نفسه: ﴿أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ﴾.

(٢) تفسير الأمل.

هـ - قطع تعلق القلب بالشهوة؛ النبي يوسف عليه السلام لم يقبل مراودة زوجة عزيز مصر عن نفسها.

و - قطع تعلق القلب بالنوم؛ ثواب الصلاة في جوف الليل لا يعلمها إلا الله تعالى، ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾<sup>(١)</sup>.

### التعاليم:

١ - أحياناً يشمل الوالدين - بسبب أبنائهم - عنايةً ولطفً خاص من الله، ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أُتِكَ﴾.

٢ - يمكن للمرأة أن تصل إلى مقام يسمح لها بتلقي الوحي والإلهام الإلهيين، ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أُتِكَ﴾ (مع أن هذا الوحي لا يعد من وحي الرسالة، إلا أنه أيضاً لا يعد إلهاماً بسيطاً بل هو إلهام إلهي ولهذا أسلمت أم موسى بتسليم ابنها للأمواج المياه).

٣ - لعبت النساء أيضاً دوراً هاماً في حركة الأنبياء عليهم السلام ونهضتهم، ﴿أُتِكَ﴾.

٤ - البحر، وكما هو حال كل الوجود، تحت ظل الأمر الإلهي، ﴿فَلْيَلْقِهِ إِلِيمٌ بِالسَّاحِلِ﴾.

٥ - تكرار كلمة «عدو» يشير إلى عمق عداوة الطاغوت لرسول الله تعالى، ﴿عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لِّلَّذِينَ﴾.

٦ - العدو قد يكون سبباً للخير إذا شاء الله تعالى، ﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لِّلَّذِينَ﴾.

٧ - المحبوبة من ألطاف الله تعالى، عندما تكون القلوب منه فإن المحبة أيضاً منه، ﴿مَحَبَّةً مِنِّي﴾.

٨ - أولياء الله تعالى تحت نظر الله وفي ظل تربية خاصة منه تعالى، ﴿وَلِصْنَعِ عَلَيَّ عَيْنِي﴾.

﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ۖ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَلَّتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِتِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَمْوَسَّىٰ ﴿٤٠﴾﴾

## إشارات:

□ عندما أخذ فرعون الصندوق من الماء عزم ابتداء على قتل الطفل، إلا أن زوجته صدته عن ذلك وأرسلت وراء المرضعات من أجل إرضاع الطفل، ولكن موسى لم يقبل ثدي أي واحدة منهن، وبالتالي عجز النظام الفرعوني عن تغذية الطفل، وكانت أخت موسى عليها السلام آثار تتقصّى أخيها، فتقدمت، وبكل حالتها العادية، وقالت لهم: أنا أعرفكم على من يتقبل هذا الطفل ثديها!

ومن خلال هذا الطريق أرجع موسى إلى أحضان أمه.

□ لعبت نساء عدة أدواراً هامة في حياة موسى وتاريخه ومبارزاته ومنهن: أم موسى، أخت موسى، زوجة موسى، وزوجة فرعون.

□ أحياناً تتشابه حوادث حياة الأنبياء في ما بينها، وكمثال على ذلك فإن ما جرى مع النبي موسى عليه السلام يشبه حياة النبي يوسف عليه السلام من جهات عدة، ومن ذلك:

أ - كلا النبيين عاشا مدة من الزمن في القصر.

ب - الحياة في القصر لم تكن باختيار أي واحد منها.

ج - ابتلي والدا كلا النبيين بفراق ابنيهما.

د - وفي الختام رجع كلا الولدين إلى والديهما.

هـ - ابتلي كلا النبيين بفتنة الآخرين، فالنبي يوسف عليه السلام ابتلي بفتنة أخوته وأما النبي موسى عليه السلام فإنه ابتلي بفتنة فرعون.

و - في حياة كليهما كان لامرأة القصر دور معهما، إلا أن دور زوجة عزيز مصر كان سلبياً، وأما دور زوجة فرعون فكان إيجابياً.

## التعاليم:

- ١ - في نظام حاكمية الطاغوت لا بد لكل أنصار الحق، سواء أكانوا من الرجال أم من النساء، أن يقوموا بدورهم في المبارزة مع الطاغوت على أحسن وجه، ﴿تَتَّبِعْ أَفْئِكَ﴾.
- ٢ - لا بد من الحركة والسعي لأجل تلقي الألفاظ الإلهية، ﴿أَرْحَبْنَا... تَتَّبِعْ أَفْئِكَ﴾.
- ٣ - علينا أن نطرح مقترحاتنا الحقة والمنطقية بكل لين ولطف، ﴿هَلْ﴾.
- ٤ - علينا ألا نفشي الأسرار، ﴿مَنْ يَكْفُلُكَ﴾. ولم تقل «إلى أمه».
- ٥ - إرضاع الطفل فقط لا يكفي، بل المهم هو التكفل الكامل له، ﴿يَكْفُلُكَ﴾.
- ٦ - إن الله تعالى وفيّ بوعوده<sup>(١)</sup>، ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ... فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ﴾.
- ٧ - حضانة الأم لولدها أفضل الوسائل والأساليب لنموه ورشده، ﴿وَلِصْنَعِ عَلَيَّ عَيْنِي... فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ﴾.
- ٨ - لرضى الأم مكانة خاصة عند الله تعالى، ﴿فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾.
- ٩ - القلق هو من ردود الأفعال الطبيعية ولا يتنافى مع الإخلاص والعصمة، ﴿فَنَجِّينَاكَ مِنَ الْغَمِّ﴾. (كان موسى عليه السلام قد قُتِلَ قبطياً من غير عمد، ومع أنه لم يكن مذنباً في ذلك إلا أنه كان قلقاً ومغتماً لذلك).
- ١٠ - أولياء الله معرضون لابتلاءات صعبة، ﴿وَوَقَّتْكَ فُتُونًا﴾. لا بد للأنبياء أيضاً من أن يتجرعوا مرارة الأحداث الصعبة والأليمة؛ لذا فإنه، وبعد حياة مديدة في القصر، يشرع موسى بالرعي في الصحراء، ﴿فَلَيْتَ سَيْنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾.
- ١١ - تجاوز المراحل الصعبة في الحياة يُعدُّ مقدمة لبلوغ المقامات الإلهية والمعنوية، ﴿وَوَقَّتْكَ... ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يُمْسِي﴾.

(١) عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال في جواب من سأله: كم مكث موسى غائباً عن أمه حتى رده الله عليها؟ قال: ثلاثة أيام. (تفسير نور الثقلين، ج ٣، ص ٣٨٠).

١٢ - المسؤوليات والتوفيقات والألطف الإلهية لها أجمع زمانها المقدر والمحسوب بدقة، ﴿جِئْتُ عَلَى قَدَرٍ يَمُوسَى﴾.

﴿وَأَمَطْنَعُكَ لِنَفْسِي ①﴾ أَذْهَبَ أَنْتَ وَلُخُوكَ يَتَائِي وَلَا نَبِيًّا فِي ذِكْرِي ②﴾ أَذْهَبَا إِلَيَّ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ③﴾ فَقَوْلَا لَهُ قَوْلَا لَنَا لَعَلَّهُ يُتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ④﴾

إشارات:

□ «الخشية» هي الخوف الناشئ من المعرفة والإحساس بعظمة الطرف المقابل.

□ خص الله تعالى موسى ﷺ ببعض التعبيرات الخاصة به:

أ - ﴿وَقَرْنَتْهُ نَبِيًّا﴾<sup>(١)</sup>.

ب - ﴿وَأَنَا أَخَفَرْتُكَ﴾<sup>(٢)</sup>.

ج - ﴿وَلَنُصَنِّعَ عَلَى عَيْقٍ﴾<sup>(٣)</sup>.

د - ﴿وَأَمَطْنَعُكَ لِنَفْسِي﴾.

□ في الآيات السابقة ورد ذكر معجزتين للنبي موسى: تبديل العصا إلى أفعى واليد البيضاء، وفي هذه الآية يقول تعالى ﴿يَتَائِي﴾ أي أننا سنعطيك معاجز أخرى.

□ في الآية (٢٤) من هذه السورة قال الله تعالى لموسى: ﴿أَذْهَبَ إِلَيَّ فِرْعَوْنَ﴾، ولكن لما طلب موسى ﷺ المعين له من الله تعالى واستجيب طلبه فإن الله تعالى يقول في هذه الآية: ﴿أَذْهَبَا إِلَيَّ فِرْعَوْنَ﴾.

□ عن عدي بن حاتم، وكان مع أمير المؤمنين ﷺ في حروبه، أن أمير المؤمنين ﷺ قال في يوم التقى معاوية بصفين ورفع بها صوته لسمع أصحابه: والله لأقتلن معاوية وأصحابه ثم يقول في آخر قوله: إن شاء الله، يخفض بها

(١) سورة مريم: الآية ٥٢.

(٣) سورة طه: الآية ٣٩.

(٢) سورة طه: الآية ١٣.

صوته وكنت قريباً منه فقلت: يا أمير المؤمنين إنك حلفت على فعلة ثم استثيت فما أردت بذلك؟ فقال لي: «إن الحرب خدعة وأنا عند المؤمنين غير كذوب؛ فأردت أن أحرص أصحابي عليهم كيلا يفشلوا وكى يطمعوا فيهم، فأفقههم ينتفع بها بعد اليوم إن شاء الله، وأعلم أن الله جل ثناؤه قال لموسى ﷺ حيث أرسله إلى فرعون: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئَلَّا نَمَلُّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ وقد علم أنه لا يتذكر ولا يخشى؛ ولكن ليكون ذلك أحرص لموسى على الذهاب»<sup>(١)</sup>.

### التعاليم:

- ١ - من أجل الأهداف الكبرى لا بد من تربية بعض الأفراد لذلك، ﴿وَأَسْطَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾.
- ٢ - أعد الله تعالى للأنبياء ﷺ برامج خاصة، ﴿وَأَسْطَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾.
- ٣ - يجب إعداد النفس أولاً ومن ثم إعداد المجتمع، ﴿وَأَسْطَعْتُكَ... أَذْهَبَ﴾.
- ٤ - إذا كان الواحد منا مديراً مثلاً وأراد أن يرسل شخصاً ما في مهمة فعليه أن يملأ روحه بعشق المسؤولية والإحساس بالفخر والحماس، ﴿وَأَسْطَعْتُكَ لِنَفْسِي... أَذْهَبَ﴾.
- ٥ - أحياناً يجب إحضار الآخرين إلينا، ﴿وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، ولكن في أحيان أخرى لا بد لنا من الذهاب إليهم، ﴿أَذْهَبَا﴾.
- ٦ - في بعض المراحل والأوقات لا ينبغي أن يكون المرسل وحامل الخطاب رجلاً واحداً، ﴿أَذْهَبَ أَنْتَ وَلَوْكَ﴾.
- ٧ - ينبغي للمبلغ أن يكون مجهزاً بوسائل الإرشاد، ﴿يَأْتِيَنِي﴾.
- ٨ - يجب على المبلغ أن يكون شجاعاً، حازماً، وغير قابل للاختراق، ﴿وَلَا نَبِيًّا فِي ذِكْرِي﴾؛ تَغَرَّه القصور، والسلطة، وهيبة الطاغوت، فيصده ذلك عن القيام

- بمهمته، ويغفل عن ذكر الله، ويتخلى الصراحة اللازمة في الخطاب.
- ٩ - رمز نجاح الإنسان التوجه الكامل والدائم نحو الله تعالى، ﴿وَلَا نَبِيًّا فِي ذِكْرِي﴾.
- ١٠ - التبليغ، والإرشاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، كلها ذكر وتذكير بالله تعالى، ﴿أَذْهَبَ أَنْتَ وَلَوْكَ يَتَابِعِي وَلَا نَبِيًّا فِي ذِكْرِي﴾.
- ١١ - من أكبر أهداف الأنبياء ووظائفهم مواجهة الطاغوت ورفع الموانع عن طريق عبادة الله تعالى، ﴿أَذْهَبَ... إِنَّهُ طَغَى﴾.
- ١٢ - الخطوة الأولى في مقام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هي القول اللين والبيان اللطيف، ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئِنَّا﴾.
- ١٣ - كل الآمال في اللين واللفظ ولا يُنتظر أي شيء من الخشونة والقسوة، ﴿قَوْلًا لِّئِنَّا لَمَلَّةٌ يَتَذَكَّرُ...﴾.
- ١٤ - الشروع في التربية والإرشاد يجب أن يكون عبر طريق المكالمة الودية<sup>(١)</sup>، ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئِنَّا﴾؛ وحتى مع أكثر الناس طغياناً لا بد من الكلام معه ابتداء باللين واللطف.
- ١٥ - علينا ألا نبأس أبداً من إمكان هداية الآخرين، ﴿لَمَلَّةٌ يَتَذَكَّرُ...﴾.
- ١٦ - من واجبات النبي ﷺ التذكير والإرشاد، ﴿يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾.

﴿قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرَطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى ١٥﴾

﴿قَالَ لَا خَافَ إِنْئِي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى ١٦﴾

### إشارات:

□ «يفرط» من مادة «فرط» أي السبق والعجلة، كان موسى وهارون قلقين من أن هذا الرجل القوي المتغطرس المستكبر الذي عمَّ رعبه وخشونته كل مكان قد

(١) يقول الله تعالى أيضاً مخاطباً نبيه الكريم ﷺ: ﴿يَا رَحْمَتِي أَلَمْ يَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأُلْقُوا مِنْ حَرْبِكَ﴾ (سورة آل عمران: الآية ١٥٩).

يقدم على عمل قبل أن يبلغ موسى وهارون ﷺ الدعوة ويهلكهما لذلك قالوا:  
﴿رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُقْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾<sup>(١)</sup>.

□ المذموم في حق الأنبياء ﷺ هو الخشية والخوف القلبيين من غير الله، وإلا فإن الخوف الطبيعي لازم إنسانية هذين النبيين العظيمين، وبالتالي فإنهما من الناس وكل إنسان يخاف من الأخطار المحدقة به.

### التعاليم:

- ١ - تحليل المشكلات والموانع المحتملة والخوف من المستقبل والفشل ودراستها، كل ذلك لا يتنافى مع الإخلاص ومقام النبوة، ﴿إِنَّا نَخَافُ...﴾.
- ٢ - نشر الشائعات من أساليب الطغاة والظالمين؛ إذ إنهم ينشرون سمومهم ويتهمون أولياء الله لإبعاد الناس عنهم، أو أنهم بعد سماعهم الحق منهم يعمدون إلى إثارة الفتن والمشاكل لثلا يؤثر كلامهم الحق في الناس، ﴿يَقْرِطُ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾.
- ٣ - الإيمان بالحضور في محضر الله واليقين بالنصرة الإلهية يزيدان في شجاعة المؤمنين وشحذ هممهم، ﴿إِنِّي مَعَكُمْ﴾.
- ٤ - إذا كلفتم أي شخص بأي مهمة، فلا بد لكم من تأمين كل ما يلزمه وتشجيعه على ذلك، ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾.
- ٥ - على الرغم من أن كل الناس تحت نظر الله ورحمته إلا أنه أكثر لطفاً في حق الأنبياء ﷺ، ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾.

﴿فَأَنبِأَهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَا تَعْذِْبُهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِبَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنْ أَتْبَعَ الْهُدَى ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿٤٨﴾﴾

### إشارات:

□ حيث إن إرشاد رؤوس الظلم والتبليغ فيهم والعمل على هدايتهم من الأعمال



الصعبة جداً والهامة كذلك؛ لذا فإن الله تعالى كرر الأمر بالتحرك نحو فرعون والذهاب إليه: ﴿أَذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ، أَذْهَبْ أَنْتَ وَلَوْ أَنَّكَ، أَذْهَبًا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ، فَأَيُّهَا﴾.

□ أشير في هذه الآيات إلى الأصول العقدية الثلاثة؛ أي التوحيد والنبوة والمعاد: ﴿رَبِّكَ، أَوْحَىٰ إِلَيْنَا، أَنَّ الْعَذَابَ﴾.

□ نظم الله تعالى البرنامج العملي لمهمة النبي موسى وخليفته هارون ﷺ ضمن خمسة مراحل:

- أ - الذهاب، ﴿فَأَيُّهَا﴾.
- ب - الخطاب، ﴿فَقُولَا﴾.
- ج - البينة، ﴿حِثَّنَاكَ بِشَاقِقَةٍ﴾.
- د - الترغيب، ﴿وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْمُدَىٰ﴾.
- هـ - التهريب، ﴿أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾.

### التعاليم:

- ١ - يجب أن تكون الأعمال الإرشادية والتبليغية إبداعية وتأسيسية، فاعلة لا منفعة وردة فعل، ﴿فَأَيُّهَا﴾.
- ٢ - رسالة الأنبياء من شؤون ربوبية الله تعالى، ﴿رَسُولًا رَبِّكَ﴾.
- ٣ - حطموها غرور المستكبرين، ﴿رَبِّكَ﴾؛ في مقابل من يقول: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَىٰ﴾<sup>(١)</sup>.
- ٤ - لا يتنافى الكلام اللين واللفظ مع الحزم والصرامة، ﴿إِنَّا رَسُولًا رَبِّكَ﴾.
- ٥ - تحرير بني الإنسان من ظلم الطاغوت والعبودية كان على رأس سلم وظائف الأنبياء ﷺ، ﴿أَرْسِلْ مَعَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾. (نعم إن الدين لا ينفك عن السياسة فمواجهة الطواغيت وتحرير الناس من الأوامر الإلهية).

- ٦ - الهجرة من محيط الظلم والذنوب مقدمة للنجاة.
- ٧ - مواجهة الطواغيت وتحرير الناس إنما يكونان ذوي قيمة كبيرة ومن كل النواحي فيما إذا كانا في خط الأنبياء، ﴿أَرْسِلْ مَعَنَا﴾.
- ٨ - ممنوع أذية الناس وتعذيبهم، ﴿وَلَا تُعَذِّبُهُمْ﴾.
- ٩ - أعمال المأمورين تسجل على حساب أمرهم، ﴿وَلَا تُعَذِّبُهُمْ﴾؛ إذ إن فرعون لم يكن هو نفسه في الخارج المعذب لكل فرد من بني إسرائيل.
- ١٠ - السلام ممنوع على الطواغيت، والظالمين، والمنحازين عن طريق الهداية، ﴿وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْمُدَىٰ﴾.
- ١١ - المهم إنما هو اتباع الحق، ﴿أَتَّبِعَ الْمُدَىٰ﴾.
- ١٢ - السلام في نهاية الخطاب من آداب الكلام، ﴿وَالسَّلَامُ عَلَىٰ...﴾.

﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمُوسَىٰ﴾ (٤٩) ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ (٥٠)  
 ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ﴾ (٥١)

### إشارات:

- «البال» في الأصل بمعنى «الفكر» ويستعمل بمعنى «الحال».
- ما كان يدّعيه فرعون هو الربوبية وليس الخالقية، وهو نفسه كان يدّعي الإيمان بآلهة، ﴿وَبَدَّرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾<sup>(١)</sup>، كذلك فإن سائر الكفار يعتقدون بأن «الله» هو الخالق، ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ... لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾<sup>(٢)</sup>.
- وبناء عليه فإن فرعون ادعى لنفسه القيادة والحاكمية المطلقة ولهذا فإن موسى عليه السلام قال في جوابه: إن الخالق والمدير والحاكم لهذا الوجود هو واحد.
- كل الأنبياء عليهم السلام دعوا الناس إلى التوحيد واعتقدوا أن الطريق الأوحى للكمال والهداية هو من قبل الله تعالى، فالنبي إبراهيم عليه السلام قال: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ

يَهْدِينِ»<sup>(١)</sup>، وقال النبي موسى ﷺ: ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾<sup>(٢)</sup>، وقال النبي محمد ﷺ: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾<sup>(٣)</sup>.

□ قيادة الحركة والمواجهة كانت بيد موسى ﷺ، ﴿يَمُوسَى﴾، فعلى الرغم من أن موسى وهارون عليهما السلام قد ذهبا إلى فرعون وقد سألهما ابتداء «من ربكما»، إلا أن موسى لما كان هو القائد فإن فرعون، بلا فصل، أضاف قائلاً «يا موسى».

### التعاليم:

- ١ - مورد الدعوى والنزاع إنما كان في ربوبية الله وليس الخالقية، ﴿فَمَنْ رَبُّكُمَا﴾.
- ٢ - النفس الاستكباري والغرور الطاغوتي ظهران حتى في كلام فرعون وأسلوب تساؤله؛ إذ إنه، وبدل أن يقول «من ربي»، قال لهما: ﴿فَمَنْ رَبُّكُمَا﴾.
- ٣ - ليس لنا على الله شيء، بل إن كل ما هو موجود إنما هو من عطائه، ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ﴾.
- ٤ - الإله واحد، فهو الخالق وهو الذي بيده الهداية التكوينية، ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ (نعم إن الله تعالى بعد أن خلق المخلوقات أودع في كل شيء خَلْقَهُ ما يُدِيمُ حياته ويصل به إلى كماله، ﴿ثُمَّ هَدَى﴾).
- ٥ - إن الله تعالى أعطى كل موجود الخلقة الكاملة له والخصائص المتناسبة معها، ﴿خَلْقَهُ﴾.
- ٦ - هداية الله تعالى من لوازم الربوبية الإلهية، ﴿رَبُّنَا... ثُمَّ هَدَى﴾.
- ٧ - الربوبية حق من كان هو الخالق ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾.
- ٨ - كل الموجودات مشمولة بالهداية الإلهية؛ إذ إن تمام القوانين الحاكمة على عالم الوجود والغرائز المودعة في بني الإنسان والحيوانات تعد كلها من الهداية الإلهية، ﴿خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾.

(١) سورة الشعراء: الآية ٧٨.

(٣) سورة الأعلى: الآيتان ٢ و٣.

(٢) سورة طه: الآية ٥٠.

٩ - أمام المنطق لا ينبغي الاستناد إلى سيرة الآباء والأسلاف، ﴿فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾، فالنبي موسى ﷺ تكلم كلاماً منطقياً استدلالياً ولكن فرعون حرف مسير البحث والمناورة إلى التاريخ ساعياً من وراء ذلك إلى إثارة عواطف الناس، ﴿فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾.

﴿قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾

إشارات:

□ عندما سأل فرعون عن حال الأقوام السالفين والأموات، فإن النبي موسى وعلى الرغم من استطاعته أن يجيبه بالتفصيل على ما سأل، إلا أنه كان يعلم مدى تحسس الناس وغيرتهم تجاه آبائهم وأسلافهم؛ لذا فإنه في الجواب تكلم بنحو عام ومجمل، محيلاً علم ذلك إلى الله تعالى وليكون بذلك أيضاً قد عمل بمقتضى التوجيه الإلهي، ﴿قَوْلًا لِّئَلَّا﴾؛ ولكي لا يعطيهم أي ذريعة للرد والإشكال عليه.

التعاليم:

- ١ - إن الأنبياء ﷺ لا يعلمون كل شيء أو أنهم لا يرون المصلحة في قول ما يعلمونه؛ لذا فإنهم ينسبون علمهم إلى الله تعالى، ﴿عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي﴾.
- ٢ - يجب أن يكون المربي كَيْساً فطناً يجيب أحياناً بنحو كلي أو يختار السكوت وعدم الجواب؛ لئلا ينحرف البحث والحوار عن مسيره أو يصبح مستمسكاً عند العدو ﴿عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي﴾.
- ٣ - في النظام الإلهي لكل شيء حساب ولكل شيء كتاب، ﴿فِي كِتَابٍ﴾.
- ٤ - كتاب الله عظيم وكبير جداً. «كتاب» ورد بصيغة النكرة.
- ٥ - لا سبيل للخطأ إلى علم الله تعالى، ﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾؛ (السهو والخطأ إنما يصحان في مورد الذين لا علم لهم بالواقعات، وأما في مورد الإله الذي يعلم ظاهر كل شيء وباطنه كما هو فلا مجال لاحتمال وجود الخطأ أبداً).

٦ - لعلم الإنسان آفتان: إما أن يفهم بشكل مشتبّه ابتداء فيضيع الحقيقة، وإما أن ينسى بعد أن يفهم، وأما علم الله تعالى فمتمنزه عن مثل هذه الآفات، ﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾.

٧ - من له حق الربوبية هو من لا سبيل للانحراف والنسيان إليه، ﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾.

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا  
وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى﴾

### إشارات:

□ جملة «سلك لكم» يمكن تفسيرها على نحوين:

أ - جعل الله لكم في الأرض طرقاً وسبلاً لتسلكوها.

ب - جعل لكم سبل كسب الرزق<sup>(١)</sup>.

□ قال النبي موسى ﷺ لفرعون معرفاً إلهه: إن ربي الذي خلق كل شيء ومن ثم هده، وفي هذه الآيات أشار إلى نماذج من الهداية الإلهية في الطبيعة: جعل الأرض مهدياً لراحة الإنسان، جعل السبل الأرضية لارتباط المناطق المختلفة واتصالها في ما بينها، وإنزال المطر وإخراج النبات بناء على قانون الزوجية.

□ بالإمكان معرفة النعم الإلهية بشكل أفضل عندما نفرض خلافها: مثلاً لو كانت هذه الأرض ذات حركة بطيئة أو أسرع مما هي عليه الآن، ولو لم ينزل المطر أو لم تقدر الأرض على جذبه، ولو لم يكن فيها مجاري وينابيع، ولو... فهل ستكون مثل هذه الأرض حينها «مهدياً»؟!

### التعاليم:

١ - الله سبحانه أقر الإنسان في الأرض يحيا فيها حياة أرضية ليتخذ منها زاداً

لحياته العلوية السماوية، كالصبي يقر في المهد ويربى لحياء هي أشرف وأرقى<sup>(١)</sup>، ﴿مَهْدًا﴾.

٢ - الأرض مهد الإنسان تؤمن له كل ما يحتاجه وتحمله حياً وميتاً وهي مسخرة له بأمر من الله تعالى، ﴿مَهْدًا﴾.

٣ - خلق الأرض ضمن شرائط محددة ذو أهداف ولخدمة الإنسان، ﴿جَعَلَ لَكُمْ... وَسَلَكَ لَكُمْ﴾.

٤ - نظام الخلق قائم على أصل العلية والسبب والمسبب، ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾.

٥ - قانون الزوجية في النباتات من المعاجز العلمية المذكورة في القرآن الكريم<sup>(٢)</sup>، ﴿أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ...﴾.

﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى﴾  
﴿مِنهَا خَلَقْتَكُمْ فِيهَا نَعِيذُكُمْ وَمِنهَا تُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾

#### إشارات:

□ «النهى» جمع «نُهية» بالضم ثم السكون وهو العقل، وهي مشتقة في الأصل من مادة «نهى» بمعنى الامتناع و«أولي النهى» تعني أصحاب العقول، وسمى العقل «النهى» لنتيجه عن اتباع الهوى<sup>(٣)</sup>.

□ سئل النبي الأكرم ﷺ عن «أولي النهى» من هم؟

فقال في الجواب: «هم أولو الأخلاق الحسنة، والأحلام الرزينة، وصلة الأرحام، والبررة بالأمهات والآباء، والمتعاهدون للفقراء، والجيران، واليتامى، ويطعمون الطعام، ويفشون السلام في العالم، ويصلون والناس نيام غافلون»<sup>(٤)</sup>.

□ عن أمير المؤمنين عليه السلام أن سر السجدين في الصلاة فيه إشارة إلى هذه الآية؛

(١) تفسير الميزان.

(٢) تفسير الميزان.

(٣) تفسير الميزان.

(٤) تفسير نور الثقلين.

إذ ورد في رواية أن رجلاً سأله: «ما معنى السجدة الأولى؟ فقال ﷺ: تأويلها اللهم إنك منها خلقتني يعني من الأرض. ورفع رأسك: ومنها أخرجتني، والسجدة الثانية: وإليها تعيدنا ورفع رأسك من الثانية: ومنها تخرجنا تارة أخرى»<sup>(١)</sup>.

### التعاليم:

- ١ - خلق النباتات له علل وأهداف أيضاً، ﴿تَبَاتِ شَقٌّ، كُلُوا وَارْعَوْا﴾.
- ٢ - التنوع في النباتات إنما هو لتنوع الحاجات إليها، ﴿تَبَاتِ شَقٌّ، كُلُوا وَارْعَوْا﴾.
- ٣ - خلق الله الدواب لأجل الإنسان، ﴿أَتَمَنَّاكُمْ﴾.
- ٤ - الاستفادة من الماديات ينبغي أن لا تغفلكم عن ذكر الله، ﴿كُلُوا...﴾.
- ٥ - الأرض هي منشأ وجود الإنسان وأصل خلقته، ﴿وَمِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ﴾.
- ٦ - التفكير في الطبيعة أحد طرق معرفة الله، ﴿لَا يَنْتِ لِأُولَى الثَّغَى﴾.
- ٧ - وجود العقل مهم والأهم منه الاستفادة منه واتباعه، ﴿لَا يَنْتِ لِأُولَى الثَّغَى﴾.
- ٨ - يجب دفن الإنسان في الأرض، ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾.
- ٩ - المعاد جسماني، ﴿فَتُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى﴾  
﴿قَالَ أَجِئْنَا لِنُخْرِجَنَّكَ مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَحْمُوسَى﴾<sup>(٥٦)</sup>

### التعاليم:

- ١ - إن الله تعالى أتم الحجة أيضاً حتى على فرعون وأمثاله، ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا كُلَّهَا﴾.
- ٢ - بعض المنكرين كان يكفيهم معجزة واحدة، وأما بالنسبة إلى طاغوت كفرعون، فلا بد من أن يرى معاجز متعددة، ﴿أَرَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا كُلَّهَا﴾.

٣ - عندما يصبح الإنسان مريض القلب والروح فلا يمكن لأي دليل أن يقنعه، ﴿وَلَقَدْ آرَضْنَاهُ ءَايَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ﴾. كما يقول الله تعالى عن الشيطان في الآية (٣٤) من سورة البقرة: ﴿أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ﴾.

٥ - يُسيء الطواغيت، عند شعورهم بالعجز، الاستفادة من عواطف الناس وعاطفة حب الوطن لإثارة عواطفهم ومشاعرهم، ﴿لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا﴾.

٦ - تهمة أولياء الله وإيجاد سوء الظن بهم من جملة وسائل الاستكبار والمستكبرين، ﴿لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا﴾.

﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسَحَرٍ مِّثْلِهِ ۖ فَاجْعَلْ يَمِينًا وَبَيْنًا مَّوْعِدًا ۚ لَا تُخْلِفُهُ غَنٌّ وَلَا أَنْتَ مَكَا سُوًى ۝٥٨﴾  
 قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُخَشِّرَ النَّاسَ ضُحًى ۝٥٩ فَنُوكَ فِرْعَوْنَ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَكَّ ۝٦٠﴾

#### إشارات:

□ من أهم إنجازات النبي موسى ﷺ أنه استطاع تحويل يوم عيد وطني إلى يوم اجتماع هادف وعظيم، وقام بعمل عظيم أدى إلى أن يغير جميع السحرة فكرهم وعقيدتهم عند رؤيتهم للمعجزة.

#### التعاليم:

١ - التحقير والاستهزاء والانتهاام وتبسيط الحوادث الهامة والكبرى من أساليب الطغاة، ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسَحَرٍ مِّثْلِهِ﴾.

٢ - أحياناً، وعلى الرغم من إحساس بعض بالفراغ والعجز باطنياً، إلا أنهم يتظاهرون بالحزم والقدرة والقوة، ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ...﴾.

٣ - إذا وعدنا حتى عدونا فيجب علينا الوفاء بوعودنا، ﴿مَوْعِدًا لَا تُخْلِفُهُ﴾.

٤ - العدالة والإنصاف حتى مع عدونا من الأمور الحسنة، ﴿مَكَا سُوًى﴾. (كانت المسافة إلى مكان ذلك الموعد واحدة لكلا الطرفين ولم يتميز أحدهما عن الآخر بشيء).

٥ - علينا الاستفادة من أيام الفراغ (التعطيل) بأفضل وجه ممكن، ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ﴾.



٦ - إذا كان الإرشاد مصاحباً للجمال والزينة والسرور فسيكون أكثر تأثيراً، ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ﴾.

٧ - قضية العيد والزينة لهما سابقة تاريخية قديمة، ﴿يَوْمَ الزَّيْنَةِ﴾.

٨ - البحوث المنطقية والحرّة يجب أن تكون في حضور الناس، ﴿وَأَنْ يُخَشِّرَ النَّاسَ شَيْئاً﴾.

٩ - علينا ألا نغفل عن دور عنصري الزمان والمكان في التبليغ، ﴿يَوْمَ الزَّيْنَةِ...﴾.

(جمعت أمور عدة في تبليغ النبي موسى ﷺ في ذلك الموعد؛ فمضافاً إلى يوم عطلة الناس ﴿يَوْمَ الزَّيْنَةِ﴾، وإمكان وصولهم إليه ﴿مَكَاناً سَوِيّاً﴾ كذلك وجود الضوء ولطافة الهواء ﴿شَيْئاً﴾).

١٠ - إن أعداء الحق يسعون لاستغلال أول فرصة ممكنة من أجل القضاء على الحق وطمسه، ﴿فَتَوَلَّوْا... فَجَمَعَ كَيْدَهُ﴾.

﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ﴾ ﴿١١﴾ فَتَنَزَّعُوا أَمْرَهُم بِئِنَّهُمْ وَأَسْرُوا النِّجْوَىٰ ﴿١٢﴾﴾

### التعاليم:

١ - الاعتقاد بكون المعجزة سحراً افتراء على الله تعالى، ﴿لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ﴾.

٢ - قبل الإتيان بالمعجزة لا بد من إنذار الناس وتنبيههم فالنبي موسى ﷺ قال أمام الملأ من الناس: ﴿لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ﴾.

٣ - المفترى على الله، مضافاً إلى خسارته وخيبته في الدنيا فإنه في الآخرة سيجازى ويعذب، ﴿فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ﴾.

٤ - بالكذب والافتراء لن نصل أبداً إلى أي نتيجة، ﴿وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ﴾.

٥ - من صارع الحق صرعه<sup>(١)</sup>، ﴿وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ﴾.

٦ - عليكم أن تأمروا بالمعروف وتنهوا عن المنكر، ولو لم يؤثر ذلك في بعض الناس فإنه سيزرع الشك عند الآخرين على الأقل، ﴿لَا تَقْتَرُوا... فَتَنْزَعُوا أَمْرَهُمْ...﴾.

٧ - الأعداء يخفون خلافاتهم في ما بينهم، ﴿فَتَنْزَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى﴾.

﴿قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَيْنِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُتْلَىٰ﴾ (٦٣) ﴿فَاجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَفْتُُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ﴾ (٦٤)

### إشارات:

□ إن للحكام والمسؤولين دوراً هاماً في اعتقادات الناس وأفكارهم، فكما إن فرعون نفسه في الآية (٥٧) قال لموسى إنك تريد أن تخرجنا من أرضنا بسحر، كذلك فإن أنصاره وأتباعه قالوا في هذه الآية مقالته نفسها.

□ في منطق رجال الله فإن النصر والفلاح للمتقين، ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾<sup>(١)</sup>، وأما شعار ذوي السلطة والهيمنة والاستعلاء على الآخرين فقد كان: ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ﴾.

### التعاليم:

- ١ - إن الطواغيت، ومن أجل إثارة الناس ضد رجال الله، فإنهم يصفونهم بأنهم عناصر دخيلة على المجتمع ومخالفة للتقاليد الوطنية، ﴿يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ... وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُتْلَىٰ﴾.
- ٢ - المالكية إرادة طبيعية، والناس يواجهون كل من يتجاوزها، ﴿يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ﴾. (حب الأوطان أمر فطري ومراد كل الناس).
- ٣ - الاتحاد سر القوة والنصر، والاختلاف سر السقوط والهلاك، ﴿فَاجْمَعُوا كَيْدَكُمْ﴾. استدعى أنصار فرعون كل أتباعهم والمشاركين لهم في الفكر والعقيدة إلى الاستفادة من كل حيلة ووسيلة.

- ٤ - النظم يبعث على الهيبة في قلوب الأعداء، ﴿صَفَّا﴾.
- ٥ - إن الأعداء يوحّدون أهدافهم وينسقون تحركاتهم في سبيل القضاء على الحق ﴿أَجْمَعُوا...﴾.

﴿قَالُوا يَبْنُوْنَ إِمًّا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِمًّا أَنْ تَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ﴾ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا جِآءَهُمْ وَعَصِيَّتُهُمْ  
يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾

### إشارات:

- «الجبال» جمع جبل، و«العصي» جمع «عصا».
- «أوجس» مشتقة من «وجس» بمعنى الصوت الخاف، و«الإيجاس» يطلق على ما يخفى من الباطن.
- فسر الإمام علي عليه السلام في الخطبة السادسة من نهج البلاغة قوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً﴾ بأن موسى عليه السلام لم يوجس خيفة على نفسه، بل أشفق من غلبة الجهال ودول الضلال (أي أن خوف موسى كان من تأثر الناس الجاهلين بالسحر).

### التعاليم:

- ١ - علينا إعطاء المخالفين الحرية في العمل ومن ثم نرد عليهم بأجوبة محكمة ومنطقية، ﴿أَلْقُوا﴾.
- ٢ - الإجازة بإلقاء الشبهات من أجل الرد عليها ورفع الإشكالات لا مانع منها ﴿أَلْقُوا﴾.
- ٣ - السحر لا يغير حقيقة الأشياء؛ بل هو أوهام تؤثر في إدراك الإنسان، ﴿يُخَيَّلُ﴾.
- ٤ - لا ينبغي للقائد أن يظهر قلقه أمام عدوه، ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ﴾.
- ٥ - الأنبياء، كسائر الناس، لديهم حالات ونفسيات متفاوتة، ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ﴾.

﴿ثُمَّ لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ ۖ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سِحْرٌ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَقَىٰ ۖ﴾ (٦٨) ﴿فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ ۖ﴾ (٦٩)

إشارات:

□ ما إن علم السحرة أن ما قام به موسى ﷺ ليس سحراً وقعوا سجداً لله... وكانوا أول النهار سحرة وفي آخره شهداء برة... وإنما قالوا، : ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ﴾ ولم يقصروا على قولهم «رب العالمين»؛ لأن فرعون ادعى الربوبية والألوهية، فلو قالوا ذلك فحسب، لقال فرعون: آمنوا بي، وإنما لم يقتصروا على ذكر موسى بل ذكروا هارون وقدموه عليه خوفاً من هذه الشبهة أيضاً؛ إذ إن فرعون كان يدعي ربوبيته لموسى لأنه رباه في صغره...<sup>(١)</sup>.

□ وعد الله تعالى نبيه بأنه الأعلى دون شرط فقال له ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ﴾، ولكنه اشترط على المؤمنين الوفاء بشرط الإيمان في وعده لهم بأنهم الأعلون إذ قال: ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، والسبب في ذلك أن الأنبياء أوفياء لله وأما المؤمنون فمن الممكن أن لا يفوا بشرطهم؛ ولذا فإن الله تعالى قال لهم أنتم الأعلون إن وفيتم بشرط الإيمان.

التعاليم:

١ - كلما كان القلق كبيراً فإنه يتطلب مزيداً من التأييد والتأكيد، ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ﴾<sup>(٣)</sup>.

٢ - التلقين باعث على تقوية الروحية، ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ﴾.

٣ - يجب أن يكون الجواب متطابقاً مع كلام المُجادل؛ ولذا يجب أن نتكلم بلسانه ومقولته، قال فرعون: ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ﴾، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ﴾.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٣٩.

(١) تفسير المراغي.

(٣) الآيتان بحرف التأكيد «أن»، وتكرار ضمير الخطاب المتصل والمنفصل «ك وأنت»، مضافاً إلى كلمة العلو في قالب «الأعلى»، والجملة الاسمية، كل ذلك تأييد في مقابل كل ذلك القلق.

- ٤ - الحق يزهد الباطل، ﴿...لَلْقَفَ مَا مَنَعُوْا﴾؛ ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوًّا﴾<sup>(١)</sup>.
- ٥ - لم يفلح السحرة في زمن موسى وليس هم وحدهم فحسب، بل إن كل السحرة في التاريخ لا يفلحون، ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ﴾<sup>(٢)</sup>.
- ٦ - الإنسان السليم وغير المعاند عندما يتضح له الحق يسلم به فوراً، ﴿فَأَلْفَى﴾؛ (وكانهم أجبروا من باطنهم على السجود).
- ٧ - الإنسان موجود بإمكانه في لحظة واحدة أن يقوم بالتصميم على تغيير عقيدته ورؤيته، ﴿فَأَلْفَى السَّحَرَةُ﴾.
- ٨ - باب التوبة مفتوح أمام الجميع، التوبة من الشرك إيمان بالله، ﴿فَأَلْفَى السَّحَرَةُ﴾. ينبغي علينا ألا نحكم بالسوء على كل إنسان منحرف فربما يتوب إلى الله.
- ٩ - الناس أحرار في اختيار معتقدتهم وليسوا مجبرين على ما في بيثتهم، ﴿فَأَلْفَى السَّحَرَةُ﴾.
- ١٠ - السجود من آثار اليقين فلا إيمان دون سجود، ﴿فَأَلْفَى السَّحَرَةُ سُجَّدًا﴾.
- ١١ - أظهر السحرة في جملة واحدة إيمانهم بالتوحيد والنبوة، ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ هَرُونَ وَمُوسَى﴾ (لا يعرف الذهب إلا الصائغ ولا يعرف قيمة الجوهرة إلا الجواهري).
- ﴿قَالَ ءَامَنْتُمْ لَكُمْ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خِلَافٍ وَأَلْصِقَنَّكُمْ فِي جَذُوعِ النَّخْلِ وَلَنَعْلَمَنَّ إِنَّا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾

## إشارات:

□ تقدم في الآية (٦١) تهديد موسى للفرعونيين بالعذاب، ﴿لَا تَقْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ﴾، وفي هذه الآية فإن فرعون نفسه يقول لهم: ستعلمون أننا أشد عذاباً.

(١) سورة الإسراء: الآية ٨١.

(٢) الألف واللام في كلمة «الساحر» تنيد العموم.

## التعاليم:

- ١ - إذا شاء الله يصبح العدو سبياً للخير، ﴿قَالَ ءَامَنْتُمْ﴾. لقد جمع فرعون كل السحرة من أجل إزهاق الحق إلا أنهم اهتموا جميعاً على يد موسى ﷺ.
  - ٢ - في النظام الطاغوتي يسود التسلط ويُحرَم الناس حتى من حرية المعتقد، ﴿ءَامَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾.
  - ٣ - التهديد والتهمة أسلوب عمل الطواغيت، ﴿إِنَّهُمْ لَكَاِبِرٌ﴾.
  - ٤ - الأنبياء ﷺ يعملون على روح الإنسان وأما الطواغيت فينتقمون من الأجسام، ﴿لَا تُظَنُّنَ﴾، وهم غافلون عن أن القتل والتعذيب لا يمكنهما أن يغيرا عقائد الناس.
  - ٥ - الظالمون المغرورون يظنون أنفسهم خالدين، ﴿وَلَنَعْلَمَنَّ إِنَّا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾.
- ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْذِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ (٧٢) ﴿إِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِنَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَتَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَبِيرٌ وَأَبْقَى﴾ (٧٣)

## إشارات:

- «الخطايا» جمع «خطيئة» وهي الذنب على عمد<sup>(١)</sup>.
- المراد من قولهم: ﴿وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ﴾ أننا نستغفر الله على الخطايا التي أجبرتنا عليها وعلى ما أكرهتنا من السحر والمراد بالإكراه على السحر هو إحضار السحرة ليقوموا بالسحر خدمة له<sup>(٢)</sup>.
- إن من يضحى بنفسه في سبيل الهدف الإلهي يرشد في كل لحظة أكثر فأكثر من ذي قبل: فالسحرة، في هذه الآيات، عبروا بثلاث تعابير عن الله تعالى: ﴿وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾، ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّنَا﴾، و﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ وَأَبْقَى﴾.

(١) لسان العرب.

(٢) إذا كان الإكراه بنحو يسلب معه اختيار الإنسان فلا مورد فيه للعذر والاستغفار، وبناء عليه فإن استغفار السحرة مما أكرهوا عليه يشير إلى أن إكراه فرعون لهم لم يكن بالحد السالب للاختيار.

□ في حديث عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «وَمَنْ ذَهَبَ يَرَى أَنْ لَهُ عَلَى الْآخِرِ فَضْلاً فَهُوَ مِنَ الْمُسْتَكْبِرِينَ»<sup>(١)</sup>.

فقلت له: إنما يرى أن له عليه فضلاً بالعافية إذا رآه مرتكباً للمعاصي؟ فقال: «هيهات هيهات فلعله أن يكون قد غفر له ما أتى وأنت موقوف محاسب. أما تلوت قصة سحرة موسى عليه السلام» ثم قال: «كم من مغرور بما قد أنعم الله عليه، وكم من مستدرج بستر الله، وكم من مفتون بثناء الناس عليه...»<sup>(٢)</sup>.

### التعاليم:

- ١ - الناس أحرار في العقيدة والإيمان ولهم حق الاختيار ولا يمكن تغيير معتقداتهم بالتهديد والترهيب والترغيب، ﴿فَلَا تُطِيعُوا... وَلَا صَلِّتْكُمْ... لَنْ تُؤْثِرَكُمْ﴾.
- ٢ - علينا أن نؤيس الأعداء منا، ﴿لَنْ تُؤْثِرَكُمْ﴾.
- ٣ - الإيمان يهب الإنسان قوة وجراً، فالسحرة بعد إيمانهم قالوا لفرعون: ﴿لَنْ تُؤْثِرَكُمْ﴾.
- ٤ - الإيمان إنما يكون ذا قيمة إذا كان على أساس المنطق والبصيرة، ﴿لَنْ تُؤْثِرَكُمْ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾.
- ٥ - المستكبرون في نظر أهل الإيمان الواقعيين حقراء لا قيمة لهم، ﴿لَنْ تُؤْثِرَكُمْ﴾.
- ٦ - علامة الإيمان الواقعي الاستعداد للتضحية بالنفس وبكل شيء في سبيل الدفاع عن القيم الإلهية، ﴿مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ... فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾.
- ٧ - من لا إيمان له يغتر ويخدع بهدايا الطاغوت، ﴿أَيَّنَ لَنَا لَأَجْرًا﴾؛ وأما المؤمن فإنه يرى كل شيء غير الله صغيراً ولا قيمة له، ﴿إِنَّمَا نَقْضُ هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾.
- ٨ - أول خطوة لتحصيل عفو الله ومغفرته الإيمان به، ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا﴾.
- ٩ - السحر خطيئة يجب التوبة منها، ﴿لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَتَنَا... مِنَ السِّحْرِ﴾.
- ١٠ - الطواغيت يسيئون الاستفادة من اختصاصات الناس، ﴿وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ﴾.

١١ - عاملوا عدوكم بمثل ما يعاملكم به، قال فرعون: ﴿وَلَعَلَّنَا آيَاتُ أَشَدَّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾؛ وقال السحرة له بعد إيمانهم: ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾.

﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ (٧٤)  
 وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى (٧٥)  
 جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى (٧٦)

### إشارات:

□ بعد أن آمن السحرة بالله قالوا لفرعون: إن عذابك وقتلك ليس إلا في أيام معدودات من هذه الدنيا، وأما عذاب الله أو لطفه فهما دائمان أبداً، فأهل النار هم في النار أبداً، ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾، وأهل الجنة في الجنة خالدون فيها أبداً، ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ... خَالِدِينَ فِيهَا﴾.

□ حتى لو دخل المؤمن في الجنة، إلا أن لها درجات، وكسب هذه الدرجات يرتبط بمقدار تزكيته للنفس؛ فلا بد له من السعي وتطهير نفسه وتزكيتها من جميع النواحي ومن كل الملوثات التي تلوث بها، كتزكية الروح من العقائد المنحرفة، وتزكية الأخلاق من الرذائل الأخلاقية، وتزكية الجسم من الخبائب، وتزكية الأعمال والسلوك من القبائح.

### التعاليم:

١ - من لا يتوب إلى الله فسيحشر مجرماً، ﴿مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا﴾. (قال السحرة: نحن آمنّا بالله ليتوب علينا وليغفر لنا، ومن ثم قالوا إن كل من يأتي إلى ربه مجرماً أي دون إيمان وتوبة عما فعل في سالف أيامه فإن جهنم مقامه).

٢ - الأسوأ من الذنب الموت عليه، ﴿يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا﴾.

٣ - يجب على الإنسان أن يحافظ على إيمانه إلى آخر عمره، ﴿يَأْتِهِ مُؤْمِنًا﴾.

٤ - الإنسان حر مختار في عقيدته، ﴿مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا... وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا﴾.



- ٥ - لا ينفك الإيمان عن العمل الصالح، ﴿مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ﴾.
- ٦ - المؤمن الواقعي هو الفاعل لكل عمل صالح، ﴿عَمِلَ الصَّالِحَاتِ﴾.
- ٧ - للجنة عدد من المراتب والدرجات، ﴿الَّذِينَ رَفَعْنَا لَهُمْ أَلْوَانًا﴾.
- ٨ - التزكية مفتاح الجنة، ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾.
- ٩ - المؤمن من أهل السير والسلوك والتزكية، ﴿مُؤْمِنًا... لَهُمْ أَلْوَانًا... جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾.

﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفْ دَرَكًا وَلَا مَخْشَى ۚ فَأَنبَاهُمْ فِرْعَوْنُ بِحُجُودِهِمْ فَنُفِثَهُمْ مِنْ أَلَمٍ مَا غَشِيَهُمْ ۚ فَوَقَوْا فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ﴾

### إشارات:

- عندما آمن السحرة وأهل مصر بموسى عليه السلام ولم يخافوا تهديدات فرعون فتح أمامهم طريق المدد الإلهي، ولهذا خطب موسى عليه السلام أن أخرج الناس ليلاً من مصر فقد أيسنا لك طريق البحر وأبعدنا عنك شر فرعون<sup>(١)</sup>.
- «الإسراء» يعني الحركة ليلاً. «اليبس» يطلق على المكان الذي كان يغمره الماء (رطباً) أصبح يابساً. و«الدرك» يعني الخسائر التي تحل بالإنسان<sup>(٢)</sup>. والمراد من «عبادي» بني إسرائيل.

### التعاليم:

- ١ - تحركات الأنبياء وأسلوب مواجهتهم نابعان من الوحي الإلهي، ﴿أَوْحَيْنَا﴾.
- ٢ - الهجرة من الوطن مع العزة أفضل من العيش فيه مع الذلة، ﴿أَسْرِ بِعِبَادِي﴾.

(١) تفسير في ظلال القرآن.

(٢) وقيل إنه اسم مصدر بمعنى الإدراك أي لا يدركك فرعون وجنوده (المترجم).

- ٣ - إذا لم نستطع التأثير في المحيط الذي نعيش فيه، فعلى الأقل لا بد لنا من تركه والهجرة عنه، ﴿أَسْرِ بِعِبَادِي﴾.
- ٤ - من أهداف الأنبياء إنقاذ الناس من شر الطغاة، ﴿أَسْرِ بِعِبَادِي﴾.
- ٥ - أولى الخطوات ضد الظالم إبعاد الناس من حوله، ﴿أَسْرِ بِعِبَادِي﴾.
- ٦ - الله ناصر المحرومين، ﴿أَسْرِ بِعِبَادِي﴾.
- ٧ - هداية الناس وإدارة شؤونهم بيد القادة الإلهيين، ﴿أَسْرِ بِعِبَادِي فَأَضْرِبْ﴾.
- ٨ - إن معجزة موسى عليه السلام كانت عظيمة إلى حد أنها هزت كيان المجتمع، وأدت إلى قيامه وتحركه، وأجبرت فرعون نفسه على اللحاق بهم، ﴿فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ﴾.
- ٩ - البحر، وكما هو حال كل الطبيعة، مأمور لقهر الله أو رحمته، ﴿فَفَشَّيْهُمْ﴾.
- ١٠ - قادة المجتمع وحكامه لهم دور كبير في هداية الناس أو ضلالهم، ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾.
- ١١ - يجب علينا ألا نترك الشعارات المنحرفة دون جواب، فقد كان فرعون يقول: ﴿وَمَا آهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّسَادِ﴾<sup>(١)</sup>، وأما الله تعالى فإنه يقول: ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾.

﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ قَدْ أَجْمَعْتُمْ مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْتُمْ جَانِبَ الْفُرْقِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ

وَالسَّلَوى

### إشارات:

- تكرر في القرآن الكريم ذكر بني اسرائيل، ونجاتهم من فرعون، وإنزال المن والسلوى عليهم بينما كانوا تائهين في الصحراء.
- «المن» ظاهراً هو العسل والترنجبين. و«السلوى» هو طير لذيذ محلل الأكل وهو السمانى.

□ قوله تعالى: ﴿وَنَدَيْتُهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾ إشارة إلى ذهاب موسى مع جمع من بني إسرائيل إلى الميعاد في الطور، وهناك أنزلت ألواح التوراة على النبي موسى ﷺ.

### التعاليم:

- ١ - التذكير بالنعم الإلهية من وظائف الأنبياء ﷺ وتبعث أيضاً على رشد الإنسان وشكره لله، ﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ قَدْ أَجْمَعْتُمْ...﴾.
- ٢ - الحرية والأمان من أكبر النعم الإلهية وممهدتان للاستفادة من سائر النعم، ﴿أَجْمَعْتُمْ...﴾.
- ٣ - بعد سقوط الطاغوت وتشكيل الحكومة، فإن أهم ما يحتاج إليه هو القانون، ﴿أَجْمَعْتُمْ...﴾. (وعدُّ الله لهم كان إعطاء التوراة والقانون الإلهي).
- ٤ - كل الألفاف إنما هي من قبل الله تعالى، ﴿أَجْمَعْتُمْ... وَعَدْنَا... نَزَّلْنَا...﴾.
- ٥ - النعم المعنوية مقدّمة على النعم المادية، فالله تعالى قال ابتداء: ﴿وَوَعَدْنَكُمْ...﴾ المرتبط بنزول التوراة، ومن ثم قال: ﴿أَلَمْ تَرَ وَالسَّلَوىٰ﴾ اللذان هما غذاء الجسم.

﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي﴾

وَمَنْ يَحِلَّلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾

### التعاليم:

- ١ - الأصل في الأشياء الطيبة والطاهرة إباحة الاستفادة منها، ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ﴾؛ لذا ممنوع عليكم تحريم الطيبات.
- ٢ - الأديان الإلهية تُعنى بأهمية صحة الغذاء، ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ﴾.
- ٣ - الطبع الإنساني السليم أحد معايير معرفة الحلال، ﴿طَيِّبَاتِ﴾ (الطيب يطلق على ما يطابق الطبع والذوق السليم).

- ٤ - عدم مراعاة أحكام الأطعمة يعدّ من مصاديق الطغيان ومواطنه، ﴿كُلُوا... وَلَا تَطْفُوا﴾.
- ٥ - الأمم الناجية من الظلم معرّضة للطغيان، ﴿أَنْبِئْتَكُمْ... كُلُوا... وَلَا تَطْفُوا﴾.
- ٦ - لا تستعملوا ما أحله الله لكم في طريق الحرام، ﴿وَلَا تَطْفُوا فِيهِ﴾.
- ٧ - الإسراف (أي استهلاك ما هو أكثر من مورد الحاجة) طغيان على حكم الله، ﴿وَلَا تَطْفُوا فِيهِ﴾.
- ٨ - تهديد الطغاة بحلول العذاب الإلهي عليهم تهديد جدي، ﴿فَيَحِلُّ﴾.
- ٩ - الطغيان في الصرف (الإسراف) من الذنوب الكبيرة إذ توعد فيه بنزول العذاب الإلهي، ﴿وَلَا تَطْفُوا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ عَذَابِي﴾.
- ١٠ - السقوط الواقعي إنما يكون عند الابتلاء بالغضب الإلهي وليس الإفلاس السياسي والاقتصادي وأمثال ذلك، ﴿وَمَنْ يَحِلَّلْ عَلَيْهِ عَذَابِي فَقَدْ هَوَى﴾.
- ﴿وَإِنِّي لَفَقَارٌ لِّمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ (٨٢)

### إشارات:

- تعقياً للآية السابقة التي انتهت بالتهديد والوعيد جاءت هذه الآية وفيها بشارة إلهية، وهذا الأسلوب يُرى في كل القرآن الكريم.
- التوبة من أي ذنب ومخالفة لا بد من أن تكون متناسبة مع حجم الذنب وحجم المخالفة، ومثالاً على ذلك فإن توبة الشخص الذي لم يصلّ تكون في قضاء الصلاة، والتوبة من أذى الناس تكون في الاعتذار منهم، والتوبة عن كتمان الحقائق تكون في بيانها، والتوبة من الشرك تكون في الإيمان بالله تعالى، والتوبة من أكل المال الحرام تكون في رد الأموال إلى أصحابها...
- على الرغم من أن هذه الآية تتكلم عن المغفرة عن التائبين، إلا أننا نقرأ في آية أخرى أن الذين يؤمنون ثم يكفرون ثم يزدادون كفراً، فإنه لن تقبل توبتهم

أبدأ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

□ إن أنبياء الله أيضاً يطلبون المغفرة من الله تعالى:

- النبي آدم عليه السلام، ﴿وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا﴾<sup>(٢)</sup>،
- النبي نوح عليه السلام، ﴿وَلَا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي﴾<sup>(٣)</sup>،
- النبي إبراهيم عليه السلام، ﴿أَطْعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي﴾<sup>(٤)</sup>،
- النبي موسى عليه السلام، ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي﴾<sup>(٥)</sup>،
- النبي عيسى عليه السلام، ﴿وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ﴾<sup>(٦)</sup>،
- والنبي محمد ﷺ، ﴿وَأَسْتَغْفِرُهُ﴾<sup>(٧)</sup>.

□ ذكر في الروايات أن المراد من قوله تعالى «اهتدى» أي الاهتداء إلى ولاية أهل البيت عليه السلام<sup>(٨)</sup>.

### التعاليم:

- ١ - باب التوبة مفتوح حتى للذين شملهم الغضب الإلهي، ﴿فَقَدْ هَوَى... وَإِنِّي لَغَفَّارٌ﴾.
- ٢ - الرجوع الواقعي للإنسان مغفرة، ولهذه المغفرة آثار عظيمة من قبل الله تعالى ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾.
- ٣ - التوبة تقبل بشروط:
  - أ - الرجوع، ﴿تَابَ﴾؛
  - ب - الإيمان، ﴿وَمَآءَمَنَ﴾؛
  - ج - العمل الصالح، ﴿عَمِلَ صَالِحًا﴾؛
  - د - الاهتداء، ﴿أَهْتَدَى﴾.

(٥) سورة الأعراف: الآية ١٥١.

(٦) سورة المائدة: الآية ١١٨.

(٧) سورة النصر: الآية ٤.

(٨) الكافي، ج ٨، ص ٣٩٣.

(١) سورة آل عمران: الآية ٩٠.

(٢) سورة الأعراف: الآية ٢٣.

(٣) سورة هود: الآية ٤٧.

(٤) سورة الشعراء: الآية ٨٢.

- ٤ - الإيمان والعمل الصالح دون الاهتداء إلى الهداة الإلهيين لا يكفيان، ﴿وَأَمَّا وَعِلَّ صَالِحًا ثُمَّ أَهْتَدَى﴾؛ (نعم لو كان الإيمان والعمل الصالح موجودين ولم يكن صاحبهما في خط هداية الهداة الإلهيين، فإنه سيكون صيداً لأمثال السامري وبلعم بن باعوراء).
- ٥ - أن تكون مؤمناً مهم وأن تصبح مؤمناً مهم كذلك؛ ولكن الأهم من كل ذلك أن تبقى مؤمناً، ﴿ثُمَّ أَهْتَدَى﴾.

﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَمُوسَى﴾ (٨٣) قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَنِّي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾﴾

### إشارات:

□ عن الإمام الصادق عليه السلام وفي ذيل هذه الآيات يبين صورة الإنسان العاشق وملاحمه على النحو الآتي: «المشتاق لا ينتهم طعاماً، ولا يلتذ شراباً، ولا يستطيب رقاداً، ولا يأنس حميماً، ولا يأوي داراً، ولا يسكن عمراناً، ولا يلبس لباساً، ولا يقر قراراً، ويعبد الله ليلاً ونهاراً راجياً بأن يصل إلى ما يشاق إليه، ويناجيه بلسان شوقه معبراً عما في سريره، كما أخبر الله عن موسى بن عمران عليه السلام في ميعاد ربه بقول: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾»<sup>(١)</sup>.

### التعاليم:

- ١ - ينبغي على القائد أن يتقدم الأمة حتى تسير الأمة ورائه وتتبع أثره، ﴿أُولَاءِ عَلَىٰ أَنِّي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾.
- ٢ - كان موسى عليه السلام عاشقاً لله وعاشقاً لاستماع الكلام الإلهي، ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ﴾.
- ٣ - لا مانع من العجلة في مورد الأعمال الحسنة ومن أجل تحصيل مرضاة الله تعالى، ﴿وَعَجِلْتُ... لِتَرْضَىٰ﴾.

٤ - أكبر هدف للأنبياء والمقصد النهائي لهم هو تحصيل رضا الله تعالى، ﴿لِرِضَى﴾.

٥ - إذا حضر القائد في وسط المجتمع فلن يقوم الأعداء بأمر يذكر، وأما مع غيبته فإن المنحرفين يستغلون الفرصة لسوء مآربهم، ﴿مِنْ بَعْدِكَ﴾.

٦ - في غيبة الأئمة تتعرض الأمم للابتلاء، والامتحان، والفتن، ﴿فَتَنًا...﴾.

٧ - إن دور الفن أو الفنان المنحرف غير الملتزم ليس أقل من قدرة الطاغوت على تخريب المعتقدات الدينية للناس وانحرافهم.

٨ - الارتداد خطر وتهديد جدي لمن هم حديثو العهد بالإيمان، ﴿وَأَضَلُّهُمْ السَّامِرِيُّ﴾.

٩ - صحبة النبي لا تكفي بل المطلوب حسن العاقبة والثبات على الدين، ﴿وَأَضَلُّهُمْ السَّامِرِيُّ﴾. (إن الله تعالى أنجى بني إسرائيل ورزقهم من الطيبات ومع ذلك كانت عاقبتهم سيئة).

﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَنَ أَسْفًا قَالَ يَغْوِرَ الْآلَمُ بِيَدِكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْمَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي﴾ (٨٦)

### إشارات:

□ أشير في هذه الآية إلى وعدين: أحدهما الوعد من قبل الله بإنزال التوراة، ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ كَذِبًا﴾، والثاني من قبل نبي الله موسى ﷺ لما تواعد مع القوم أن يطيعوا أخاه هارون أثناء غيبته، إلا أنهم تجاهلوا ذلك بعبادتهم للعجل.

وأثناء توبيخ النبي موسى ﷺ لهم، سألهم عن علة انحرافهم: «أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الزَّمَانُ فَنَسِيتُمْ وَعْدَكُمْ إِيَّاي بِالثَّباتِ عَلَىٰ دِينِي إِلَىٰ أَنْ أَرْجِعَ مِنَ الْمِيقَاتِ؟ أَمْ تَعْمَدْتُمْ فَعَلْ مَا يَكُونُ سَبَبًا لِّحُلُولِ غَضَبِ رَبِّكُمْ عَلَيْكُمْ بِعِبَادَتِكُمُ الْعَجَلَ وَكَفَرْتُمْ بِهِ؟»

وخلاصة ذلك: أَفْطَالَ عَلَيْكُمْ الْعَهْدَ فَنَسِيتُمْ أَمْ تَعْمَدْتُمُ الْمَعْصِيَةَ فَأَخْلَفْتُمْ؟<sup>(١)</sup>.

□ تتحدث هذه الآية وكما هو الحال في الآية (٨١)، عن حلول الغضب الإلهي، إلا أن السبب هناك كان الطغيان وأما هنا فهو نقض العهد من قبل الناس، وهذان هما سر سقوط بني إسرائيل.

### التعاليم:

- ١ - عندما تعلمون بحصول الانحراف فلا بد من أن تبادروا إلى العمل ورد الفعل، ﴿فَرَجَعَ﴾. (حرف الفاء في قوله ﴿فَرَجَعَ﴾ يدل على الفورية).
- ٢ - الغيرة على الدين من أهم الصفات البارزة عند أولياء الله، ﴿غَضِبْنَا أَيْفًا﴾؛ (يتجرع قادة الدين وأولياء الله غصص انحراف الناس).
- ٣ - الغضب لله ومن أجل تحصيل مرضاته غير مذموم، ﴿غَضِبْنَا أَيْفًا﴾؛ (إن غضب أولياء الله وتأسفهم إنما كان لارتداد الناس وانحرافهم المعنوي).
- ٤ - لا بد من تأنيب المخطئين في الموقع المناسب، ﴿أَلَمْ يَعْذِبْكُمْ﴾.
- ٥ - إن عدم حضور القائد أو إن حصول بعض التغيرات الجزئية في برنامج ما لا ينبغي أن يؤدي إلى الانحراف والارتداد، ﴿أَفْطَالَ عَلَيْكُمْ أَلْعَهْدُ﴾.
- ٦ - الرجعة، والارتداد، ونقض العهد تؤدي إلى حلول غضب الله، ﴿فَيَحِلُّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي﴾.
- ٧ - الغضب من لوازم التربية والربوبية، ﴿غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾.
- ٨ - نقض العهد مع الأنبياء سبب لحلول غضب الله، ﴿يَحِلُّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ...﴾؛ (يوجد بين الأنبياء والناس عهود، ومواثيق، ومقررات تشمل السيرة والأحكام، وكذلك الوفاء لمن يمثلونهم وينوبون عنهم بين الناس، وها هنا فإن وعد موسى كان التبعية لأخيه هارون أثناء غيبته).



٩ - التخلّف عن وصي النبي ونائبه تخلّف عن النبي نفسه، ﴿فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي﴾. (التخلّف عن اتّباع هارون كان تخلّفاً عن موسى نفسه)<sup>(١)</sup>.

﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حُمِلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقُورِ  
فَقَذَفْتَهَا فَكَذَّبِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾

### التعاليم:

١ - إن المذنبين، ولأجل الفرار من العقوبة والمجازاة، يتذرعون بشتى الأعذار كالإجبار، والإكراه، والضغط الخارجيّة عليهم، ﴿مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا﴾.

٢ - المال الحرام يصرف في فعل الحرام، ﴿مِنْ زِينَةِ الْقُورِ﴾. (إن السامري ألقى كل أدوات زينة الفراعنة وحليّهم التي كانوا قد حصلوا عليها عن طريق الظلم والمعصية في النار فأخرج لهم جسداً له خوار)<sup>(٢)</sup>.

٣ - كثيراً ما كانت مظاهر الدنيا وجواهرها، وأموالها وزراً ووبالاً على الإنسان، ﴿أَوْزَارًا﴾.

٤ - المجتمع ضعيف الإيمان والذليل بمجرد خدعةٍ فنيّةٍ يخسر كل إنجازاته وكل ما لديه، ﴿فَكَذَّبَكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾.

٥ - إن خداع المنحرفين، وتظاهرهم، ومناوراتهم لا تبقى دون أثر في المجتمع، ﴿أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾.

٦ - أكبر الضربات التي يمكن أن نتعرض لها تتم على يد القوى الداخليّة المنحرفة، ﴿السَّامِرِيُّ﴾.

﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَداً لَّهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ  
أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾﴾

### إشارات:

□ من جملة ما تفتن به السامري أنه لم يُرِ الناس كيفية صنعه العجل وبالتالي فإن  
الناس فجأة رأوا جسد عجل له خوار، ﴿فَأَخْرَجَ﴾.  
□ ألم يفكر بنو إسرائيل أنه إذا كان العجل قابلاً للعبادة فالأولى أن يعبدوا صانعه  
أي السامري؟!

### التعاليم:

- ١ - إذا كان الفن منسجماً مع علم الاجتماع وعلم النفس فإنه سيكون حينئذٍ أكثر  
تأثيراً، ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا﴾. (السبب الباهر والسريع لنجاح السامري في  
جلب أنظار بني إسرائيل معرفته بسوابق عبادتهم للأصنام والبقر واستغلاله  
فرصة عدم وجود القائد بينهم).
- ٢ - إذا كان الفن في خدمة الناس المنحرفين وتحت تصرفهم فسيكون بمثابة  
السيف في يد السكران يؤدي إلى الخطر والهلاك، كما هو حال عجل  
السامري، ﴿أَلْقَى النَّارِئُ﴾.
- ٣ - التجسيم وصنع التماثيل بإذابة المعادن وصبها، له سابقة تاريخية قديمة،  
﴿عِجْلًا جَسَداً﴾.
- ٤ - أكبر خطر يواجه الأمة ويهدد ثورتها وقيامها هو الرجعة، والارتداد،  
والانحراف الثقافي والعقدي، ﴿هَذَا إِلَهُكُمْ﴾.
- ٥ - كل الناس مفطورون على عبادة الله، والأنبياء ﷺ يهدون الناس إلى الطريق  
الصحيح والمعبود الواقعي لهم، وأما السامري وأمثال السامري فهم ضالّون،  
منحرفون، ﴿هَذَا إِلَهُكُمْ﴾.
- ٦ - إذا أدت التهمة إلى خراب كبار القوم وقادته فإن الطريق سيكون حينئذٍ سهلاً  
لتخريب الآخرين، ﴿وَإِلَهُ مُوسَى﴾.

٧ - عاقبة نسيان الأحكام والمقررات الإلهية والانفصال عن القادة الدينيين لن تكون سوى الانحراف وسوء العاقبة، ﴿فَنَسِيَ﴾. (يقال: إن السامري كان من أصحاب موسى ﷺ إلا أنه نسي كل ما تعهد به له ﷺ) (١).

٨ - طريقة الأنبياء وديدهم هو الاستدلال والمنطق، ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ...﴾. (العقل يحكم بأن معبود الإنسان لا بد من أن يجلب له المنفعة ويدفع عنه الضرر والشروع).

﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَنْقُورُ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِيَ﴾ (١٠) قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى ﴿١١﴾

### التعاليم:

١ - إن بعض الناس خسروا خسراناً لم يكن معه العقل حاكماً عليهم، ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ﴾، ولا النبي هادياً لهم، ﴿قَالَ لَهُمْ هَارُونُ﴾.

٢ - لقد كان انحراف بني إسرائيل وارتدادهم عن علم وعن عمد، ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ...﴾.

٣ - وظيفة القائد وأعدائه عند ظهور البدع إظهار القول وإتمام الحجة، ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ﴾.

٤ - الأنبياء مشفقون على الناس، ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ... يَنْقُورُ﴾.

٥ - ابتلاء الناس سنة إلهية قطعية إلا أن وسائلها متفاوتة، ﴿إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ﴾.

٦ - التذكير بلطف الله ورحمته يمكن أن يمهد الأرضية اللازمة لإرشاد الإنسان وتوبته، ﴿رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ﴾.

٧ - طاعة وصي النبي واجبة، ﴿فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِيَ﴾.

٨ - اتباع القادة الإلهيين يحمي من الفتن، ﴿فُتِنْتُمْ... وَأَطِيعُوا أَمْرِيَ﴾.

٩ - دعوة الأنبياء للمعاندین لا أثر لها، ﴿قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ﴾.

١٠ - إن بني إسرائيل، وبدل الفكر، والتفكر اختاروا الشخصية، ﴿حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾.

﴿قَالَ يَهْرُونُ مَا مَنَّكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا﴾ (٩٢) ﴿أَلَا تَتَّبِعُنِي أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ (٩٣) ﴿قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ (٩٤)

### إشارات:

□ عندما رجع النبي موسى ﷺ من جبل الطور ورأى انحراف قومه قام بمساءلة ثلاث طوائف:

أ - الناس، ﴿يَقُولُ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ﴾.

ب - هارون ﷺ، ﴿يَهْرُونُ مَا مَنَّكَ...﴾.

ج - السامري، ﴿فَمَا خَطْبُكَ يَسْمُرِي﴾.

□ على حد قول تفسير «أطيب البيان»، هارون ﷺ كان معصوماً وقد عمل بتكليفه في النهي عن المنكر، من هنا يمكن القول إن مؤاخذه النبي موسى ﷺ له كانت بمثابة صياغة كنائية من باب: «يخاطب الباب لسمع الحائط»، فهو تكلم مع هارون ليعيد الناس النظر في حسابهم.

□ ذكر في تفسير الصافي، نقلاً عن الإمام الصادق ﷺ، أنه قال عندما سئل عن سبب أخذ موسى برأس هارون يجره بلحيته، ولم يكن لهذا الأخير في اتخاذهم العجل وعبادتهم ذنب، فقال ﷺ: إنما فعل ذلك لأنه لم يفارقهم لما فعلوا ذلك ولم يلحق بموسى ﷺ.

□ من أساليب التبليغ أنه قد يضطر أحياناً إلى ابتكار أسلوب جديد من أجل تحريك أفكار الناس وهز البدن الميت للمجتمع، وذلك كما فعل النبي موسى ﷺ من خلال التصرف القاسي مع أخيه ونائبه، أو كما فعل الإمام علي ﷺ عندما ضرب على وجهه أثناء خطابه في الناس من أجل لفت انتباههم.

## التعاليم:

- ١ - على القائد أن يعرف سبب انحراف الناس، ﴿يَهْتَرُونَ مَا مَنَعَكَ﴾.
- ٢ - سكوت المسؤولين وقلة مبالاتهم يستدعي المطالبة، ﴿مَا مَنَعَكَ﴾.
- ٣ - سوء العاقبة زلة للمتدينين، ﴿رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا﴾.
- ٤ - من الممكن أن يكون النبي مأموراً من نبي آخر، ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾.
- ٥ - لا بد من أن يحكم المجتمع بإدارة مدير واحد، ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾.
- ٦ - لإطفاء غضب الآخرين علينا الاستفادة من الكلمات العاطفية، ﴿يَبْنَؤُمْ﴾.
- ٧ - الدين والتدين أهم من العائلية، ﴿لَا تَأْخُذْ يِلَاحِي﴾.
- ٨ - الغيرة والتعصب للدين من لوازم النبوة، ﴿لَا تَأْخُذْ يِلَاحِي﴾.
- ٩ - علينا إعطاء المتهم فرصة للدفاع عن نفسه، ﴿لَا تَأْخُذْ يِلَاحِي﴾.
- ١٠ - إطالة الشعر واتخاذ الصفائر للرجل جائز، ﴿وَلَا يَرَأِي﴾.
- ١١ - خطر تفرقة الأمة أخاف النبي هارون عليه السلام، ﴿إِنِّي خَشِيتُ﴾.
- ١٢ - المحافظة على الوحدة أهم من نجاة طائفة فقط، ﴿إِنِّي خَشِيتُ... فِرَقَرُ﴾.
- ١٣ - عند اتخاذ القرارات لا بد من أن نلتفت إلى التزاحم بين المهم والأهم، ﴿إِنِّي خَشِيتُ﴾.
- ١٤ - أثناء رد الفعل الثوري لا بد من أن نلتفت إلى الآثار الجانبية لأي أمر نقوم به، ولا ينبغي لنا أن ننظر من طرف واحد فقط، ﴿إِنِّي خَشِيتُ﴾.
- ١٥ - خطر التفرقة أهم من خطر السكوت عن الانحراف، ﴿فَرَّقَتْ بَيْنَ بَقِيَّ إِسْرَءِيلَ...﴾.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَسْمِعِي ۖ﴾ (٩٥) قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ، فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾

## إشارات:

□ جملة «بصرت بـ» تستعمل عادة في «البصيرة» بمعنى الفهم، وجمعها «بصائر».

وليس في «البصر» بمعنى العين وجمعها «أبصار»<sup>(١)</sup>.

□ ورد في كتاب الاحتجاج أن أمير المؤمنين علياً عليه السلام لما فتح البصرة أحاط الناس به وكان من بينهم الحسن البصري، وقد جلبوا معهم ألواحاً يكتبون فيها ما يقوله أمير المؤمنين علي عليه السلام، فقال لهم أمير المؤمنين بأعلى صوته ما تصنعون؟ قال: نكتب آثاركم لنحدث بها بعدكم، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أما إن لكل قوم سامرياً وهذا سامري هذه الأمة إلا أنه لا يقول لا مساس؛ ولكنه يقول: لا قتال<sup>(٢)</sup>.

□ طبقاً لما ورد في تفاسير الميزان، والفرقان، والأمثل فإن مراد السامري من قوله ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾ أي أنني آمنت بداية الأمر بقسيم من آثار النبي موسى عليه السلام (أي تعاليمه) ثم شككت فيها فآلقيتها بعيداً وملت إلى عبادة الأصنام (العجل)، وجملة ﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا﴾ تعني أنني وفقت للقيام بما غفل الآخرون عن القيام به وهذا المعنى أنسب مع الحديث السابق.

### التعاليم:

١ - لأجل إزالة الانحراف لا بد أولاً من دراسة جذوره وأسبابه، ﴿فَمَا خَطْبُكَ يَسْمِعُ﴾.

٢ - يجب مواجهة المنحرفين والمفسدين المثقفين، ﴿فَمَا خَطْبُكَ يَسْمِعُ﴾.

٣ - في أي ثورة لا يمكن لأهلها أن يتغيروا من تلقاء أنفسهم؛ ولكن يوجد بعض الأفراد كأمثال السامري يستغلون الفرص، ﴿فَمَا خَطْبُكَ يَسْمِعُ﴾.

٤ - أحياناً يدرك بعض المنحرفين أموراً يغفل عنها المتدينون، ﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا﴾.

٥ - المصممون للانحراف يستفيدون في هذا المجال من جعل الناس لا يبصرون، ﴿بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا﴾.

- ٦ - رؤوس أهل الباطل يحاولون الاستفادة حتى من المقدّسات من أجل إضلال الناس وحرفهم، ﴿مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾. (سياسة الضالين ضد الدين).
- ٧ - من أكبر الأخطار أن يتصاحب الفن مع هوى النفس، ﴿سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾.
- ٨ - إن الإنسان نفسه إذا لم ينخدع بنفسه الأمانة، فلن يمكنه أن يخدع الآخرين، ﴿سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾.

﴿قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّكَ إِلهُكُمْ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾﴾

### إشارات:

□ ورد في تفسيري مجمع البيان والصابي أن النبي موسى ﷺ هم بقتل السامري، فأوحى الله إليه: لا تقتله يا موسى فإنه سخي. ولهذا السبب فإن موسى بقوله له: ﴿فَازْهَبْ﴾ طرده من بين بني إسرائيل.

□ كلمة «لا مساس» بمعنى الابتلاء بمرض لا يمكن معه لأي أحد أن يقترب منه ويمسه، وكانت عاقبة السامري أن أصيب بمرض نفسي ابتعد فيه عن الناس وكلما اقترب منه شخص ما، كان عليه أن يقول له: لا مساس لا مساس<sup>(١)</sup>.

□ عاقب النبي موسى ﷺ السامري بعدة عقوبات:

أ - الطرد، ﴿فَازْهَبْ﴾.

ب - اللعنة، ﴿لَا مِسَاسَ﴾.

ج - التهديد بعذاب الآخرة، ﴿لَكَ مَوْعِدًا﴾.

د - إحراق العجل، ﴿لَنُحَرِّقَنَّهُ﴾.

## التعاليم:

- ١ - بعد ثبوت الجرم لا بد من معاقبة المجرم، ﴿سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي... فَأَذْهَبَ﴾.
- ٢ - إحدى مراحل النهي عن المنكر طرد المجرمين والكافرين ونفيهم، ﴿فَأَذْهَبَ﴾.
- ٣ - يجب طرد المفسدين المثقفين من وسط المجتمع: الحرية الفكرية لا تعني بسط يد المنحرفين في إضلال الناس، ﴿فَأَذْهَبَ﴾.
- ٤ - إن الأنبياء ﷺ ومن خلال علم الغيب يخبرون عن مصير بعض الناس، ﴿أَنْ نَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾.
- ٥ - بعض الأمراض غضب إلهي، ﴿لَا مِسَاسَ﴾.
- ٦ - العقوبة الدنيوية لمن يروج الأفكار الباطلة لا تعفيه من العقاب الأخروي، ﴿لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا﴾.
- ٧ - ربما يفر الإنسان من العقاب الدنيوي؛ ولكن العذاب الأخروي وغضب الله في الآخرة لا فرار منه، ﴿لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ﴾.
- ٨ - أسوأ الذنوب إصرار المذنب على ذنبه، ﴿ظَلَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾. (كان السامري نفسه يعبد العجل الذي صنعه).
- ٩ - لا بد من تدمير وسائل المذنبين وآثار الانحراف<sup>(١)</sup>، ﴿لَنُحْرِقَنَّهُ﴾.
- ١٠ - محو آثار الشرك والكفر يجب أن يتم أمام الملأ وحضور عموم الناس، ﴿لَنُحْرِقَنَّهُ﴾ ولم يقل: «لأحرقنه».
- ١١ - المحافظة على أفكار الناس أوجب وأهم من المحافظة على الذهب، ولذا يجب التضحية أحياناً بالأشياء القيمة من أجل إيجاد الصدمة عند الناس لمواجهة المنكر، ﴿لَنُحْرِقَنَّهُ﴾.

(١) وهذا ما قام به رسول الله ﷺ، إذ أمر بإحراق مسجد ضرار ومن ثم أمر بهدمه وجعل مكانه مزبلة يرمي الناس فيه أوساخهم. (تفسير الأمل).



١٢ - الغيرة الدينية والحزم في مواجهة الانحراف من خصائص القيادة ولوازمها، ﴿لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ﴾. (إحراق العجل الذهبي ورميه في البحر كان تصميماً قطعياً من النبي موسى ﷺ).

١٣ - كان لا بد من أن يظهر أن ما يدمر لا يستحق العبادة، ﴿لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ﴾.

١٤ - كلما محوتم الباطل اذكروا الحق مكانه، ﴿إِن كُنَّا إِلَهُكُمْ اللَّهُ﴾.

١٥ - الإله الذي يستحق العبادة هو الإله الذي أحاط علماً بكل شيء، ﴿وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾.

﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا﴾ (٩٩)

### إشارات:

□ ذكر قصص الأنبياء وتاريخهم يشتمل على بركات كثيرة منها:

- أ - زيادة العلم والمعرفة.
- ب - اكتساب البصيرة وفتح طريق السعادة.
- ج - تحذير الناس وتذكيرهم.
- د - تبشير المؤمنين وتسلية قلوبهم.

### التعاليم:

- ١ - الإخبار عما جرى في التاريخ من أساليب القرآن التربوية، ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ﴾.
- ٢ - قصص القرآن أحسن القصص وأصدقها؛ لأن القاص لها هو الله تعالى، والمخاطب بها هو النبي ﷺ، وأحداثها حقيقة قطعاً، ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾.
- ٣ - عند بيان ما جرى في التاريخ تحرزوا عن ذكر بعض الجزئيات والوقائع التي لا يؤثر معرفتها أو عدم معرفتها في تحقيق الهدف من عرضها، ﴿مِنْ أَنْبَاءِ﴾.

- ٤ - لا يستحق كل تاريخ أن يعرض ويبين، بل إن الأخبار الهامة هي التي تستحق النقل والسرد، ﴿أَنْبَاءً﴾<sup>(١)</sup>.
- ٥ - التاريخ وسيلة للتذكر وليس للتسلية، ﴿أَنْبَاءً مَا قَدْ سَبَقَ... ذِكْرًا﴾.
- ٦ - القرآن ذكرى ومذكر هام («ذكرًا» مع التنوين تشير إلى العظمة).
- ٧ - منبع التاريخ والقصص القرآنية هو الوحي الإلهي وليس قول هذا أو ذاك، ﴿لَدُنَّا﴾.

﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا﴾ <sup>(١٠٠)</sup> خَلِيلَيْنِ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ حِمْلًا <sup>(١٠١)</sup>  
يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا <sup>(١٠٢)</sup> يَخْلَفُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثُمْ إِلَّا عَشْرًا <sup>(١٠٣)</sup> ﴿

#### إشارات:

- «الحمل» بكسر الحاء وفتحها واحد إلا أن «الحمل» بالكسر هو المحمول في الظاهر، و«الحمل» بالفتح هو المحمول في الباطن كالولد المحمول في البطن.
- «الزرق» جمع أزرق وهو لون يتحصل باختلاط الأسود بالأبيض كاللون الرمادي. وربما يكون كناية عن العمى أو الخوف أو تغير لونها.
- «الصور» إما بمعنى القرن (البوق) وإما جمع صورة والمراد حينئذ النفخ في صور الموتى فيحيون جميعاً.
- أشار القرآن الكريم إلى وجود نفختين: في النفخة الأولى يموت كل الموجودات، إلا من شاء الله، وفي النفخة الثانية: يحيا الناس للحساب ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، وبناء عليه، فإن المراد من قوله: ﴿يُنْفَخُ فِي

(١) «أنباء» جمع «نبا» أي الخبر الهام والمفيد.

(٢) سورة الزمر: الآية ٦٨.

الصُّورُ ﴿ في هذه الآية، وبقرينة قوله: ﴿وَتَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ﴾ فالمراد هو النفخة الثانية ليوم القيامة.

### التعاليم:

- ١ - الناس أحرار في اختيار الطريق فإما أن يختاروا طريق الحق وإما أن يعرضوا عنه، ﴿أَعْرَضَ﴾.
- ٢ - عاقبة الإعراض عن ذكر الله لا تنحصر بمعيشة تعيسة في الحياة الدنيا: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾<sup>(١)</sup>، بل إنه له سوء العاقبة في الآخرة أيضاً: ﴿مَنْ أَعْرَضَ... يَحْمِلْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا﴾.
- ٣ - مقدار خطر الحمل والوزر وثقلهما في يوم القيامة غير معروفة لأحد ما. («وزراً» وردت بصيغة النكرة).
- ٤ - في يوم القيامة يحشر المجرم أعمى وبوجه أسود، أو أنه لشدة الخوف، والتعب، والوحشة، والقلق يتنلى بزرقة العين، ﴿زُرْقًا﴾.
- ٥ - مدة زمان الدنيا والبرزخ بالنسبة إلى الآخرة قليلة جداً وكأنها أيام عدة فقط، ﴿إِنْ لَيْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾.

﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَيْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾

### إشارات:

□ عظمة يوم القيامة كبيرة إلى حد أن الإنسان عندما يحضر فيها يحسب أن عمره في الدنيا كان يوماً أو نصف يوم وعلى أكثر تقدير عشرة أيام، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك على لسان بعض الناس أو الجماعات المختلفة ضمن البيان التالي:

- أ - عشرة أيام، ﴿إِنْ لَيْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾.

ب - يوم واحد، ﴿إِنْ لَيْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾.

ج - بعض اليوم، ﴿لَوْ يَلْبِثُوا إِلَّا عِثَّةً أَوْ حُكْمًا﴾<sup>(١)</sup>، ﴿لَيْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

د - لحظات قصيرة، ﴿مَا لَبِثُوا عَيْرَ سَاعَةٍ﴾<sup>(٣)</sup>.

هـ - زمان قليل جداً، ﴿إِنْ لَيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾<sup>(٤)</sup>.

ويظهر لنا أن اختلاف الآراء حول العمر في الدنيا يرجع إلى مقدار بصيرة الأفراد ودركهم؛ إذ إنه في هذه الآية يعبر القرآن عن بعض الناس بأنه «أمثلهم طريقة» وذكر أنه لبث في الدنيا يوماً واحداً، وأما في الآية السابقة فإن المذنبين قالوا إنهم لبثوا فيها عشرة أيام.

#### التعاليم:

١ - ليس كل المجرمين في يوم القيامة بمستوى واحد، ﴿أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً﴾.

٢ - من كان أعقل من غيره يرى الدنيا أصغر في عينه، ﴿يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَيْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾.

﴿وَسُئَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ۖ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۚ ۝١٠٦ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ۚ ۝١٠٧﴾

#### إشارات:

□ «النسف» أي القلع، والتذرية، والتدمير. «القاع»: الأرض المستوية. «الصفصف» تعني الأرض المستوية كأنها على صف واحد في استوائها. وقوله «عوجاً» و«أمتاً» بمعنى المنخفض والمرتفع.

(٣) سورة الروم: الآية ٥٥.

(٤) سورة المؤمنون: الآية ١١٤.

(١) سورة النازعات: الآية ٤.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٥٩.

## التعاليم:

١ - للناس تساؤلات عن يوم القيامة ولا بد للنبي من أن يجيب عنها، ﴿يَسْأَلُونَكَ... فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي﴾.

٢ - النظام الحاكم على الطبيعة لا دوام له، ﴿يَنْسِفُهَا رَبِّي﴾.

٣ - نسف الجبال ومجيء يوم القيامة من مظاهر الربوبية الإلهية، ﴿يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾.

﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾

## التعاليم:

١ - من أعرض في هذه الدنيا عن الدعاة الإلهيين فلا مناص له يوم القيامة من الاتباع والطاعة، ﴿يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ﴾.

٢ - القيامة يوم تجلي رحمانية الله تعالى وظهورها، ورحمانيته أمل وملجأ كل الناس، ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ﴾.

﴿يَوْمَئِذٍ لَا نَنْفَعُ الشَّفَعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾

## إشارات:

□ إنكار الشفاعة مخالف للقرآن والروايات وباعث على يأس المؤمنين المذنبين، وإن القبول بمبدأ الشفاعة دون قيد أو شرط يبعث على جرأة المذنبين والمخالفين ويخالف مبدأ العدالة الإلهية؛ لذا فإن القرآن الكريم تكلم عن الشفاعة واضعاً لها قيوداً ومقررات وشروط.

بحسب القرآن الشفاعة نافذة أمل للمذنبين ووسيلة ارتباط تربطهم بأولياء

الله.

كذلك فإن الشفاعة بإذن الله تعالى والمشفعون هم أولئك الذين كانوا يدورون في مدار التوحيد، ولهم منطق صحيح، واعتقادات حقة، ورضي لهم الرحمن قولاً، أي أن تشهدهم بالشهادتين لم يكن موضعياً، ولا موسمياً، ولا بالإكراه،

ولم يكن سطحياً، وعلى أساس الاستهزاء والنفاق، وبناء عليه إذا كان لهؤلاء نقص في أعمالهم فإنهم سيحظون بنوع من العناية الخاصة بهم من خلال الشفاعة. وعلى هذا الأساس أيضاً فإن القرآن الكريم اعتبر أن شفاعة الأصنام لعبادها باطلة لا أساس لها، وأن الشفاعة بمعنى تضحية عيسى ﷺ لأجل تطهير ذنوب أتباعه، أو شهادة الإمام الحسين ﷺ لأجل الشفاعة عن الشيعة لا يمكن القبول بها، وبالرغم من أن الإمام الحسين ﷺ من أكبر الشفعاء في يوم القيامة؛ لكن لا بد من أن يُعلم أن الهدف من استشهادهم لم يكن الشفاعة لأتباعه.

□ قال الإمام الباقر ﷺ لرجل سأل عن قول الله ﷻ ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ قال: لا ينال شفاعة محمد ﷺ يوم القيامة إلا من أذن له بطاعة آل محمد، ورضي له قولاً وعملاً فيهم، فحبي على مودتهم ومات عليها فرضي الله قوله وعمله فيهم<sup>(١)</sup>.

### التعاليم:

١ - الشفاعة مقام عظيم لا يناله إلا أناس مخصوصون، ﴿مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾.

٢ - الشفاعة ليست تصرفاً في إرادة الله تعالى وليست مخالفة للحكمة، والعدالة، والحساب، والسنن الإلهية، بل إنها طبقاً لإرادة الله ومشئته، ﴿أَذِنَ﴾.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ﴾ عِلْمًا ﴿وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾

### إشارات:

□ كلمة «العنت» مأخوذة من «العنوة» وهي الذلة في مقابل قهر القاهر وسلطته.

و«القيوم» صفة تطلق على من كان قائماً بذاته وحافظاً لكل شيء والمقوم لكل من عداه. وكلمة «خاب» مأخوذة من «الخيبة» بمعنى فقدان المطلوب.

### التعاليم:

- ١ - في يوم القيامة المحاسبة دقيقة جداً؛ لأن المحاسب يعلم كل شيء ولا مجال حينئذٍ لسوء الاستفادة من الشفاعة، ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ...﴾.
- ٢ - الإحاطة العلمية لله تعالى بالنسبة إلى أعمال الناس المتقدمة والمتأخرة على حد سواء، ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾.
- ٣ - لا يمكن للمحدود أبداً أن يحيط بما لا نهاية له، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ﴾؛ لا بذاته، ولا بصفاته، ولا بمخلوقاته، ولا بقدرته، ولا بأعماله وأفعاله.
- ٤ - الحالات الروحية للإنسان تظهر قبل كل شيء على وجهه ومحياءه، ﴿وَعَنَتِ الرُّجُوءُ﴾.
- ٥ - عاقبة الظلم الحرمان من رحمة الله تعالى، ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾.
- ٦ - كثير من الظلم قد يجبر ويمحى في هذه الدنيا من خلال التوبة والاعتذار إلى الناس؛ ولكن الخائب كل الخيبة من يحمل معه ظلمه إلى يوم القيامة، ﴿خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾.

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾

### إشارات:

□ «الهضم» بمعنى النقص، ويقال لجذب الغذاء إلى البدن «هضم» فلأن الغذاء يقل ظاهراً وتبقى فضلاته<sup>(١)</sup>.

□ يتحصل في أيدينا من القرآن والروايات أن أعمال الإنسان وحالاته النفسية لهما

تأثير متبادل؛ لذا فإنه كلما صدر عمل حسن من شخص منافق أو مشرك مراني أو... يمتلك روحية فاسدة فإنه لن يقبل منه، وكذلك الحال فيما لو أن كافراً ما قام بعمل هام وجيد كالاختراع والاكتشاف النافع للناس، إذ إنه مع إدراكه للحق بقي مصرأً على الكفر لذا فإن عمله الحسن لا يقبل منه أيضاً، وحال هؤلاء كمن يهرق شراباً حلواً ولذيذاً في إناء وسخ فإنه بالطبع لن يقبل حينئذ.

□ «وردت الإشارة في الآيات العشرة الأخيرة إلى سلسلة من الحوادث التي تقع عند حلول القيامة وبعدها:

- أ - رجوع الأموات إلى الحياة، ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾.
- ب - جمع المجرمين وحشرهم، ﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ﴾.
- ج - تلاشي جبال الأرض، ﴿يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾.
- د - استماع الجميع لدعوة داعي الله وانقطاع جميع الأصوات، ﴿يَوْمَئِذٍ يَلْمَعُونَ الدَّاعِيَ﴾.
- هـ - عدم تأثير الشفاعة في ذلك اليوم من دون إذن الله، ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ﴾.
- و - إعداد الله تعالى جميع خلقه للحساب بعلمه المطلق غير المتناهي، ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ...﴾.
- ز - خضوع الجميع في مقابل حكمه، ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾.
- ح - يأس الظالمين، ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾.
- ط - رجاء المؤمنين لطف الله ورحمته، ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾<sup>(١)</sup>.

### التعاليم:

- ١ - مع أنه لا يمكن القيام بكل الأعمال الصالحة، إلا أنه لا بد من أن نعمل من



- الصالحات قدر استطاعتنا وجهدنا<sup>(١)</sup>، ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ الْفَاحِشَاتِ﴾.
- ٢ - لا يثاب الإنسان على أعماله الكبيرة فحسب، بل إنه يثاب حتى على مقدار ذرة من العمل الصالح، ﴿مِنْ الْفَاحِشَاتِ﴾.
- ٣ - الإيمان بالله شرط لقبول العمل الصالح، ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾.
- ٤ - الإيمان لا ينفك عن العمل بل هو مصاحب له؛ إذ إن الإيمان بلا عمل كالشجر بلا ثمر والعمل بلا إيمان كالشجر بلا جذر، ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾.
- ٥ - السكينة والطمأنينة الروحانيان للمؤمنين في يوم القيامة نتاج أعمالهم الصالحة، ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ الْفَاحِشَاتِ... فَلَا يَخَافُ ظُلُمًا﴾.
- ٦ - في يوم القيامة لا يزول أصل العمل وثوابه لئلا يظلم الإنسان، ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلُمًا﴾، بل ولا ينقص أي شيء من ثوابه، ﴿وَلَا هَضْمًا﴾.
- ٧ - مع أن الثواب تفضل من الله تعالى وليس استحقاقاً للإنسان؛ إلا أن الله تعالى لا يُقْصِرُ في إعطاء الثواب لأحد ما؛ بل ولا ينقص من ثوابه، ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلُمًا وَلَا هَضْمًا﴾.

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ۖ﴾

#### إشارات:

- «كذلك أنزلناه» أي أننا على ذلك النحو من بيان مشاهد يوم القيامة (في الآيات السابقة) والثواب والعقاب أنزلنا القرآن مذكراً للناس.
- كلمة «عرب» من حيث اللغة تدلّ على الوضع. الواضح ويحتمل أن يكون المعنى المنسوب إلى اللغة العربية.
- وكلمة «صرفنا» بمعنى البيانات المتعددة حول واقعة واحدة؛ أحياناً بالإشارة وأحياناً بالاستدلال، وأحياناً أخرى بالمثل والتمثيل، وأحياناً عبر نقل ما جرى في التاريخ.

(١) وكما يقال: «ما لا يدرك كله لا يترك جله» (المترجم).

## التعاليم:

- ١ - قداسة قانون الوحي، ﴿أَنزَلْنَاهُ﴾؛ ووضوح مقاصده، ﴿عَرَبِيًّا﴾؛ وتعدد البيانات فيه وتنوعها، ﴿وَصَرَّفْنَا﴾، وإنذاره، ﴿مِنَ الْوَعِيدِ﴾؛ كل ذلك يمهد للتقوى، والتقيد، والتذكر، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحِثُّ لَهُمْ ذِكْرًا﴾.
- ٢ - كل الناس بحاجة إلى الوحي إلا أنه لبعضهم من باب الإنذار وللبعض آخر من باب التذكير، ﴿يَتَّقُونَ... ذِكْرًا﴾.
- ٣ - الإنذار لا يبقى بلا أثر فإما أن يؤثر تأثيراً عميقاً، ﴿يَتَّقُونَ﴾؛ وإما أنه بالحد الأقل مذكر، ﴿ذِكْرًا﴾؛ وإما أنه منتج، ﴿يَتَّقُونَ﴾؛ وإما أنه متمم للحجة، ﴿ذِكْرًا﴾.

﴿فَتَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾

## إشارات:

- يستفاد من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ﴾<sup>(١)</sup> أن النبي الأكرم ﷺ كان يعلم بمجموع آيات القرآن كلها وأنه كان يعجل بقراءة ما لم ينزل بعد، «وهذه الآية تؤيد ما ورد في الروايات من أن للقرآن نزولاً دفعة واحدة غير نزوله نجوماً على النبي ﷺ، فلولا علم ما منه بالقرآن قبل ذلك (الإنزال الدفعي على النبي ﷺ في ليلة القدر) لم يكن لعجلته بقراءة ما لم ينزل من بعد معنى»<sup>(٢)</sup>.
- يوجد اختلاف وتفاوت أساس وكبير بين التسرع والعجلة من جهة، وبين السرعة والسبق - اللذان وردا في القرآن بقوله: ﴿وَسَارِعَا﴾<sup>(٣)</sup>، واللذان ورد مدحهما فيه وأمر بهما - من جهة أخرى، إذ إن حسن السرعة والسبق إنما هو

(١) ورد نظير هذه الآية في سورة القيامة: الآية ١٨، إذ قال تعالى: ﴿لَا تُخْرِكَ يَوْمَ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾.

(٢) تفسير الميزان. (٣) سورة آل عمران: الآية ١٣٣.

(٤) سورة الحديد: الآية ٢١.

في المسائل التي لم تُحسب وتنظَّم؛ لذا لا ينبغي إضاعة الوقت والفرصة في تحصيلها، وأما العجلة والتسرع فإنما يكونان في موضع لم يحن موعده وإما أنه بحاجة إلى إكمال وتمحيص أكثر؛ لذا ينبغي التمهّل فيه وعدم التسرع.

□ أحياناً قد تكون العجلة لدواعٍ سلبية كقلة الصبر أو الغرور وحب إثبات الحضور أمام الآخرين، وحتماً فإن هذه الصفات مذمومة وتنتزه الذات النبوية المقدّسة عنها؛ ولكن أحياناً أخرى قد تكون لشدة العشق والشوق لتحصيل المعارف والتعلّق الحار والملتهب بحفظ الشيء، وفي هذه الحال فإن العجلة تعدّ أمراً حسناً، ومن هذا الباب كان استعجال النبي ﷺ في أمر الوحي أي التلقّي العشقي للوحي والهيجان والقلق من أجل حفظه والمحافظة عليه.

□ إن الله تعالى وضع النبي موسى ﷺ عند النبي الخضر ﷺ من أجل التعلم، ولذا فإن موسى ﷺ استجاز الخضر في ذلك قائلاً له: ﴿هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا؟﴾<sup>(١)</sup>، وأما النبي الأعظم محمد ﷺ فقد تولّت الذات المقدّسة الإلهيّة تعليمه وتربيته إذ يقول الله تعالى له: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾.

□ المعلم الأول هو الله تعالى العلام والعليم ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ﴾<sup>(٢)</sup> ﴿الْرَحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾<sup>(٣)</sup>؛ لذا ينبغي لنا أن نطلب العلم منه تعالى، ﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾.

□ ورد في الحديث الشريف أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أتى عليّ يوم لا ازداد فيه علماً يقربني إلى الله، فلا بارك الله لي في طلوع شمسهِ»<sup>(٤)</sup>.

### التعاليم:

١ - لم يخلق الله الخلق عبثاً، ولم يترك الإنسان هملاً؛ لأن العبيّة واللاهذية ليستا من شأن الله تعالى، ﴿فَتَعَلَى اللَّهِ﴾.

(٣) سورة الرحمن: الآيات ١ - ٣.

(٤) تفسير نور الثقلين.

(١) سورة الكهف: الآية ٦٦.

(٢) سورة البقرة: الآية ٣١.

٢ - يجب أن ننظر إلى الذات الإلهية المقدسة على أنها متعالية عن كل فكر وعلم مهما علا. وأن أفعاله تعالى طاهرة منزهة على كل أمر باطل وعبثي، ﴿فَنَعْلَى اللَّهِ﴾.

٣ - الحكومة الحكيمة والحقيقية والمطلقة والتي لا مثيل لها إنما هي لله تعالى، ﴿أَلَمْ يَكُ الْحَقُّ﴾.

٤ - كان نبي الإسلام محمد ﷺ عاشقاً متلهفاً لسماع الوحي وتلقيه، ﴿وَلَا تَعَجَّلْ بِالْقُرْآنِ﴾.

٥ - تعلم أي شيء له آداب تناسبه، ﴿وَلَا تَعَجَّلْ بِالْقُرْآنِ﴾.

٦ - النهي والعقاب الواردان في القرآن الكريم بحق النبي ﷺ يشيران إلى صدق النبي ﷺ، وإلا فلن يضع أي إنسان نفسه في مورد النهي والعقاب، ﴿وَلَا تَعَجَّلْ بِالْقُرْآنِ﴾.

٧ - عند تبیان القوانين الإلهية لا بد من الالتفات إلى ظروف الزمان، ﴿وَلَا تَعَجَّلْ... قَبْلَ أَنْ يُقْضَى﴾.

٨ - لنطلب العلم من العالم الحقيقي، ﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾.

٩ - لا نهاية للعلم والمعرفة؛ لذا فإن ما يقال من أن فلاناً قد تخرج أو أنه أكمل علمه لا معنى له، ﴿زِدْنِي عِلْماً﴾.

١٠ - العلم الحقيقي هو القرآن المجيد، ﴿وَلَا تَعَجَّلْ بِالْقُرْآنِ... وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾.

١١ - إذا نهينا أحداً عن أمر لا بد لنا في المقابل من أن ندله على الطريق الصحيح، ﴿وَلَا تَعَجَّلْ... وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾.

١٢ - طلب الكمال والزيادة فيه، قيم، ﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾.

١٣ - العلم وسيلة للرشد والكمال، ﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾.

- ١٤ - العلم القيم والمعتبر هو ذلك العلم الذي يصاحب تعلمه ازدياد مستوى الإنسان ورشده، ﴿رَزَقْنِي عِلْمًا﴾ ولم يقل: «زد علمي».
- ١٥ - مع أنه بإمكان الله أن يُلطف بعبده دون دعاء إلا أنه تعالى يطلب من نبيه أن يدعوه، ﴿وَقُلْ رَبِّ رَزَقْنِي عِلْمًا﴾.
- ١٦ - علينا استخدام كلمة «رب» في الدعاء والتوجه إلى ربوبية الله تعالى، ﴿رَبِّ رَزَقْنِي عِلْمًا﴾.
- ١٧ - باستثناء الله تعالى فإن علم كل موجود حتى النبي ﷺ محدود، ﴿رَبِّ رَزَقْنِي عِلْمًا﴾.

## إشارات:

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ (١١٥) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾

## إشارات:

- للمرة السادسة منذ بداية القرآن وحتى الآن نواجه قصة آدم وإبليس فقد أشير إلى ذلك من قبل في سور: البقرة، الأعراف، الحجر، الإسراء، والكهف<sup>(١)</sup>.
- المراد من العهد هو ذاك الأمر بعدم الأكل من الشجرة، والمراد من النسيان عدم دقة آدم في القيام بالأمر، وإلا فإن النسيان المطلق لا يقع مورداً للعقاب والانتقاد.

والمراد من «العزم» هو الإرادة المحكمة القوية في مقابل وساوس إبليس.

- عن الإمام الكاظم عليه السلام قال: «لما رأى رسول الله ﷺ تيمناً وعدباً وبني أمية يركبون منبره أفضعه؛ فأنزل الله تبارك وتعالى قرآناً يتأسى به ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ

أَسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى، ثم أوحى إليه: يا محمد إني أمرت فلم أطيع فلا تجزع أنت إذا أمرت فلم تطع في وحيك<sup>(١)</sup>.

### التعاليم:

- ١ - إن الله تعالى لم يترك البشر وحدهم، ﴿عَهْدًا لَكَ آدَمَ﴾.
  - ٢ - الإنسان موجود يتعرض بشكل طبيعي لخطر الإفراط أو التفريط إلا إذا شاء الله أن يحفظه، ﴿وَلَا تَعْجَلْ... فَنُنَيِّ﴾.
  - ٣ - لا بد من العزم على الإتيان بالتكاليف الإلهية، ﴿وَلَمْ يَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾.
  - ٤ - من أهم أسباب انحراف الإنسان غفلته عن مقام التكريم ومقام الإنسانية هذا أولاً، وثانياً غفلته عن عدوه الباطني والخارجي والذي نبه القرآن منه مراراً وتكراراً، ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾.
  - ٥ - سجود الملائكة لآدم كان بأمر من الله تكريماً لمقامه الرفيع ودلالة على تفضيله عليهم ولولا هذا لما قال إبليس: «أنا خير منه»، ﴿أَسْجُدُوا لِآدَمَ﴾.
  - ٦ - لم يتأخر الملائكة لحظة واحدة في تطبيق الأمر الإلهي، ﴿فَسَجَدُوا﴾.
- ﴿فَقُلْنَا يَتَّادِمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى ﴿١١٩﴾﴾

### إشارات:

- على الرغم من تعريف الشيطان ها هنا بأنه عدو لآدم وحواء فقط، إلا أنه في مواضع أخرى عرف بأنه عدو لكل الناس، ﴿عَدُوًّا لَكُمْ﴾<sup>(٢)</sup>.
- المراد من قوله «فتشقى» في هذا المقام هو مشقة الحياة المادية كما يستفاد من الآيات اللاحقة لها، إذ ورد فيها: لا يوجد في الجنة جوع ولا عري ولا عطش... يعني: إذا أخرجت من الجنة فسوف تبلى بالمشقة خارجها.

## التعاليم:

- ١ - من أكبر الطاف الله بعباده تعريفهم بخطر الشيطان، ﴿هَذَا عَدُوٌّ﴾.
  - ٢ - الحرب والعداوة بين الحق والباطل وُجدا منذ ابتداء خلقه الإنسان، ﴿هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ﴾.
  - ٣ - الرجل والمرأة كلاهما معرضان لسهام دعاية العدو ووساوس الشيطان، ﴿عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ﴾.
  - ٤ - السنة الإلهية قائمة على إتمام الحجة على العباد، ﴿هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ﴾.
  - ٥ - الحياة في الدنيا مصاحبة للمشقة فيها، ﴿فَتَشَقِّقْ﴾.
  - ٦ - الحاجات الأولية للإنسان تقوم في أربعة أمور:
- الجوع والعطش وهما مشقتان باطنيتان، والعري وعدم المسكن وهما مشقتان خارجيتان، وقد أشير في الآيات السابقة إلى هذه الموارد الأربعة كلها، ﴿أَلَّا تَجُوعَ، وَلَا تَعْرَى، لَا تَظْمَأُ، وَلَا تَضْحَى﴾.

﴿فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَّادُمُ هَلْ أَذُكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٌ لَّا يَبْلَى ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴿١٢١﴾﴾

## إشارات:

- الشيطان هو الاسم الآخر لإبليس ﴿سَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ... فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ﴾.
- وسوسة الشيطان لآدم كانت قبل وصوله إلى مقام النبوة<sup>(١)</sup>.
- قال السيّد ابن طاووس في بيان لطيف: إن الشيطان ابتداء توجه نحو آدم بحجة الإرشاد والدلالة فقال له: ﴿هَلْ أَذُكَ﴾، ومن ثم قام بالتدلية والوسوسة له ولزوجه: ﴿فَدَلَّيْنَاهُمَا بِغُرُورٍ﴾<sup>(٢)</sup>، لذا فالويل لنا ولحالتنا إذ إن الشيطان يقصدنا

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي.

(٢) سورة الأعراف: الآية ٢٢.

ابتداء لإغوائنا وخداعتنا، ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

□ كلمة «غوى» من «الغي» في مقابل الرشد (والرشد هو أن يسلك الإنسان طريقاً يوصله إلى المقصد)، وأما الغي فهو عدم الوصول إلى المقصد.

عبر الله تعالى عن آدم ﷺ بقوله «فغوى» وأما عن رسول الله ﷺ فقد عبر عنه بقوله: ﴿مَا سَلَ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾<sup>(٢)</sup>.

□ وسوسة الشيطان لا تسلب الإنسان حرية الاختيار؛ ولذا فإنه بعد الوسوسة من الشيطان يلوم الإنسان نفسه ويلومه الآخرون أيضاً، وأما لو كانت الوسوسة سالبة لاختيار الإنسان فلن يقع حيثلذ مordاً للانتقاد من أحد ما.

### معصية النبي آدم ﷺ

بالنسبة إلى قوله تعالى: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ فقد ذكرت فيه احتمالات عدة منها:

أ - إن آدم ﷺ لم يذنب ولم يرتكب المعصية؛ بل إنه ارتكب ترك الأولى، وبالتالي فإن قوله «فغوى» أي لم يرشد بل ضل.

ب - إن نهى آدم عن الشجرة الممنوعة كان نهياً إرشادياً وليس نهياً مولوياً<sup>(٣)</sup>.

### التعاليم:

١ - الطريق لنفوذ الشيطان هو الميول الإنسانية، ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ﴾؛ (إن الشيطان كان مطلعاً على حاجات الإنسان وميوله ولذا فإنه استغفل آدم من باب ميله إلى الخلود. نعم إن طول الأمل يجر الإنسان إلى المعصية).

٢ - يستفيد الشياطين من أسماء براقة وعناوين جذابة وجميلة من أجل إضلال الناس وتحقيق مقاصدهم المشؤومة، ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ﴾.

٣ - الكذب آلة الشيطان لخداع بني الإنسان، ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ﴾.

(٣) تفسير الميزان.

(١) سورة ص: الآية ٨٢.

(٢) سورة النجم: الآية ٢.



- ٤ - إذا صدر أي زلل من أولياء الله فإنهم ينتبهون فوراً، ﴿فَبَدَّتْ﴾.
- ٥ - ظهور السوءة كان أول أثر لمعصية آدم عليه السلام، ﴿فَبَدَّتْ لَهَا﴾.
- ٦ - الستر للإنسان كرامة وجمال وأما العري فردالة وقبح، ﴿سَوَاءَهُمَا﴾.
- ٧ - اللقمة الحرام سبب لذهاب الحياء وظهور القبايح، ﴿فَأَكَلَا... فَبَدَّتْ لَهَا سَوَاءَهُمَا﴾.
- ٨ - الستر وستر العورة بالخصوص، موجودان في فطرة كل إنسان، ﴿وَمَلَفَقَا يَخْصِفَانِ﴾.
- ٩ - مخالفة أمر الله مخالفة لرشد الإنسان نفسه وتربيته، ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ﴾.
- ١٠ - آثار الذنوب ليس على حد سواء لكل من ارتكبها، ﴿فَأَكَلَا... وَعَصَىٰ آدَمُ﴾ (على الرغم من أن كلاً من آدم وحواء قد خالفا أمر الله وأكلا من الشجرة الممنوعة إلا أن المعصية نسبت إلى آدم فقط).
- ١١ - المعصية سبب لحرمان الإنسان، ﴿وَعَصَىٰ... فَتَوَىٰ﴾.
- ﴿ثُمَّ أَجْبَنَهُ رَبُّهُ فَأَبَىٰ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ۖ قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ (١٢٢)

## إشارات:

- «الاجتناء» من «الجباية» بمعنى الجمع والاختيار والاصطفاء.
- «تاب» إذا وردت مع «إلى» فالمراد منها توبة الإنسان كما في قولك «تبت إليك»، ولكن إذا وردت مع «على» فالمراد منها توبة الله كما هو الحال في الآية السالفة، والمعنى حيثئذ أن الله رجع بلطفه على عبده.
- ذكرت أقوال عدة في المخاطب بقوله تعالى: «اهبطا» ف قيل إنه آدم وحواء، أو الإنسان والشیطان أو آدم وذريته.
- روي في حديث عن النبي الأكرم ﷺ أنه قال: «...لو جُمع بكاء أهل الدنيا وبكاء داود وبكاء نوح عليه السلام إلى بكاء آدم على خطيئته لكان بكاء آدم أكثر»<sup>(١)</sup>.

### التعاليم:

- ١ - عند اختياركم للأفراد انظروا إلى طينتهم الطاهرة ولا تجعلوا صدور زلة أو زلتين من بعضهم ملاكاً لردهم وعدم اختيارهم، ﴿ثُمَّ اجْبَنَّهُ رَبُّهُ فَوَاقَ عَلَيْهِ﴾.
- ٢ - للزمان دور في الاختيار، ﴿ثُمَّ اجْبَنَّهُ﴾ («ثم» فيها إشارة إلى مضي زمان ما).
- ٣ - قبول التوبة من شؤون الربوبية الإلهية، ﴿ثُمَّ اجْبَنَّهُ رَبُّهُ فَوَاقَ عَلَيْهِ﴾.
- ٤ - بدل أن نقوم بطرد القوى المخالفة، علينا أن نقوم باستقطابهم وهدايتهم من خلال العفو عنهم، ﴿فَوَاقَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾.
- ٥ - التوبة تمهد للهداية، ﴿فَوَاقَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾.
- ٦ - بإمكان ذنب واحد فقط أن يهبط جيلاً بلا ذرية بأكملها، ﴿أَهْطَا مِنْهَا جَمِيعًا﴾.
- ٧ - هبوط البشر سبب لظهور العداوة في ما بينهم، ﴿أَهْطَا... بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾.
- ٨ - أول بشارة لآدم ورود الإرشادات الإلهية والتي إذا اتبعت فإنها ستفتح طريق السعادة والعودة إلى الجنة، ﴿أَهْطَا... فَمَنِ اتَّبَعَ...﴾.
- ٩ - إرسال الأنبياء ﷺ والهداية الإلهية قطعياً، ﴿يَأْتِيَنَّكُمْ﴾ فيها نون التأكيد.
- ١٠ - في مجال الإدارة والتربية، لو اضطررنا، بناء على بعض المصالح، إلى إصدار مذكرة بعقاب شخص ما فلا بد لنا كذلك من أن نعود ونهيب له وسيلة لرشده وإصلاحه مجدداً، ﴿أَهْطَا... يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى...﴾.
- ١١ - لا يمكن لأحد سوى الله أن يكون هادياً ومرشداً للإنسان، ﴿يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾.
- ١٢ - من المقطوع به في عالم الماديات بروز التضاد والتزاحم في ما بينها، ولكن المهم في هذا المجال هو أن لا يضيع الإنسان الخط الإلهي، ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ... فَمَنِ اتَّبَعَ هُدًى...﴾.
- ١٣ - الناس أحرار في اختيارهم، ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ﴾.
- ١٤ - سعادة الإنسان ونجاته تكمنان في ظل اتباعه لأوامر الله تعالى، ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدًى فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشَقُّ﴾.

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾  
 قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾

### إشارات:

□ الآية السابقة كانت مبشرة لأتباع الحق؛ ولكن هذه الآية تحذر وتنذر كل من أعرض عن الحق، والغرض من ذلك وضع الرجاء إلى جانب الخوف، ليكونا مؤثرين.

□ ورد في الروايات أن ترك خط الولاية لأهل البيت عليهم السلام وكذلك ترك فريضة الحج يعد من مصاديق الإعراض عن ذكر الله<sup>(١)</sup>.

□ «قد يكون ضيق العيش ناتجاً أحياناً عن قلة المورد وقد يكون المرء كثير المال موفور الثراء؛ إلا أن البخل والحرص والطمع يضيق عليه معاشه...»<sup>(٢)</sup>.

□ سؤال: كيف يمكن الجمع بين القول بكون المجرمين عمياً وبين قوله تعالى في الآية: ﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ﴾<sup>(٣)</sup> والتي يحتاج فيها إلى العين لقراءة صحيفة الأعمال؟  
 الجواب: إن ذلك باعتبار أن للقيامة مواقف ومراحل عدّة، فمن الممكن أن يكون المجرم أعمى في موقف منها وبصيراً في موقف آخر.

□ ذكر في العديد من الروايات أن المراد من العمى في يوم القيامة هو عدم رؤية طريق الحق وطريق الخير<sup>(٤)</sup>.

□ عن الإمام السجاد عليه السلام أنه قال بعد تلاوته للآية: ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾: «والله إن القبر لروضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار»<sup>(٥)</sup>، وبناء على هذه الرواية فإن نطاق المعيشة الضنكى يمتد إلى البرزخ أيضاً.

### التعاليم:

١ - الناس أحرار في الاختيار، ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ﴾.

(١) من لا يحضره الفقيه، ج ٢، ص ٤٤٧.

(١) تفسير نور الثقلين.

(٥) بحار الأنوار، ج ٧، ص ١٠٥.

(٢) تفسير الأمثل.

(٣) سورة الإسراء: الآية ١٤.

- ٢ - الإنسان مفطور على عبادة الله، غاية الأمر أن الأنبياء والأديان السماوية يذكران الإنسان فقط بذلك، ﴿عَنْ ذِكْرِي﴾<sup>(١)</sup>.
- ٣ - الإعراض عن ذكر الله يسبب الاضطراب والقلق والحيرة والحسرة حتى ولو كان الإنسان موفور الثراء، ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ﴾.
- ٤ - الحياة الساكنة والجميلة لا تكون إلا في ظل ذكر الله، ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي﴾.
- ٥ - الأمور المعنوية لها دور هام في الحياة المادية أيضاً، ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾.
- ٥ - من أغمض روحه في هذه الدنيا عن الحقائق فإنه سيحشر يوم القيامة أعمى، ﴿مَنْ أَعْرَضَ... يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾.
- ٧ - عدم الإيمان بالله يوجب المشقة في الحياة الدنيا وكذلك الحرمان من رؤية النعم في الآخرة، ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ... مَعِيشَةً ضَنْكًا... يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾.
- ﴿قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ إِبْنَتُنَا فَلَنْ نَكُفَّكَ الْبُيُوتَ وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ لُنَسِي﴾<sup>(٢)</sup> ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِثَابِتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾<sup>(٣)</sup>

## إشارات:

□ من أبرز مصاديق ذكر الله إقامة الصلاة، يقول الله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾<sup>(٢)</sup>، ومن البديهي أن من يذكر الله فإن الله سيذكره أيضاً، وهذا وعد إلهي: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾<sup>(٣)</sup>، وفي مقابل ذلك من المحتوم أن من نسي الله فإن الله أيضاً سيرض عنه: ﴿وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ لُنَسِي﴾.

□ عن رسول الله ﷺ: «ومن قرأ القرآن ولم يعمل به حشره الله يوم القيامة أعمى فيقول يا رب: ﴿لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ إِبْنَتُنَا فَلَنْ نَكُفَّكَ

(١) «الذكر» هو استحضار الإنسان لشيء ما بعد نسيانه.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٥٢.

(٣) سورة طه: الآية ١٤.

الْيَوْمَ نُنَسِّي ﴿١﴾ فَيُؤْمَرُ بِهِ إِلَى النَّارِ...»<sup>(١)</sup>.

□ عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ أَنْتَكَ ءَايَتُنَا فَنَسِينَهَا﴾ قال: الآيات الأئمة عليهم السلام ﴿فَنَسِينَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنَسِّي﴾ يعني تركتها، وكذلك اليوم تترك في النار كما تركت الأئمة عليهم السلام فلم تطع أمرهم ولم تسمع قولهم...»<sup>(٢)</sup>.

### التعاليم:

- ١ - الجزاء الإلهي عدل، ﴿كَذَلِكَ... فَنَسِينَهَا... نُنَسِّي﴾.
  - ٢ - إذ كان منشأ النسيان هو التهاون فسيعاقب عليه، وإلا فإن النسيان إذا كان دون اختيار فإنه لا يؤاخذ عليه، ﴿فَنَسِينَهَا﴾.
  - ٣ - إن الله يتم الحجة على الناس أولاً ومن ثم إذا لم يطيعوا فالقهر والعذاب، ﴿أَنْتَكَ ءَايَتُنَا... الْيَوْمَ نُنَسِّي﴾.
  - ٤ - الإسراف والاستفادة غير المناسبة من النعم تمهد للكفر، ﴿أَشْرَفَ وَلَمْ يُؤْمَرْ﴾.
- ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾﴾

### إشارات:

□ «النهي» جمع «النهية» أي الشيء الذي ينهي الإنسان عن القبائح، ومن هذه الجهة يقال للعقل «النهي» لأنه ينهي الإنسان عن الهوى والقبائح، وبناء على ذلك فإن العقل الواقعي، ومضافاً إلى أنه سبب للفهم والإدراك، فإنه أيضاً سبب للابتعاد عن الأخطار والسيئات والقبائح.

□ «القرن» القوم المقترنون في زمن واحد، ويطلق أحياناً على الزمان نفسه<sup>(٣)</sup>.  
«اللزام» أي الأمر الملازم والحتمي<sup>(٤)</sup>.

(٢) الكافي، ج ١، ص ٤٣٦.

(١) وسائل الشيعة، ج ٦، ص ١٨٤.

(٣) القرن يطلق على مجموع المائة سنة (المترجم).

(٤) قبل أيضاً إن «اللزام» هو الهلاك (المترجم).

□ المراد من قوله ﴿كَلِمَةً سَبَقَتْ﴾ هو ما قاله الله تعالى للنبي آدم ﷺ عند الأمر بهبوطه<sup>(١)</sup>، إذ قال له ﴿وَلَكَمْ فِي الْأَرْضِ مَسْنَرٌ مُمْتَعٌ إِلَّا جِنَّةً﴾<sup>(٢)</sup>.

□ كان أهل مكة يَمرون في أسفارهم على مساكن قوم عاد وثمود فيرون ما تبقى من آثارهم وخرابهم، وها هنا فإن الله تعالى يحذرهم في هذه الآيات بأن لا ينسوا مصير أولئك القوم بل ليتفكروا ويتدبروا في ذلك وليعتبروا بهم<sup>(٣)</sup>.

### التعاليم:

١ - التاريخ أفضل معلّم وأصدق واعظ، ومن لم يعتبر به يستحق الملامة والتوبيخ، ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ...﴾.

٢ - لا بد لنا من أن نحمل التهديدات الإلهية على محمل الجد، ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا...﴾.

٣ - التحولات التاريخية بيد الله تعالى، ﴿أَهْلَكْنَا...﴾.

٤ - العلم فقط لا يكفي، بل لا بد من الاعتبار، فقد كان أولئك القوم يَمرون على تلك المساكن جيئةً وذهاباً ويرون ما حل بهم إلا أنهم كانوا غافلين، ﴿يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ﴾.

٥ - الأماكن الخربة والتي نزل بها العذاب لا بد من أن تبعث كل صاحب عقل على التأمل والتفكير، ﴿لَا يَنْتَرِ لِأُولَى الْأَثْنِ﴾.

٦ - عند زيارة الآثار التاريخية لا بد من أن لا نكتفي فيها بالجانب السياحي والترويح عن النفس فقط، ﴿لَا يَنْتَرِ لِأُولَى الْأَثْنِ﴾؛ من لم يعتبر فلا عقل له.

٧ - ليس لكل إنسان عين معتبرة وبصيرة، أخذ العبرة يختص بأولئك الذين حصنوا أنفسهم عن التلوث بالقذارات، ﴿لَا يَنْتَرِ لِأُولَى الْأَثْنِ﴾.

٨ - للتاريخ فلسفة تقوم على أساس قانون العلة والمعلول، ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا... لَا يَنْتَرِ

(٢) سورة البقرة: الآية ٣٦.

(١) تفسير الميزان.

(٣) تفسيري الميزان والبيان.

لَأُولَىٰ أَلْتَعْنَى ﴿١٠﴾، فهلاك الأمم السابقة كان لأسباب ودلائل ولو تحققت هذه الأسباب في أيامنا هذه لحل ذلك الهلاك نفسه بنا أيضاً.

٩ - السنن الإلهية منظمّة وفق برنامج دقيق ومؤقت، ولولا ذلك لحل الهلاك فوراً بكل المجرمين، ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ...﴾ (لكل أمة زمانها الخاص بها).

١٠ - لا يغترّ الظالمون الذين لا إيمان لهم بتأخر العذاب الإلهي، ﴿كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾.

١١ - يعذب الله المجرمين بعد إتمام الحجة عليهم، ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾.

١٢ - أعمار الناس منظمّة وفق برنامج وزمان معينين، ﴿أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾.

﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ (١٣٠)

### إشارات:

□ الله تعالى النبي ﷺ في القرآن الكريم بالصبر في تسعة عشر مورداً.

□ هذه الآية، وكما هو حال الآية القرآنية ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾، تدعو النبي ﷺ إلى الصبر والتحمل والحمد وتعظيم الله تعالى، ومع أن المخاطب بهذه الآية ظاهراً هو النبي محمد ﷺ إلا أنها تعمّ الناس بالبداية.

□ ورد في بعض الروايات<sup>(١)</sup> وآراء بعض المفسرين تفسير هذه الآية بالصلاة اليومية ليلاً ونهاراً، والمراد من الصلاة في أطراف النهار النوافل اليومية.

### التعاليم:

١ - الالتفات إلى تدبير الله وتقنيته للجزاء والعذاب وكذا الالتفات إلى السنن الإلهية كل ذلك يعد مقدمة للصبر والتسبيح والتحميد، ﴿فَاصْبِرْ﴾ (بالنظر إلى الآيات السابقة).

- ٢ - يجب أن يكون الصبر على الأمور بمقدار المشكلات، (أي أن الصبر على كل شيء بحسبه)، ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾.
- ٣ - حمد الله وتسبيحه وسائل لشد العزيمة في مقابل اللجاج والعناد ودعاية الأعداء، ﴿فَاصْبِرْ... وَسَبِّحْ﴾.
- ٤ - تنزيه الله يتم عبر تعظيمه وتسبيحه وحمده، ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ﴾.
- ٥ - التخلية من الرذائل مقدمة على التحلية بالفضائل، التسبيح مقدم على التحميد، ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ﴾.
- ٦ - استفاد القرآن الكريم من الوسائل والمعايير الطبيعية لتحديد أوقات الإتيان بالتكاليف، ﴿قَبْلَ طُلُوعِ... وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾.
- ٧ - تسبيح الله وحمده قبل طلوع الشمس وقبل غروبها لهما آثار خاصة، ﴿قَبْلَ طُلُوعِ... وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾.
- ٨ - لنملاً أوقاتنا بذكر الله تعالى لئلا يبقى مجال لسائر الأفكار الباطلة، ﴿قَبْلَ طُلُوعِ... وَقَبْلَ غُرُوبِهَا... ءَإِنَّا إِلَٰهٌ... وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾.
- ٩ - الليل ليس للنوم والاستراحة فقط بل لا بد من أن نخصص وقتاً منه للعبادة، ﴿وَمِنَ ءَانَايَ إِلَٰهٍ﴾.
- ١٠ - إذا قمنا بذكر الله بشرطه وشروطه فسيكون منتجاً وذا أثر، ﴿لَعَلَّكَ﴾<sup>(١)</sup>.
- ١١ - مقام «الرضا» أعلى درجات التكامل، ﴿لَعَلَّكَ رَاضٍ﴾؛ (للتكامل درجات: أولها: الصبر ﴿فَاصْبِرْ﴾، وثانيها: تنزيه الله ﴿وَسَبِّحْ... فَسَبِّحْ﴾، وثالثها: الشكر لله وتحميده ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾، ورابعها: الرضا بقضاء الله ﴿لَعَلَّكَ رَاضٍ﴾).

(١) قوله «لعلك» معناه أن الوصول إلى هذا المقام ليس محتوماً وقطعياً، بل ربما يحصل لك ذلك (أي أن النسبة ليست مئة في المائة (١٠٠٪) بل هي بعض النسبة المثوية)؛ والسبب في ذلك أن ذكر الله وحده لا يكفي بل لا بد من شرائط أخرى كالسعي، والوحدة، والإخلاص، وغيرها من الشروط التي لا بد من أن يُقَسَّم بعضها إلى بعضها الآخر لنحصل على نتيجة ١٠٠٪.



﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ  
وَرَزَقْنَا رِيكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾

### إشارات:

□ نقل عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «لما نزلت هذه الآية استوى رسول الله ﷺ جالساً ثم قال: من لم يتعزَّ بعزاء الله تقطعت نفسه على الدنيا حشرات، ومن اتَّبَعَ بصره ما في أيدي الناس طال همه ولم يشف غيظه...»<sup>(١)</sup>.  
□ على الرغم من أن القرآن الكريم قد اعتبر مال الدنيا خيراً<sup>(٢)</sup> وفضلاً<sup>(٣)</sup> وزينة<sup>(٤)</sup> وأن الاستفادة منه محللة وجائزة، إلا أنه ذم بشدة التعلق به؛ لأن الحياة الدنيا ليست إلا كزهرة عمرها قصير وتزول بهبة من نسيم.

### التعاليم:

- ١ - الوصول إلى مقام الرضا عن الله إنما يتم مع عدم التعلق والنظر إلى زخارف الدنيا وزبرجها (نعم إن من ينجذب إلى المظاهر المادية سيشعر بالنقص، والحاجة، والتميز، ولذا لن يرضى عن الله) ﴿لَمَّا لَكَ رِزْقٌ، لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾.
- ٢ - للإنسان ميل طبيعي نحو الماديات لكن لا بد له من كبح جماحه، ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ﴾.
- ٣ - النظرة مقدّمة للجذب والتعلق، ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾.

وعلى حد قول الشاعر الإيراني:

- (إِو من هذه العين والقلب كلاهما يناديان كل ما تراه العين يهواه القلب).
- ٤ - لا ينبغي لقائد الأمة: أن يمد عينيه إلى مال الآخرين، وأن يهتم بالماديات، وأن ينهر بزخارف دنيا الآخرين وزبرجها، ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾.

(١) تفسير الميزان.

(٢) ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾، (سورة البقرة: الآية ١٨٠).

(٣) ﴿وَاتَّقُوا مَن قَضَىٰ اللَّهُ﴾، (سورة الجمعة: الآية ١٠).

(٤) ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (سورة الكهف: الآية ٤٦).

- ٥ - المظاهر المادية خطيرة حتى على الأنبياء ﷺ، ﴿لَا تَدْنُ عَيْنُكَ﴾.
- ٦ - لا يُعَدُّ كل متاع الدنيا ووسائلها النادرة نعمة إلهية، ﴿مَتَعْنَا﴾؛ ولم يقل: «أنعمنا».
- ٧ - ليس كل الكافرين محظوظين، ﴿أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾.
- ٨ - مظاهر الحياة الدنيوية زهرة لا تنعقد ورداً أو ثمراً بالضرورة، ﴿زَهْرَةٌ لَخَيَافَةِ الدُّنْيَا﴾.
- ٩ - مظاهر الحياة الدنيا وسائل لاختبار الإنسان، ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهَا﴾.
- ١٠ - لنفكر بما في أيدينا وليس بما نراه في أيدي غيرنا، ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾.
- ١١ - إعطاء الرزق من شؤون الربوبية الإلهية، ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ﴾.
- ١٢ - ليس كل ما يملكه الإنسان يعد رزقاً له؛ إذ ما أكثر الذين يمتلكون كثيراً من الأشياء إلا أن استفادتهم منها قليل جداً، ﴿لَا تَدْنُ... مَتَعْنَا... وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾.
- ١٣ - معيار القيمة في كل شيء أمران: أولها: كونه خيراً؛ وثانيهما: كونه دائماً باقياً:، ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾.

﴿وَأَمْرُ أَهْلِكَ بِالصَّلَاةِ وَأَصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلْكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ (١٣٢)

#### إشارات:

- ورد في العديد من الروايات أن رسول الله ﷺ بعد نزول هذه الآية كان يمر على باب علي وفاطمة ﷺ لأشهر عدة عند كل صلاة فيقول: «الصلاة رحمكم الله ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾»<sup>(١)</sup>.
- كان النبي ﷺ إذا نزلت بأهله شدة أو ضيق أمرهم بالصلاة وتل: ﴿وَأَمْرُ أَهْلِكَ بِالصَّلَاةِ...﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي، تفسير الدر المنثور، تفسير مجمع البيان.

(٢) تفسير الميزان.

□ «اصطبر عليها» أي اصطبر عليها سواء من حيث إقامتها أم من حيث الأمر بها والتأكيد عليها.

### التعاليم:

- ١ - الأمر بالمعروف إنما يؤثر أكثر إذا صدر من الذين لم يتعلقوا بالأمور المادية، ﴿لَا تَذَنّ... وَأَمْرُ أَهْلِكَ﴾.
- ٢ - لا ينبغي لقائد المجتمع الإسلامي أن يغفل عن عائلته، ﴿وَأَمْرُ أَهْلِكَ بِالصَّلَاةِ﴾.
- ٣ - الرجل مسؤول أيضاً عن عاقبة عائلته الفكرية والعقدية ولا يكفي فقط اعتناؤه بأمورهم المادية، ﴿وَأَمْرُ أَهْلِكَ﴾.
- ٤ - من أهم مواطن الأمر بالمعروف العائلة والأقربون للإنسان، ﴿وَأَمْرُ أَهْلِكَ﴾؛ (نطاق الأهل لا ينحصر بالزوجة والأولاد بل يشمل كل أفراد العائلة الكبرى).
- ٥ - ينبغي على المبلغ أن يبدأ بالتبليغ أولاً في وسط عائلته، ﴿وَأَمْرُ أَهْلِكَ﴾.
- ٦ - أولى مراحل التربية تتم في محيط العائلة، ﴿وَأَمْرُ أَهْلِكَ﴾.
- ٧ - الأمر بإقامة الصلاة خاصة - من بين كل الواجبات - يدلّ على أنها سر الأمان لأفراد العائلة، ﴿وَأَمْرُ أَهْلِكَ بِالصَّلَاةِ﴾.
- ٨ - إذا أردنا عدم التعلق بزخارف الدنيا ومظاهرها فلننتجى إلى الصلاة، ﴿لَا تَذَنّ... وَأَمْرُ أَهْلِكَ بِالصَّلَاةِ﴾.
- ٩ - الصلاة من أهم المصاديق البيّنة والرفيعة للمعروف، ﴿وَأَمْرُ أَهْلِكَ بِالصَّلَاةِ﴾.
- ١٠ - موضوع إقامة الصلاة في العائلة له أهمية خاصة؛ لذا يجب على الوالدين أن يصبراً على إقامتها<sup>(١)</sup>.

(١) ظهر من خلال بعض الأبحاث والإحصاءات التي أجريت وسط مجموعات من التلامذة والفتية والشباب أن نسبة كبيرة منهم عللت اهتمامها بالصلاة وإقامتها باهتمام أسرهم بها.

- ١١ - لا بد في الأمر بالمعروف من المداومة عليه والثبات فيه، ﴿وَأَصْطِرِّ عَلَيْهِ﴾.
- ١٢ - لا ينال الله تعالى شيء من عبادتنا بل إن ثمرتها تعود إلينا أنفسنا، ﴿لَا تَشْكُكَ رِزْقًا﴾.
- ١٣ - الإتيان بالصالحات ينبغي أن يكون جدياً ومصاحباً لذكر آثاره القيمة، ﴿وَأَمْرٌ أَهْلَكَ... وَالْعَقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾.
- ١٤ - الصلاة ممهدة لطهارة النفس والتقوى، ﴿وَأَمْرٌ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ... وَالْعَقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾.
- ١٥ - حسن العاقبة إنما يكون في ظل التقوى وليس في ظل الأمور المادية، ﴿وَالْعَقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾.

﴿وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ مَا فِي الصَّحُفِ الْأُولَى﴾

إشارات:

□ كان المشركون يتوقعون من النبي ﷺ أن يأتيهم بمعجزة كمعجزة عصا موسى ومعجزة شق البحر له، إلا أن الله تعالى قال لهم: ألا تعلمون أن معجزة القرآن أكبر من كل المعجزات السابقة، ومع ذلك فهل آمن من قبلكم عندما شاهدوا تلك المعجزات؟! تلك المعجزات؟!

□ المراد من «الصحف الأولى» التوراة والإنجيل والزيور.

التعاليم:

- ١ - لا ينبغي الالتفات والاهتمام بالمطالب التي تتضمن العلل والمعاذير، ﴿فَأَصْرِ عَلَى مَا يَقُولُونَ... وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا...﴾؛ (وهذا ما يمتاز به الناس المعاندون والمتكبرون؛ إذ إنهم تركوا المعجزات الموجودة بين أيديهم والدلائل الواضحة أمامهم (القرآن الكريم) وطلبوا عناداً دليلاً آخر وآية أخرى).
- ٢ - لا يهم نوع المعجزة؛ بل المهم وجود القابلية للقبول والاعتناع، ﴿لَوْلَا يَأْتِينَا... أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ﴾.

﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا إِنَّا رِئَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنُتِّعَ بِإِيْنِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنُخْزَىٰ﴾ ﴿١٣٤﴾

## إشارات:

- ١ - إنما بُعث الأنبياء ﷺ لتتميم الحجة على الناس ولثلا يدعوا عدم المعرفة فيحتجوا على الله بذلك، ﴿لَوْلَا أَرْسَلْتَ...﴾.
  - ٢ - ما لم تبلغ القوانين فلن يكون العقاب عادلاً، ﴿لَوْلَا أَرْسَلْتَ﴾.
  - ٣ - تبليغ الدين واجب سواء قبل الناس به أم لم يقبلوا، ولو كان الأمر خلاف ذلك لكان لهؤلاء الناس حق الاعتراض حينئذٍ، ﴿لَوْلَا أَرْسَلْتَ...﴾.
  - ٤ - اتباع الأنبياء ﷺ مفتاح العزة والكرامة، ﴿مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنُخْزَىٰ﴾.
- ﴿قُلْ كُلٌّ مَّرِيضٌ فَفَرِيضُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَن أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ﴾ ﴿١٣٥﴾

## إشارات:

- «أصحاب الصراط السوي» هم الأئمة المعصومين ﷺ، وأما ﴿مَنِ اهْتَدَىٰ﴾ فهم أتباعهم<sup>(١)</sup>.
- عن الإمام الكاظم ﷺ قال: «سألت أبي عن قول الله ﷻ: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَن أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ﴾، قال: الصراط السوي، هو القائم ﷺ والهدى من اهتدى إلى طاعته»<sup>(٢)</sup>.

## التعاليم:

- ١ - النبي ﷺ مأمور بالإنذار والتحذير، ﴿فَفَرِيضُوا﴾.
- ٢ - مع مرور الزمان وانقضاء التاريخ سيتبين كل شيء بوضوح، ﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾.

- ٣ - الكفار يظنون أنفسهم بأنهم مهتدين، ﴿فَسَتَعْلَمُونَ... وَمَنْ أَهْتَكَى﴾.
- ٤ - الإسلام دين الاعتدال والمسلمون هم المهتدون، ﴿مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنْ أَهْتَكَى﴾.

«الحمد لله رب العالمين»



# سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ

السورة: ٢١ الجزء: ١٧

عدد الآيات: ١١٢







## ملاحح سورة الأنبياء

سورة الأنبياء مكية وعدد آياتها مئة واثننا عشرة آية أشير في هذه السورة إلى قصص ستة عشر نبياً من الأنبياء الذين حظوا بعناية من الله تعالى. ومضافاً إلى ذلك، فإن هذه السورة استخدمت الوعيد والإنذار قبل الوعود والبشارات.

وقد ذكرت بركات كثيرة لتلاوة هذه السورة منها، أن من قرأها حاسبه الله حساباً يسيراً يوم القيامة، وصافحه وسلّم عليه كل نبي ذكر اسمه في القرآن، شرط أن تكون تلاوتها حباً لها ومقدمة للإيمان والعمل<sup>(١)</sup>.



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾

### إشارات:

□ سؤال: بالنظر إلى أن معنى «الغفلة» هو عدم التنبه إلى شيء، وأن معنى «الإعراض» هو التنبه للشيء وعدم الاهتمام به؛ لذا كيف أمكن ذكر الغفلة إلى جانب الإعراض في هذه الآية؟

الجواب: إن الغفلة على نحوين:

أ - الغفلة التي يوقظ الإنسان منها بالتحذير والإنذار.

ب - الغفلة التي تكون مقدمة للإعراض؛ أي إن الشخص الغافل لا يريد أن يستيقظ من غفلته كحال من يتظاهر بالنوم، فإنه على الرغم من سماعه للصوت، لا يفتح عينيه.

□ حيث إن أغلب الناس غافلون عن المعاد والحساب لذا فإن الله تعالى نسب الغفلة إليهم جميعاً، وإلا فإن بعض الناس مستنون من هذا التعميم. وقد أشير في الآية (٩٧) من هذه السورة إلى إقرار الناس بالغفلة بلسانهم أنفسهم: ﴿يَوَدُّونَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا﴾.

### لمحة عن الحساب يوم القيامة

□ يتحصل بأيدينا من مجموع الآيات ما يلي:

١ - سَيُسْأَلُ كُلُّ إِنْسَانٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

٢ - سَيَحَاسِبُ الْإِنْسَانُ عَلَى أَعْمَالِهِ كُلِّهَا، ﴿وَلَنَسْأَلَنَّ عَنْهُمْ كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

٣ - يحاسب الإنسان على أحواله وحالاته كلها، ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ (١).

٤ - الإنسان مسؤول عن أعضاء بدنه كلها، ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ... كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (٢).

٥ - يسأل الإنسان عن النعم الإلهية، ﴿لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ (٣).

٦ - ستحضر كل الأعمال يوم القيامة، أينما كانت ومهما كان مقدارها، ﴿إِنْ تَكُ رِثْقًا حَتَّىٰ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي سُحَّرَةٍ﴾ (٤).

وأول ما يُسأل عنه الإنسان يوم القيامة الصلاة. وسيحاسب على جملة من الأمور العامة كالشباب، والعمر، ومصدر ماله، وفي ما أنفقه، وعن ولاية الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، وحبهم، وكيفنا فقط أن الله نفسه هو من سيحاسبنا، ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَسِيبِينَ﴾ (٥).

### التعاليم:

١ - محاسبة الناس قطعية، ﴿أَقْرَبَ﴾. (يشير استعمال الماضي بدل المضارع إلى كونه قطعي الحصول).

٢ - لا نظن أن القيامة والحساب بعيدان، ﴿أَقْرَبَ﴾.

٣ - يطال الحساب الناس قاطبة، ﴿لِلنَّاسِ﴾.

٤ - النظم والمحاسبة من لوازم الحياة الكاملة، ﴿حِسَابُهُمْ﴾. (وجود الإنسان ليس محض صدقة، بل وجد لأهداف، وضمن حساب دقيق).

٥ - أحياناً ولأجل لفت الانتباه يجب البدء بالكلام الصاعق المحذر والمنذر، وهذا ما شرعت به هذه السورة المباركة، ﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾.

(٤) سورة لقمان: الآية ١٦.

(٥) سورة الأنبياء: الآية ٤٧.

(١) سورة البقرة: الآية ٢٨٤.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٣٦.

(٣) سورة النحل: الآية ٩٣.

- ٦ - الحساب هو الذي يقترب من الناس على الرغم من أنهم غافلون عنه أو هاربون منه.  
قال تعالى: ﴿أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾، ولم يقل: «اقترب الناس إلى حسابهم».
- ٧ - تصبح الغفلة أمراً خطيراً إذا صاحبها الإهمال، ﴿غَفَلَةً مَّغْرُضُونَ﴾.

﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ تُحْدِثُ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ (٢)

### التعاليم:

- ١ - التذكير الإلهي دائم ومستمر ومتكرر، ﴿مَا يَأْتِيهِمْ﴾ (فعل مضارع).
- ٢ - التذكير والتربية أمران متلازمان، ﴿ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ﴾.
- ٣ - القرآن الكريم ذكْرٌ ومذكَّرٌ، ﴿ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ﴾.
- ٤ - التجديد في التذكير وأسلوبه أمر قيم وهام، ﴿ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ تُحْدِثُ﴾.
- ٥ - الاستماع والفهم لا يكفيان بل المطلوب القبول والعمل، ﴿اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾.

- ٦ - منبع اللهو واللعب هو الغفلة والإعراض، ﴿فِي غَفْلَةٍ مَّغْرُضُونَ... يَلْعَبُونَ﴾.
- ٧ - ليست الحياة البعيدة عن الوحي وذكر الله سوى لهو ولعب، ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾.

﴿لَا هِيَ قُلُوبُهُمْ وَأَسْرُوا التَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ  
السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ﴾ (٣)

### التعاليم:

- ١ - الانتهاء بأمور لا قيمة لها تجعل الإنسان غافلاً عن الالتفات إلى المسائل الجوهرية، كالحساب والقيامة، ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ... لَا هِيَ قُلُوبُهُمْ﴾.
- ٢ - يعلل الأفراد المنحرفون انحرافهم، ﴿بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ﴾.
- ٣ - لما لم يغفل القلة عن الله فلن يتخذ الإنسان آيات الله هزواً ولعباً، ﴿يَلْعَبُونَ... لَا هِيَ قُلُوبُهُمْ﴾.

٤ - كان المخالفون للأنبياء يتواطأون عليهم سرّاً، ويصفون معجزاتهم بالسحر، ﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى... أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ﴾.

٥ - ظلم الكفار، من خلال إخفاء الحقائق، أنفسهم وظلموا غيرهم كذلك، ﴿ظَلَمُوا﴾.

٦ - يدل اتهام الظالمين للأنبياء على أن دين الأنبياء رافض للظلم، ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا... هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ﴾.

﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾

التعاليم:

١ - إن الأنبياء ﷺ يتوكلون على الله في مقابل الفتن والتهم والمؤامرات، ﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ﴾.

٢ - على الرغم من أن الأعداء يخفون تواطؤهم ونجواهم، ﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى﴾؛ فإن الله يعلم كل شيء، وظاهره وباطنه وسره وعلنه بالنسبة إليه سواء، ﴿يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾.

٣ - الالتفات إلى علم الله يسبب الابتعاد عن الدسائس والنجوى، ﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى... رَبِّي يَعْلَمُ...﴾.

﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامٌ بَلْ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْنِئْ بِشَايِرِ كَمَا أُرْسِلَ

الْأَوَّلُونَ﴾

إشارات:

□ كلمة «أضغاث» جمع «ضِغْث» أي القبضة والمجموعة، و«أحلام» جمع «حلم» بمعنى الرؤيا وبناء عليه فإن «أضغاث أحلام» معناها مجموعة من الرؤى المتفرقة.

□ طَلَبَ الكفار من نبي الإسلام ﷺ أن يأتيهم بمعجزات كمعجزات موسى

وعيسى عليه السلام، إلا أن هدفهم كان التعلل والتعجيز، لأن اختيار نوع المعجزة يرتبط بالحكمة الإلهية لا بما يهواه الناس.

### التعاليم:

- ١ - يشير تناقض أقوال الكفار إلى عدم تحليلهم بالمنطق السليم، ﴿بَلْ... بَلْ... بَلْ...﴾.
- ٢ - العدو لا يكتفي ولا يقنع بافتراء تهمة واحدة، ﴿بَلْ... بَلْ... بَلْ...﴾، (فهو يضرب من كل جهة ﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى... هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ... بَلْ هُوَ شَاعِرٌ...﴾؛ ولذا فإن الغزو الإعلامي والانتهاكات المتواصلة هما أساس عمل الأعداء).
- ٣ - على الرغم من كل التهم التي افتراها الأعداء، فإنهم كانوا في داخلهم مترددين في ذلك<sup>(١)</sup>، ﴿بَلْ... بَلْ... بَلْ... فَلْيَأْنِا يَتَايَرُ﴾.
- ٤ - كان المشركون أيضاً يعلمون أن من لوازم النبوة الإتيان بالمعجزة، ﴿فَلْيَأْنِا﴾.
- ٥ - يطلب الناس المعاجز الحسية، ﴿فَلْيَأْنِا يَتَايَرُ﴾.

﴿مَا ءَامَنْتَ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرَيْبٍ أَهْلَكْتَهُمْ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ۖ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَتَلَوْا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۖ﴾

### إشارات:

- في الآيات السابقة كان الكفار يقولون: ﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ؟﴾ وفي هذه الآية فإن الله تعالى يقول: لم يكن النبي ﷺ بشراً فحسب، بل كان كل الأنبياء السابقين بشراً يوحى إليهم، فكونهم بشراً لا يتنافى مع النبوة.
- لما كان المشركون على ارتباط وثيق مع أهل الكتاب، فإن الله يخاطبهم قائلاً: أيها المشركون اسألوا أهل الكتاب (اليهود والنصارى).
- إن سؤال أهل الذكر وأهل الخبرة يعتبر مبدءاً عقلانياً، وفي هذه الآية فإن المراد

من أهل الذكر هم علماء اليهود والنصارى، وقد أوصت الروايات أنه كلما تحيرتم فاسألوا أهل بيت النبي ﷺ؛ إذ إن هؤلاء العظماء هم المصدق الأكمل لأهل الذكر.

□ عن رسول الله ﷺ: «لا ينبغي للعالم أن يسكت عن علمه ولا ينبغي للجاهل أن يسكت على جهله، وقد قال الله تعالى: ﴿فَتَشَلُّوْا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾»<sup>(١)</sup>.

### التعاليم:

- ١ - سنة الله قائمة على أنه متى ما وجد الكفر، واللجاج، والعناد فسيحل قهر الله وغضبه عليهم، ﴿وَمَا أَمْنَتْ... أَهْلَكْتَهُمْ﴾. (الإيمان سبب لحفظ المجتمع البشري وبقائه).
- ٢ - فلننظر نظرة اعتبار إلى التاريخ، ﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾.
- ٣ - كان الأنبياء ﷺ كلهم رجالاً، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا﴾.
- ٤ - كل الأنبياء قد أوحى إليهم وما علمهم إلا من ذلك المنبع، ﴿تُوحَىٰ إِلَيْهِمْ﴾.
- ٥ - السؤال والتساؤل مما أوحى به الدين، ﴿فَتَشَلُّوْا﴾.
- ٦ - ينبغي أن يكون السؤال لأجل طلب الفهم لا لشيء آخر (كالتعنت)، ﴿فَتَشَلُّوْا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.
- ٧ - لن نصل إلى أي علم ما لم نسأل أهله، ﴿فَتَشَلُّوْا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾.
- ٨ - لا بد من البحث والتحقيق في المسائل العقديّة والدينيّة حتى نصل إلى العلم بها، ﴿فَتَشَلُّوْا﴾.
- ٩ - يجب أن يكون العالم في متناول اليد حتى يتمكن من سؤاله، ﴿فَتَشَلُّوْا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾.
- ١٠ - لا يكفي أن نكون من أهل العلم، بل الأهم وذو القيمة الأكبر هو الانتماء

- إلى أهل الذكر، «فما أكثر العلماء الغافلين عن الله»، ﴿فَتَشْتَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾.
- ١١ - لا بد في كل شأن من وجود أهل له، ولذا من غير المجدي امتلاك المعلومات السطحية والتقليدية العابرة، ﴿أَهْلَ الذِّكْرِ﴾.
- ١٢ - يجب على أهل الذكر إرشاد الناس، وإلا لكان الأمر بسؤالهم لغواً وعبثاً، ﴿فَتَشْتَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾.

﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾ (٨)

إشارات:

□ من أسرار نجاح أي قائد أن يكون في أموره الحياتية إلى جانب الناس، معاشاً لهم، حتى يتأسوا برؤيته، وطريقة تعامله، ومعيشته بينهم.

التعاليم:

- ١ - ما من فرق بين الأنبياء ﷺ من ناحية البعد المادي والاحتياجات الإنسانية وبين سائر الناس، ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ... لَّا يَأْكُلُونَ﴾.
- ٢ - توقع أن يكون الأنبياء والمصلحون والمربون ملائكة هو توقع في غير محله، ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ﴾.
- ٣ - ترك الطعام ليس مراد الله ولا سائر الأديان السماوية، ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ... لَّا يَأْكُلُونَ﴾.
- ٤ - الموت عام لكل الناس وحتى الأنبياء أيضاً لا يخلدون، ﴿وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾.

﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَّشَاءُ وَاهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾ (٩)

إشارات:

□ هذه الآية في مقام تسليية النبي الأكرم ﷺ، إذ تقول له: نحن نفي بوعدنا بنجاة المؤمنين.



## التعاليم:

- ١ - وعد النصر الذي وعد الله تعالى أنبياءه حتمي، ﴿ثُمَّ صَدَقْتَهُمْ﴾.
  - ٢ - وعد الله تعالى للأنبياء كان نجاة لهم وهلاك المخالفين لهم، ﴿فَأَنجَيْنَاهُمْ... وَأَهْلَكْنَا﴾.
  - ٣ - إنما العقوبات الإلهية نتيجة أعمالنا أنفسنا، ﴿وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾.
  - ٤ - الإسراف سبب الهلاك، والهلاك مصير المسرفين، ﴿الْمُسْرِفِينَ﴾.
- ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (١٠)

## إشارات:

- كلمة «ذكركم» إما أنها بمعنى وسيلة للذكر والتذكير، وإما أنها بمعنى القرآن، ففيه عزتكم ورفع اسمكم كلمة «الذكر» لغة، بمعنى الشرف والشهرة أيضاً<sup>(١)</sup>.
- عن الإمام الكاظم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾، قال: الطاعة للإمام عليه السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم<sup>(٢)</sup>.

## التعاليم:

- ١ - إنما الكتاب والقانون اللذان هما سببان للرشد واليقظة هما من قبل الله تعالى، ﴿أَنزَلْنَا... فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾.
- ٢ - للقرآن مكانة عالية ومنزلة رفيعة، ﴿كِتَابًا﴾<sup>(٣)</sup>.
- ٣ - إحدى أهداف نزول الكتب السماوية التذكير، ومنح الناس كرامة وعزة، ﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾.

(٢) تأويل الآيات، ص ٣١٩.

(١) القاموس المحيط.

(٣) التنوين في كلمة «كتاباً» يشير إلى العظمة والرفعة.

- ٤ - ذكر تاريخ الإنسان السالف ومستقبله ومصيره في القرآن الكريم، ﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾.
- ٥ - أصبح العرب وأرض الحجاز ببركة القرآن الكريم عزيزين مشهورين، ﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾.
- ٦ - لو كان الناس يعقلون لمدّوا أيديهم حتماً نحو الوحي والكتاب السماويين، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.
- ٧ - علينا الاستعانة بميول الناس الفطرية من أجل إرشادهم (لكل إنسان ميل إلى أن يُذكر اسمه بنحو حسن في التاريخ وأن يكون عزيزاً ذا كرامة، وكأنه تعالى يقول في هذه الآية: «أرسلنا إليكم كتاباً ليبقى فيه اسمكم»، ﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾).
- ٨ - تكذيب الأنبياء ﷺ فيه قلة تعقل؛ ذلك أن معارف القرآن منسجمة مع العقل، ﴿أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا... أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ (١١)

### التعاليم:

- ١ - الهلاك بعد الظلم سنة إلهية، ﴿وَكَمْ﴾.
- ٢ - كل من يكسر القانون الإلهي يُكسر، ﴿قَصَمْنَا﴾؛ (كلمة «القسم» بمعنى الكسر الشديد)<sup>(١)</sup>.
- ٣ - يقرّر الناس أنفسهم مصائرهم، ﴿قَصَمْنَا... ظَالِمَةً﴾.
- ٤ - إذا أصبح الظلم سيرة وأسلوباً ونهجاً فسيحل حينئذٍ الهلاك والقهر الإلهيين ﴿كَانَتْ ظَالِمَةً﴾، وأما إذا لم يستمر الظلم والتفت الإنسان إلى ظلمه وتاب إلى الله فلن يحل غضب الله عليه.
- ٥ - الإفناء والإيجاد كلاهما يسير على الله، ﴿قَصَمْنَا... أَنْشَأْنَا﴾.

(١) القسم في الأصل بمعنى الكسر وهي هنا بمعنى الهلاك (المترجم).

﴿فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسْكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَسْتَلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا يَبُولْنَا إِنْآ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَبِيدِينَ ﴿١٥﴾﴾

## إشارات:

- «الحصيد» بمعنى المحصود أي المقطوع، و«الخامد» بمعنى المنطفىء.
- المراد من قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَسْتَلُونَ﴾، أي لكي تسألوا عن أعمالكم وعن تنعمكم في الحياة الدنيا بغير حق، وعما استحققتكم به العذاب<sup>(١)</sup>.

## التعاليم:

- ١ - العذاب النازل على المجتمعات الظالمة لا ينزل دفعة واحدة، بل هو تدريجي، ﴿فَلَمَّا أَحَسُّوا﴾؛ (الإحساس في مورد رؤية آثار القهر والعذاب يحصل تدريجياً).
- ٢ - ليس لأحد القدرة على مواجهة غضب الله، ﴿يَرْكُضُونَ﴾؛ (إن المغرورين أثناء حلول الخطر يتركون الساحات ويهربون).
- ٣ - لا يمكن الفرار من العذاب الإلهي، ﴿لَا تَرْكُضُوا﴾.
- ٤ - ربما يؤدي الترف إلى الظلم والطغيان، ﴿مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ﴾.
- ٥ - لا بد من تنفيذ العقوبة في موقع الجريمة، فلربما يُسأل عنها من يجب عليه تنفيذها، ﴿لَعَلَّكُمْ تَسْتَلُونَ﴾.
- ٦ - عاقبة الظالمين أنهم سيسألون عن أعمالهم، ﴿تَسْتَلُونَ﴾.
- ٧ - الندم عاقبة الظلم، ﴿يَبُولْنَا﴾.
- ٨ - في نهاية المطاف ستعود الضمائر الميتة إلى الحياة، ويقر المنكرون بالحقائق، ﴿إِنْآ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾.

- ٩ - عند نزول البلاء لا ينفع الويل والشبور، ﴿فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَتُهُمْ﴾.
- ١٠ - عاقبة الكره والظلم للإنسان كعاقبة النبات المحصود الميت، ﴿حَصِيدًا خَمِيدًا﴾.
- ١١ - كل الصراخ والضجيج الإعلاميان، والتبجيل والتملق، والتهديد والترهيب، من محكوم بالخمود والانطفاء في محضر الله، ﴿خَمِيدًا﴾.
- ١٢ - يؤدي استمرار الظلم إلى نزول العذاب الإلهي، ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ... حَصِيدًا خَمِيدًا﴾.

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَعِينًا ۖ<sup>(١٦)</sup>  
لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَكُمَا لَآخِذَةً مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَعِلِينَ ۖ<sup>(١٧)</sup>﴾

### إشارات:

- تستعمل كلمة «لو» في اللغة العربية في الأمور المحالة، وإذ إن اللهو محال على الله تعالى لذا استفيد من كلمة «لو» في هذا المقام.
- يقول الله تعالى في هذه الآيات ابتداءً: نحن لسنا ﴿لَعِينِينَ﴾، ومن ثم في تمة الكلام يقول: ﴿أَنْ تَتَّخِذَ لَكُمَا﴾، بدلاً من أن يقول «لو أردنا أن نتخذ لعباً»، وبناء على ذلك يعلم أن حقيقة اللعب واللهو واحدة، ولذا نقرأ في تفسير الميزان قوله: اللعب هو الفعل المنتظم الذي له غاية خيالية غير واقعية، كملاعب الصبيان التي لا أثر لها إلا مفاهيم خيالية من تقدم وتأخر، وريح وخسارة، ونفع وضرر كلها بحسب الفرض والتوهم، وإذا كان اللعب بما تنجذب النفس إليه يصرفها عن الأمور الواقعية فهو من مصاديق اللهو. وبناء عليه فكلا المعنيين باطلين في حق الله تعالى ولا معنى لهما.
- أكّد في القرآن الكريم مراراً وتكراراً على أن عالم الوجود لم يخلق عبثاً ولعباً، بل خلق لحكمة وهدف محددين. ومن الآيات ما ورد في الآية (١٢) من سورة الطلاق؛ إذ اعتبرت الهدف من ذلك هو إيمان الناس بقدرة الخالق. يقول الله

تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ... لِيَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾. وحتماً لا يتحقق هذا الهدف إلا بالتفكير في عالم الوجود، وأخذ العبر والدروس، والإقرار بذلك.

□ ورد معنيان حول قوله تعالى ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْتَهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾:

أولاً: إن خلق الوجود لو فرض أنه كان للهو فهو فعله وليس فعل الأصنام.

ثانياً: لو أردنا أن نتخذ للهواً لاتخذنا للهواً مما هو عندنا من الملائكة والمقربين إلى ساحتنا، وتركنا عالم الماديات والطبيعة.

□ عن الإمام الصادق عليه السلام أنه سئل عن اللهو في غير النكاح فأنكره وتلا قول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْتَهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

### التعاليم:

١ - للوجود أهداف، ﴿وَمَا خَلَقْنَا... لِعَيْنٍ﴾؛ (إذا لم يكن الخلق لحكمة فلن يكون الموت حيثئذ فناء كل شيء ونهايته).

٢ - من كان هدفه اللعب يصنع ألعاباً ولا يصنع عالماً لا نهاية له، فذرة واحدة منه فقط دفعت عصوراً وأجيالاً للبحث حولها، ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ﴾.

٣ - لو فرضنا محالاً أن الله تعالى أراد أن يتخذ للهواً ولعباً، لوجب أن يتخذ ما يليق بحضرته وذاته من الروحانيات وليس من الأجسام والماديات<sup>(٢)</sup>.

٤ - لو فرضنا فرضاً محالاً أن هدف الله هو اللعب فلن يكون حيثئذ له شأن بخلق الإنسان، ولم يكن ليضع هؤلاء الأنبياء جميعاً في مشقة وعناء، ولم يكن ليأمر أو لينهى، ولم يكن ليقرر ثواباً وعقاباً، ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْتَهُ مِنْ لَدُنَّا﴾.

﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ﴾ (١٨)

### إشارات:

- «القذف» هو الرمي البعيد مع السرعة والقوة.
- و«الدفع» أي الضربة تكسر الرأس فتؤثر في الدماغ.
- «الويل» بمعنى العذاب والهلاك، وتستعمل أحياناً في من يستحق الهلاك<sup>(١)</sup>.

### التعاليم:

- ١ - انتصار الحق هو إرادة الله ومشيئته، ومظهر من مظاهر هدفة نظام الخلق، ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾.
- ٢ - ينبغي أن تكون مواجهة الحق للباطل هجومية لا دفاعية، ﴿نَقْذِفُ﴾.
- ٣ - سنة الله قائمة على فناء الباطل ومحوه، ﴿نَقْذِفُ... فَيَدْمَغُهُ﴾.
- ٤ - الحق غالب للباطل، ﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾.
- ٥ - محو الباطل لا يتحقق إلا بحضور الحق في المعركة، ﴿نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ﴾.
- ٦ - أثناء مواجهة الباطل لا بد من مراعاة السرعة، والقوة، ودقة التهديد، ﴿نَقْذِفُ... فَيَدْمَغُهُ﴾.
- ٧ - لا بد للباطل من أن يُزَهَقَ ويُدمَّر كلياً لا أن يبقى فيه رفق من الحياة، ﴿فَيَدْمَغُهُ﴾.
- ٨ - تقوم حكومة الباطل الآنية على أساس سَنَةِ الإمهال الإلهية والعاقبة للمتقين ولأهل الحق، ﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾.
- ٩ - الويل لكل من وصف الخلق باللعب واللهو، ﴿وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ﴾.

﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَخِيرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾<sup>(١٩)</sup>  
 ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾<sup>(٢٠)</sup> أَمْ أَخَذُوا إِلَهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُبْشِرُونَ ﴿٢١﴾

### إشارات:

□ «السنة الجارية بين الموالي وعبيدهم في الملك الاعتباري أن العبد كلما زاد تقريباً من مولاه خَفَّفَ عنه بالإغماض عن كثير من الواجبات والرسوم الجارية على عامة العبيد، وكان معفواً من الحساب والمؤاخذه... وهذا بخلاف ملكه تعالى لعبيده، فإنه ملك حقيقي: مالكة في غنى مطلق عن مملوكه، ومملوكه في حاجة مطلقة إلى مالكة، ولا يختلف فيه الحال بالقرب، والبعد، وعلو المقام ودنوه، بل كلما زاد العبد فيه قرباً كانت العظمة، والكبرياء، والعزة، والبهاء، عنده أظهر، والإحساس بذلة نفسه ومسكنتها وحاجتها أكثر، فيلزمها الإمعان في خشوع العبودية وخضوع العبادة»<sup>(١)</sup>، ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَخِيرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾.

□ ورد في الخطبة الأولى من نهج البلاغة كلام للإمام علي عليه السلام يصف فيه الملائكة إذ يقول: «ومسبحون لا يسأمون ولا يغشاهم نوم العيون، ولا سهو العقول، ولا فترة الأبدان، ولا غفلة النسيان».

### التعاليم:

- ١ - الملكية الحقيقية لعالم الوجود إنما هي لله تعالى، ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾؛ (لذا ما دمنا الآن مملوكون له فلا بد لنا من أن نعمل بمقتضى وظيفة العبودية).
- ٢ - لا ينحصر كل من العبادة والعبودية بالإنسان فحسب، ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ﴾.
- ٣ - في السموات موجودات حية ذات شعور أيضاً. (كلمة «من» في قوله: ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ﴾، وردت مقابل كلمة «من» في قوله: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ﴾ وهذا يشير إلى وجود موجودات حية ذات شعور غير الملائكة أيضاً).

- ٤ - بعض مخلوقات الله تعالى تصل إلى مقام القرب الإلهي، ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ﴾.
- ٥ - أساس ترك العبادة هو التكبر، ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾.
- ٦ - العبادة تقرن الإنسان بالملائكة، ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾.
- ٧ - النشاط، أساس قيم للعبادة، ﴿وَلَا يَسْتَحِيرُونَ﴾.
- ٨ - الملائكة لا ينامون، ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾.
- ٩ - دوام العبادة يزيد عظمة وقيمة، ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ... لَا يَفْتُرُونَ﴾.
- ١٠ - علينا أن نضع العقائد الباطلة تحت مجهر السؤال والتساؤل، ﴿أَمِ اتَّخَذُوا إِلَهًا مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُبْشِرُونَ﴾.

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَٰهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾

#### إشارات:

□ لو نظرنا نظرة دقيقة إلى كتاب ما ألفه مؤلفين عدة لرأينا بشكل واضح الاختلاف بين جملة وسياقه ومحتواه في كل قسم من أقسامه بالنظر في ما بينها، ومن البديهي أنه كلما كان الكتاب أكبر وأكثر تفصيلاً لكان الاختلاف أكبر وأكثر ظهوراً؛ لأنه لو فرضنا وجود تناسق بالصدفة في كتابة جملة أو سطر أو صفحة إلا أنه في كتاب الوجود الكبير من المحال وجود هذا التناسق والانسجام والنظم من دون وجود الخالق الواحد الأحد.

□ سؤال: إذا كان الله تعالى هو وحده مصدر الأمور ومديرها فلماذا إذاً يوجد تضاد في ما بينها؟

الجواب: إذا صح تسمية ذلك بالتضاد فيجب القول إنه تضاد ذو حدين، أو أنه ككفتي ميزان كلاهما تحت تدبير واحد ولتحقيق هدف واحد، أو أنه مثل الحركة المتضادة لكلا الكفين عند الإنسان للضغط على قطعة من القماش من أجل إخراج الماء منها.

□ عن هشام بن الحكم، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما الدليل على أن الله



واحد؟ قال: اتصال التدبير وتمام الصنع كما قال الله ﷻ: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾<sup>(١)</sup>.

□ هذه الآية جواب ورد على من قال إن لكل شيء ولكل أمر رب ومدبر وإله؛ ولذا قال الله تعالى لهم: ﴿رَبِّ الْاَرْضِ﴾، أي أن الله تعالى هو رب الوجود كله وخالقه.

### التعاليم:

- ١ - تعدد الآلهة محال، ﴿لَوْ كَانَ﴾ (كلمة «لو» تستعمل في موضع يدل على عدم إمكان القيام به، أي امتناع حصوله).
- ٢ - إله السموات والأرض واحد، ﴿فِيهِمَا﴾، خلافاً لما يقوله المشركون بوجود إله للسماء وإله للأرض. وقد اعتبر القرآن الكريم أن إله الجميع واحد، ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾<sup>(٢)</sup>.
- ٣ - يستلزم التعدد في الربوبية الاختلال والفساد، ﴿إِلَهَةٌ... لَفَسَدَتَا﴾.
- ٤ - عند ذكر أي كلام باطل لا بد من تنزيه الله تعالى، ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا... فَسُبْحَنَ اللَّهِ﴾.
- ٥ - لا بد من أن يكون تسبيح الله ناتج عن المعرفة، وعلى أساس الاستدلال والمنطق، وليس بنحو أعمى ولقلقة لسان فحسب، ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا... فَسُبْحَنَ اللَّهُ﴾. (استدل أولاً بأن تعدد الآلهة يستلزم الفساد في الوجود، ومن ثم ورد القول بتسبيح الله تعالى ﴿سُبْحَنَ اللَّهُ عَمَّا يُصِفُونَ﴾).

﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾<sup>(٣)</sup>

### إشارات:

□ تكررت في القرآن الكريم الإشارة إلى أن الإنسان مسؤول ولا بد له من الإجابة

عما قام به من أعمال في الدنيا، ومن جملة ذلك قوله تعالى: ﴿فَرَرْتُكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾<sup>(١)</sup>، وكذلك ما ورد في موضع آخر إذ يقول سبحانه: ﴿وَقَفُّوا لَهُمْ مَسْئُولُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وعلى أي حال فإن الإنسان سيسأل يوم القيامة عن أفكاره ونواياه، وعن شبابه وعمره، وعن ماله من أين اكتسبه وأين أنفق، وعن اختياره لإمامه، والطاعة للأئمة العظام.

□ سؤال: حينئذ كيف نفسر ما ورد في آية أخرى بأنه لن يُسأل أحد لا من الجن ولا من الإنس عما قام به، ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾<sup>(٣)</sup>.

الجواب:

١ - للقيامة مشاهد مختلفة ولكل مشهد منها شرائطه الخاصة به، ومثالاً على ذلك عندما يسأل الإنسان، وهو في أحد المواقف، فبإمكانه أن يجيب بلسانه، ولكنه في موقف آخر سيختم على فمه وستشهد على أعماله سائر أعضائه وجوارحه.

٢ - ذكر بعضهم أن المجرم نفسه يُسأل عن ذنبه ولا يسأل غيره عن ذنبه لا من الإنس ولا من الجن.

□ قال الإمام الرضا عليه السلام: «قال الله تعالى: يا ابن آدم بمشيتي كنت أنت الذي تشاء ما تشاء»<sup>(٤)</sup>.

### التعاليم:

١ - الله تعالى هو المالك الحقيقي والمطلق لكل الوجود، والمالك لا يؤاخذ على التصرف في مملوكه وحكمه، ﴿رَبِّ الْمَرْثَى... لَا يُسْأَلُ﴾.

٢ - إنما يمتلك حق السؤال من كان له طلب أو حق، والحال أنه ما من أحد

(٣) سورة الرحمن: الآية ٣٩.

(٤) التفسير الصافي.

(١) سورة الحجر: الآية ٩٢.

(٢) سورة الصافات: الآية ٢٤.

على الإطلاق له طلب أو حق على الله تعالى، ﴿لَا يُسْأَلُ﴾.

٣ - إنما يمكن لموجود ما أن يسأل الله في ما إذا كان له الفوقية والغلبة على الله، ومثل هذا الموجود غير موجود، ﴿لَا يُسْأَلُ﴾.

٤ - الناس مسؤولون عن أفعالهم وأعمالهم، ﴿وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾.

٥ - السؤال والمؤاخذه والمحاسبة أهم دليل على تحمل المسؤولية وأهم علامة على حرية الإنسان واختياره، ﴿وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾. (نعم إن الإنسان المجبور لا يؤاخذ أو يحاسب؛ لأن مؤاخذه الإنسان المجبور الفاقد للاختيار ومحاسبته ومساءلته لا تجوزان عقلاً).

﴿أَرَأَيْتُمْ أَتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ مِنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿١١﴾﴾

إشارات:

□ عن الإمام علي عليه السلام: «إن النبي ﷺ أوتي (بنزول القرآن عليه) علم النبيين، وعلم الوصيين وعلم ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة، ثم تلا هذه الآية: ﴿هَذَا ذِكْرٌ مِنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ مِنْ قَبْلِي...﴾»<sup>(١)</sup>. (وبناء عليه فإن القرآن يحوي علم ما كان وعلم ما يكون).

التعاليم:

١ - من ابتعد عن حضرة الإله الواحد وقع في فخ الآلهة المتعددة، ﴿أَرَأَيْتُمْ أَتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً﴾.

٢ - لا بد للنبي ﷺ من أن يواجه الناس بالاستدلال وأن يطلب منهم البرهان، ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾.

٣ - للتوحيد دليل، ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا...﴾، أما الشرك فليس له أي دليل<sup>(١)</sup>، ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾.

٤ - لا يجوز التقليد في الأصول العقدية، ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾.

٥ - التوحيد خطاب كل الكتب السماوية، ﴿ذَكَرُ مَنْ مَعِيَ وَذَكَرُ مَنْ قَبْلِي﴾.

٦ - تبعث الكتب السماوية على إحياء الفطرة الهامدة وتذكر بالمعارف المنسية، ﴿ذَكَرُ مَنْ مَعِيَ وَذَكَرُ مَنْ قَبْلِي﴾.

٧ - في فضاء الجهل لا قيمة لإقبال الأكثرية ولا لإعراضهم، ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (٢٥)

□ على الرغم من أن الله تعالى قد صرح في الآية (٤٠) من سورة الأحزاب بمسألة خاتمية نبوة نبي الإسلام محمد ﷺ، إذ يقول: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾، وعلى الرغم من الإشارة إليه بطرق مختلفة في أكثر من ثلاثين مورداً وبعبارات مختلفة فإنه ذكر فيها قوله: ﴿مِنْ قَبْلِكَ﴾، فإنه لم يذكر حتى في مورد واحد قوله «من بعدك».

### التعاليم:

١ - الرسالة مصاحبة لاستقبال الوحي، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا... مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ﴾.

٢ - التوحيد كان على رأس مهام الأنبياء الإلهيين كلهم ودعوتهم، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا... إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾.

٣ - يجب أن يركز العمل على أساس العقائد، فالقاعدة أولاً والبناء ثانياً. (التوحيد في الألوهية ابتداءً ومن ثم التوحيد في العبودية)، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾.

٤ - حصرية طلب الحق في مقابل الباطل شعار إلهي، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾.

(١) نقرأ في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا مَآخَرًا لَا يُدْعَى لَهُ﴾ (سورة المؤمنون: الآية ١١٧).

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾  
لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾

## إشارات:

- شاع بين المشركين الاعتقاد بأن الملائكة أبناء الله، وقد شاع هذا الاعتقاد بين اليهود والنصارى كذلك<sup>(١)</sup>.
- إطلاق كلمة «مكرمون» على الملائكة باعتبار أنهم عباد الله أولاً، ولأن عبادتهم مقترنة بالإخلاص ثانياً.
- كلمة «الرحمن» كانت اسماً معروفاً لله تعالى عند المشركين، ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ﴾.
- تؤثر الشرائط الحاكمة على الإنسان على معتقداته وأحكامه، وإذا إن لأفراد البشر أجسام، ويرون أنفسهم محتاجين للولد فقد نسبوا ذلك إلى الله تعالى كذلك، وهو المنزه عن الجسمية والاحتياج.

## التعاليم:

- ١ - أثناء نقل كلام الآخرين المشتمل على الكفر لا بد لنا من أن ننزه الله تعالى ﴿وَلَدًا سُبْحَنَهُ﴾.
- ٢ - كلما تعرضنا لذكر انحراف الآخرين لا بد لنا من بيان طريق الحق كذلك، ﴿وَقَالُوا... بَلْ﴾.
- ٣ - التسليم لأمر الله سر كرامة العباد، ﴿مُكْرَمُونَ... لَا يَسْبِقُونَهُ﴾. نعم، من أصبح من المكرمين لا يسبق أمر الله بقول ولا بعمل، ﴿مُكْرَمُونَ... لَا يَسْبِقُونَهُ﴾.
- ٤ - الملائكة مأمورون لله تعالى لا يعملون إلا بأمره، ولا يسبقون أوامره أبداً، ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ... بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ  
وَهُمْ مِّنْ خَشِيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾

إشارات:

□ «الخوف» هو الخوف من الذنب، لكن «الخشية» تعني الخوف من عظمة الله، أي خوفاً يلزم التعظيم والاحترام.

□ ورد في الروايات أن المراد من قوله تعالى: ﴿لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾، أي من ارتضى الله دينه حتى ولو كان مذنباً؛ لأن المؤمن عندما يتوب من ذنبه يُلطف الله به ويشمل بالشفاعة<sup>(١)</sup>.

التعاليم:

١ - التسليم المطلق في مقابل إله يعلم كل شيء له قيمة وعظمة، ﴿يَأْمُرُهُمْ بِتَمْلُوكَ، يَعْلَمُ﴾. (فالالتفات إلى معرفة الله بكل شيء يؤدي إلى التسليم له والخشية منه).

٢ - علم الله تعالى بالماضي والمستقبل على حد سواء بخلاف علم الإنسان المرتبط بالماضي فحسب، يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ.

٣ - العبودية والتسليم لله تعالى سبب لنيل مقام الشفاعة، ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ، لَا يَسْتَفِئُونَ، يَشْفَعُونَ﴾.

٤ - الملائكة من أهل الشفاعة أيضاً، ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾.

٥ - الشفاعة لا تليق إلا بأهلها، والذين يُشْمَلون بالشفاعة هم الذين ارتضى الله تعالى دينهم، ﴿إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾.

٦ - كلما كبرت المعرفة بالله زادت الخشية منه، ﴿وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾. (مقام العصمة غير مانع من خشية الله).

(١) تفسير الصافي وتفسير نور الثقلين، التوحيد للصدوق، ص ٤٠٨.

﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنْتَ إِلَهُ مِنْ دُونِي، فَذَلِكَ نُجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نُجْزِي  
الظَّالِمِينَ﴾ (٢٩)

## إشارات:

□ ربما تكون هذه الآية من باب «تكلم مع الباب لسمع الحائط»، أي اعلماؤها  
الناس أن كل موجود، حتى ولو كان من الملائكة المكرمين (ومع أن هذا  
التصور محال في حقهم)، يدعو الآخرين إلى الشرك بالله فسيكون جزاؤه نار  
جهنم.

## التعاليم:

- ١ - ادعاء الشرك غير قابل للقبول من أي موجود وغير قابل للعفو والتسامح،  
﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ...﴾.
- ٢ - كل من يدعي العلم في مقابل الله تعالى ويطرح نفسه كشريك له وسواء اتبعه  
الناس أم لم يتبعه أحد ما فإن جزائه نار جهنم، ﴿إِنْتَ إِلَهُ... نُجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾.
- ٣ - تقوم العقوبات الإلهية على سنة وقانون دائم، ﴿كَذَلِكَ﴾.
- ٤ - المشرك ظالم وعقوبة الظلم ليست إلا النار، ﴿نُجْزِي الظَّالِمِينَ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَا رَتْقًا فَفَنَقَّْنَهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ  
شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٣٠)

## إشارات:

□ ذكرت أقوال عدة في المراد من كون السموات والأرض ﴿رَتْقًا فَفَنَقَّْنَهُمَا﴾ :

- أ - إن رتق السماء والأرض إشارة إلى بداية الخلق؛ إذ يرى العلماء أن كل  
هذا العالم كان كتلة واحدة عظيمة من البخار المحترق وتجزأ تدريجياً  
نتيجة الانفجارات الداخلية والحركة.

ب - المراد من الرق هو كون مواد العالم متحدة بحيث تداخلت في ما بينها وكانت تبدو وكأنها مادة واحدة، إلا أنها انفصلت بعضها عن بعضها الآخر بمرور الزمان.

ج - إن المراد من رتق السماء هو أنها لم تكن تمطر في البداية. والمراد من رتق الأرض أنها لم تكن تنبت النبات في ذلك الزمان، إلا أن الله سبحانه فتق الاثنين فأنزل من السماء المطر وأخرج من الأرض أنواع النباتات<sup>(١)</sup>.

□ مصدر وجود الإنسان والحيوانات هو الماء. يشكل الماء ٧٠٪ من أجسام الناس والحيوانات كذلك فإن حياة النباتات ترتبط بوجود الماء.

### التعاليم:

- ١ - التأمل الهادف في الطبيعة مفتاح لكسب الإيمان، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَيْثُ يَدْعُونَ الْمَاءَ لِيُخْرِجَ مِنْهُ نَبَاتًا طَائِفًا فَأَتَتْهُمُ الْمَوْتُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.
  - ٢ - مرَّ عالم الطبيعة في مراحل مختلفة، ﴿كَانَّا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمْ﴾.
  - ٣ - لا خير في الجمود والرتق، في الفتق منشأ الحياة، ﴿رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمْ﴾.
  - ٤ - الماء عنصر حياتي للكائنات الحية، ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا﴾.
- ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ (٣١)

### إشارات:

□ «الرواسي» جمع «راسية» بمعنى الثابتة، والمراد منها في هذه الآية الجبال الثابتة و«تميد» مأخوذة من «الميد» بمعنى اضطراب الأشياء الكبيرة. وكلمة «فجاج» تطلق على الطرق الواسعة بين جبلين؛ وأما الطرق الضيقة بينهما فتسمى «شعب»<sup>(٢)</sup>.

□ ذكر العلماء للجبال فوائد كثيرة ومنها: أنها تحافظ على الثلج، وتخزن المياه



من أجل فصل الصيف، وأنها تمنع الأعاصير الناشئة عن انتقال الهواء، وتؤمن المحيط المناسب لنمو النباتات والحيوانات، كذلك فإنها مصدر لأنواع عدة من الصخور تستخدم في البناء، وغير ذلك.

□ كيف يعقل أن الله الحكيم قد جعل في الأرض جبلاً ثابتة ل تمنع من اضطرابها وتزلزلها، ولم يجعل في الأرض أولياء وأئمة صابرين أقوياء لمنع الإنسان من الزلل أمام الحوادث المختلفة؟!

### التعاليم:

- ١ - لم تخلق الجبال صدفة، بل خلقت على أساس التدبير الإلهي، ﴿جَعَلْنَا﴾.
- ٢ - الجبال عامل تسكين الأرض؛ فالأرض من دون وجود الجبل معرضة لاهتزازات شديدة بسبب الغازات الداخلية والمواد المذابة في باطنها، ﴿رَوَّسَى أَنْ نَبِيدَ بِهِمْ﴾.
- ٣ - في خضم الموانع الكبرى لا بد من وجود طرق للنجاة، ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا﴾.
- ٤ - الطرق المجدولة بين الجبال، مضافاً إلى كونها وسيلة للوصول إلى مناطق أخرى، فإنها أيضاً وسيلة هداية إلى الحكمة الإلهية، ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾.

﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ (٣٢)

### إشارات:

□ للأرض دفاعان، أحدهما من داخلها والآخر من خارجها؛ أما الأول: فهو بواسطة الجبال، إذ تحفظ الأرض من التحركات ومن ضغوط الغازات الداخلية التي تسبب الزلازل والهزات، وأما الثاني: فبواسطة الهواء السماوي، وطبقات الجو المحيطة بها والتي تحفظ الأرض من رجم الشهب ليلاً ونهاراً، وكذلك من أشعة الشمس القاتلة والإشعاعات الخطيرة من سائر الأجرام والمجرات والتي تهدد الأرض بشكل خطير دائماً.

□ ربما يكون المراد من كون السماء محفوظة أنها محفوظة من ذهاب الشياطين وإيابهم كما يقول تعالى في موضع آخر من القرآن الكريم: ﴿وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَآنٍ رَجِيزٍ﴾<sup>(١)</sup>.

### التعاليم:

- ١ - السماء مخلوقة وفق حساب دقيق وهدف محدد، ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا﴾.
- ٢ - ليست الأرض محفوظة فحسب بل السماوات أيضاً، ﴿مَحْفُوظًا﴾، (تحفظ من أن تسقط على بني الإنسان).
- ٣ - السماوات حافظة، ﴿سَقْفًا﴾، وكذلك محفوظة، ﴿مَحْفُوظًا﴾.
- ٤ - السماء علامة على قدرة الله وحكمته، ﴿ءَايَاتِهَا﴾.
- ٥ - على الرغم من تأكيد الله تعالى مراراً على أخذ العبرة من الآيات والاهتداء بها وأنها علامات على قدرته المطلقة، فإن الإنسان الغافل والمغرور مع ذلك يعرض عنها، ﴿عَنْ ءَايَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾.

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾<sup>(٢)</sup>

### إشارات:

□ الليل كما النهار مخلوقان ومجعلان من قبل الله تعالى، من قبيل قوله ﷻ في الآية الشريفة ﴿خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾<sup>(٣)</sup>، أي أن الموت كما الحياة لهما وجود مخلوق من قبل الله تعالى.

□ ذكرت احتمالات عدة في كلمة «كل» في هذه الآية:

- أ - ليست الشمس والقمر في حركة فحسب؛ بل كل الأجرام السماوية متحركة أيضاً.

(١) سورة الحجر: الآية ١٧.

(٢) سورة الملك: الآية ٢.

ب- كل طلوع للشمس والقمر يختلف موقعه عن غيره من الطلوعات<sup>(١)</sup>.  
 ج- الليل والنهار في حركة أيضاً كما هو حال الشمس والقمر؛ لأن الليل، وهو الظل المخروطي للأرض، له مدار خاص فإذا نظر إليه الإنسان من بعيد، من خارج الكرة الأرضية، فسيرى أن هذا الظل المخروطي في حركة مستمرة حول الأرض، وسيرى نور الشمس الذي يشع على الأرض مشكلاً النهار كالأسطوانة التي تنتقل دائماً حول هذه الكرة، وبناء على هذا فإن لكل من الليل والنهار مداراً خاصاً به<sup>(٢)</sup>.

### التعاليم:

- ١ - أفضل طريق لمعرفة الله التفكير في مخلوقاته، ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ...﴾؛ لأن الطبيعة في مرأى كل الناس واختيارهم.
  - ٢ - لكل من الكواكب والنجوم فلك يتحرك ويسبح فيه، ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ﴾.
- ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾ (٢١) ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةٌ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (٢٥)

### إشارات:

□ عن أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام: «إن الله يقول: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةٌ﴾، فالخير: الصحة والغنى، والشر: المرض والفقر، ابتلاء واختباراً وشدة تعبد»<sup>(٣)</sup>.

### الموت في القرآن والروايات

- ١ - الاستعداد للموت صفة أولياء الله، ﴿إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ﴾<sup>(٤)</sup>.

(٣) بحار الأنوار، ج ٨، ص ٢٠٩.

(٤) سورة الجمعة: الآية ٦.

(١) تفسير اللاهيجي.

(٢) تفسير الميزان وتفسير الأمل.

- ٢ - مكانة الموت في حياة الإنسان كحال القلادة على صدر الفتاة: «خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة»<sup>(١)</sup>.
- ٣ - الموت ليس نهاية الطريق، بل هو بمنزلة تغيير في الحياة وأسلوبها، (تنقلون من دار إلى دار)، وهو كتزع الثوب واستبداله<sup>(٢)</sup>.
- ٤ - كل إنسان ينقل من هذه الدنيا بنحو ما، فبعض الناس يموت بأشد الحالات والأوصاف، وبعض آخر يموت كما يشم أطيب وردة وريح<sup>(٣)</sup>.
- ٥ - خوف الإنسان من الموت كخوف السائق إما من قلة الوقود، «آه من قلة الزاد وطول الطريق»<sup>(٤)</sup>، وإما لحمله بضائع مهربة وممنوعة، (المذنب)، وإما لأنه لا يعرف قيادة السيارة، وإلا فلماذا يخاف ولم الخوف؟!

### التعاليم:

- ١ - سنة الله قائمة على عدم خلود الإنسان في هذه الدنيا، ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ... الْقُلُودَ﴾.
- ٢ - لو فرض أن إنساناً ما سيخلد في هذه الدنيا لكان هذا الإنسان هو النبي محمد ﷺ، ﴿أَفَايُنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾.
- ٣ - على الرغم من أن الشر والخير كلاهما وسيلة للابتلاء فإنَّ الابتلاء بالشرور أنسب، ﴿وَبَلَّوْكُمْ بِالْشَّرِّ وَالْخَيْرِ﴾، (تقدّم ذكر الشر على الخير ربما يشير إلى هذه الأنسية).
- ٤ - الابتلاء الإلهي صعب ومهم أيضاً، ﴿وَبَلَّوْكُمْ... فَتَنَةً﴾.
- ٥ - لن تُفنى بالموت فالموت ليس فناء، ﴿إِنَّا تَرْتَجِعُونَ﴾.

(١) ورد هذا التشبيه الرائع عن الإمام الحسين عليه السلام قبل سفره إلى كربلاء.

(٢) بحار الأنوار، ج ٦، ص ١٥٤. (٣) بحار الأنوار، ج ٦، ص ١٥٢.

(٤) نهج البلاغة، الحكمة ٧٧.

﴿وَإِذَا رَأَوْاكَ كَفَرُوا إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ  
وَهُمْ يَذْكُرِ الرَّحْمَنَ هُمْ كَفِرُونَ﴾

### إشارات:

□ يؤدي الكفر بالإنسان إلى الاستهزاء والسخرية بالمنطق القوي والسليم وأقوال المعصوم عليه السلام، ولكن المعصوم غير مستعد لأن يظهر أقل احترام وأدب تجاه الحجارة والأخشاب (الأصنام)، ولهذا فإنهم قالوا: ﴿يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ﴾ فقط، مع أن مرادهم «يذكر آلهتكم بسوء».

□ إذا كان في حوض أو مستنقع من الماء جثة متعفنة ذات رائحة كريهة، فإذا تساقط عليها المطر ازداد تعفنها وازدادت رائحتها الكريهة، وحال الكفر كحال الجثة الميتة مع روح الإنسان، إذ إنها عندما ترى النبي ﷺ تزداد عناداً ولجاجة.

### التعاليم:

- ١ - الكفار لا يملكون إلا السخرية والاستهزاء، ولا يملكون أي سلاح علمي ومنطقي، ﴿إِن يَتَّخِذُونَكَ...﴾؛ (الاستهزاء صفة العاجز عن الاستدلال).
- ٢ - يهيج الكافرون عواطف الناس ضد النبي ﷺ، ﴿آلِهَتَكُمْ﴾.
- ٣ - من ابتلي بالخبائث الباطنية فإنه كلما ازداد من رؤية القادة الإلهيين فإنه يزداد انقلاباً على عقبيه، ﴿رَأَوْاكَ... يَتَّخِذُونَكَ﴾.

﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾

### التعاليم:

- ١ - استعجال الإنسان في ما يريد لا أثر له في مشيئة الله وحكمته، ﴿سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾.
- ٢ - الإنسان قادر على كبح جماح غرائزه والسيطرة عليها، ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ... فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٣٨)

### التعاليم:

١ - تبعث خصلة العجلة في الإنسان الكافرين إلى التساؤل عن زمان تحقق الوعود الإلهية، ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ... وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾.

﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُرُونَ عَنْ وُجُوهِِهِمُ النَّارَ  
وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (٣٩)

### إشارات:

□ أشير في هذه الآية إلى مورد من موارد عجلة الإنسان؛ ألا وهو سؤال الكافرين المتكرر للنبي ﷺ: متى تأتي القيامة الموعودة والتي سنعذب فيها بسبب كفرنا؟ وكان ذلك يزعج النبي ﷺ، لذا فإن الله يسلي نبيه قائلاً له: لو يعلم هؤلاء الكافرون بذلك اليوم الذي ستحيط بهم النار من أمامهم، ومن خلفهم، ومن كل جهة ولن يجدوا مفرّاً منها، فسوف لن يستعجلوا مجيئه أبداً.

### التعاليم:

١ - تسرّع الإنسان واستعجاله سببه جهل الإنسان، ﴿لَوْ يَعْلَمُ﴾؛ (لو كانوا يعلمون لما استعجلوا).

٢ - العلم بأخطار القيامة مانع من رفض الحق، ﴿لَوْ يَعْلَمُ...﴾.

٣ - الكفر مانع من الشفاعة، ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾.

٤ - المعبودات الأخرى، (أي غير الله)، فاقدة لأي تأثير وفائدة ترجى، ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾.

٥ - لا يستطيع الكفار في يوم القيامة أن يدفعوا النار عنهم، ولا يُنصرون من قبل أصنامهم وطواغيتهم، ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾.

﴿بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْةٌ فَتَبَهُتُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ (٤٠)

التعاليم:

- ١ - عندما يختل الفكر تختل الإرادة والقدرة أيضاً. (البهت الفكري يسلب القدرة ويشلها)، ﴿فَتَبَهُتُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾.
- ٢ - إمهال الكافرين سنة إلهية في الدنيا لا في الآخرة، ﴿وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَسْتَهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (٤١)

التعاليم:

- ١ - كان للبشر أنبياء على مر التاريخ، ﴿رُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾.
- ٢ - اعتمد الكفار على مر التاريخ أسلوب الاستهزاء والسخرية، ﴿سَخِرُوا مِنْهُمْ﴾.
- ٣ - يخفف الاطلاع على آلام الآخرين من آلام الإنسان، ﴿أَسْتَهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾.
- ٤ - لا ينبغي للأفعال الحكيمة أن تُعْطَل بسبب سخرية بعض واستهزائهم. (على الرغم من أن الأنبياء قد تعرضوا للسخرية بهم إلا أن إرسالهم لم يتوقف)، ﴿أَسْتَهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾.

٥ - الاستهزاء سبب للابتلاء، ﴿سَخِرُوا... فَحَاقَ...﴾.

٦ - الجزاء يسانخ الذنب، ﴿فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا... مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾.

﴿قُلْ مَنْ يَكْلُؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ (٤٢)

التعاليم:

- ١ - لا يمكن لأي قوة وقدرة أن تحمي الإنسان من الأخطار، ﴿قُلْ مَنْ يَكْلُؤُكُمْ...﴾.
- ٢ - الإنسان بحاجة إلى حماية الله وحفظه دائماً، ﴿مَنْ يَكْلُؤُكُمْ...﴾.

- ٣ - من الأساليب الناجحة في التبليغ مخاطبة وجدان الناس، ﴿قُلْ مَنْ يَكْذُوكُمْ﴾.  
 ٤ - محافظة الله دائمة وتعم الناس جميعاً حتى الكافرين منهم، ﴿قُلْ مَنْ يَكْذُوكُمْ﴾.

٥ - تصل أعمالنا إلى حد تُغضب منبع الرحمة كلها، ﴿مِنَ الرَّحْمَنِ﴾. (حفظ الله يقوم على أساس عطفه ورحمته)، ﴿يَكْذُوكُمْ... مِنَ الرَّحْمَنِ﴾.

٦ - الحفظ من شؤون ربوبية الله تعالى: ﴿يَكْذُوكُمْ... رَبُّهُمْ﴾ (ابتداء من حفظ السماوات، ووصولاً إلى ترويض الحيوانات، ومن ثم دفاع البدن أمام الميكروبات والجراثيم التي تهاجم جسم الإنسان، وغيرها من مئات أنواع الحفظ التي تحيط بوجود الإنسان).

٧ - إذا أعرض الناس عن ذكر الله فإنه أيضاً سيعرض عنهم، فالله ابتداءً خاطب الكافرين بصيغة المخاطب، ﴿يَكْذُوكُمْ﴾؛ ولكنه من بعد ذلك كأنه أعرض عنهم، (لإعراضهم عنه)، فأشار إليهم بصيغة الغائب، ﴿بَلْ هُمْ﴾.

٨ - لا بد للإنسان من أن يذكر المربي الواقعي له، ولو لم يفعل ذلك فإنه يستحق التوبيخ، ﴿بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُّعْرِضُونَ﴾.

﴿أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا

يُصْحَبُونَ﴾

### التعاليم:

- ١ - لا يستطيع غير الله تعالى الدفاع عن نفسه (باطناً)، ولا يستطيع الدفاع عن غيره ونصرته (خارجاً)، ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ...﴾.  
 ٢ - كيف يمكن للعاجز المحتاج أن يُعبد، ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ﴾.  
 ٣ - كيف يمكن لمن لاحظ له من الوجود أن يهب الوجود، ﴿ءَالِهَةٌ... لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ﴾.



﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ  
نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾

## إشارات:

□ ذكرت معان مختلفة في المراد من إنقاص الأرض، من أطرافها في قوله تعالى:

﴿نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾، منها:

أ - المراد منها موت العلماء وفقدهم<sup>(١)</sup>.

ب - المقصود هو انقراض الأمم التي تسكن الأرض<sup>(٢)</sup>.

ج - قيل أرض الكفرة ننقصها من أطراف الأرض، أي بتسليط المسلمين عليها<sup>(٣)</sup>.

د - قيل إن حجم الكرة الأرضية يميل إلى النقصان من الناحية الجغرافية.

## التعاليم:

١ - إن طول العمر والإمتاع إنما هو بإرادة الله تعالى، ولا دور في ذلك لأي معبود سوى الله، ﴿مَتَّعْنَا﴾.

٢ - ليس كل إمتاع للناس أو لأسلافهم يدل على أنه لطف من الله، ﴿بَلْ مَتَّعْنَا﴾. (لا يغفلنكم طول العمر وإمتاع أسلافكم).

٣ - لا عجلة لله تعالى في معاقبة الكافرين، ﴿مَتَّعْنَا﴾.

٤ - لا ينبغي الأنس بطول العمر، ﴿حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾. يطيل الله تعالى عمر الكافرين إمهالاً لهم في زيادة إثمهم، ﴿إِنَّمَا تُمَلَّى لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾<sup>(٤)</sup>.

٥ - الاطلاع على تاريخ الأمم والحضارات وأخذ العبرة منهم ممدوح، ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ...﴾.

(١) التفسير الصافي.

(٣) التفسير الصافي.

(٢) تفسير الميزان.

(٤) سورة آل عمران: الآية ١٧٨.

٦ - على الرغم من مشاهدة الانقراض المتوالي للأمم، فهل يظن الكفار مجدداً أنهم سيغلبون؟ ﴿تَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾.

﴿قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنْذَرُونَ﴾ (٤٥)

### التعاليم:

١ - لم يقم إنذار الأنبياء وتبشيرهم على أساس الآراء الشخصية، والحدس، والظن، والخيالات، بل قام على أساس الوحي الإلهي القطعي، ﴿إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ﴾.

٢ - من لم يستفد استفادة صحيحة من نعم الله تعالى فكأنه محروم من هذه النعم، ﴿الصُّمُّ﴾، فإذا كان للإنسان أذن في الظاهر؛ ولكنه لا يسمع الحق بها، أو كان له عين ولا يرى الحقائق فيها، فهو في الواقع أصم وأعمى.

٣ - أحياناً لا يؤدي التبليغ غرضه ليس بسبب نقص في المبلغ أو خلل في أسلوب تبليغه، بل لعدم امتلاك الناس القابلية اللازمة له، ﴿أُنْذِرُكُمْ... لَا يَسْمَعُ﴾.

٤ - بعض الناس لا قابلية لهم للهداية، بل لا أمل بهدايتهم، ﴿وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ...﴾.

(ما نفع الوعظ لمن اسود قلبه فسمار الحديد لا يخترق الصخر)

﴿وَلَكِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يُوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ (٤٦)

### التعاليم:

١ - الذين لم يستيقظوا من غفلتهم بإنذار الأنبياء ﷺ يستيقظون عندما يضربون بأسواط العذاب، فعند حلول أبسط الأخطار يتداعى الغرور الكاذب وتستيقظ الضمائر الميتة، ﴿وَلَكِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ﴾.

٢ - سيعترف الظالمون يوماً ما بظلمهم، ﴿لَيَقُولُنَّ﴾.

٣ - الذين لا يعتنون بإنذار الأنبياء لهم، ولا يهتمون بذلك، هم ظالمون، ﴿وَلَا يَسْمَعُ الْضُرَّ... إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾.

﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ (٧)

### إشارات:

□ هذه الآية بشارة للمحسنين وإنذار للمذنبين بأنكم تعاقبون على أعمالكم أو تُثابرون عليها، دون أي نقصان فيها، وكما يقول الفيض الكاشاني رحمه الله:  
احذر فني كل ذرة حساب؛ احذر فنها ديوان الحساب والكتاب.

□ «الخردل» اسم نبات له حبوب سوداء صغيرة جداً يضرب بها المثل لدقتها وصغرها وحقارتها.

□ «الميزان» بمعنى آلة الوزن، وذكر مراراً في القرآن الكريم، وأكد عليه من قبل الله تعالى. ومما يجدر ذكره أنه لا بد من وزن كل شيء بميزان يتناسب مع حاله، فمثلاً لقياس درجة حرارة الهواء نستعمل ميزان الحرارة، ولمعرفة الطول نستعمل المتر، ولمعرفة وزن الأشياء نستعمل الكيلوغرام، وهكذا. فمن البديهي إذاً في مورد وزن قيم وأعمال الإنسان، أن توجد وسيلة وميزان يتناسبان مع هذه العناوين، وقد ورد في الروايات أن الأئمة المعصومين والأنبياء والأوصياء عليهم السلام هم الموازين القسط<sup>(١)</sup>، وكذلك نقرأ في زيارة أمير المؤمنين عليه السلام «السلام على ميزان الأعمال»<sup>(٢)</sup>.

□ سؤال: إذا كان حساب الله دقيقاً، في الواقع، إلى هذا الحد، فكيف نفسر حيثنّ عفو الله وكرمه؟

(١) الكافي، ج ١، ص ٤٦٩، معاني الأخبار، ص ٣١.

(٢) تفسير الأمل.

الجواب: المحاسبة أصل مستقل، واللفظ والتسامح أصل مستقل آخر، ولكل منهما موضعه الخاص به، ولا يتنافى أحدهما مع الآخر.

□ سؤال: ورد في بعض الآيات القرآنية أن الله تعالى لا يقيم وزناً لبعض الناس، ﴿فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾، فهل الميزان يومئذ لبعض الناس خاصة؟

الجواب: لا، فالميزان سيقام ويوضع لكل الناس، ولكن حيث إن الميزان إنما هو لمحاسبة الأعمال، وحيث إن بعض المجرمين لا يوجد عندهم شيء يقدموه، أنهم من أهل جهنم، فلا حاجة حينئذ لوضع ميزان لهم، إذ لا معنى له<sup>(١)</sup>.

### التعاليم:

١ - كل شيء، وكل شخص، وكل عمل، لديه القابلية للقياس والموازنة فسيكون ميزاناً في حد نفسه، ﴿الْمُوزِنَ﴾.

٢ - حساب الله تعالى دقيق جداً، ﴿مُنْقَالَ حَبٍّ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾.

٣ - لن تمحى أعمالنا في هذه الدنيا بل سنواجه بها في يوم القيامة، ﴿أَتَيْنَا بِهَا﴾.

٤ - الله تعالى عالم، ﴿أَتَيْنَا بِهَا﴾، وعادل أيضاً، ﴿الْقِسْطَ﴾، وكذلك محاسب، ﴿حَاسِبِينَ﴾.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءَ وَذِكْرًا لِّلْمُنَاقِبِ ﴿٤٨﴾ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾

### إشارات:

□ كما إن الهدف الكلّي للأنبياء واحد، كذلك فإن صفات كتبهم السماوية واحدة أيضاً، فالصفات التي ذكرت في هذه الآية للتوراة وصف بها القرآن الكريم أيضاً في آيات أخرى:

(١) التفسير الصافي، وتفسير نور الثقلين.

- أ - الفرقان، ﴿بَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾<sup>(١)</sup>. (الفرقان يطلق على الشيء الذي يعرف بواسطته الحق من الباطل).
- ب - الضياء والنور، ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾<sup>(٢)</sup>.
- ج - الذكر، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾<sup>(٣)</sup>.

### التعاليم:

- ١ - لا يجب أن يكون لكل نبي كتاب مستقل. فمع أن موسى وهارون عليهما السلام كانا نبين، فإن كتابهما كان واحداً، وهو التوراة، ﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ...﴾.
- ٢ - من أجل التوفيق في أي أمر أو تحرك من أجل الوصول إلى الهدف، لا بد للإنسان من أمور عدة:
  - أ - معرفة الطريق الصحيح عند مفترق الطرق، ﴿الْفُرْقَانَ﴾.
  - ب - الضياء والنور ليتحرك في ذلك الطريق ويسير فيه، ﴿ضِيَاءَ﴾.
  - ج - الوعي والاعتناء بالهدف لئلا ينحرف عن مسيره الصحيح<sup>(٤)</sup>، ﴿ذِكْرًا﴾.
- ٣ - للاستفادة من هداية الأنبياء عليهم السلام لا بد من التجهز بروحية التقوى، ﴿وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾.
- ٤ - علامة التقوى، الخوف من الله والقلق من يوم القيامة، ﴿لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ... مِّنَ السَّاعَةِ مَسْفُوتُونَ﴾.

﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾

### إشارات:

□ يكفي لكون القرآن مباركاً أنه استطاع في فترة وجيزة أن ينقل كثيراً من الناس

(٣) سورة الحجر: الآية ٩.

(٤) تفسير الأمل.

(١) سورة الفرقان: الآية ١.

(٢) سورة النساء: الآية ١٧٤.

من الشرك إلى التوحيد، ومن التفرقة إلى الوحدة، ومن الجهل إلى العلم، ومن التوحش إلى المدينة، ومن الأسر إلى الإمارة، ومن القذارة إلى النظافة، ومن الفقر إلى الغنى، ومن الركود إلى الحركة، ومن الترهات إلى الحقائق، ومن الذلة إلى العزة، ومن اتباع الطاغوت إلى إطاعة المعصوم، ومن الغفلة إلى اليقظة، ومن التزلزل إلى الثبات، ومن الكفر إلى الإيمان، وبعبارة موجزة: من الظلمات إلى النور.

□ استعملت في الآية السابقة، في مورد التوراة، كلمة «ذَكَرًا» فحسب، ولكنه في هذه الآية وصف القرآن بأنه ﴿ذَكَرٌ مُّبَارَكٌ﴾، وحتماً فقد ورد توصيف القرآن بالفرقان والنور في آيات أخرى.

### التعاليم:

- ١ - القرآن الكريم كتاب يمكن لتذكراته أن تجذب إليه ملايين القلوب على مدى العصور والأجيال، ﴿ذَكَرٌ مُّبَارَكٌ﴾.
- ٢ - لا تقبل بَرَكَةُ القرآن الإنكار، ﴿أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ (٥١)

إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾

قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٥٤﴾

### إشارات:

□ في الآيات السابقة كان الكلام عن التوراة والقرآن الكريم، وأما في هذه الآية فإن الله تعالى يقول: إن إرسال الأنبياء والكتب السماوية لم يكن أمراً طارئاً؛ بل إننا من قبل في زمن إبراهيم عليه السلام كان لدينا برنامجاً لدعوة المنحرفين والضالين.

□ إذا ألقينا نظرة على تاريخ عبادة الأصنام نخلص إلى أن صنع المجسمات ابتداء

كان تخليداً لذكرى الكبار والعظماء، وبالتدريج بدأ يأخذ منحى القداسة، وصولاً إلى عبادتها<sup>(١)</sup>.

□ كلمة «التماثيل» جمع «تمثال»، بمعنى مجسم لا روح له.

### التعاليم:

- ١ - كان الأنبياء ﷺ قبل بعثتهم كان مورد التفات وعناية من الله تعالى، ﴿وَمِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾.
- ٢ - الرشد الواقعي هو الموصل للإنسان إلى عبادة الإله الواحد، ﴿رُشِّدُمْ... إِذْ قَالَ لِأَيِّهِ...﴾.
- ٣ - كان إبراهيم نفسه لديه قابلية لتلقي الرشد، ﴿رُشِّدُمْ﴾؛ ولم يقل «رشداً» لأن الاستعداد والقابليات الوجودية عند الناس لتلقي الرشد متفاوتة.
- ٤ - في مقام النهي عن المنكر لا وجود لشروط عمرية محددة، ﴿قَالَ لِأَيِّهِ﴾.
- ٥ - لنشرع في النهي عن المنكر بدءاً من أقاربنا، ﴿قَالَ لِأَيِّهِ﴾.
- ٦ - في مقام النهي عن المنكر ليس العدد ملاكاً ولا معياراً، فأحياناً يجب أن يقف رجل واحد أمام جماعة كبيرة، ﴿قَالَ لِأَيِّهِ وَقَوِيهِ﴾.
- ٧ - في مقام النهي عن المنكر لا بد ابتداءً من النهي عن أكبر المنكرات، ﴿قَالَ... مَا هَذِهِ التَّمَائِيلُ﴾.
- ٨ - أحد الأساليب الناجحة في النهي عن المنكر هو مخاطبة وجدان الناس، ﴿مَا هَذِهِ التَّمَائِيلُ﴾.
- ٩ - لا بد لنا من تحقيق المنكرات ومظاهر الباطل، ﴿مَا هَذِهِ التَّمَائِيلُ﴾.
- ١٠ - في مقام النهي عن المنكر لا بد من تذكير الناس بشخصيتهم وكرامتهم الإنسانية، ﴿أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾، ولم يقل «تعكفونها».
- ١١ - الرشد يظهر في مواجهة الخرافات وتركها، ﴿رُشِّدُمْ... إِذْ قَالَ﴾.

- ١٢ - الآباء يمهّدون لانحراف نسلهم اللاحق، ﴿وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا﴾.
- ١٣ - سلوك الآباء مؤثّر في تربية الأبناء حتى ولو لم يوصوهم بذلك، ﴿وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا﴾.
- ١٤ - التقليد الأعمى للآباء والتعصب الأعمى لسيرتهم ممنوع ومذموم، ﴿وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا... أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ﴾.
- ١٥ - في مقام النهي عن المنكر لا مكان للخجل، والكناية في الكلام والتملق، ﴿أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾.
- ١٦ - لا الأقدمية ولا الكثرة دليل على الحقانية، ﴿أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾.
- ١٧ - في مجال الاعتقاد لا بد من الاستناد إلى الاستدلال لا إلى سيرة الآباء والأسلاف، ﴿وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا... وَءَابَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾.
- ١٨ - الضلال ذو درجات ومراتب، ﴿ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾.
- ﴿قَالُوا أَجِئْنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَلْ زَكَّرُكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُمْ﴾  
 ﴿وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾﴾

## إشارات:

□ كلمة «الحق» في مقابل «اللاعب» بمعنى «الجد» أي هل أنت جاد في قولك أم أنك مازح فيه؟

## التعاليم:

- ١ - ليس يسيراً على من انحرف نسلًا بعد نسل إثر تقليد الأسلاف الأعمى أن يقبل الحق دفعة واحدة، ﴿أَجِئْنَا بِالْحَقِّ أَمْ...﴾.
- ٢ - لا تختص ربوبية الخالق بالإنسان فحسب، بل إنها تشمل الوجود كله، ﴿زَكَّرُكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.
- ٣ - رب كل الوجود واحد، ﴿زَكَّرُكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾. (خلافًا لمن اعتقد بأن لكل من السماء والأرض والإنسان إله ورب يخصه).



٤ - إن أولياء الله ليسوا وحدهم فحسب في معتقدهم الحق، بل هم يرون أنفسهم متصلين بكل الموحدين عبر التاريخ وبملائكة الله تعالى، ﴿وَمِنَ الشَّاهِدِينَ﴾.

﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصَنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدِيرِينَ﴾ (٥٧)

### إشارات:

□ اختلفت آراء المفسرين حول كيفية صدور مثل هذا الكلام الحازم والتهديدي من قبل النبي إبراهيم عليه السلام، فذهب بعضهم كصاحب التفسير الأصفي وصاحب تفسير الميزان إلى أن هذا الكلام لم يصدر منه علناً وإنما صدر منه سرّاً، وذهبوا إلى أن مثل هذه الدعوى الصريحة في مواجهة الآلهة الصغيرة والكبيرة لأمة كبيرة، وفي اليوم الأول لدعوته، وحال كونه وحيداً، مخالف للاحتياط.

إلا أنه يبدو لنا خلاف ما ذهبوا إليه؛ إذ إن تفكير أولياء الله وحساباتهم تختلف عن حسابات الناس العادية؛ فلا يمكن لأي شيء أن يقف مانعاً أمام نهجهم الواضح ورسالتهم الإلهية، ألم نقرأ في الآيات السابقة أن إبراهيم عليه السلام قد قال للناس بصراحة أنكم ﴿أَنْتُمْ وَاَبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾، وكذلك ألم تخاطب السيدة زينب عليها السلام يزيداً وهي أسيرة في الشام قائلة له: «إني استصغرك»، ومن ثم قامت بتقريعه وتقريع من حوله.

ألم يخاطب الإمام الخميني، قدس سرّه، الشاه وقد كان في أوج سلطانه الجائر، والمسلح من رأسه إلى أخمص قدميه، والمساند من قبل القوى الداخلية والحماية الخارجية، قائلاً له وللجميع: «على الشاه أن يرحل»؛ ألم يقل الإمام الخميني، قدس سرّه، لخليفة الشاه كذلك «سأصفع وجه هذه الدولة». وألم يقل لأميركا رأس الاستكبار والطغيان العالمي: «لا يمكن لأميركا أن ترتكب أي حماقة». وفي الحقيقة لا تتلاءم هذه الأقوال مع أي ملاحظات سياسية أو احتياطات عادية.

□ يذهب بعض إلى الاعتقاد بأنه لا بد من مواجهة مظاهر الفساد وأسبابه عبر المقاومة السلبية، فقد صرح أحد الكبار حول دور السينما أثناء حكم

الطاغوت، أي الشاه، والتي كانت وسيلة هامة لانحراف جيل الشباب قائلاً: إذا امتنع الناس عن الذهاب إلى السينما فإنها ستُعطل بنفسها، إلا أن الآية السابقة تدين مثل هذا التفكير وتصر على قلع مادة الفساد من أساسها، كما فعل النبي موسى عندما أحرق العجل الذهبي ونفسه، وكما فعل النبي محمد ﷺ عندما قام بتهديم مسجد ضرار الذي كان قاعدة للمنافقين.

### التعاليم:

- ١ - يمنح الإيمان بالهدف واليقين بصحة النهج الإنسان القوة والعزم، ﴿وَتَأَلَّلَ لَأَكِيدَنَّ﴾.
- ٢ - تحتاج الأعمال الهامة والكبرى إلى تخطيط هام ودقيق، ﴿لَأَكِيدَنَّ﴾، كلمة ﴿لَأَكِيدَنَّ﴾ مأخوذة من «الكيد»، بمعنى التدبير الخفي والتخطيط.
- ٣ - الحزم صفة ملازمة للقائد الناجح، ﴿وَتَأَلَّلَ لَأَكِيدَنَّ﴾، القسم بقول، ﴿تَأَلَّلَ﴾ أشد من القسم بقول «بالله»<sup>(١)</sup>.
- ٤ - إن الأنبياء ﷺ، ومن خلال اتصالهم بمنبع الوحي، قادرون بمفردهم على اتخاذ التدبير اللازم، ﴿لَأَكِيدَنَّ﴾.
- ٥ - مواجهة النبي إبراهيم ﷺ للأصنام كانت جدية بشكل كامل، ولم تكن بقصد التخوين وإثارة الرعب، ﴿لَأَكِيدَنَّ﴾. (ذكر «اللام» و«النون المشددة» يشير إلى التأكيد والحمية).
- ٦ - لم تمنع كثرة الأصنام وتعدد عزم إبراهيم وتصميمه على هدمها، ﴿أَمْسِكْ﴾.
- ٧ - لولا حضور عبّاد الأصنام كلهم لكانت الأصنام كلها عاجزة أمام فأس واحد، ﴿بَعْدَ أَنْ تُولَّوْا مُدْبِرِينَ﴾، في الواقع كان عبّاد الأصنام هم المحافظون عليها، ولم تكن الأصنام هي التي تحفظهم وتحميهم.

- ٨ - أحياناً وأثناء تنفيذ الأهداف الكبرى لا بد من حضور الناس، ﴿وَأَنْ يُشَرَّ النَّاسُ حَتَّى﴾، ولكن في أحيان أخرى يشترط عدم حضورهم، ﴿بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدِيرِينَ﴾.
- ٩ - ما دامت الأصنام موجودة فستبقى عبادتها موجودة أيضاً؛ لذا يجب القضاء على الأصنام كلها، ﴿لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾.

﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ (٥٨) قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُمْ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾

## إشارات:

- عندما خرج الناس في يوم عيد لهم إلى خارج المدينة خرج النبي إبراهيم عليه السلام معهم أيضاً، وفي وسط الطريق تعلق بعذر للرجوع إلى المدينة. فرجع إليها، وعندما حانت الفرصة المناسبة له قام بتنفيذ ما هدف إليه بشكل عملي.
- كلمة «جذاذاً» من «العجدة»، بمعنى كسر الشيء وتفتيته قطعة قطعة.
- لربما لو كسر النبي إبراهيم عليه السلام كبير الأصنام فإنه ومع جرحه لإحساسات الناس بشكل كامل، لم يكن ليصل إلى هدفه، بل ربما كان لعمله حينئذ نتيجة معكوسة، وَلَسَلَبَهُمُ التَّفْكَرَ والتدبر بشكل كلي، ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ﴾.

## التعاليم:

- ١ - تعدّ محاربة الأصنام من أهم واجبات الأنبياء، ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا﴾.
- ٢ - إذا لم ينفع الوعظ والاستدلال يصل الأمر إلى المواجهة الثورية، ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا﴾.
- ٣ - القوة الجسمية والجرأة من الكمالات، وأما الضعف والذلة والهوان فإنها نقائص، ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا﴾.
- ٤ - من أجل إيقاظ الفكر الإنساني ومحو الشرك، لا بد أحياناً من إتلاف بعض الأشياء والأموال. (فللأصنام التي كانت في زمن النبي إبراهيم عليه السلام وللعجل السامري كذلك قيمة كبيرة)، ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا﴾.

- ٥ - لا حرمة للصنم ولا تُحترم ملكيته؛ لذا فإن كسره جائز، ﴿فَجَعَلَهُمْ جُودًا﴾.
- ٦ - كانت الأصنام الكبيرة كبيرة في نظر عبّادها ولم تكن كذلك في نظر الموحدين، ﴿كَبِيرًا لَّهُمْ﴾.
- ٧ - كان تكسير الأصنام مقدمة لتحرير الفكر من الجمود، وممهّداً للسؤال والجواب، ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾.
- ٨ - تلجئ العقائد المنحرفة الإنسان إلى القضايا المنحرفة، ﴿إِنَّهُمْ لَكَاذِبِينَ﴾. (أحياناً يسقط الإنسان إلى حد يعتبر فيه أكبر الظلم [الشرك] حقاً، ويزعم فيه أن أوضح الحقائق [التوحيد] ظلماً).
- ٩ - قام الكفار ابتداءً بتعريف النبي إبراهيم ﷺ بأنه ظالم ليتمكنوا من محاكمته بكل سهولة، ﴿إِنَّهُمْ لَكَاذِبِينَ﴾.
- ١٠ - وصل نداء مقاومة إبراهيم ﷺ ورفضه للظالم إلى الأرجاء كلها، ﴿سَمِعْنَا﴾.
- ١١ - بإمكان الفتية والشباب أيضاً أن يتركوا أثراً في سبيل الحق، ﴿سَمِعْنَا فَتَى﴾.
- ١٢ - استطاع النبي إبراهيم ﷺ، وقبل البدء بعملية التخريب من خلال دعايته ودعوته، أن يهيئ الأرضية المناسبة للثورة على الأصنام، ﴿يَذْكُرُهُمْ﴾.

﴿قَالُوا فَاتُوا بِهِ عَلَىٰ عَيْنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ ﴿١١﴾ قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا  
يَبْرَاهِيمَ ﴿١٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَتَلَوْهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿١٣﴾

### إشارات:

- إحضار النبي إبراهيم ﷺ أمام الناس والطلب منهم بالشهادة ضده كان نوعاً من تأليب الناس ضده، وتمهيداً لقتله، ﴿فَاتُوا بِهِ عَلَىٰ عَيْنِ النَّاسِ﴾.
- سؤال: ألم يكن قول النبي إبراهيم ﷺ ﴿فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ﴾ كذباً؟ وإذا كان كذلك، فكيف يمكن ذلك، وخصوصاً أن إبراهيم كان نبياً معصوماً، ولا يمكن أن يكذب أبداً؟

الجواب: وردت تفاسير عدة لهذه الجملة، وقدمت آراء مختلفة حولها، وسنشير هنا إلى بعض منها:

أ - إن النبي إبراهيم عليه السلام لم يكذب، ومع أنه نسب العمل إلى كبير الأصنام قطعاً، إلا أن كل القرائن تشهد أنه لم يكن جاداً في قصده، بل كان يريد أن يززع عقائد الوثنيين الخرافية الواهية، ويفنّدها أمامهم، ويُفهم هؤلاء أن هذه الأحجار والأخشاب التي لا حياة فيها ذليلة وعاجزة، إلى الحد الذي لا تستطيع أن تتكلم بجملة واحدة لتستنجد بعبّادها؛ فكيف يريدون منها أن تحل معضلاتهم، ونظير هذا التعبير كثير في محادثاتنا اليومية. فنحن إذا أردنا إبطال أقوال الطرف المقابل نضع أمامه مسلماته على هيئة الأمر، أو الأخبار، أو الاستفهام، وهذا ليس كذباً أبداً، بل الكذب هو القول الذي لا يوجد قرينة معه<sup>(١)</sup>.

ومن هذا الباب أيضاً لو قيل عند ورود إنسان جاهل أحق: «جاء أبو علي سينا»، لن يعد مثل هذا الكلام كذباً.

ب - لم يكذب النبي إبراهيم عليه السلام بل قام «بالتورية» اصطلاحاً، ومراده من «كبيرهم» هو الله.

ج - إن النبي إبراهيم عليه السلام كذب، والكذب جائز في بعض الموارد كإصلاح ذات البين مثلاً، وحكمه تابع حينئذٍ للمصالح والمفاسد، وأي مصلحة أعظم من أن يؤدي كلامه، سلام الله عليه، إلى تحريك الفكر الجامد عند الناس وهزّه<sup>(٢)</sup>.

د - إن هذا الخبر مشروط بنطق الأصنام، أي إذا نطقت هذه الأصنام فكبيرهم فعل، وإن لم ينطقوا فلم يفعل شيئاً، فما نطقوا وما كذب إبراهيم عليه السلام. وهذا نظير قول العجوز: أنا طفل الآن إذا لم يكن على وجه الأرض أي نبات، ولكن النبات موجود فعلاً فإذا أنا لست طفلاً<sup>(٣)</sup>.

(١) تفسير الأمل.

(٣) تفسير نور الثقلين.

(٢) الكافي، ج ٢، ص ٣٤٢، تفسير نور الثقلين.

## التعاليم:

١ - أراد عبَاد الأصنام، ومن أجل التيقن بالجرم وتكميل ملف القضية من أجل الحكم النهائي، الاعتماد على مسألة شهادة الناس، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

٢ - وصلت عظمة فعل إبراهيم عليه السلام إلى الحد الذي دفعت عبَاد الأصنام اضطراباً إلى تعظيمه؛ ولذا فإنهم وبدل قولهم كما ورد في الآية السابقة، ﴿يُقَالُ لَهُ: إِبْرَاهِيمُ﴾ والذي يعبر عن التجاهل والتحقير، فإنهم في هذه الآية خاطبوه باسمه وفيه حيثنّ دلالة على تعظيمه ومعرفته، ﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾.

٣ - الاستهزاء بالخرافات ضروري في بعض الأحيان، ﴿بَلْ نَعْكُهُمْ كَيْدُهُمْ﴾.

٤ - إن صناعة الأفلام، وعرض المسرحيات والتمثيل، وإقامة المعارض، ذلك كله إذا كان لأجل إيقاظ أذهان الناس ونموهم الفكري فهو حسن وجائز، ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ جُذُودًا... بَلْ نَعْكُهُمْ كَيْدُهُمْ﴾.

﴿فَرَجَعْنَاهُ إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نَكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٦٥﴾

## التعاليم:

١ - من أهم أهداف الأنبياء عليه السلام إيقاظ الوجدان، ومعرفة النفس، والرجوع إلى الذات، والالتفات إلى الفطرة، ﴿بَلْ نَعْكُهُمْ كَيْدُهُمْ... فَرَجَعْنَاهُ إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾.

٢ - الابتعاد عن الشرك، والاعتقاد بالتوحيد، رجوع إلى الذات، ﴿فَرَجَعْنَاهُ إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾.

٣ - عند إيقاظ الأفكار، فإن كل مخالف ومقصر يلقي بتقصيره على أعناق الآخرين، ﴿إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾. (وكذلك هو الحال في يوم القيامة، فيومئذ

يقول المجرمون والمذنبون بعضهم لبعضهم الآخر: ﴿لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

٤ - التاريخ، والفطرة، والوجدان، من العوامل المبينة للحقائق، ﴿فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ... أَنْتُمْ الظَّالِمُونَ﴾، فالذين كانوا بالأمس يعتبرون إبراهيم عليه السلام ظالماً، ﴿مَنْ فَعَلَ هَذَا بِإِلَهِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾، ها هم اليوم وبالرجوع إلى أنفسهم ووجدانهم يعتبرون أنفسهم الظالمين، ﴿إِنَّكُمْ أَنْتُمْ الظَّالِمُونَ﴾.

﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾<sup>(٦٦)</sup> ﴿أَفِ لَكُمْ تَعَبُودٌ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾<sup>(٦٧)</sup> ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا إِلَهِتَكُمْ إِن كُنْتُمْ فَعَلِينَ﴾<sup>(٦٨)</sup> ﴿قُلْنَا يَبْنَازُ كَوْفِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾<sup>(٦٩)</sup> ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾<sup>(٧٠)</sup>

### إشارات:

□ يتابع رجال الله السير لتحقيق أهدافهم المقدسة مهما كانت الظروف، ولذا فهم لا يهدأون ولو للحظة واحدة حتى ولو اتخذ سعيهم أشكالاً وأنحاء متفاوتة، فالنبي إبراهيم عليه السلام في مسير رسالته الإلهية قام ابتداء بالذهاب إلى عمه وقومه ودعاهم إلى التوحيد وعبادة الإله الواحد، ولما لم يحصل على أي نتيجة توجه في المرحلة الثانية نحو الأصنام وحطمها قطعة قطعة، ومن ثم خاطب فطرة القوم وسعى إلى إيقاظهم من الغفلة، وفي الختام وبعد الوعظ والتوبيخ دعاهم إلى العقل، والتفكير، والمعرفة.

□ ذكر العديد من المطالب في التفاسير المختلفة حول قضية إلقاء النبي إبراهيم عليه السلام في النار، ومن ذلك أن المشركين، وبمعونة من الشيطان، صنعوا المنجنيق لذلك، ولكن النبي إبراهيم عليه السلام وبتوكله، الذي لا نظير له، على الله تعالى لم يطلب العون من أحد من الملائكة، حتى من جبرائيل نفسه، وفي

تلك الأثناء اشتغل بالمناجاة مع الله، والدعاء له، والتوسل بمحمد وآل محمد ﷺ.

□ كلمة «الأخسرين» تطلق في القرآن الكريم على الذين يفعلون السيئات، إلا أنهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، لذا فإنهم لا يدركون مقدار خسارتهم ليقوموا بعد ذلك بجبرانها.

□ عن الإمام الصادق ﷺ أنه قال: «عندما أمر الله تعالى النار بأن ﴿كُفِّي بَرْدًا﴾، اضطربت أسنان إبراهيم عليه السلام من البرد في وسط نار النمرود وأصحابه، حتى قال الله ﷻ: «وسلاماً» على إبراهيم<sup>(١)</sup>.

### التعاليم:

- ١ - من الأساليب لدعوة الناس إلى الدين تعريفهم بضرر عدم التدبّن، ﴿لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾.
- ٢ - الداعي والباعث إلى العبادة إنما هو تحصيل الخير والنجاة من الشر، والأصنام غير قادرة على أي منهما، ﴿لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾.
- ٣ - إذا تهيأت الأرضية المناسبة لليقظة من الغفلة فلا بد من تحقير المنحرفين وتوبيخهم، ﴿أَفَ لَكُم مَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾.
- ٤ - يجب أن تكون العواطف تحت أشعة الدين، ﴿أَفَ لَكُم﴾، نظراً إلى أن عم النبي إبراهيم عليه السلام كان من عبّاد الأصنام كذلك.
- ٥ - لا تتوافق عبادة الأصنام مع العقل، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾، (الأفراد الجاهلون المعاندون يستحقون التوبيخ واللوم) ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.
- ٦ - التوحيد تفكر عقلاني، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.
- ٧ - لا عقل ولا منطق لمن يتوسل بالقوة والترهيب ﴿حَرِيقُهُ﴾.



٨ - رجال الله ثابتون على أهدافهم حتى الموت، ﴿حَرْقُوهُ﴾، (مع أن الإحراق أشد أنواع القتل ولكن إبراهيم ثبت على هدفه).

٩ - يدفع التعصب الأعمى بالإنسان إلى حد إحراق النبي ﷺ، ﴿حَرْقُوهُ وَأَنْصُرُوا إِلَهَكُمْ﴾.

١٠ - يسعى العدو من أجل تحريك الجماعات الغافلة والجاهلة وإثارتها إلى التوسل بالمقدسات، ﴿وَأَنْصُرُوا إِلَهَكُمْ﴾، ويتمسك بالغيرة والحمية، ﴿إِنْ كُنْتُمْ فَعِلِينَ﴾.

١١ - الله تعالى فاعل الأسباب ومعطّلها أيضاً، ﴿يَنْتَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا﴾، فهو فاعل الأسباب إذ جعل النبي عيسى ﷺ نفسه سبباً لإحياء الموتى، وهو معطل الأسباب أيضاً؛ إذ سلب خاصية الإحراق من النار وجعلها برداً وسلاماً على النبي إبراهيم ﷺ.

١٢ - الوجود ذو شعور، ويمكن مخاطبته، ﴿يَنْتَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا﴾، ولم يقل: «فجعلنا النار برداً وسلاماً».

١٣ - آثار الموجودات وتأثيرها إنما هو بمشيئة الله وإرادته، ﴿يَنْتَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا﴾.

١٤ - نور الحق لا يُطفأ بنار الكفر، ﴿قَالُوا حَرْقُوهُ... فَلَمَّا يَنْتَارُ كُونِي بَرْدًا﴾.

١٥ - بإمكان قدرة الله تعالى إحباط المؤامرات كلها، ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾.

١٦ - عاقبة الحق النصر ولو بعد حين، ﴿وَأَرَادُوا... فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾.

﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ (٧١) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۚ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾

إشارات:

□ لقد أراد العدو القضاء على إبراهيم ﷺ وقتله، ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾. وأما نحن

(أي الله تعالى) لم ننجه فحسب، ﴿وَبَنَيْنَاهُ﴾؛ بل ﴿وَهَبْنَا لَهُ﴾، نسلاً مباركاً، وجعلناهم أجمعين من الصالحين والمصطفين، ﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾.

□ ربّما ذكر اسم إسحاق عليه السلام في هذه الآية وعدم ذكر اسم إسماعيل عليه السلام وهو الولد البكر للنبي إبراهيم عليه السلام، مرده إلى الولادة العجيبة والخارقة للعادة للنبي إسحاق عليه السلام؛ إذ إنه ولد بإرادة الله من أم عاقر، وهي سارة على الرغم من كونها عجوزاً طاعنة في السن أيضاً.

### التعاليم:

- ١ - لا يتخلى الله تعالى عن أوليائه، ﴿وَبَنَيْنَاهُ وَلُوطًا﴾.
- ٢ - من لم يخش جبال النار وبحار العدو يصل إلى المكان المبارك، ﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا﴾.
- ٣ - يدور الإنجاء الإلهي مدار السعي وهجرة الإنسان، ﴿وَبَنَيْنَاهُ... إِلَى الْأَرْضِ﴾.
- ٤ - الأحفاد عطاء إلهي، فيعقوب حفيد النبي إبراهيم، ﴿وَهَبْنَا لَهُ﴾.
- ٥ - ليست الأراضي كلها على حد سواء، ﴿وَالْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا﴾، فأحياناً تكون قطعة أرض واحدة بركة لكل العالمين، ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾. (ذهب بعضهم إلى الاعتقاد بأن بعض الأراضي إنما بوركنت لسكن أولياء الله فيها، ولكن هذه الآية تنسب البركة إلى الأرض نفسها).
- ٦ - البركة بيد الله تعالى، ﴿بَرَكْنَا﴾.
- ٧ - الإيمان والعمل الصالح مضافاً إلى أثرهما على الشخص نفسه؛ فإنهما يؤثران أيضاً في نسله اللاحق له، ﴿وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ... وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾.
- ٨ - ينبغي أن يكون الأفراد المباركون ونسلهم المبارك في أرض مباركة، ﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا... وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾.
- ٩ - الولد عطية إلهية، ﴿وَهَبْنَا﴾، ولكن ما هو الأهم من وجود الولد هو أن يكون صالحاً، ﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾.
- ١٠ - الصلاح شرط أساس للقيادة والنبوة، ﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾.

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَكُم بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ﴾

### التعاليم:

- ١ - الإمامة كالنبوة، يجب أن تكون بجعل واختيار من الله تعالى، ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً﴾.
- ٢ - إن الأنبياء الكبار، ومضافاً إلى إعطائهم مقام الرسالة، (إيصال خطاب الوحي)، فإنهم جعلوا أئمة وقادة للمجتمع أيضاً، ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً﴾.
- ٣ - إذا تحصلت الإمامة بالقوة والغلبة فإنها تدعو إلى النار، ﴿أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى الْكَارِثَةِ﴾، وأما إذا كانت بعناية من الله فإنها مباركة وستكون في نهج الحق، ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَكُم بِأَمْرِنَا﴾.
- ٤ - لم تكن هداية الأنبياء ﷺ من تلقاء أنفسهم وميلهم الشخصي، ﴿وَمَا يَتَّبِعُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾<sup>(١)</sup>، بل كانت بأمر من الله، ﴿يَهْدُونَكُم بِأَمْرِنَا﴾.
- ٥ - الميل إلى القيام بفعل الخيرات لطف من اللطاف الإلهية الخاصة، ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ﴾.
- ٦ - للصلاة والزكاة مكانة خاصة من بين كل أفعال الخير، ﴿فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ﴾.
- ٧ - الصلاة والزكاة ركنان أساسان عند الأديان السماوية كلها، ﴿فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ﴾.
- ٨ - لن يصل الإنسان إلى درجة العبودية لله دون الصلاة والزكاة، ﴿وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ﴾.
- ٩ - القادة الإلهيون عباد مخلصون لله تعالى، ﴿وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ﴾.
- ١٠ - لا ينبغي للنعم الإلهية أن تغفلتكم عن عبادة الله، ﴿وَمَا لَكُمْ... وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ﴾ الأنبياء ﷺ وعلى الرغم من نيلهم مقام القيادة والإمامة، ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ

أَيُّمَةً ﴿﴾، فَإِنَّهُمْ ظَلُّوا مَعَ ذَلِكَ عِبَادًا لِلَّهِ تَعَالَى، ﴿وَكَاثُرًا لَنَا عَنِيدِينَ﴾.  
 ١١ - لَا يَنْفَصِلُ الدِّينُ عَنِ السِّيَاسَةِ، ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا... وَكَاثُرًا لَنَا عَنِيدِينَ﴾.

١٢ - لَا بُدَّ لِلْقَائِدِ نَفْسَهُ مِنْ أَنْ يَكُونَ عَامِلًا بِمَا يَهْدِي بِهِ الْآخَرِينَ، ﴿أَيْمَةً يَهْدُونَ... وَكَاثُرًا لَنَا عَنِيدِينَ﴾.

﴿وَلَوْطًا أَلَيْنَهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْبَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْفَجَسِثُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوَاءٍ فَاسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾﴾

### إشارات:

□ كَانَ لوط عليه السلام نبيًّا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ إِبْرَاهِيمَ، وَلَكِن الْقِيَادَةَ وَالْإِمَامَةَ كَانَتْ لِلنَّبِيِّ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام، وَرَبَّمَا لِهَذَا السَّبَبُ مَرَّ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ أَنَّ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كَانَا إِمَامَيْنِ، ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً﴾، أَمَّا لوط فلم يذكر اسمه فِي الْآيَةِ، بَلْ ذُكِرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِشَكْلِ مُسْتَقِلٍّ؛ لِأَنَّ الْإِمَامَةَ كَانَتْ لِإِبْرَاهِيمَ عليه السلام، وَلَمْ تُشْمَلْ لوط عليه السلام.

□ أَشَارَ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ إِلَى أَرْبَعَةِ نَعَمٍ هَامَةٍ مِّنْ بَها عَلَى النَّبِيِّ لوط عليه السلام، وَهِيَ: الْحُكْمُ، وَالْعِلْمُ، وَالنَّجَاةُ، وَالْدُخُولُ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ.

□ رُبَّمَا يَكُونُ الْمُرَادُ مِنَ «الْحُكْمِ» فِي هَذِهِ الْآيَةِ هُوَ مَقَامُ النَّبُوَّةِ كَمَا وَرَدَ هَذَا الْمَعْنَى أَيْضًا حَوْلَ النَّبِيِّ يَحْيَى عليه السلام، ﴿وَأَلَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾<sup>(١)</sup>.

□ إِنْجَاءُ اللَّهِ لَا يَتَنَافَى مَعَ سَعْيِ الْإِنْسَانِ وَحَرَكَتِهِ، فَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنْ نَجَاةُ النَّبِيِّ لوط عليه السلام كَانَتْ بِأَمْرِ اللَّهِ وَهَدَايَتِهِ، فَإِنَّهَا حَصَلَتْ بِإِرَادَةِ لوط عليه السلام، وَسَعْيِهِ، وَحَرَكَتِهِ، ﴿فَأَنسِرْ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ﴾<sup>(٢)</sup>.

□ الْمُرَادُ مِنَ «الْفَاسِقِينَ» هَاهُنَا هُمُ الْكَفَّارُ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا﴾<sup>(٣)</sup>.

(٣) سورة السجدة: الآية ١٨.

(١) سورة مريم: الآية ١٢.

(٢) سورة هود: الآية ٨٣.

## التعاليم:

- ١ - يُنَجِّي الله تعالى أوليائه، ﴿بِحَبِّتِهِ﴾.
- ٢ - لا تبقوا في مواطن الذنوب، ﴿بِحَبِّتِهِ﴾.
- ٣ - قد يؤدي ارتكاب ذنب أحياناً إلى ارتكاب ذنوب أخرى، ﴿الْحَبِّتِ﴾.
- ٤ - الذنب سيئ، والأسوأ منه الاستمرار والإصرار عليه، ﴿كَأَن تَعْمَلَ لِنَفْسِكَ﴾.
- ٥ - الإصرار على الذنوب ثمرة الكفر وسبب لسوء العاقبة، ﴿تَعْمَلَ لِنَفْسِكَ، إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَسَقِينَ﴾.
- ٦ - البيئة والمجتمع لا يلجئان إلى الشر، ﴿كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَسَقِينَ... وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمِنَا﴾.
- ٧ - سيدخلنا الله تعالى في رحمته إذا كنا من عباده الصالحين، ﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾<sup>(٦٦)</sup>  
 وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾

## إشارات:

□ ربما يكون المراد من دعاء النبي نوح ﷺ وندائه ﴿نَادَى﴾ هو ذلك الدعاء نفسه الوارد في الآية (٢٧) من سورة نوح، إذ دعا على قومه قائلاً: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ ذِيَارًا﴾.

ويحتمل أن هذا اللعن والدعاء عليهم كان بعد يأسه من إيمان قومه، ﴿أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ﴾<sup>(١)</sup>.

ولهذا السبب فإنه بعد ٩٥٠ سنة من التبليغ بينهم، وكل ذلك الصبر والتحمل، وصل في نهاية المطاف إلى أن يرفع يديه بالدعاء قائلاً: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْصِرْ﴾<sup>(٢)</sup>.

## التعاليم:

- ١ - معرفة تاريخ الآخرين، وما جرى معهم، والنظر إلى مصائبهم ومشاكلهم، يصبر الإنسان، ﴿وَنُوحًا إِذْ...﴾.
  - ٢ - دعاء الأنبياء ﷺ مستجاب، ﴿نَادَى... فَأَسْتَجَبْنَا﴾. (كان للدعاء دور في التحولات التاريخية)، ﴿نَادَى... أَغْرَقْنَا﴾.
  - ٣ - إذا لم تملكوا القدرة على تغيير المجتمع الفاسد، عندها فكروا في نجاة أنفسكم من بينهم، ﴿فَنَجَّيْنَاهُ...﴾.
  - ٤ - الحياة وسط مجتمع ملوث بالكفر وبلاء عظيم، ﴿الْكُرْبِ الْعَظِيمِ﴾.
  - ٥ - العاقبة المحتومة هي انتصار أهل الحق وهلاك أهل الباطل، ﴿وَنَصَرْتَهُ... أَغْرَقْنَاهُمْ﴾.
  - ٦ - البلاء نتاج أفكار الإنسان نفسه وأعماله، ﴿إِنَّمَا كَانُوا قَوْمَ سَوَاءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ﴾.
- ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَمْكُمانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحَكِيمِهِمْ شَهِيدِينَ﴾ (٧٨) ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (٧٩)

## إشارات:

□ يستفاد من الروايات والتفسير حول القضية المذكورة في هذه الآية ما يلي:  
 دخل قطيع من الأغنام إلى بستان أحدهم ليلاً فأكل منه وأتلفه، فاشتكى صاحب أشجار العنب إلى داود عليه السلام، فحكم داود بأن تعطى كل الأغنام لصاحب البستان تعويضاً لخسارته الفادحة، إلا أن ابنه سليمان عليه السلام اقترح على الأب حلاً آخر مفاده أن تودع الأغنام عند صاحب البستان ليستفيد من منافعها، ولبنها، وصوفها، وأن يودع البستان عند صاحب الأغنام ليسعى في إصلاحه، ومن ثم، وبعد جبران الخسارة، يعود أصل كل مال إلى صاحبه<sup>(١)</sup>.

(١) من لا يحضره الفقيه، ج ٣، ص ٥٧.

ومن البديهي أن كلا النبيين كان يسعى إلى جبر الخسارة، لكن الأب، (داود عليه السلام)، رأى الحل في إعطاء الأغنام، وأما الابن، (سليمان عليه السلام)، فرأى أن يتدارك الخسران بمنافعها.

□ يقول الله تعالى: على الرغم من أننا آتينا كلا من سليمان وداود علماً وحكماً، إلا أن حكم سليمان في هذه القضية كان أفضل من حكم أبيه.

□ عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «إن داود عليه السلام خرج يقرأ الزبور، وكان إذا قرأ الزبور لا يبقى جبل، ولا حجر، ولا طائر، إلا جاوبه»<sup>(١)</sup>.

### التعاليم:

- ١ - يجب احترام الأب حتى في ذكر اسمه قبل اسم ابنه، ﴿دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾.
- ٢ - القضاء أحد مهام الأنبياء عليهم السلام، ﴿إِذْ يَحْكُمُونَ﴾.
- ٣ - الأنبياء عليهم السلام هم المرجع الأصل والواقعي لاختلافات الناس كلها، ﴿إِذْ يَحْكُمُونَ﴾.
- ٤ - جبران الضرر والخسارة لا اختصاص له بمورد العمد، ﴿نَقَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ﴾.
- ٥ - لا بد للقاضي من أن يعلم بأن الله شاهد على حكمه وقضائه، ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾.
- ٦ - الفهم والإدراك الصحيحان لا يتسران من دون عناية إلهية، ﴿فَفَهَّمْنَاهَا﴾.
- ٧ - أحياناً قد يعطي الله الولد من الخير ما لم يعط الأب، ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانُ﴾.
- ٨ - تسبيح الجبال لم يكن صدى لصوت المسيح؛ بل كان تسبيحها تسبيحاً واقعياً وحقيقياً، ﴿مَعَ دَاوُدَ الْجَبَالِ يُسَبِّحْنَ﴾.
- ٩ - للموجودات كلها، ومنها الجبال والطير، حظ من الشعور، وهي مشغولة بتسبيح الله تعالى، ﴿يُسَبِّحْنَ﴾.

﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِنُخْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ (٨٠) ﴿وَلَسَلَيْنَا  
الرَّيْحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ﴾ (٨١)

### إشارات:

□ على الرغم من الإشارة في هذه الآية إلى الريح العاصفة التي تهب في الأرض المباركة (الشامات)، إلا أنه، وكما يظهر من الآية (٣٦) من سورة «ص»، كان النبي سليمان عليه السلام مسلطاً في سائر المناطق على الريح الهادئة أيضاً، ﴿تَسْرَحْنَا لَهُ الرِّيحُ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُغَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾.

□ ذكر في الآية (١٢) من سورة سبأ زمن هبوب الريح والمسافة التي كان يطويها سليمان عليه السلام بها، إذ يقول تعالى ﴿وَلَسَلَيْنَا الرِّيحَ عُذُوهَا شَهْرٌ وَرِوَاخُهَا شَهْرٌ﴾، أي أن سليمان كان يتحرك صباحاً بالريح مسافة شهر وفي الغروب أيضاً مسافة شهر.

### التعاليم:

- ١ - الاختراعات إلهامات إلهية، ﴿وَعَلَّمْنَاهُ﴾.
- ٢ - النبي داود عليه السلام مبتكر صناعة الدروع، ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ﴾.
- ٣ - كان الأنبياء عليهم السلام أيضاً أهل عمل، وفن، وحرفة، ﴿صَنْعَةَ لَبُوسٍ﴾.
- ٤ - يحافظ الأنبياء عليهم السلام على الناس بالطرق الطبيعية والشائعة عند البشر أيضاً، ﴿صَنْعَةَ لَبُوسٍ﴾.
- ٥ - يجب أن تكون الصناعة في خدمة الناس، وليس لتسلط المستكبرين من البشر على البشر، ﴿صَنْعَةَ لَبُوسٍ﴾.
- ٦ - إعداد العدة والمقدمات الدفاعية أمر لازم وضروري، ﴿لِنُخْصِنَكُمْ﴾.
- ٧ - نعمة الأمان موجبة للشكر، ﴿لِنُخْصِنَكُمْ... شَاكِرُونَ﴾، (الأمن والأمان إنما يتمان في ظل الصناعة)، ﴿صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِنُخْصِنَكُمْ﴾.
- ٨ - يجب على الجميع (سواء المخترع نفسه أم سائر الناس)، أن يشكروا الله تعالى لاستفادتهم من الاختراعات والصناعات، ﴿شَاكِرُونَ﴾.
- ٩ - بإمكان أولياء الله التصرف في الطبيعة بإذن من الله، ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ﴾.



﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَفُوضُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾ ﴿٨٢﴾

إشارات:

□ المراد من الشياطين هاهنا هم «الجن»، وهم موجودات ذات شعور، وحياء، ومكلفون كما الإنسان، وكان النبي سليمان ﷺ، مضافاً إلى حكمه على الناس حاكماً عليهم أيضاً وله جنود منهم: ﴿وَحِثْرَ لِّسَانٍ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾<sup>(١)</sup>.  
□ كان الغوص إحدى الأعمال التي يقوم بها الجن لسليمان ﷺ، ﴿يَفُوضُونَ لَهُ﴾، إلا أن فنون الجن لا تنحصر بالغوص فحسب؛ بل كانوا: ﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ﴾، وقد أشير في آيات أخرى إلى بعض أعمالهم فقد كانوا أيضاً: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَّحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَحَقَائِدٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

التعاليم:

- ١ - الفن والحرفة موجودان عند الجن أيضاً، ﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ﴾.
- ٢ - يمكن أن يكون الجن في خدمة البشر، ﴿يَفُوضُونَ لَهُ﴾.
- ٣ - لولا السلطة والرقابة لكان للفساد مجال حتى في حكومة سليمان التي لا نظير لها، ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾.

﴿وَالْيُوسُفَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَعِندَنَا وَذَكَرْنَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٤﴾

إشارات:

□ النبي أيوب ﷺ شُرف في القرآن المجيد بتقليده وسام الصبر، ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا يَقُمُّ الْعَبْدَ إِتَادَ الْوَلِيِّ﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة النمل: الآية ١٧.

(٣) سورة ص: الآية ٤٤.

(٢) سورة سبا: الآية.

□ على الرغم من ابتلاء النبي أيوب عليه السلام بمشاكل كثيرة وأمراض صعبة إلا أنه، وخلافاً لما ورد في بعض الكتب، لم يبعث ذلك الناس إلى النفور منه؛ لأنه، ومضافاً إلى أن ذلك مخالف لقاعدة اللطف، لا يتلاءم مع ما ورد في الروايات والتفسيرات كتفسير الميزان، والتفسير الكبير للفخر الرازي، وتفسير أطيب البيان، وتفسير أبي الفتح، وتفسير الأمثل، وغيرها من التفسيرات.

□ عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله ﷻ ﴿وَأَنْبِئْهُمْ مَعَهُمْ﴾، قلت: ولده كيف أوتي مثلهم؟ قال: «أحيا له من أولاده الذين كانوا ماتوا قبل ذلك بأجلهم مثل الذين هلكوا يومئذ»<sup>(١)</sup>.

### التعاليم:

- ١ - التذكير والاطلاع على تاريخ حياة العظماء أفضل وسيلة لتسكين النفس، والصبر، والإرشاد، والهداية، ﴿وَأَيُّوبَ﴾.
- ٢ - إن الأنبياء في حياتهم العادية والطبيعية حالهم كحال سائر الناس أيضاً في تعرضهم للابتلاء، والأمراض، والمصائب، ﴿مَسَّيَ الضُّرِّ﴾.
- ٣ - على الرغم من أن أكثر المصائب والابتلاءات قد تبدو كضرر في الظاهر، فإنها في الباطن وفي أكثر المواقع تعد لطفاً خفياً ورحمة من الله، ﴿مَسَّيَ الضُّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.
- ٤ - ليس كل بلاء ومصيبة عقوبة وتحذير؛ بل يكون البلاء أحياناً للامتحان ونيل الدرجات، ﴿مَسَّيَ الضُّرِّ﴾. (بالنظر إلى كون الأنبياء عليهم السلام معصومين فإن ابتلاءهم لم يكن بسبب ارتكاب الذنوب ولا تأديباً).
- ٥ - الأنبياء عليهم السلام مثال الأدب، ﴿مَسَّيَ الضُّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾، فالنبي أيوب عليه السلام لم يقل في دعائه: رب ارفع عني الضرر، بل إنه دعا الله تعالى بنحو وكأنه يقول له إلهي أنت عالم بحالي.

٦ - في مقام الدعاء ينبغي أن ندعو الله بصفاته المناسبة لحاجاتنا، ﴿أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.

٧ - دعاء الأنبياء مستجاب، ﴿فَأَسْتَجِبْنَا﴾.

٨ - اللطف الإلهي أكبر من الطلب ومما يدعو به الإنسان، ﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ صُورٍ وَءَاتَيْنَاهُ﴾. (النبي أيوب عليه السلام) طلب من الله تعالى «كشف الضر» إلا أن الله تعالى، ومضافاً إلى استجابة دعائه، فإنه أرجع إليه أهله أيضاً.

٩ - الولد عناية إلهية ورحمة من الله تعالى، ﴿وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُ﴾.

١٠ - الله تعالى أهل الجود كما إنه أهل الجبروت، ﴿وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُ﴾. نحن نقرأ في قنوت صلاة عيد الفطر والأضحى هذا الدعاء «اللهم أهل الكبرياء والعظمة وأهل الجود والجبروت»، وفي هذا المقام أرجع الله تعالى إلى النبي أيوب كل ما أخذه منه، مضافاً إلى ذلك ضاعف له العطاء؛ إذ جبر له ما مضى وجاد عليه بكرمه للمستقبل.

١١ - يوجد ارتباط خاص بين الدعاء من جهة، وبين الربوبية ونزول الرحمة الإلهية من جهة أخرى، ﴿نَادَى، رَبَّهُ، رَحْمَةً﴾.

١٢ - إن استجابة دعاء الأنبياء ليس على أساس الاستحقاق الشخصي لكل منهم، إنما هو على أساس الفضل والرحمة الإلهيين، ﴿رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا﴾.

١٣ - للبلاء أبعاد متعددة فتارة يكون للامتحان، وطوراً لبلوغ الرشد الفكري والعلمي، وأخرى عبرة للآخرين وتذكيراً لهم، ﴿وَذَكَّرَ لِلْعَائِدِينَ﴾.

١٤ - العبادة مهد الموعظة والذكرى، ﴿وَذَكَّرَ لِلْعَائِدِينَ﴾.

١٥ - كل الناس يحتاجون إلى الذكرى حتى العابدين، ﴿وَذَكَّرَ لِلْعَائِدِينَ﴾.

﴿وَأَسْمِعِلْ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٥﴾  
وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾﴾

إشارات:

□ النبي إسماعيل عليه السلام هو الابن العظيم للنبي إبراهيم عليه السلام، والجد المعظم لرسول الإسلام الأعظم محمد عليه السلام. وهو الذي قدّم أروع حماسة في إطاعة أمر الحق تعالى، وفي الصبر على أمره في قضية الرؤيا الصادقة بذبحه على يد أبيه.

□ النبي إدريس عليه السلام هو جد النبي نوح عليه السلام، وهو أول من وضع علم النجوم وعلمه، وأول من علّم الناس صنعة الثياب، وأول من خط بالقلم وعلم الناس الكتابة، وقيل إنه أنزل عليه ثلاثين صحيفة.

□ ذو الكفل عليه السلام واحد من أنبياء الله تعالى، عاش بعد النبي سليمان وقبل النبي عيسى عليه السلام<sup>(١)</sup>، وكما هو المشهور فإن قبره على الطريق بين كربلاء والنجف الأشرف.

□ ونقرأ في تفسير النبيان: أن هذا النبي الإلهي عاهد نفسه على أن يصوم النهار، ويقوم الليل، وألا يغضب، ويقضي بالحق، فوفى الله بذلك فأنى الله عليه، ولهذا سمي «ذو الكفل» أي صاحب العهد.

وذهب بعض كالفخر الرازي إلى الاعتقاد بأن «ذا الكفل» هو لقب النبي إلياس عليه السلام، وأنه اشتهر بذلك الاسم وكان من الصالحين.

إلا أننا، وبالاستناد إلى الرواية التي نقلها في مجمع البيان عن عبد العظيم الحسيني عن الإمام الجواد عليه السلام، والتي ورد فيها أن الله بعث مئة وأربعة وعشرين ألف نبي، المرسلون منهم ثلاثمئة وثلاثة عشر رجلاً وإنّ ذا الكفل منهم فإننا نعتقد بأنّ ذا الكفل لم يكن لقب النبي إلياس بل كان أحد الأنبياء والمرسلين.

□ صبر النبي إسماعيل عليه السلام على أمر الله بذبحه على يد أبيه النبي إبراهيم عليه السلام، وأما النبي إدريس فإنه دعا الناس إلى دين الحق طيلة ثلاث مئة وخمس وستين سنة، إلا أن أحداً منهم لم يؤمن به <sup>(١)</sup>.

### التعاليم:

- ١ - يجب المحافظة على أسماء العظماء، وإحياء ذكركم، والتحدث عن كمالاتهم أمام الآخرين، ﴿وإِسْمَاعِيلَ...﴾.
- ٢ - الصبر خصلة حميدة قيمة، وقد مدح الله تعالى المتصفين بها، ﴿كُلُّ مِّنَ الصَّابِرِينَ﴾.
- ٣ - الصبر يمهّد لورود الإنسان في الرحمة الإلهية، ﴿كُلُّ مِّنَ الصَّابِرِينَ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا﴾.
- ٤ - اكتساب الدرجات والمقامات يتم بعد النجاح في الامتحان الإلهي، ﴿الصَّابِرِينَ... وَأَدْخَلْنَاهُمْ﴾.
- ٥ - يدور التمتع بالرحمة الإلهية مدار العمل الصالح، ﴿وَأَدْخَلْنَاهُمْ... مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾.
- ٦ - الصبر والصلاح من صفات الأنبياء، وكل من يتصف بهما ففيه صفة ووسام من الأنبياء، ﴿وإِسْمَاعِيلَ... مِّنَ الصَّابِرِينَ... مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾.

﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْتَضِبًا فَظَنَّ أَن لَّنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَبَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾

### إشارات:

□ المذكور في التفاسير حول قصة نبي الله يونس عليه السلام، أنه دعا الناس إلى عبادة الله سنين طويلة فلم يؤمن منهم إلا رجلين، أحدهما عالم والآخر عابد،

وعندما استمرت الأوضاع على هذه الحال اقترح العابد على النبي ﷺ أن يدعو على قومه، وحيث إنه قد بلغ من عناد قومه ولجاجهم ما قد بلغ، أقدم على ذلك الأمر فدعا عليهم، وما إن رأى آثار البلاء ومن دون أن يستأذن الله تعالى، خرج مغاضباً من تلك الأرض وهو يظن أنه قد ارتاح من قومه؛ ولكنه لم يعلم أن الله سيضيق عليه بسبب ما قام به.

وعندما خرج من قومه توجه نحو البحر وركب السفينة قاصداً السفر إلى أرض أخرى، وفي أثناء الطريق اضطربت السفينة أثناء مواجهتها لحوت كبير وكاد أهل السفينة أن يغرقوا جميعاً.

وهنا قرّر أصحاب السفينة للخلاص من هذا البلاء أن يلقوا بأحد ركاب السفينة إلى البحر للنجاة من هذه المصيبة، فاقترعوا بينهم، فخرجت القرعة باسم يونس ﷺ، فألقوه في البحر فابتلعه الحوت وغاص في البحر، إلا أنّ الحوت منع بأمر الله تعالى من أكل يونس وهضمه فبقي حياً في بطنه.

التفت يونس وهو في ظلمات بطن الحوت في أعماق المياه إلى ظلمه بخروجه على تلك الحالة من بين قومه، فتوجه إلى الله واعترف بتقصيره، فاستجاب الله دعائه وأنجاه من ذلك المكان وذلك الحال، ولُقّب يونس من بعد ذلك بـ«ذي النون» أي صاحب الحوت، وقد ورد في الآيتين (١٤٣ و ١٤٤) من سورة الصافات قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلِيتِّ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾.

### التعاليم:

١ - عند التعرض لأحداث التاريخ يجب علينا عدم الاكتفاء بذكر الأحداث الجميلة والنجاحات؛ بل لا بد أحياناً من الإشارة إلى الحوادث المريرة، والانكسارات، والهزائم، ﴿وَذَا النُّونِ﴾.

٢ - لا ينبغي علينا أبداً أن نعتبر أن رسالتنا الإلهية قد انتهت، فتركها ونمضي، ﴿إِذْ ذَهَبَ﴾.

٣ - ربما تؤذي أحياناً العجلة في أمر ما، من دون التفكير بعواقبه، ومن دون أخذ الإجازة والإذن، إلى تحمل عقوبة شديدة وقاسية، ﴿إِذْ ذَهَبَ... فَنَكَاذَى فِي الظُّلُمَاتِ﴾.

٤ - الله تعالى عالم بما يدور في خيالنا، وأفكارنا، وظنوننا، ﴿فَنَقُظَّنَّ أَنْ لَّنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾.

٥ - لا يعلم الأنبياء أحياناً ما سيجرى عليهم في المستقبل، ﴿فَنَقُظَّنَّ أَنْ لَّنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾.

٦ - قد يؤذي غضبٌ في غير موقعه، إلى ابتلاء نبي من أنبياء الله أيضاً، ﴿مُعْضِيبًا... فَنَادَى﴾.

٧ - قد يؤول عدم اللياقة في عمل واحد أحياناً إلى الوقوع في الظلمات، ﴿الظُّلُمَاتِ﴾.

٨ - عند تحليل البلاءات ينبغي علينا أن ننزه الله تعالى عنها، وأن نبحث عن منبعها ومصدرها في أعمالنا نفسها، ﴿سُبْحَنَكَ إِنِّي كُنْتُ﴾.

٩ - إذا لم يكن أي تحرك، وأي حب، وأي بغض بأمر من الله ومن أجل تحصيل رضاه، فلن ينتج أي نتيجة مرضية ومطلوبة، ﴿ذَهَبَ مُعْضِيبًا... إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

١٠ - الإقرار بالذنب في محضر الله تعالى كمالٌ في حد نفسه، ومن آداب الدعاء أيضاً، ﴿إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

١١ - الدعاء المتضمن للإقرار بالتوحيد، وتنزيه الله تعالى، والاعتراف بالخطأ، مستجاب، ﴿سُبْحَنَكَ إِنِّي كُنْتُ... فَأَسْتَجِبْنَا﴾.

١٢ - تنزيه الله تعالى والإقرار بالذنب سرُّ النجاة من المصائب والعقوبات، ﴿سُبْحَنَكَ إِنِّي كُنْتُ... فَأَسْتَجِبْنَا﴾.

١٣ - لا سبيل للنجاة إلا بمشيئة الله وإرادته، ﴿فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ وَبِحَيْثُ﴾.

١٤ - إن قصص القرآن ليست أحداثاً حدثت وانتهت بل هي جارية وسنة دائمة على مر الزمان، ﴿كَذَلِكَ﴾.

- ١٥ - نجاة أهل الإيمان سنة وقانون إلهين، ﴿وَكَذَلِكَ نُشِجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾.
- ١٦ - كل من ذكر هذا الذكر، على تلك الحال يكتب له النجاة، ﴿إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا... وَكَذَلِكَ نُشِجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ (٨٩) ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَاهُ لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْأَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ (٩٠)

### إشارات:

- يتوجه الأنبياء ﷺ عند حدوث أي مشكلة إلى ساحة الله تعالى، ويطلبون من ربهم الفرج، وقد مر في الآيات السابقة نماذج من أدعيتهم ومطالبهم<sup>(١)</sup>.
- ورد في الحديث أن رسول الله ﷺ عندما بارز الإمام علي عليه السلام عمرواً في واقعة الخندق، توجه نحو الله تعالى ورفع يديه بالدعاء قائلاً: اللهم إنك أخذت مني عبيدة بن الحارث يوم بدر، وحمزة يوم أحد، فاحفظ عليّ اليوم علياً، ومن ثم قرأ قوله تعالى: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.
- روي عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى ﴿رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ أنه قال: ذكر الرغبة وأبرز باطن راحته إلى السماء، وهكذا الرهبة وجعل ظهر كفيه إلى السماء<sup>(٣)</sup>.

### التعاليم:

- ١ - لا نياسنَّ أبداً من رحمة الله تعالى، ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ﴾. (الله تعالى قادر على إعطاء الولد لإنسان عجوز كزكريا عليه السلام ومن امرأة عاقر وهي زوجته).

(١) مر في الآيات السابقة دعاء النبي نوح والنبي أيوب والنبي يونس عليه السلام.

(٢) بحار الأنوار، ج ٣٨، ص ٣٠٩. (٣) الكافي، ج ٢، ص ٤٩٧.



- ٢ - يقرن ذكر كلمة «رب» في الدعاء وتكرارها الدعاء بالإجابة، ﴿نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي﴾.
- ٣ - في أثناء الدعاء لا بد من أن ندعوا الله بصفاته المتناسبة مع حاجتنا وطلباتنا، ﴿لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾.
- ٤ - الإيمان بكون الله «خير الوارثين» لا يتنافى مع الأمنيات الطبيعية كطلب الولد من الله تعالى والتعلق به، ﴿لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾.
- ٥ - دعاء الأنبياء ﷺ مستجاب، ﴿فَأَسْتَجِبْنَا﴾.
- ٦ - الولد عطية إلهية، ﴿وَوَهَبْنَا لَهُمُ يَحْيَى﴾.
- ٧ - لله تعالى عناية خاصة بأوليائه، ففي هذه الآية تكررت كلمة «له» ثلاث مرات، ﴿فَأَسْتَجِبْنَا لَهُمُ... وَوَهَبْنَا لَهُمُ... وَأَصْلَحْنَا لَهُمُ﴾.
- ٨ - يد الله ليست مغلوطة وبإمكانه أن يجعل امرأة عاقراً قابلة للحمل والولادة، ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُمُ زَوْجَهُ﴾.
- ٩ - يمكن للإنسان معالجة العقم من خلال الدعاء، ﴿فَأَسْتَجِبْنَا لَهُمُ وَوَهَبْنَا لَهُمُ﴾.
- ١٠ - تتحقق السعادة الكاملة في وقت يساهم فيه كل أفراد العائلة في فعل الخيرات، ويشارك بعضهم بعضهم الآخر مع انسجام في الفكر والتعاون في ما بينهم، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾.
- ١١ - المسارعة إلى فعل الخيرات والنشاط في القيام بها، يزيد لها قيمة وحسناً، ﴿يُسْرِعُونَ﴾.
- ١٢ - الخوف من الله ورجاؤه به عنصران قيّمان حتى عند الأنبياء ﷺ، ﴿رَغَبًا وَرَهَبًا﴾.
- ١٣ - في أثناء الدعاء لا بد لنا من دعاء الله في حالة الخوف والرجاء، ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾.
- ١٤ - أولياء الله لا يحنون رؤوسهم تعظيماً وخشوعاً إلا لله تعالى، ﴿خَاشِعِينَ﴾، (لم يقل تعالى: «خاشعين لنا»؛ فتقديم «لنا» يدل على الحصر).

- ١٥ - إنما تكسب الكمالات الإنسانية قيمتها إذا كانت دائمة مستمرة، لا سريعة الزوال وموقته، ﴿كَانُوا يُسْرِعُونَ، وَيَدْعُونَكَ، وَكَانُوا لَنَا خَلِيعِينَ﴾.
- ١٦ - للمسارعة في الخير والخوف والرجاء تأثير في استجابة الدعاء، ﴿فَأَسْتَجَبْنَا لَهُمْ... كَانَُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَكَ﴾.

﴿وَالَّتِي أَحْصَيْتَ فَرَجَهَا فَفَفَخْنَا فِيهَا مِنْ زُوجِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا ءَايَةً  
لِّلْعَالَمِينَ﴾

### التعاليم:

- ١ - المحور الأساس في بيان المطالب القرآنية هو تقديم الأسوة وبيان الكمالات الإنسانية، ولا فرق في ذلك بين الرجل والمرأة، ﴿الَّتِي أَحْصَيْتَ فَرَجَهَا﴾.
- ٢ - تنزل الألفاظ الإلهية عندما تتحقق القابلية اللازمة لها، ﴿أَحْصَيْتَ فَرَجَهَا... فَفَفَخْنَا﴾.
- ٣ - الطهارة والعفة من أعظم كمالات المرأة، ﴿أَحْصَيْتَ فَرَجَهَا﴾.
- ٤ - وجود كمال ما عند الإنسان يصاحبه ويعقبه بركات كثيرة، ﴿أَحْصَيْتَ فَرَجَهَا، فَفَفَخْنَا، زُوجِنَا، وَجَعَلْنَاهَا، ءَايَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾.
- ٥ - بإمكان عفة الأم إن توصلها هي وأبنائها إلى أعلى المقامات، ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا ءَايَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾.
- ٦ - بإمكان المرأة أن تصل إلى مقام يعظمها الله كما يعظم الأنبياء، ويجعلها آية له في العالمين، ﴿ءَايَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾.

﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (١٦)  
﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلُّ إِلَٰهِنَا رَجْعُونَ﴾ (١٦)

### التعاليم:

- ١ - تتحد الأديان السماوية كلها في المقصد والهدف، ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾.

- ٢ - التوحيد ووحدة الكلمة أساس عمل الأديان الإلهية، ﴿أُمَّةٌ وَجِدَةٌ﴾.
- ٣ - تقتضي الربوبية العبودية، ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون﴾.
- ٤ - منشأ التفرقة بين الأديان الإلهية ودين الإسلام هم الناس أنفسهم، ﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ﴾.
- ٥ - يجب على المفرقين أن يهيئوا أنفسهم للاستجواب أمام الحضرة الإلهية، ﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ، كُلُّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾.
- ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (١) ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (٢) ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ كُفِّرُوا وَهُمْ عَلَيْهُمْ﴾ (٣) ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ كُفِّرُوا وَهُمْ عَلَيْهُمْ﴾ (٤)

## إشارات:

□ أشير إلى الوعد بالأجر والثواب في القرآن الكريم بتعابير عدة؛ فتارة يقول: ﴿وَلَا تُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١)، وفي موضع آخر يقول: ﴿كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ (٢) و﴿إِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾، وفي موضع ثالث يقول أيضاً: ﴿لَا يَلْتَكِرُ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا﴾ (٣) (بمعنى أنه لا ينقص ذرة واحدة من ثوابكم)، و﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٤).

## التعاليم:

- ١ - الإسلام دين القيم والكمالات، وهو يعظم ويقدر كل عمل قيم من أي شخص وفي أي زمان، ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾.
- ٢ - إذا لم توفقوا إلى القيام بكل أفعال الخير فقوموا على الأقل بما يمكنكم القيام به، ﴿يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾. ولم يقل، ﴿يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾.
- ٣ - تزيد الدواعي والأهداف الإلهية الأعمال قيمة، ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾.
- ٤ - في الرؤية الإلهية والمقياس الإلهي لا يبقى أي عمل إيجابي لأي شخص من

(٣) سورة الحجرات: الآية ١٤.

(١) سورة يوسف: الآية ٥٦.

(٤) سورة الزلزال: الآية ٧.

(٢) سورة الإسراء: الآية ١٩.

دون جواب ونتيجة، ﴿فَلَا كُفْرَانَ﴾ (نحن أيضاً ينبغي علينا ألا نتجاهل أعمال الناس الحسنة).

٥ - المهم هو السعي والتحرك بغية القيام بالأعمال الصالحة والحسنة حتى ولو لم تتحقق عملياً، ﴿لَسَيِّئُونَ﴾.

٦ - تكتب أعمال الإنسان له، والثواب يومئذ سيكون على أساس الحساب والكتاب، ﴿كَتِبُونَ﴾.

﴿وَحَرَّمْ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ (٩٥) حَقَّ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ  
وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴿٩٦﴾

#### إشارات:

□ نُقل عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال في خصوص المراد من عدم رجوع الكافرين: «كل قرية أهلك الله أهلها بالعذاب ومحضوا الكفر محضاً لا يرجعون في الرجعة، وأما في القيامة فيرجعون، وأما غيرهم ممن لم يهلكوا بالعذاب ومحضوا الكفر محضاً يرجعون»<sup>(١)</sup>.

وبناء على ذلك فإن المراد من عدم رجوعهم هو عدم رجوعهم إلى الدنيا، إذ إنه من البديهي رجوعهم أجمعين في الآخرة.

□ كما تقدم معنا في الآيات (٩٣ إلى ٩٨) من سورة الكهف فإن يأجوج ومأجوج كانوا أقواماً أوقعوا الفساد، والخراب، والدمار في الأرض بسبب حملاتهم المتكررة على من جاورهم، إلى أن قام ذو القرنين ببناء سد عظيم حال دون نفوذهم مرة أخرى إلى بقية المناطق.

ولكن ذكر أن من علامات القيامة وانتهاء عمر الأرض خراب السد وهجوم هؤلاء الأقوام مجدداً على غيرهم، ولذا وكما قال تعالى هناك: ﴿إِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَمَلًا دَكَّاهُ﴾<sup>(٢)</sup>، فإنه سيقول ههنا في الآية اللاحقة: ﴿وَأَقْرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾.

(١) تفسير أطيب البيان، تفسير القمي، ج ١، ص ٢٤.

(٢) الكهف: الآية ٩٨.

وعلى أي حال فإن هذه الآيات إخبار غيبي عن هجوم المعتدين بكثرة ومن كل ناحية إلى مناطق الأرض كلها.

### التعاليم:

- ١ - لن تتحقق الرجعة وأمنية رجوع القوم الهالكين إلا في زمن ظهور ياجوج وماجوج، ﴿لَا يَرْجِعُونَ حَقًّا﴾.
- ٢ - ستصبح الدنيا حيثئذ ميداناً للطغاة، ﴿حَقَّقْ إِذَا فُتِحَتْ﴾.
- ٣ - في مستقبل التاريخ أيضاً سيجول ويصول المفسدون في الأرض، ﴿مِنْ كُلِّ حَدَبٍ﴾.

﴿وَأَقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَقُولُونَ لَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ ﴿٩٧﴾

### إشارات:

□ «شاخصة» من «الشخوص» وهو في الأصل بمعنى الخروج من مكان إلى مكان آخر، ولما كانت العين عند التعجب والدهشة كأنها تريد الخروج من الحدة، فقد قيل لذلك «شخوص».

□ على الرغم من أن القيامة تبدو لنا بعيدة في الظاهر إلا أنها قريبة في الحقيقة والواقع، ﴿وَأَقْتَرَبَ الْوَعْدُ﴾، وقد أكد هذا الاقتراب في آيات أخرى أيضاً، ومن ذلك قوله تعالى ﴿أَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ...﴾<sup>(١)</sup>، وكذلك قوله ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾<sup>(٢)</sup>.

### التعاليم:

- ١ - هجوم المُفْتِنِينَ (ياجوج وماجوج) علامة على انتهاء عمر الدنيا واقتراب القيامة، ﴿حَقَّقْ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ... وَأَقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾.

(١) سورة القمر: الآية ١.

(٢) سورة المعارج: الآيتان ٧ و ٨.

- ٢ - وقوع القيامة قطعي وحتمي، ﴿وَأَقْرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾.
  - ٣ - القيامة وحوادثها يأتیان بغتة، ﴿فَإِذَا هِيَ﴾.
  - ٤ - القيامة يوم البهت والحيرة، ﴿شَخْصَةً أَبْصَرُ الَّذِينَ...﴾.
  - ٥ - القيامة يوم اليقظة ويوم تأسف الضمائر الغافلة، ﴿يَوَلِّئَنَا﴾.
  - ٦ - الغفلة عن القيامة من أبرز علامات الكفر والكافرين، ﴿كَفَرُوا... كُنَّا فِي غَفْلَةٍ﴾.
  - ٧ - الغفلة أساس كل الانحرافات والمصائب، ﴿كُنَّا فِي غَفْلَةٍ﴾.
  - ٨ - الغفلة عن القيامة ظلم للنفس وللآخرين، ﴿كُنَّا فِي غَفْلَةٍ... كُنَّا ظَالِمِينَ﴾.
  - ٩ - القيامة يوم الإقرار والاعتراف، ﴿كُنَّا ظَالِمِينَ﴾.
- ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرِدُونَ ﴿٩٨﴾﴾

## إشارات:

□ سؤال: ورد في هذه الآية أن عبّاد الأصنام ومعبودهم سيكونون حطباً ووقوداً لنار جهنم، فهل أنّ بعض الأفراد كالنبي عيسى عليه السلام الذي كان معبوداً عند بعض، مشمول بهذه القاعدة أم أنه مستثنى منها؟

الجواب: أمثال هذه المعبودات مستثناة عن القاعدة لأسباب عدّة:

أولاً: لقد عبر القرآن عن تلك المعبودات بقوله ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ﴾، ولوجود كلمة «ما» في هذه الجملة فإنها إشارة إلى الموجودات غير العاقلة<sup>(١)</sup>.

(١) قَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَنْزَلَ الْقُرْآنَ عَلَيَّ بِكَلَامِ الْعَرَبِ وَالْمُتَعَارَفُ فِي لُغَتِهَا أَنَّ مَا لِمَا لَا يَنْقَلُ وَمَنْ لِمَنْ يَنْقَلُ وَالَّذِي يَضْلُحُ لَهُمَا جَمِيعاً فَإِنْ كُتِبَ مِنَ الْعَرَبِ فَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ هَذَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ يُرِيدُ الْأَصْنَامَ الَّتِي عَبَدُوهَا وَهِيَ لَا تَنْقَلُ وَالْمَسِيحُ ﷺ لَا يَدْخُلُ فِي جُمْلَتِهَا فَإِنَّهُ يَنْقَلُ وَلَوْ كَانَ قَالَ إِنَّكُمْ وَمَنْ تَعْبُدُونَ لَدَخَلَ الْمَسِيحُ فِي الْجُمْلَةِ فَقَالَ الْقَوْمُ صَدَقْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ». (بحار الأنوار، ج ٩، ص ٢٨٢).

ثانياً: المخاطبون بهذه الآية هم عبَاد الأصنام في مكة، وقد كانوا يعبدون أصناماً من الحجارة، والخشب، وغير ذلك.

ثالثاً: سيأتي في الآيات اللاحقة من هذه السورة أن الذين سبقت لهم منا، (أي من طرف الله)، الحسنى كالنبي عيسى عليه السلام، فإنهم مبعدون عن النار.

### التعاليم:

- ١ - تجر عبادة غير الله تعالى العابد والمعبود إلى النار، ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾  
﴿حَصْبُ جَهَنَّمَ﴾.
  - ٢ - وقود جهنم هم الكافرون ومعبوداتهم الخيالية، ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ...﴾.
- ﴿لَوْ كَانَتْ هَؤُلَاءِ إِلَهَةً مَا وَرَدُّوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٩٩) لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾

### إشارات:

□ غالباً ما تذكر الأصوات بلغة العرب على وزن فاعيل، مثل: زفير، شهيق، زئير وهرير، وإلى غير ذلك. وتطلق كلمة «زفير» على الصوت الذي يرافق إخراج النفس.

□ ليس المراد من قوله ﴿لَا يَسْمَعُونَ﴾ أن أهل جهنم لا يسمعون فيها أي صوت، بل المراد منه أنهم مهما صرخوا فيها فلن يسمعوا الكلام الذي ينجيهم ويسرهم، وفي القرآن آيات تدل على سماع أهل جهنم، إذ يطلبون المهلة من المأمور بتعذيبهم، وكذلك عندما يطلبون من الله أن ينجيهم، وكذلك عندما يسألون فيجيئون.

### التعاليم:

- ١ - لا نعقدن آمالنا على غير الله، ولا نربطن مصيرنا بآلهة كاذبة عاجزة، ﴿لَوْ كَانُوا... مَا وَرَدُّوهَا﴾.
- ٢ - العجز والمحكومية لا يتلاءمان مع مقام الألوهية، ﴿لَوْ كَانُوا... مَا وَرَدُّوهَا﴾.
- ٣ - عذاب الشرك عذابٌ أبدي، ﴿وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

- ٤ - النار مقام المستغيثين الذين لا يجابون، ﴿فِيهَا زَفِيرٌ... لَا يَسْمَعُونَ﴾.
- ٥ - عدم إجابة الاستغاثة والصراخ في حد نفسه عذاب آخر لأهل النار، ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾

إشارات:

□ ورد في الروايات أن قوماً سألوا رسول الله ﷺ: إذا كان القرآن ينص على: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَرَدُونَ﴾<sup>(١)</sup>، فقد عبدوا المسيح ﷺ ومريم ﷺ فهل هم معهم في النار، وأجابهم رسول الله ﷺ وتلا عليهم هذه الآية الشريفة.

التعاليم:

- ١ - إن الله تعالى يفي بالوعد التي وعدها لأهل الإيمان والتقوى، ﴿سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾.
- ٢ - من يدخل الجنة فلن يدخل بعدها إلى جهنم أبداً، ﴿أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾.

﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾

إشارات:

□ إن الإنسان في الدنيا حتى ولو كان يعيش حالة من الرفاء والترف قد يصل إلى أسماعه أحياناً، سواء بإرادته أم بغير إرادته، بعض الأخبار المزعجة، والحوادث الأليمة والمريرة، فتتغص عليه ملذاته وتسلب منه هناء معيشته، وأما في القيامة فإن أهل الجنة في منأى عن سماع أي خبر سيء، وأي جلبة مزعجة، وأي استغاثة وصراخ من أهل البلاء والعذاب، بل وهم مشغولون بشكل كامل ودائم بما يمتعون به.



□ يقول أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام في الخطبة (١٨٣) من نهج البلاغة: «فبادروا بأعمالكم تكونوا مع جيران الله في داره... أكرم أسماعهم أن تسمع حسيس جهنم أبداً»<sup>(١)</sup>.

□ في القرآن الكريم آيات متنوعة تبين نعم الجنة الكثيرة كمأً وكيفاً، ففي إحدى الآيات يقول: ﴿مَا تَشْتَهُيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾<sup>(٢)</sup>، وفي هذه الآية يقول: ﴿وَمَنْ فِي مَا آسْتَهْتُمْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾، وفي موضع آخر منه يوصف ذلك بمثل هذا التعبير، ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ﴾<sup>(٣)</sup>.

□ في حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال عن كيفية نعم الجنة: «وفيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر»<sup>(٤)</sup>.

### التعاليم:

- ١ - إن أهل الجنة يوم القيامة في منأى عن آلام وتأوهات أهل العذاب، وهم يتمتعون في ما يشتهون، ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَبِيسَهَا﴾.
- ٢ - الإشباع الكامل للرغبات والغرائز إلا في الجنة، ﴿مَا آسْتَهْتُمْ﴾.
- ٣ - لا محدودية للنعم في الجنة، ﴿فِي مَا آسْتَهْتُمْ﴾، ولا محدودية لزمان الاستفادة منها، ﴿خَالِدُونَ﴾.

﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ

تُوعَدُونَ﴾

### إشارات:

□ بالاستناد إلى الروايات فإن المخاطب بهذه الآية هم أولئك الذين يمتلكون عقائد صحيحة ويسيروا في خط الأئمة الذين عينوا من قبل الله ورسوله صلى الله عليه وسلم<sup>(٥)</sup>.

(١) من لا يحضره الفقيه، ج ١، ص ٢٩٥.

(٢) تفسير الميزان.

(٣) تفسير الأمل.

(٤) سورة الزخرف: الآية ٧١.

(٥) سورة السجدة: الآية ١٧.

## التعاليم:

- ١ - دفع الشر، (المفسدة)، أهم من جلب المنفعة، لذا الكلام أولاً عن البعد عن الغموم، ومن ثم تلقي البشارات، ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَلَاقَتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾.
- ٢ - إن مصائب الدنيا، مهما كبرت، ليست بشيء يذكر أمام مصائب الآخرة، ﴿الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾.
- ٣ - تتكلم الملائكة في يوم القيامة مع الناس، ﴿وَتَلَاقَتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾.
- ٤ - استقبال المؤمنين وملاقاتهم عمل ملائكي، ﴿وَتَلَاقَتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾.
- ٥ - إذا كانت الدنيا في هذه الأيام تحت سلطة الطغاة فلا يحزننا ذلك؛ لأنه سيأتي ذلك اليوم الذي يكون يوم عز المؤمنين، ﴿هَذَا يَوْمُكُمْ﴾.
- ٦ - الوعد الإلهي حتمي، ﴿كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾.

﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾

## إشارات:

- تطلق كلمة «السجل» في الأصل على قطعة من الحجر يكتب فيه، ومن ثم سمي كل ما يكتب فيه سجلاً.
- أشير في القرآن الكريم مراراً إلى التشابه بين حدوث القيامة وبين الخلق الابتدائي للعالم، ففي آية منه يقول: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾<sup>(١)</sup>، وفي آية أخرى يقول: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَتْ عَلَيْهِ﴾<sup>(٢)</sup>.
- المراد من السماء في هذه الآية السماوات كلها، إذ يقول تعالى في موضع آخر: ﴿وَالسَّمَاءُ مَطْوِيَةً بِيَمِينِهِ...﴾<sup>(٣)</sup>.

(٣) سورة الزمر: الآية ٦٧.

(١) سورة الأعراف: الآية ٢٦.

(٢) سورة الروم: الآية ٢٧.

□ قال الإمام علي عليه السلام: «فجاؤوها كما فارقوها، حفاة عراة، قد ظعنوا عنها بأعمالهم إلى الحياة الدائمة والدار الباقية كما قال سبحانه: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أََوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾»<sup>(١)</sup>.

### التعاليم:

- ١ - إن نظام الوجود أزلي، ولكنه ليس أبدياً إذ إنه سيطراً عليه التغير والتحوّلات في نهاية المطاف، ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ... كَمَا بَدَأْنَا﴾.
  - ٢ - قدرة الله تعالى على طي السماوات سهلة كطي الكتب، ﴿كَطَيَّ السِّجِلِ﴾.
  - ٣ - التمثيل أفضل وأنفع وسيلة للفهم والإفهام، ﴿كَطَيَّ السِّجِلِ﴾.
  - ٤ - كما إن طي السجل لا يعني محو ما فيه من كتابة، كذلك فإن طي السماوات لا يعني فناء المخلوقات، ﴿كَطَيَّ السِّجِلِ لِلْكُتُبِ﴾.
  - ٥ - أي تغير وتحوّل في السموات إنما هو بمشيئة الله وإرادته، ﴿نَطْوِي... بَدَأْنَا... نُعِيدُهُ﴾.
  - ٦ - سيعيد الله تعالى خلق المخلوقات المطوية كما بدأ أول خلق، ﴿نُعِيدُهُ﴾.
  - ٧ - الوعد الإلهي حتمي الوقوع فعلاً، ﴿إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾.
- ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾<sup>(١٠٥)</sup>

### إشارات:

□ كلمة «الزبور» في اللغة العربية بمعنى الكتابة والكتاب، ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾<sup>(٢)</sup>، ولكن بقرينة الآية الشريفة ﴿وَمَا آتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾<sup>(٣)</sup>، يظهر أن المراد من الزبور هو خصوص الكتاب المنزل على داود عليه السلام، والذي كان يشتمل على مجموعة من الأدعية والمناجاة والمواظع، وقد أنزل هذا الكتاب

(٢) سورة القمر: الآية ٥٢.

(١) نهج البلاغة، الخطبة ١١١.

(٣) سورة النساء: الآية ٦٣؛ وسورة الإسراء: الآية ٥٥.

بعد التوراة، والمراد بالذكر في هذه الآية هو التوراة نفسه، كما تقدم معنا في هذه السورة أيضاً في الآية (٣٨) أن التوراة هي الذكر إذ يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

□ ذهب بعضهم إلى القول إن المراد من «الزبور» في هذه الآية هو الكتب السماوية كلها، وإن المراد من «الذكر» هو القرآن المجيد، وأن كلمة «من بعد» تعني «مضافاً إلى»، وعليه يكون معنى الآية حيثئذ ما يلي: لقد كتبنا في الكتب السماوية كلها، مضافاً إلى القرآن الكريم، أن الأرض سيرتها عبادي الصالحون.

□ سئل الإمام الصادق عليه السلام عن قول الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ﴾، ما الزبور وما الذكر؟ قال: «الذكر عند الله، والزبور الذي أنزل على داود عليه السلام، وكل كتاب نزل فهو عند أهل العلم ونحن أهل البيت هم»<sup>(١)</sup>.

□ مما يلفت النظر أنه يلاحظ في كتاب مزامير داود، والذي هو اليوم جزء من كتاب العهد القديم، أن التعبير الذي ورد في الآية الأنفة الذكر، ﴿أَنْتَ الْأَرْضُ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ ورد نفسه أو ما يشبهه في مواضع عدة<sup>(٢)</sup>.

□ ورد في روايات عدة أن العباد الصالحين الذين سيرثون الأرض هم أنصار الإمام المهدي عليه السلام وأصحابه<sup>(٣)</sup>.

□ ورد في بعض الروايات أن أهل بيت نبي الإسلام محمد ﷺ سيملكون الأرض، ويرجعون إلى الدنيا، ويقتلون أعدائهم<sup>(٤)</sup>.

### التعاليم:

١ - السنة الإلهية قائمة على أن العباد الصالحين سيكونون حكام الأرض والوارثين لهذا العالم، ﴿كَتَبْنَا﴾.

٢ - الإخبارات الغيبية للقرآن قطعية الوقوع، ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ...﴾.

(٣) تفسير نور الثقلين.

(١) الكافي، ج ١، ص ٢٥٥.

(٤) تفسير القمي، ج ٢، ص ٢٩٧.

(٢) تفسير الأمل.

- ٣ - يخبر القرآن عن المستقبل أيضاً، ﴿يَرِثُهَا...﴾.
- ٤ - المستقبل للصالحين، ﴿يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾.
- ٥ - لا ينفك الدين عن السياسة، ﴿يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾.
- ٦ - العبادة وحدها لا تكفي، بل لا بد أيضاً من الصلاح والعمل الصالح، ﴿عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾.
- ٧ - وراثة الأرض وحكومة العالم لهما شرطان: العبودية لله، والقيام بالأعمال الصالحة، ﴿عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾.

﴿إِنَّ فِي هَذَا لَلْآيَاتِ لِقَوْمٍ عَالِمِينَ﴾

#### الإشارات:

□ مرّ معنا في الآية السابقة أن وراثة الأرض وحكومة الصالحين عليها يتحقق بشرطين: أحدهما العبودية الخالصة لله تعالى، والتي وردت في الآية بقوله ﴿عِبَادِيَ﴾، والآخر هو كسب الصلاح، ﴿الصَّالِحُونَ﴾. ويؤكد الله تعالى في هذه الآية مجدداً على أن العباد يجب أن يتلقوا هذا البلاغ، ومفاده أنه يجب عليهم الإخلاص في العبادة، وأن ينتقلوا من مرحلة العبودية الكلية والعامّة، «عابدين»، إلى مرحلة العبودية الخاصة، «عبادي»، وكذلك أن يسعوا إلى التحلي بالصلاح، «الصالحون».

□ عن الإمام علي عليه السلام: «الله الله في القرآن لا يسبقنكم في العمل به غيركم»<sup>(١)</sup>.

#### التعاليم:

- ١ - ينبغي على عباد الله أن يسعوا إلى كسب الصلاح واللياقة اللازمة حتى يرثوا الأرض، ﴿يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ إِنَّ فِي هَذَا لَلْآيَاتِ لِقَوْمٍ عَالِمِينَ﴾.
- ٢ - ينبغي على عباد الله الصالحين أن يتلقوا البلاغات الإلهية قبل أي أحد آخر، ﴿لَبَلَّغْنَا لِقَوْمٍ عَالِمِينَ﴾.

## ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾

### التعاليم:

- ١ - تبلور حكومة العباد الصالحين على الأرض اللطف والرحمة المتحصلين في ظل الرسالة، كذلك فإن كل ما يحصل عليه الأفراد من الرحمة النبوية ﷺ في الدنيا والآخرة إنما هو شعاع من الرحمة الإلهية، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً﴾.
- ٢ - إن كل الأحكام والمقررات والقوانين التي جاء بها نبي الإسلام ﷺ وحتى الجهاد، والحدود، والقصاص، وسائر العقوبات والقوانين الجزائية، جميعها رحمة للمجتمع البشري، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً﴾.
- ٣ - الله تعالى «رب العالمين» ورسوله الكريم ﷺ «رحمة للعالمين» أي إن التربية الواقعية ممكنة في ظل هداية الأنبياء ﷺ، ﴿رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾.
- ٤ - إن نبي الإسلام محمد ﷺ رحمة للناس قاطبة، في العصور كلها وفي كل مكان، ولا حاجة إلى أي نبي آخر، ﴿رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾.
- ٥ - رسول الإسلام المعظم ﷺ رحمة أيضاً حتى للملائكة المقربين، ﴿رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾، إذ ورد في بعض الأحاديث أن جبرائيل يظهر للنبي محمد ﷺ أن رحمته قد أصابته وشملته<sup>(١)</sup>.
- ٦ - تشمل أحكام الإسلام العالمين كلهم، ﴿لِّلْعَالَمِينَ﴾.
- ٧ - يمكن لإنسان واحد بإرادة الله تعالى أن يؤثر في كل الوجود، ﴿لِّلْعَالَمِينَ﴾.

﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌُ وَحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾

### الإشارات:

□ ذكر الإمام الرضا عليه السلام، وأمام آلاف المريدين له في نيسابور، وبناء على طلب الناس، الحديث القدسي المعروف بحديث السلسلة الذهبية، والذي ورد فيه أن

التوحيد حصن وقلعة إلهيين يحصن ويؤمن كل من دخل إليه، ومن ثم ذكر أن شرط التوحيد هو القبول بالإمام الحي والتبعية له: «كلمة لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي... وأنا من شروطها»<sup>(١)</sup>.

### التعاليم:

١ - الدعوة إلى التوحيد مظهر من مظاهر الرحمة الإلهية، ﴿رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾، ﴿قُلْ إِنَّمَا يُرِيتُكُمْ...﴾.

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْاْ فَقُلْ ءَاذَنُكُمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍ وَإِنۢ أَدْرَيْتۡ أَقْرَبُ أَمۡ بَعِيدُ مَّا تُوعَدُونَ﴾

### الإشارات:

□ سؤال: يستفاد من كثير من الآيات والروايات أن نبي الإسلام ﷺ كان يعلم علماً واسعاً وكبيراً بالغيب، وكما نقرأ في دعاء الندبة إذ يقول: «وَأَوْذَعْتُهُ عِلْمَ مَا كَانَ وَ مَا يَكُونُ إِلَىٰ انْقِضَاءِ خَلْقِكَ»<sup>(٢)</sup>، إلا أنه وفي آيات أخرى نظير الآية السالفة، وردت عبارات كأنها تشير إلى عدم علم النبي ﷺ بكل شيء، فهل هذه الآيات والروايات متناقضة في ما بينها أم أن ثمة وجه للجمع بينها؟

الجواب: علم الغيب على نحوين، بعضه مختص بالذات الأحدية ولا سبيل لأحد إليه، ومن جملة ذلك زمان وقوع القيامة كما نقرأ في الدعاء أيضاً: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ اسْتَأْذَنْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ»<sup>(٣)</sup>. وأما بعضه الآخر فقد خص الله تعالى به الأنبياء والأولياء ومن شاء من خلقه كما ورد في هذه الآية ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ﴾<sup>(٤)</sup>، وكذلك فإن كثيراً من مسائل القرآن تعد أموراً غيبية.

□ الوعود الإلهية التي وعد بها الكفار، مضافاً إلى الهزيمة والفناء في الحروب، كذلك فإنهم وعدوا بالهلاك والقهر والعذاب في يوم القيامة، ﴿مَّا تُوعَدُونَ﴾.

(١) بحار الأنوار، ج ٣، ص ٧.

(٢) الكافي، ج ٢، ص ٥٦١.

(٢) مفتاح الجنان، ص ٣٠٤.

(٤) سورة آل عمران: الآية ٤٤.





أ - إعطاء المهلة الكافية للمذنب ليستوفي ذنوبه ﴿إِنَّمَا نُكَلِّمُ لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾<sup>(١)</sup>.

ب - إعطاء المهلة للمذنب لعله يوفق للتوبة.

ج - إعطاء المهلة للمذنب لاستهلاك أعماله الحسنة لئلا يبقى له شيء في الآخرة.

### التعاليم:

١ - لا فرق بين الغيب والشهادة عند الله تعالى، ﴿يَعْلَمُ الْغَيْبُ... وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾.

٢ - يعلم الله تعالى كل مكتوم، فلماذا حينئذ التواطؤ والنفاق، ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾.

٣ - علم الأنبياء ﷺ محدود بالنسبة إلى علم الله تعالى، ﴿إِنْ أَدْرَى﴾.

٤ - تأخير القهر والعذاب الإلهيين إما لأجل الامتحان وإما لأجل إتمام المهلة، ﴿وَنَسْتَعِزُّ... وَمَنْعُ إِلَى حِينٍ﴾.

٥ - متاع الدنيا وملذاتها موقتان، ﴿إِلَى حِينٍ﴾.

﴿قُلْ رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾

### الإشارات:

□ ما ورد في القرآن الكريم من موارد الافتراء على الله إنما هي أوصاف خيالية من قبل الناس أنفسهم، وليست وصفاً حقيقياً لله نفسه، ولذا نقرأ في القرآن قوله تعالى ﴿وَلَكُمْ أَلْوَلٌ مِّمَّا تَصِفُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، وكذلك قوله في موضع آخر ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾<sup>(٣)</sup>، وأيضاً ما ورد في هذه الآية إذ يقول عز من قائل: ﴿الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾.

(١) سورة آل عمران: الآية ١٧٨.

(٢) سورة الأنعام: الآية ١٣٩.

(٣) سورة الأنبياء: الآية ١٨.

## التعاليم:

- ١ - أحياناً تصل اللجاجة والعناد إلى حد يدفع النبي الذي هو «رحمة للعالمين» إلى الدعاء على الظالمين، ﴿رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ... قُلْ رَبِّ أَنْكَرُ﴾.
- ٢ - أمام لجاجة الأعداء لطلب المعونة من الله تعالى، ﴿وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ﴾.
- ٣ - لنبدأ الدعاء بكلمة «رب»، ﴿رَبِّ أَنْكَرُ﴾.
- ٤ - يوجد بين الربوبية والقضاء رابطة قريبة جداً، ﴿رَبِّ أَنْكَرُ﴾.
- ٥ - العالم الذي يعلم بكل شيء ويحكم بالحق دائماً وأبداً، ﴿يَقْدِرُ الْجَهَرُ... وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ... رَبِّ أَنْكَرُ بِالْحَقِّ﴾.
- ٦ - حتى مع أعدائنا، لا ينبغي لنا التجاوز عن الحق، ولا ينبغي لنا المطالبة بعقاب أكثر من الحق، ﴿رَبِّ أَنْكَرُ بِالْحَقِّ﴾. (من المحتوم به أن قضاء الله والأحكام الإلهية تقوم على الحق دائماً وإنما نحن الذين يجب علينا أن نرضى بمقدار الحق).
- ٧ - لا بد لنا حتى في أثناء اللعن والدعاء والمطالبة بالعقاب ألا ننسى الرحمة أيضاً لتبقى نافذة أمل ورجاء مفتوحة أمام الجميع وبشكل دائم، ﴿وَرَبَّنَا الرَّحْمَنُ﴾.
- ٨ - لن تبقى التهم والافتراءات بلا جواب، ﴿الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾، وينبغي لنا أن نتذكر دائماً أن لكل شيء حساب وكتاب، ولذا ينبغي لنا التدقيق أكثر في كل مدحنا وانتقادنا، ﴿الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾.

«اللهم صلى على محمد وآل محمد»

## الفهرس

سورة الإسراء	١١١ - ٥
سورة الكهف	٢٢٠ - ١٢٥
سورة مريم	٢٩٤ - ٢٢١
سورة طه	٣٨٦ - ٢٩٥
سورة الأنبياء	٤٧٠ - ٣٨٧